الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة لونيسي علي – البليدة 2

قسم علم الإجتماع

حرفة صناعة النحاس كموروث ثقافي ومكانته لدى العائلة القسنطينية المعاصرة

دراسة انثروبولوجية بزنقة النحاسين حي باردو –قسنطينة–

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الانتروبولوجيا

إعداد الطالبة

هاشم فتيحة

إشراف الدكتور

أ.د شيخي رشيد

اللجنة المناقشة تاريخ المناقشة:..../..../.....

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
بن فرحات فتيحة	أستاذ(ة)	جامعة البليدة 2	رئيسا
شيخي رشيد	أستاذ(ة)	جامعة البليدة 2	مشرفا ومقررا
مادوي نجية	أستاذ(ة) محاضر(ة)أ	جامعة البليدة 2	عضوا مناقشا
قرابصي سهام	أستاذ(ة) محاضر(ة)أ	جامعة البليدة 2	عضوا مناقشا
فرحات مليكة	أستاذ(ة) محاضر(ة)أ	جامعة الجزائر2	عضوا مناقشا
بن عاشور سهام	أستاذ(ة) محاضر(ة)أ	جامعة الجزائر2	عضوا مناقشا

السنة الجامعية :2024/2023


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرّحمن الرّحيم

قال الله تعالى:

"يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير"

صدق الله العظيم

سورة المجادلة الآية: 11



إهداء

إلى من لا تفارقني دعواتها و أمانيها الطيبة أمي

إلى روح أبي الطاهرة وزوجة أخي رضوان الله عليهم

إلى الصابرتين صبر أيوب طيلة مشواري الدكتورالي قرتا عيني بناتي ميسم وأسيل

إلى من تقاسم معي حلو أيامي ومرها إليك سندي وعكازي زوجي الغالي محمد

إلى إخوتي وأخواتي إلى عائلتي الثانية " بركان "

إلى كل صديقاتي وزملائي

إلى كل هؤلاء أهدي هذا العمل

إ

فتيحة هاشم

شكر وعرفان

أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ الفاضل المشرف على هذه الرسالة الأستاذ الدكتور شيخي رشيد والذي كان لي خير سند وخير داعم علميا وعمليا من توجيهات سديدة ونصائح قيمة حتى يعطي للبحث الصبغة العلمية .

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأساتذة الأفاضل الذين قاموا على تكويننا طيلة مسارنا الدكتورالي و لم يبخلوا علينا بالتوجيهات والنصائح الاستاذة الدكتورة بن فرحات فتيحة بوخدوني صبيحة ، بن عاشور سهام ، علان أنسية و الأستاذ درويش الشريف.

كما لا أنسى من قدموا لي الإرشاد والتوجيه أساتذة من جامعة عبد الحميد مهري قسنطينة 2 الأستاذ مراد بلعيدي ، كتفي خيرة بودليو حورية والأستاذ محسن بشير رحمة الله عليه .

كما أتقدم بشكر خاص إلى حرفي مدينة قسنطينة عامة وزنقة النحاسين بحي باردو بشكل خاصة على مساعداتهم ودعمهم وتوجيهاتهم ، كما لا أنسى مديرية السياحة وغرفة الصناعات التقليدية بمدينة قسنطينة .

كما لا يفوتني أن أشكر الأساتذة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة الموقرة على ما بذلوه تجاه عملنا العلمي المتواضع وقبول مناقشته ، من جهد في قراءة العمل وتقييمهم له وتصويبه فألف شكر لهم على صنيعهم وجزاهم الله عنا خير الجزاء .

لكل هؤلاء شكرا جزيلا.

فـــــــهرس المحتـــــــــويات

العنوان	الصفحة
فهرس المحتويات	/
فهرس الجداول	/
فهرس المخططات	/
الملخص	أ – ب
الباب الأول: الإطار المنهجي للدارسة	
الفصل الأول : المدخل المنهجي	
مقدمة	أ– ج
1–1– أسباب الدراسة	6
1–2– أهمية الدراسة	7
1–3– أهداف الدراسة	7
1–4– الإشكالية	8
1–5– فرضيات الدراسة	10
1–6– تحديد المفاهيم	11
1–7– المقاربة النظرية للدراسة	23
1–8– الدراسات السابقة	27
1–9– صعوبات الدراسة	43
الفصل الثاني : وضعية الصناعات التقليدية في الجزائر	
تمهيد	46
1–2– تعريف الصناعة التقليدية	47
2–2– تعاريف دولية للصناعات التقليدية والحرف	51
2–3– أنواع الصناعة التقليدية الجزائرية	56
2–4– أهمية الصناعة التقليدية والحرف	63
2–5– خصائص الصناعة التقليدية والحرف	70
2–6– واقع الحرف والصناعات التقليدية في الجزائر	75
2–7– حرفة النحاس كصناعة تقليدية	82
2–8– حرفة صناعة النحاس في الجزائر	103

2-9- واقع حرفة صناعة النحاس بمدينة قسنطينة	108
2-10- معوقات حرفة النحاس في مدينة قسنطينة	110
2-11- مقترحات للنهوض بحرفة النحاس بقسنطينة	112
خلاصة الفصل	114
الفصل الثالث : الموروث الثقافي والهوية التراثية لمدينة قسنطينة	
تمهيد	116
3-1- تعريف الموروث الثقافي	117
3-2- أقسام الموروث الثقافي	125
3-3- عناصر الموروث الثقافي	131
3-4- أهمية الموروث الثقافي	143
3-5- واقع الموروث الثقافي بالجزائر	146
3-6- حماية الموروث الثقافي وأليات إحياءه	149
3-7- الهوية التراثية لمدينة قسنطينة	155
خلاصة الفصل	192
الفصل الرابع : دراسة مونوغرافية لمدينة قسنطينة	
تمهيد	195
4-1- نبذة عن مدينة قسنطينة	196
4-2- ماهية العائلة	217
4-3- العائلة القسنطينية	231
4-4- مكانة النحاس لدى العائلات القسنطينية	242
خلاصة الفصل	262
الباب الثاني : الإطار الميداني للدراسة	
الفصل الخامس : الدراسة الميدانية	
تمهيد	265
5-1- مجالات الدراسة	266
5-2- مناهج وتقنيات الدراسة	271
5-3- عرض حالات الدراسة	282
5-4- تحليل حالات الدراسة	314
5-5- نتائج الفرضيات والإستنتاج العام	323
خاتمة	327

قائمة المراجع	330
قائمة الملاحق	

فهرس الجداول

الرقم	جداول الجانب النظري	الصفحة
01	**انواع الصناعات التقليدية ذات الخاصية الفنية**	30
02	**الصناعات التقليدية الحرفية ذات الخاصية الإنتاجية**	61
03	**الصناعة التقليدية الحرفية ذات الخاصية الخدماتية**	62
04	**الخواص الطبيعية لمعدن النحاس**	103
05	**التقسيم الإداري لولاية قسنطينة**	208
06	**خصائص العائلة القسنطينية**	230
07	**إستعمال النحاسيات لدى العائلة القسنطينية التقليدي والمعاصرة**	

فهرس المخططات

الرقم	مخطط الجانب النظري	الصفحة
01	**أقسام الموروث الثقافي**	**142**
02	**مكانة النحاس لدى العائلات القسنطينية**	**243**

قائمة الملاحق

الرقم	العنوان
01	**دليل المقابلات**
02	**صور خاصة بالفصل الثالث**
03	**صور خاصة بالفصل الرابع**
04	**صور خاصة بالفصل الخامس**

فهرس الصور

الرقم	العنوان
01	حمام 03 صوردي
02	حمام دقوج بمعدات التلاميم
03	حمام بن معطي بالسويقة
04	حاملة الشموع (الركايز) بالنحاس الأصفر على شكل أحصنة وسمكة
05	حاملة الشموع (الركايز) بالنحاس الأبيض
06	محبس خاص لتخزين الحلويات من النحاس الأصفر
07	غلاية القهوة (الجزوة) ومقبض خشبي
08	مزهرية نحاسية من النحاس الأصفر.
09	مهراس من النحاس الأصفر
10	محبس من النحاس الأبيض
11	سينية قهوة من النحاس الأصفر مرفوقة بالصحون النحاسية وحاملات الملاعق والمناديل والسكرية والمرش
12	سينية شاء من النحاس الأصفر مرفوقة بسكرية وأبريق وحاملة مناديل وصحون في شكل ريشة.
13	سينية قهوة من النحاس الأبيض مع مرش وسكرية وحامل الملاعق والمناديل.
14	لوازم الاستحمام في قسنطينة قديما على اليمين، لطاس والطاسة والطفال وعلى اليسار الكيروانة كلها بالنحاس الأبيض
15	سطلة الاستحمام بالنحاس الأبيض.
16	سينية الحنة بكل لوازمها من النحاس الأصفر "طبق الحنة" مرش وسكرية وحاملات الشمع وعلبة لوضع المصوغات التي ستوضع في حنة العروس.
17	قطار الورد رأسه من النحاس الأبيض وقاعدته من النحاس الأحمر.
18	برواز لمدينة قسنطينة بخيوط من النحاس الأصفر.

19	قصعة من النحاس لغسل الثياب والصوف.
20	ساعة للزينة من النحاس الأصفر
21	خمسة للزينة من النحاس الصفر
22	على اليمين بطة وعلى اليسار غزالة من النحاس الأصفر مخصصة للزينة
23	تمثل الوضاية النحاسية باللونين الأصفر والأبيض.
24	بلاطو مستطيل الشكل من النحاس الأصفر
25	مرآة ذات إطار نحاسي من اللون الأصفر
26	تمثل تحفة نحاسية من النحاس الأبيض لمسجد الأمير عبد القادر
27	مدخل لأحد المحلات بوسط مدينة قسنطينة لبيع الأنتيكا والزينة النحاسية وهو باب مصنوع من النحاس الأحمر
28	إناء لطهي الطعام من النحاس الأحمر
29	مسجد سيدي الكتاني على اليمين من واجهته الأمامية والذي يقع في سوق العصر، وعلى اليسار ومن واجهته الخلفية أعمدة للترميم وعدم السقوط غير أنه على هذه الشاكلة منذ سنوات.
30	مسجد سيدي لخضر
31	الزاوية الحنصالية التي أصبحت مسجدا الآن
32	الزاوية الطبيبية وهي مغلقة تماما نظرا لحالتها العمرانية المهترئة
33	المسجد الكبير
34	مسجد عبد المومن والذي كان زاوية في السابق وهو متواجد بالسويقة.
35	زاوية سيدي ميمون والتي أصبحت مسجدا.
36	قبة لأحد المساجد من النحاس الأصفر
37	جسر سيدي راشد وأسفله زاوية سيدي راشد
38	جسر صالح باي (الملقب بالجسر العملاق)
39	جسر سيدي مسيد (جسر السبيطار)
40	جسر ملاح سليمان 'السانسور)
41	حي النحاسين (باردو العتيق) من الجهة العلوية.

42	المحل بذات الحي مختص في بيع النحاس
43	أقدم ورشة نحاس في مدينة قسنطينة لأمين خوجة لحي السويقة العريق
44	المحل في مدينة الخروب مختص في بيع وشراء وتجديد النحاس
45	حرفي نقاش في حي باردو العتيق أثناء عملية نقشه لسينية قهوة من الحجم الكبير ذات اللون الأصفر
46	قارورة لمنتج يستخدمه الحرفيون في تلميع الأواني النحاسية بعدج الانتهاء منها يسمى "ميرور"
47	مطرقة التسطيح التي يستخدمها الحرفي في تسطيح الصحيفة.
48	مطرقة التشفير على اليمين والمطرقة العادية يسار الصورة
49	ازميل النقطة
50	أزميل المقاطع
51	أزميل الشمس
52	أزميل الدائرة

الملخص :

كانت ولا تزال الحرف والصناعات التقليدية الممثل الأول للموروث الحضاري والثقافي لكل دول العالم لا سيما الجزائر، فالتراث فيها متنوع تنوع مناطقها وتضاريسها فهو متغلغل بجذوره في أعماق التاريخ، حيث تعتبر هذه الحرف من أبرز الصناعات التقليدية فيها، ومنطقة قسنطينة معروفة بحرفة صناعة النحاس فقد أبدعت أنامل حرفييها ولا تزال تبدع رغم التطورات الحاصلة والتكنولوجيا المتطورة التي مست جميع القطاعات بما فيها قطاع الحرف والصناعات التقليدية، ومن خلال دراستنا هذه سنحاول تسليط الضوء على هذه الحرفة وصناعها بغية إزالة الغطاء عن الصعوبات والمعوقات التي تتخبط فيها، وذلك لتمكين الحرفيين من بعث روح جديدة ومبدعة، من خلال ما تصنعه أناملهم لأهل مدينة قسنطينة وما جاورها فكانت زنقة النحاسين " بحي باردو" العتيق الأنسب لدراستنا خاصة من شقها الميداني حيث أمكننا ذلك من الوقوف على واقع الحرفة و الحرفيين .

الكلمات المفتاحية : الحرف ، النحاس ، الصناعات التقليدية ، الموروث الثقافي

Abstract:

The traditional crafts and industries were and still are the first representative of the civilizational and cultural heritage of all countries of the world, especially Algeria. The heritage in it is diverse, the diversity of its regions and topography, it is rooted in the depths of history, where these crafts are considered one of the most prominent traditional industries in the Constantine region, known as the copper industry. The hands of its craftsmen have excelled and are still innovating despite the developments and advanced technology that touched all sectors, including the crafts sector and traditional industries, and through this study we will try to shed light on Light on this craft and its makers in order to remove the cover from the difficulties and obstacles that flounder in it, in order to enable the craftsmen to resurrect a new and creative spirit through what their fingers make for the people of the city of Constantine And what is adjacent to it, the ancient "Bardo neighborhood" was the most appropriate for our study, especially from its field incision, where we were able to stand on the reality of the craft and the craftsmen.

Keywords: crafts, copper, traditional industries, cultural heritage.

الباب الأول
الإطار المنهجي للدارسة

مقدمة

يعد الموروث الثقافي جذورنا التي تتوغل في أعماق التاريخ، فهو المرآة العاكسة لطبائع البشر عبر الأزمنة والعصور، فتكونت لديهم قيم وعادات وتقاليد في أطر حضارية متطورة ما نجم عنها صراع وجدل متواصل بين الأجيال من أجل التصدي لهذا المد الحضاري.

فكانت الصناعات التقليدية جزء هاما من الثقافة المادية في موروثنا، وقد اكتسبت أهميتها كونها لصيقة بكل ما له علاقة بحياتنا اليومية، إذ أن الإنسان ومنذ ظهوره على سطح المعمورة وهو يحاول جاهدا أن يكون صانعا لمتطلباته واحتياجاته من خلال ما شكلته أياديه من معدات وأدوات بسيطة بساطة ما يوجد في بيئته وطبيعته، فكان المهم بالنسبة له هو إشباع رغباته وإرضاء متطلباته المادية ، فهذا المنطلق يجعلنا نسلم أن الإنسان مبدع وحرفي .

يمكن القول أن الصناعة التقليدية تعد من أقدم وأعرق الصناعات تاريخيا من خلال بصماتها الواضحة على كل الحضارات التي عايشها الإنسان على مر العصور المختلفة، فكل مجتمع نجده يتميز عن غيره وينفرد بصناعة معينة كصناعة الفخار والجلود وكذا النقش على النحاس وغيرها.

ورغم ما تكتسيه هذه الحرف والصناعات التقليدية من قيمة وأهمية تاريخية وثقافية واجتماعية واقتصادية باعتبارها تعكس بعدا حضاريا للعديد من الشعوب، إلا أنها لم تنل حظا وافرا من البحث والتحليل والدراسة، فكانت رسالتي بمثابة فرصة أتيحت لي حتى أسلط الضوء على دراسة إحدى الموروثات الثقافية والحضارية ألا وهي الحرف والصناعات التقليدية ، فاستقر اختياري بعد طول تفكير على دراسة حرفة النحاس بمدينة قسنطينة فوسمت دراستي بعنوان **" حرفة صناعة النحاس كموروث ثقافي ومكانته لدى العائلة القسنطينية المعاصرة "** .

اذ تعتبر مدينة قسنطينة إحدى المدن الجزائرية المعروفة بتاريخها وفنها، فقد استطاعت من خلالهما أن تتبوأ مكانة تليق بها وبماضيها، كما استطاعت أن تستقطب العديد من الحرف والصناعات التقليدية

جعل منها قبلة تجارية واقتصادية من كل الجهات، ولعل أهم حرفة عرفت بها مدينة الصخر العتيق هي "صناعة النحاس" فكانت هذه الصنعة بمثابة مورد أساسي للرزق ومصدرا لتجهيز بيوت الحرفيين وأهاليهم بكل ما تجود به أناملهم.

ولا تزال قسنطينة وإلى يومنا هذا تحتفظ بدروب وأزقة وأماكن تعرف بحرفة النحاس التي كانت قائمة بها على سبيل الذكر "حي باردو" والذي يعرف بزنقة النحاسين وهو ميدان دراستنا هذه.

وللتعرف أكثر عن حرفة النحاس بمدينة قسنطينة ارتأينا أن نقسم الدراسة إلى بابين أحدهم نظري وأخر ميداني، ففي الباب النظري قسمت البحث إلى أربع فصول فصل أول منهجي جاءت فيه إشكالية الدراسة وفرضياتها وكذا المفاهيم المتعلقة بالبحث موضوع الدراسة والمفاهيم الإجرائية والدراسات السابقة ثم المقاربة النظرية ختاما بصعوبات الدراسة.

أما عن الفصل الثاني من الدراسة فخصصناه للحديث عن الصناعة التقليدية ماهيتها واقعها ومجالاتها وكذا مختلف النشاطات المتعلقة بها مرورا بأنواعها وخصائصها والأهمية التي تكتسيها لدى المجتمع الجزائري.

وفي الفصل الثالث تحدثنا عن الموروث الثقافي المادي واللامادي إنطلاقا من مفهوم الثقافة وصولا إلى مفهوم الموروث الثقافي وأنواعه واهميته ثم سلطنا الحديث عن واقع الموروث الثقافي في الجزائر وكيفية حمايته ، ثم واصلنا حديثنا في هذا الفصل عن الهوية التراثية لمدينة قسنطينة وما تحمله في طياتها من تنوع ثقافي وحضاري .

أما فصل الدراسة الرابع فقد كان للحديث عن حرفة النحاس في قسنطينة والعائلة القسنطينية ، بداية بالتعريف بعاصمة الشرق الجزائري " قسنطينة " ثم تحدثنا عن العائلة الجزائرية عامة والقسنطينية بوجه خاص لنصل ختاما إلى المكانة التي تحتلها حرفة صناعة النحاس لدى العائلات القسنطينية المعاصرة في مقاربة أنثروبولوجية بين الأصالة والحداثة.

وعن الجانب الميداني للدراسة فقد تحدثنا فيه عن عينة الدراسة ومجتمع البحث ومكان إجراء الدراسة الميدانية، إضافة إلى منهج الدراسة والتقنيات والأدوات المستخدمة في البحث مرورا بتحليل المعطيات المخصصة لنتائج المقابلات الميدانية رفقة مبحوثي الدراسة، ثم الاستنتاج الخاص بكل فرضية ختاما بالاستنتاج العام والخاتمة ثم المراجع والملاحق التي إحتوت على بعض الصور الفوتوغرافية الخاصة بموضوع الدراسة.

الفصل الأول
المدخل المنهجي

1-1- أسباب الدراسة :

تعتبر أسباب اختيار موضوع البحث أحد أهم خطوات البحث العلمي والذي من خلالها ترتسم معالم الدراسة ، فمنها الذاتي ومنها الموضوعي، ولكل باحث جملة من المبررات والأسباب التي تدفعه لاختيار موضوعه رغبة منه لاكتشاف خباياه العلمية وأهم الأبعاد التي يرمي إليها ، ومن الأسباب التي دفعتنا لاختيار موضوع الدراسة نذكر الآتي :

1-1-1- أسباب ذاتية :

1- بما أنني من مواليد المدينة فموضوع الدراسة كان فرصة سانحة لتسليط الضوء على الحرفة التي تميزها عن غيرها من المدن الجزائرية ، من خلال ما تقدمه من تحف وتذكارات وهدايا يبدع صانعها في النقش عليها بمختلف الرسوم والزخارف وبالتالي التعريف بحرفة النحاس وخصوصياتها وكذا خصوصية المنطقة .

2- الفخر الذي يعترينا بموروثنا الثقافي وميولي لكل ما هو تقليدي أصيل ومن شأنه أن يحافظ على إرثنا الحضاري.

3- خوفنا من أن تؤول حرفة النحاس إلى الاندثار والنسيان ، خاصة أن الكثير من الحرفيين بقسنطينة لم تعد تستهويهم الحرفة وانتهجوا أعمال حرة كالتجارة وغيرها.

1-1-2- أسباب موضوعية :

1- توضيح ما هو غامض في نظري للدراسة وذلك بالتعرض لها بشقيها النظري والميداني.

2- ندرة الدراسات الأكاديمية ذات الصلة بالحرف والصناعات التقليدية خاصة حرفة النحاس بقسنطينة.

3- درايتنا بمختلف المخاطر والتهديدات التي تواجهها الحرف والصناعات التقليدية بسبب تداعيات العولمة والتكنولوجيا الحديثة.

4- قناعتنا بما تقدمه السلطات وذلك للمحافظة على الموروث الثقافي المادي واستمراريته.

5- محاولة تقديم إضافة علمية من خلال هذه الدراسة خاصة في مجال حرفة النحاس.

6-التغيرات الراهنة التي طرأت على الحرفة بمدينة قسنطينة جراء العولمة وما تنتجه من تطورات سريعة.

1-2- أهمية الدراسة :

تظهر أهمية الدراسة من خلال أهمية الموضوع في حد ذاته، لأننا بصدد معالجة طرح بشقيه الاجتماعي والثقافي فتتضح أهميته فيما يلي :

1- سعيا منا لإبراز الموروث الثقافي القسنطيني من خلال إظهار حرفة النحاس المهددة بالزوال.

2- النقص الكبير لدى المكتبات الجزائرية خاصة تلك الدراسات التي تولي اهتمامها بالحرف والصناعات التقليدية ، نخص بالذكر حرفة النحاس فتكون هذه الدراسة إضافة جديدة للمكتبة الجزائرية.

3- معرفة الخصائص السوسيو -أنثربولوجية لحرفة النحاس.

4- دور الحرف في المحافظة على الهويات الثقافية وأهميتها في نشر الثقافات عبر العالم ، من خلال تشجيع الحرف التقليدية وإبراز أهمية العمل الحرفي.

5- إمكانية الاستفادة من الدراسة من قبل الطلبة والباحثين .

1-3- أهداف الدراسة :

نهدف الى معالجة الموضوع السوسيو- أنثربولوجي من خلال تحقيق الأهداف الأتية :

1- رؤية موضوع الدراسة من زاوية أكثر توضيحا خاصة ما تعلق بالمصطلحات ذات الصلة بالموضوع

أو المشابهة له سواء لي كصاحبة الدراسة أو لكل مهتم بالبحث العلمي .

2- مساهمة حرفة النحاس في التعريف بمدينة قسنطينة.

3- تسليط الضوء على واقع حرفة النحاس وما طرأ عليها من تغيرات من خلال الوقوف على المعوقات والعراقيل التي تعتري حرفييها.

4- تشجيع الإستثمار من خلال معرفة ما مدى مساهم هذه الحرف والصناعات التقليدية.

5- رؤية إذ ما زالت حرفة النحاس لها إقبال بمدينة قسنطينة أم تسير نحو وجهة أخرى.

6- نهدف من خلال تقربنا للعائلات القسنطينية إلى معرفة مدى مساهمتها في الحفاظ على هذا الموروث الثقافي ونقله للأجيال القادمة .

7- معرفة واقع الحرفي القسنطيني وأهم العراقيل التي تواجهه.

8- نهدف إلى معرفة مدى مساهمة الحرفي القسنطيني في الحفاظ على الحرفة باعتبارها الموروث الثقافي الأول بالمنطقة.

9- نسعى أيضا إلى معرفة مساهمة الحرفة في الدفع بعجلة التنمية المحلية .

10- إعادة قراءة للمجتمع القسنطيني والنظر بإمعان في ممارساته الثقافية من خلال نظرة سوسيو- أنثربولوجية.

1-4- الإشكالية :

لم تكن الحرف والصناعات التقليدية وليدة الحاضر بل هي كل مركب في شكل منظومة ثقافية علمية ذات نتاج حضاري يتعدى عمره الاف السنين ، وهذا من خلال التمازج البيئي والمجتمعي عبر العصور الذي يحاكي من خلال فنونها وطرق صناعتها الحرفية عادات وتقاليد لمختلف المجتمعات في تجسيد منها احتياجاتهم ومتطلباتهم على مر الأزمنة .

فالحديث عن الصناعات سوآء تقليدية كانت ام حديثة يفرض علينا أولا الإعتراف بالدور الذي لعبته في تطوير المجتمعات البشرية وتغيير سلوك أفرادها ، فقد كانت المجتمعات في بداياتها محصورة في بيئات ريفية موزعة على شكل قبائل يسودها غالبا الحذر والذعر من الأخرين ، تسعى لتحقيق التكيف والتأقلم مع

هذه البيئة الصعبة من خلال ما صنعته أياديهم كصناعة أسلحة وأدوات صيد بسيطة وأواني للاستعمالات اليومية، لكن تطورت هذه التقنيات البسيطة فيما بعد لتنتقل إلى صناعات أخرى اعتمادا على ما تزخر به الطبيعة كصناعة الحلي والزينة، لينتقلوا فيما بعد إلى اعتماد المعادن كمواد أولية وبمرور السنين وظهور أفكار جديدة ، عرفت هذه الصناعة تطورا ذو اتجاهين أحدهما يمثل الجانب الحديث والمتطور منها والذي يعتمد على الألة، أما اتجاهها الأخر فهو تقليدي حافظ على أصالتها رغم صراعاتها مع الطابع الآلاتي الذي بدأ يعوض الفرد في مجالات عدة ، إلا أن هذا الاتجاه يبرز إبداعات الصانع ومهاراته اليدوية ويحدد بشكل مميز طابع المنطقة ، إذ لكل منطقة ما يميزها عن غيرها و إن كان المجال واحدا ، فصناعة النحاس في غرداية مثلا ليست نفسها في تلمسان وليست شبيهة لما هو موجود في مدينة قسنطينة فلكل طريقته ولمسته الحرفية الخاصة به.

فالحرف والصناعات التقليدية هي جزء من الثقافة الجزائرية وموروثها ، وللنحاس نصيب من هذه القيمة الجمالية والفنية التي تعتز بها الجزائر، فهي حرفة معروفة منذ زمن بعيد ووجودها مرتبط بالتواجد العثماني بالبلاد، ولعل من أكثر المدن التي ازدهرت بها حرفة صناعة النحاس هي مدينة الصخر العتيق وعاصمة الشرق الجزائري " قسنطينة "، فمكانتها الجغرافية جعلتها محل اهتمام العديد من رجال الدين والفكر والثقافة فارتقى فكرها وتطور عمرانها وأصبحت بذلك مدينة للثقافة والفن والعلم ، وازدهر من خلالها كل ما له علاقة بموروثها الشعبي والثقافي، فكان للمصنوعات النحاسية مكانة بارزة داخل أسوار المدينة وحتى خارجها، من خلال ما أبدعته أنامل حرفييها من تحف ذات رسومات ونقوش جميلة بلمسات إبداعية كل منها تحاكي حقبة من الزمن وترسم معالم مدينة بداخلها.

فكانت الحرفة تتناقل جيلا بعد جيل كل يترك إرثا ثقافيا يكون بمثابة انطلاقة جديدة لمن يأتي بعدهم من الحرفيين والساعين للحفاظ على هذا الموروث، لكن هذا الانتقال لن يمر ساكنا بل يحتاج إلى حركة وديمومة وتطور من شأنه أن يحول المجتمعات من بسيطة إلى أخرى مركبة ، إلا أن مجال الحرف

والصناعات التقليدية لا يزال يحافظ على خصوصيته ذات الطابع التقليدي والتي تدل على ثقافة المجتمع الأصلي ولما له من أهمية في تاريخ المجتمعات والحفاظ على هويتها الحضارية والثقافية ونقلها للأجيال.

ومن هذا المنطلق نطرح التساؤل الرئيسي للدراسة :

هل حرفة صناعة النحاس كموروث ثقافي بمدينة قسنطينة لا تزال محافظة على مكانتها لدى العائلة القسنطينية المعاصرة ؟

ويندرج هذا ضمن مجموعة من التساؤلات الفرعية التالية:

1- هل تساهم حرفة صناعة النحاس في نقل الموروث الثقافي والحضاري للمنطقة ؟

2- كيف تساهم حرفة النحاس في الدفع بعجلة التنمية بمدينة قسنطينة ؟

3- هل مكانة الموروث الثقافي لدى العائلات القسنطينية ساهم في الحفاظ على الحرفة ؟

1-5- فرضيات الدراسة :

يتطّلب تحليل الإشكالية محل الدراسة اختبار صحة مجموعة من الفرضيات العامة منها أو الجزئية .

- **الفرضية العامة :**

حرفة صناعة النحاس موروث ثقافي له مكانة لدى العائلة القسنطينية المعاصرة.

- **الفرضيات الجزئية :**

- **الفرضية الأولى :**

يسعى ويساهم الحرفي القسنطيني من خلال ممارساته المهنية إلى نقل الحرفة والحفاظ عليها.

- **الفرضية الثانية :**

تعمل حرفة صناعة النحاس على دفع عجلة التنمية في منطقة قسنطينة .

- **الفرضية الثالثة :**

3- مكانة الموروث الثقافي لدى الحرفيين والعائلات القسنطينية ساهم في الحفاظ على الحرفة وصورة المجتمع القسنطيني الثقافية والاجتماعية .

1-6- تحديد المفاهيم :

إن تحديد المفاهيم هي عملية من عمليات البحث العلمي لا تقل أهمية عن أي عنصر من عناصر البحث، ويبرز ذلك في مصطلحات تختلف باختلاف موضعها واستعمالاتها لدى كان من الضروري تحديد المفاهيم الخاصة بالدراسة بأكثر دقة، فهي بذلك تعبد الطريق للباحث كي لا يخرج من نطاق التصور المجرد الذي لا يمكن أن يكون ذا معنى إلا إذا تحققت ظواهره في الواقع المعاش، وما سوف ننتهجه في تحديد مفاهيم دراستنا يكون بتحديد المفهوم من ناحيته اللغوية ثم الاصطلاحية وذلك بعملية تسلسلية في شرحها حسب متغيرات الدراسة وعنوانها، كما تعرضنا لمفاهيم مشابهة لدراستنا وصولا إلى التعريف الإجرائي الخاص بكل مفهوم.

1-6-1- مفهوم الحرفة

لغة : حرفة مفرد جمع (حرفات)، وحرف :مهنة ، صنعة وسيلة الكسب من زراعة، وصناعة، وتجارة أو غيرها " حرفة النجار"[1]، والحرفة اسم من الاحتراف، وهو الاكتساب، يقال هو يحرف لعياله ويحترف ويقرش ويقترش، ويحرج ويحترج، بمعنى يكسب.[2]

[1] أحمد مختار بمساعدة فريق عمل, **معجم اللغة العربية المعاصرة** ,عالم الكتب ,المجلد الاول ,ط1'القاهرة ,2008,ص 476.

[2] أبي منصور محمد بن احمد الازهري ,**تهذيب اللغة** , الدار المصرية للتأليف والترجمة ,الجزء5 ,282هـ-370م ,ص 16

والمهنة هي الخدمة والماهن هو الخادم، مهن القوم أي خدمهم وامهنته أي استخدمته، وهو في مهنة أهله أي في خدمة أهله، وخرج في ثياب مهنته أي في ثياب خدمته.[1]

أما اصطلاحا : وورد في "لسان العرب" أن الصنعة هي :"حرفة الصانع وعمله الذي يعتمد فيه على يديه حيث يستعملها في صنع الاشياء، كما يعتمد على ذكاءه في تحويل أشياء أخرى يريدها وهو محور الإنتاج في الحياة الاقتصادية ".[2]

وعرفتها "موسوعة علم الانسان" " أن الحرفة هي العمل الذي يزاوله الفرد ويستلزم لأدائه توفير مؤهلات خاصة تكتسب بعد قضاء عدة سنوات في تلقي التعليم والخبرة اللازمة ".[3]

ما يمكن أن نلاحظه في جملة التعريفات السابقة أن الحرفة هي من عمل الإنسان وتخصه لوحده دون سواه، فما يقوم به البشر في الحياة اليومية يدخل نطاق الحرفة كأن يمتهن الفرد الزراعة أو التجارة حتى يلبي بها كل حاجياتها ويشبعها معتمدا في ذلك على جملة الخبرات والتقنيات التي تساعده في العيش بكرامة.

التعريف الإجرائي للحرفة :

" ونقصد بالحرفة في هذه الدراسة هي كل ما يقوم به الفرد يدويا معتمدا بذلك على خبراته ومهاراته التي اكتسبها حتى يتمكن من خلالها أن يضمن مكسبا ماديا ومعنويا يستطيع عن طريقه سد حاجياته وإشباع رغباته".

---

[1] علي بن عبد القادر بن محمد يماني ,**التربية المهنية في السنة النبوية وتفعيلها في المدرسة الثانوية** ,بحث مكمل لنيل درجة الماجستير في التربية الاسلامية والمقارنة ,جامعة ام القرى ,2008 , ص 23.

[2] نوال بن صديق, **التكوين في الحرف والصناعات التقليدية ,بين المحافظة على التراث ومطلب التجديد**, دراسة أنثروبولوجية بمنطقة تلمسان, رسالة ماجستير, كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ,جامعة ابي بكر بلقايد ,تلمسان 2013/2012, ص 25 .

[3] شارلوث سيمور سميث ,**موسوعة علم الانسان المفاهيم والمصطلحات الانثربولوجية** , مجموعة أساتذة علم الاجتماع بإشراف محمد جوهري ,المجلس الاعلى للثقافة , 1998, ص 688

1-6-2- صناعة النحاس :

أ- تعريف النحاس :

لغة : نحاس وجمعه نحس، والنحاس هو صانع النحاس وبائعه ، والنحاس هو الدخان الذي لا لهب فيه.[1]

اصطلاحا : النحاس عنصر فلزي رخو نسبيا ذو لون أحمر مائل للسمرة قابل للطرق والسحب والتشكيل، وهو من أقدم الفلزات التي عرفها الانسان.[2]

وقد اشتق اسم النحاس من الاسم اللاتيني لجزيرة قبرص Cyprus وسمى الخام Cyprium ،ثم حرف على مدى السنين إلى Cyprum ، وقد اشتق رمزه الكيميائي Cu من الحرفين الأولين لاسمه.[3]

ويعتبر من أعظم المعادن أهمية، ويمكن قطعه بأدوات القطع المعروفة، كما يمكن لحامه بسهولة، فهو معدن طري ومطاوع يسهل تشكيله بالطرق و السحب.[4]

وعرف أيضا "بالصفر" وهي الكلمة التي اشتقت منها تسمية الصفارين وهم صانعو النحاس.[5]

---

[1] https://www.almaany.com **معجم المعاني عربي عربي,** . 02/10/2022.19:23

[2] خولة نواري، **الحرف والصناعات التقليدية في الجزائر**, ,معهد الاثار, جامعة الجزائر 2, ط1, 2019,ص 148

[3] أحلام صابرينة طرشي: **صناعة النحاس بقسنطينة دراسة فنية** – رسالة ماجستير كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية – جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان. 2011.ص 48.

[4] عائشة حنفي، **خواص مادة النحاس وطرق علاجها**، مجلة "الدراسات الأثرية"، معهد الآثار، جامعة الجزائر2,المجلد15,العدد01 ,2016,ص ص 339-352

[5] خولة نزاري , مرجع سابق الذكر ,ص 148

كما عرف الإنسان النحاس منذ أقدم العصور، واستخدمه في صنع آلاته وأشكال زينته، وكان له دور كبير في تطور حضارة الإنسان من الحضارة الحجرية إلى عصر المعادن، وتم اكتشافه قبل 10 آلاف سنة قبل الميلاد، وقد استخدمه العرب لصناعة الأنابيب لتوصيل مياه الشرب ومياه الصرف.[1]

مما لا شك فيه أن النحاس يعد من أقدم المعادن الموجودة على سطح الأرض ، فقد استطاع الإنسان على مر الأزمنة أن يلينه ويصهره تماشيا وما يحتاج إليه حتى يسهل على نفسه وغيره مصاعب الحياة فما كان منه إلا أن يخضعه لجملة من التقنيات والوسائل التي استطاع من خلالها صنع العديد من الأدوات والمستلزمات ، على غرار أواني الطبخ النحاسية والأسلاك الكهربائية والعملات المعدنية التي سهلت الكثير من التبادلات التجارية والاقتصادية .

ب- تعريف الصناعة :

لغة : فقد عرفها " **إبن منظور**" في معجم " لسان العرب" على أنها مشتقة من فعل : صنع، يصنع صنعا، ومن ثم فهو مصنوع وصنع عمله، أي الصنع هو العمل ، ويواصل قوله : واصطنعه يعني اتخذه، فيقال : اصطنع فلان خاتما، أي سأل رجلا ليصنع له خاتما ، واستصنع الشيء أي دعا إلى صنعه، والصناعة هي حرفة الصانع وعلمه الصنعة والصناعة أي ما تستصنع من أمر.[2]

اصطلاحا : هي كل نشاط للإنسان يتفاعل فيه مع البيئة المحيطة ليطوعها لاحتياجاته، ويصنع منها عالم أشياءه.[3]

---

[1] فاطمة الزهراء قاسي, **صناعة النحاس التقليدي , حرفة بين تحديات البقاء والمساهمة في التنمية**, مجلة دراسات الاقتصاد والتجارة والمالية –الجزائر 3 ,الجلد6,العدد03,سنة 2017

[2] ابن منظور، **لسان العرب**، المجلد الأول، دار الصادر، بيروت,م8.ط3. 1414-1994.ص 208.

[3] عويسيان التميمي البصري,**موسوعة المفاهيم الاسلامية العامة** ,المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية ,ج1,مصر,ص 408.

أما **"ابن خلدون"** الصناعة في نظره هي :"... ملكة في أمر عملي فكري، ويكونه عمليا هو جسماني محسوس والأحوال الجسمانية المحسوسة أتم فائدة ..."، وبالتالي فالصناعة عنده هي فن مكتسب ومن خلال تكرار مارسته عدة مرات يصبح وكأنه ملكا للصانع، يصبح يضيف ما يتناسب معها، ويحسنه بما يراه قد يضفي عليه فائدة أكثر عند استخدامه، وهو يعني أنه " فن وفكر وبالممارسة والتعود أكثر يبدع فيه الصانع فيضفي عليه ما يزيده جودة عالية ".[1]

فمن التعاريف السابقة للصناعة نجد أن البشر هم من اختصوا بها على خلاف غيرهم من الكائنات الحية ، فالفرد هو الوحيد القادر على الصناعة والابتكار رفقة ما يمتلك من ملكات فكرية وقدرات جسمانية تجعله يلبي ويحقق رغباته ويشبعها من خلال ما صنعته يداه .

التعريف الإجرائي للصناعة :

" ونقصد بالصناعة في دراستنا هي كل عمل يقوم به الإنسان ويتبعه بالاستمرارية والمداومة حتى يبلغ درجة من المهارة والإتقان ,لأجل أغراض تعود عليه بالمنفعة".

ت- صناعة النحاس :

حرفة صناعة النحاس لها عراقة ومكانة خاصة لدى الجزائريين، وظلت صناعته ركيزة أساسية للحياة اليومية، ونشاطا تجاريا يدخل كل بيت عبر الأواني المستخدمة في مختلف الأنشطة والاحتياجات المنزلية وللتأكيد على أهمية النحاس في حياة الجزائريين كانت العروس التي لا تأخذ معها إلى بيت الزوجية النحاس فكأنها لم تأخذ شيئًا!.. كما أن الأواني النحاسية لا تعكس فقط قيما جمالية وإنما تكرس لاستخدام عملي يرتبط بالعنصر الجمالي، ناهيك عن البعد الصحي الكامن في معدن النحاس مقارنة مع غيره من المعادن

[1] زينب شنوف. **تشكيل الهوية الجماعية عند المقاولين الشباب**. دراسة ميدانية لعينة من المقاولين الشباب أصحاب مؤسسات الصناعة التقليدية الحرفية بورقلة .اطروحة لنيل شهادة الدكتوراه ,كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ,جامعة محمد خيضر ,بسكرة 2017.ص 103.

المستخدمة في صناعة أواني الطعام.. إلا أن الحال تغير في الأغلب، حيث اتجه الاهتمام بالنحاس إلى اقتناء بعض القطع التذكارية وزينة البيت فقط.[1]

وصناعة النحاس لم تقتصر على الأواني المنزلية، وإنما تشمل كذلك لوحات حائطية ومزينة بآيات قرآنية، وأخرى مرسوم عليها معالم تاريخية شهيرة، إضافة إلى التحف التذكارية والصور والمجسمات النحاسية الكبيرة التي تعكس العنصر الجمالي لهذا الفن الرفيع.[2]

على الرغم من البدايات الوعرة التي واجهت الفرد حتى يستطيع أن يطوع معدن النحاس ويجعله لخدمته، إلا أن الصانع تمكن من صهره تذويبه وتشكيل مختلف المصنوعات النحاسية ذات الاستخدامات المتباينة فمنها من استخدم للزينة وغيرها للمطبخ...إلخ ، كلها من أجل تلبية مختلف حاجيته واهتماماته.

التعريف الإجرائي لصناعة النحاس :

" إن صناعة النحاس في دراستنا هذه هي جملة ما يصنعه الفرد أو الحرفي على وجه الخصوص اعتمادا على معدن النحاس ، ليشكل به تحفا فنية وجمالية وتلبية منه لجل حاجياته من المستلزمات المنزلية وغيرها".

[1] محمد تسعديت. **النحاس في الجزائر.. حرفة عريقة توشك على الانقراض.** الجزيرة.نت. الموقع. https://www.aljazeera.net 2008/07/26.الجزائر.

[2] قاسي فاطمة الزهراء ,مرجع سابق الذكر .

1-6-3- الموروث الثقافي :

أ- الموروث :

لغة : الموروث في المعجم العربي ورث، يرث ،إرثا وميراثا، فالجد الموروث هو الذي ترك الميراث، ورث أباه ماله أو مجده أي انتقل إليه ماله أو مجده بعد وفاته، وشيء موروث أي يمشي في دم المرء وطبعه.[1]

اصطلاحا : فالتراث كل ما تركه لنا أجدادنا وسابقينا من أعمال سواء مادية أو معنوية ويتميز التراث بالاستمرارية والامتداد والتداول بين المجتمعات القديمة والحاضرة الذي له ارتباط بالحداثة، كما نجده ينتقل من جيل إلى آخر باستلام تلك الثقافة التي تساعد الأفراد على بقائهم ومزاولة الحياة اليومية[1]، كما أن التراث هو ما نقوم به أو ما نعتقد لأن الأجداد فعلوه أو أمنوا به.[2]

تستخدم كلمة التراث في الأنثروبولوجيا بديلا عن أنماط المعتقدات، والعادات الاجتماعية والقيم والسلوك والمعرفة، أو الخبرة التي تنتقل من جيل إلى جيل عن طريق التنشئة الاجتماعية داخل مجتمع معينا، وقد استخدم المصطلح أحيانا كمرادف لمصطلح الثقافة نفسه.[3]

أيا كان ما يجده الفرد من الأسلاف والسابقين فهو يدخل في إطار الإرث الثقافي والحضاري، وجب الحفاظ عليه والاعتناء به ونقله بشتى الطرق والوسائل إلى الأجيال القادمة حتى يتسنى لها العلم بماضيها وذاكرتها الثقافية وتحافظ هي الأخرى على هويتها ومكانتها بين الشعوب.

---

[1] محمد الجوهري، حسن الخولي، فاتن أحمد علي وآخرون، **التراث الشعبي في عالم متغير**، دراسات في إعادة إنتاج التراث أعين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، القاهرة، ط 1 ,2007,ص 11

[2] جان فرانسوا دورتيه ,**معجم العلوم الانسانية** ,مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ,2009,ص 214.

[3] محمد الجوهري ,**المفاهيم الاساسية في الانثربولوجيا (مدخل لعلم الانسان)** ,2008, ص 122 .

التعريف الإجرائي للموروث :

" الموروث هو جملة ما تركه الأسلاف والسابقون من عادات وتقاليد وأعراف يعتمدها الفرد ليشكل بها جزءا معاشا من حاضره ".

ب- الثقافة :

لغة: الثقافة من ثقف، يثقف، ثقافة فهو ثقف ويقال ثقف الشخص أي صار حاذقا فطنا، وفلان ثقف صاحبه أي غلبه في الخدعة والمهارة، وجمعها ثقافات وهي العلوم والمعارف والفنون التي يطلب الحذق فيها.[1]

اصطلاحا : وأول ما يراودنا هو **" تعريف تايلور"** الشهير للثقافة " الثقافة هي ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفن والأخلاق والقانون والأعراف والقدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان باعتباره عضوا في المجتمع.[2]

ت- تعريف الموروث الثقافي :

هو تلك الأشكال والعناصر الثقافية المادية والفكرية والاجتماعية التي كانت سائدة في المجتمع في وقت ما، ثم طرأ على هذا المجتمع تغير، فانتقل من أوضاع إلى أوضاع أكثر حداثة، ولكنها' 'الاشكال الثقافية" لا تزال مستمرة في ذلك المجتمع، متداولة بين أفراده، وهذه الاستمرارية لعناصر الموروث الثقافي بين الأجيال تحمل معها من التواصل الحضاري عصارات فكر أجيال متعاقبة.[3]

---

[1] **معجم المعاني عربي عربي**, مرجع سابق : يوم 2022/10/05 الساعة 08:48

[2] https://www.aranthropos.com. يوم 202/10/05 2 الساعة :08:40

[3] ايمان هنشيري: **الموروث الثقافي الجزائري الواقع والآفاق**، مجلة حوليات التراث جامعة مستغانم، العدد السابع عشر، سبتمبر 2017 ،ص 107-121

إن ما تحمله الثقافة في طياتها من ممارسات ثقافية وحضارية تفسر كلها ذاك الموروث الثقافي والتواصل الحضاري بين الأجيال في نقلة متعاقبة بينهم، يحاول فيها الفرد رسم معالم ماضيه على خطى حاضره وأمل مستقبله .

التعريف الإجرائي للموروث الثقافي :

" ونقصد بالموروث في هذه الدراسة هو كل ما ينقل من تقاليد وأعراف وعلوم وفنون وعادات حضارية قديمة خاصة بالأجداد والسالفين جيلا بعد جيل، وهذه الموروثات تعكس واقع الأمم وحضاراتها عبر حقب زمنية متعاقبة ، ولكل أمة حضارتها الخاصة بها التي تميزها عن الشعوب الاخرى وتكتسي بها طابعها الخاص".

1-6-4- المكانة :

لغة : مكان، أمكنة، ومكانة، وهي الموضع والمنزلة والرفعة والشأن، والمرتبة المرموقة، المقام المحترم والمكان الرفيع [1] ، يقول الله تعالى في كتابه العزيز : (**وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِم**) الآية 67 من سورة يس ، ويقول أيضا : **(قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُم)** الآية 135 من سورة الأنعام.

اصطلاحا :

حسب موسوعةbordas المكانة هي "الدور الذي يقوم به الفرد والذي يشير إلى نموذج من السلوك، هذا الدور والنموذج يمنح رتبة ضمن الهرم التسلسلي الاجتماعي، الوضعية الاجتماعية تقاس من خلال متغيرات مثل : الوضعية المهنية ، مكان الإقامة ، الطائفة الدينية ...الخ"[2]

[1] **معجم المعاني عربي عربي** .موقع سابق , يوم :2022/10/05 , الساعة : 11:25

[2] أمال باشي : **البناء الاجتماعي للمهن في الجزائر**, دراسة سوسيو-انثربولوجية لحرفة الطرز التقليدي بتقرت ,رسالة دكتوراه , كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ,جامعة قاصدي مرباح ورقلة , 2020 ,ص 71

عرفها الأنثروبولوجي **Ralf Linton** على أنها " المركز الذي يشغله الفرد في نظام معين وفي وقت معين بالنسبة لهذا النظام ... كما أنه في بعض الدراسات المكانة تشير إلى الوضعية التي يحتلها الفرد في نظام".[1]

إن كل ما يحققه الفرد داخل حيز مجتمعه سيخلق له لا محالة مكانا معينا بين أفراده ، فهو المسؤول الأول عن ما إن كانت مكانته مرموقة أو بسيطة، فهو من يصنع هذا الاختلاف والتميز لنفسه ومن خلاله سيصنف ضمن أفراد هذا المجتمع.

التعريف الإجرائي للمكانة :" إن المكانة في دراستنا هذه تعني الرفعة والشأن والمنزلة التي يحتلها الأفراد داخل جماعاتهم المنتسبين اليهم ، وهذه المكانة تحدد من خلال ما يراه الأفراد ويتصورونه حول بعضهم داخل نسقهم الاجتماعي ، وقد تكون وراثية أو مكتسبة وتتسم بالتغير حسب ما يطرأ من تحولات تاريخية واجتماعية فالفرد هو المسؤول عن مكانته داخل مجتمعه وما عليه إلا السعي للوصول إليها " .

1-6-5- العائلة القسنطينية المعاصرة :

التعريف الإجرائي للعائلة القسنطينية المعاصرة:

" تشتمل العائلة على أسرة أو مجموعة من الأسر بحيث يمكن أن يعيشوا في بيت واحد وينتسبون إلى جد واحد تعود له كنية هذه العائلة فنقول : " عائلة فلان "، ولا يكون رابطهم قائما على الإقامة المشتركة والمسكن الواحد بل مبنيا في الأساس على رابطة الدم، فالعائلة القسنطينية إحدى هذه النماذج التي عاصرت وشهدت ما حصل من تطورات وتغيرات في أنساق المجتمع القسنطيني ومجالاته ، حيث أنها وفي كثير الأحيان تكون العنصر الفاعل في هذا التغير، من حيث اكتساب أفرادها طابع الاستقلالية والتعويل على الذات وتحمل مسؤولياتهم بعيدا عن الاتكال.

[1] أمال باشي , مرجع سابق , ص 72

غير أن العائلات القسنطينية اليوم عرفت تغيرات واسعة شملت كل المجالات، خلقت فجوة داخل المجتمع مست ببعض الممارسات الثقافية والاجتماعية فتغير بذلك شكل العائلة وضاق حيز عاداتها وتقاليدها.

1-6-6- الصناعة التقليدية:

لغة: قلد، يقلد، تقليدا، يقال رجل تقليدي أي متمسك بالقديم. فهي تقليدية أي نزعة ترمي إلى التمسك بالماضي ومعارضة التطور والتجديد.[1]

اصطلاحا :

ويقصد بالصناعة التقليدية هو التميز العاطفي والولاء للتراث الثقافي وخاصة المعتقدات التقليدية ومن خلال هذا الولاء العاطفي والإيمان بالتراث، تكتسب العناصر الثقافية التقليدية مكانة خاصة في المجتمع وفي توجيه سلوك الناس، وتختلف نسبة التقليد من مجتمع إلى أخر، كما تختلف بين فئات المجتمع الواحد ذاته.[2]

وتعرف كذلك على أنها تلك "المهارة الفريدة أو القدرة على التفنن، ويقصد به كل نشاط إنتاجي، أو إبداع، تحويل أو ترميم فني، أو صيانة، أو تصليح، أو أداء خدمة يطغى عليها العمل اليدوي صناعة تقليدية، بحيث يمكن ممارستها إما بشكل مستقر أو من البيوت أو بالتنقل، ويكون إما حرفي فردي أو عن طريق اعتماد مساعدة التعاونيات والمقاولات الحرفية للصناعات التقليدية والحرف.[3]

وترجع كل الحرف والصناعات القديمة والعتيقة إلى أنامل البشر وسواعدهم التي أعطت لها صبغة مميزة ذات طابع فني ثقافي، نميز من خلالها المجتمعات عن بعضها كل حسب عاداته وتقاليده وممارساته الثقافية.

---

[1] معجم المعاني ,مرجع سابق ,الساعة 19:19 يوم 2022/10/03

[2] عبد القادر بن جدو، محي الدين الجيلالي , **الصناعة التقليدية للمرأة و التحولات السوسيوأنثروبولوجية**,رسالة دكتوراه , كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية ,جامعة البليدة 2 ,2019,ص28

[3] اعتماد علام، **الحرف والصناعات التقليدية بين الثبات والتغير**. ،مكتبة الأنجلو، القاهرة،1991 ّ, ص7

التعريف الإجرائي للصناعة التقليدية :

"هي مجموع المكونات الحضارية التي تمثل دولة معينة ، وكلها من الصنع اليدوي والأنامل البشرية حيث أبدع الإنسان في صنع تشكيلة منها الفخار والأواني النحاسية والزرابي النسيجية فكان الغرض من كلها أن يتأقلم الفرد مع بيئته ويستطيع العيش والاستقرار فيه".

1-6-7- الهوية الثقافية :

لغة هَوِيَة : فاعل من هَوي، مَنْسُوبٌ إلى هُوَ، هُوِيَّةُ الْإِنسان: حقيقته المطلقة وصفاته الجوهرية.[1]

اصطلاحا :

يعرفها عالم الاجتماع الفرنسي " **كلود دوبار"** أنها " أغلى ما يملكه الفرد، فقدان الهوية يعني المعاناة، القلق والموت، الهوية ليست معطاة من ميلاد الفرد، لكن تبنى خلال الطفولة ويجب إعادة بناؤها خلال مراحل الحياة، والفرد لا يبنيها بمفرده لكنها متعلقة بأحكام الآخرين، واتجاهات وتعريف الذات، وبالتالي الهوية هي نتاج للتنشئة الاجتماعية المتواصلة.[2]

أما عالم النفس الأمريكي" **إريك اريكسون"** يرى أنها " شعور ذاتي لوحدة شخصية واستمرارية زمنية المبدأ الذي يعطي الانسجام وتعدد الخبرات الاجتماعية لدى الأفراد".[3]

وتعرفت الهوية الثقافية كذلك على أنها : "هي السمات المميزة لطابع الفرد أو الجماعة تتصل بماهيتهم وبالمعاني ذات الدلالة العميقة لوجودهم ومن المصادر الرئيسية للهوية "الجنوسة"، توجهات النشاط الجنسية

[1] معجم المعاني ,مرجع سابق ,الساعة 16:19 يوم 2022/10/29 ..

[2] ناصر قاسيمي،" **دليل مصطلحات علم اجتماع العمل والتنظيم**"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2011، ص25 .

[3] Monique Lebrun, "**Les Représentations Sociales des Méthodes de Recherches aux Problèmes de Société"**, Les éditions logiques, Québec, 2001, p96

القومية، الأصل الاثني، الطبقة الاجتماعية ، والاسم هو من المعالم لهوية الفرد ، كما أن التسمية مهمة جدا لهوية الجماعة " .[1]

إن الهوية الثقافية لا تتشكل من فراغ وليست وليدة اليوم بل هي نتاج من الذكريات والقيم والرموز سوآء كانت لفرد معين أو مجتمع بأكمله.

التعريف الإجرائي للهوية الثقافية :

"يمكن القول أن الهوية الثقافية هي جملة الأنظمة والقيم التي تميز مجتمعا عن غيره، بما يحمله من ثقافات وخصوصيات تاريخية وحضارية" .

1-6-8- الحرفي القسنطيني :

تعريف الحرفي :

"هو صانع يدوي يعمل لحسابه ويساعده عدد صغير من العمال ويتمتع بحماية خاصة فيما يتعلق بتطبيق قوانين العمل والضرائب".[2]

التعريف الإجرائي للحرفي القسنطيني :

" هو أي شخص لديه مؤهلات وإمكانات يدوية يستطيع من خلالها إنتاج أو صنع تحف يدوية بحرفية وإتقان ".

---

[1] أنتوني غدنز. **علم الاجتماع.** ت فايز الصياغ .مجد المؤسسات الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع-بيروت. لبنان.ط4,.2005.ص 766

[2] شارلوت سيمور سميت، **موسوعة علم الانسان المفاهيم والمصطلحات الانثربولوجية**، ت مجموعة من اساتذة علم الاجتماع بإشراف محمد جوهري، المجلس الاعلى للثقافة،1998،ص 615.

1-7- المقاربة النظرية للدراسة :

تعرف النظرية على أنها مجموعة من المصطلحات والتعريفات الافتراضات التي لها علاقة ببعضها البعض والتي تقترح رؤية منظمة للظاهرة وذلك بهدف عرضها والتنبؤ بها.[1]

ولهذا الغرض لا يمكن لأي باحث أن يتمكن من فهم موضوع دراسته مالم يعتمد على أليات وخطوات ذات طابع منهجي علمي فيستطيع من خلال المقاربة النظرية أن يحصر الدراسة من منظور محدد فدراستنا حول موضوع صناعة النحاس كحرفة تقليدية لا يمكن تواجدها واستمراريتها وترسيخها كموروث إلا من خلال الرموز والدلالات المنبعثة من التحف والمشغولات النحاسية على مر السنين ، والتي أراد الحرفيين نقل تصورهم عن حالة المجتمع وسيرورته في حقب تاريخية مختلفة اعتمادا عليها.

وعلى ضوء ما سبق تتضح لنا النظريات المعتمد عليها في موضوع الدراسة انطلاقا من النظرية التفاعلية الرمزية إلى البنائية الوظيفية .

1-7-1- النظرية التفاعلية الرمزية :

إن التنوع الذي عرفته النظريات خلال النصف الأخير من القرن العشرين جعلنا نحظى بتراث علمي زاخر ومتميز، يساهم وبلا شك في إثراء وتوجيه البحوث والدراسات العلمية عموما والدراسات السوسيو أنثروبولوجية على وجه خاص ، حيث برزت النظرية التفاعلية الرمزية " أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين"[2]وهي ضمن النظريات المعتمدة في دراستنا هذه.

---

[1] موريس انجرس. **منهجية البحث العلمي في العلوم الانسانية** .تر بوزيد صحراوي واخرون. دار القصبة. الجزائر.2004.ص 471.

[2] رضا بن تامي ، نوال قادة بن عبد الله ، **نظريات في خدمة العلوم الاجتماعية قراءة في دور نظرية التفاعلية الرمزية**، مجلة منيرفا، مجلد (04)-العدد(01)-ديسمبر 2017.

إذ يعتبر" **ايفريت هيوز "** أحد ابرز العلماء التفاعليين المساهمين في دراسة الحرف و المهن حيث يرى أن" حرفة الفرد إحدى المكونات الهامة لهويته الاجتماعية لذاته وحتى لقدره الذي لا يتكرر"[1] فمن خلال نظرة **"هيوز"** هنا نجد أنه يقدر المهن والحرف على اختلاف اشكالها ويعتبرها من أبرز مكونات هوية الفرد والتي يصنع من خلالها مكانته داخل مجتمعه.

كما تقوم التفاعلية الرمزية بقيادة مجموعة من روادها أبرزهم " **هاربرت بلومر – جورج هاربرت ميد– جورج زميل** " وآخرون على جملة من القضايا حددت على شكل فرضيات أساسية أهمها :

– التفاعلية الرمزية تهتم بوحدة التحليل " التفاعل ".

– تعتمد على الرموز والمعاني، أي أن العلاقات الاجتماعية ما بين الأفراد في المجتمع هي نتاج للرموز والمعاني .[2]

فمن خلال التفاعلية الرمزية نجد أن المجتمع نسق متفاعل، فالذي يحدد الهوية بين الفرد والمجتمع لديهم هو التفاعل القائم بينهم، إذ يقوم هذا التفاعل على جملة من الرموز التي تشكل تقنية مهمة جدا للتواصل فيما بينهم وتشكيل علاقات داخل المجتمع تحدد هويتهم ومكانتهم فيه وتكون بذلك" جميع صور التفاعل بين الأفراد تتضمن تبادلا للرموز".[3]

إن مجموع العلاقات التي تربط الأفراد فيما بينهم هي بفعل الرموز والثقافة الواحدة التي تجمعهم والمتعلقة بحيزهم الجغرافي الذي ينتمون إليه، فالمعلوم لدينا أن الحرفي يقوم بحرفته بناء على طبيعة التقاليد والعادات المتواجدة والمكتسبة لديه، من خلال ثقافته المحلية ليرسم تحفا ومشغولات تبقى راسخة في ذاكرة الأفراد ويحفظها التاريخ ليصنع منها تراثا ثقافيا وحضاريا.

---

[1] Claude, Dubar. **La Socialisation Construction des Identités Sociales et Professionnelle**. 3ème ed. Paris : Armand Colin, 2000, p25.

[2] السيد علي شتا. **نظرية علم الاجتماع**. مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، مصر، 1993 . ص 340

[3] مصطفى خلف عبد الجواد. **نظرية علم الاجتماع المعاصر**. دار المسيرة للنشر. عمان . ط 1،2009. ص ص.483.448

فوظفنا هذه النظرية وفق ما يتماشى مع مهنة الحرفي التي اعتمد فيها العديد من النقوش والرسومات والرموز التي تعبر عن هوية المجتمع وثقافته والذي بدوره يعمل على نقلها واستمرارها بين الأجيال.

1-7-2 - النظرية البنائية الوظيفية :

تعد هذه النظرية من أكثر النظريات الاجتماعية شيوعا واستخداما في تفسير الظواهر، إذ كان من أبرز أهدافها هو معرفة كيف يعمل المجتمع ، وقد استخدم علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا هذه النظرية في أواخر القرن التاسع عشر، ويعتبر كل من " **أوغست كونت، ودوركايم، وهربرت سبنسر و بارسونز و مالينوفسكي"** من أبرز روادها ومؤسسيها الأوائل.

ويتضح من خلال تسمية النظرية بهذا الاسم أنها مركبة من قسمين: البناء والوظيفة، فالبناء يخص به الفرد داخل حيزه الاجتماعي من خلال وظيفة معين أو دور يقوم به يكسبه قيمة ومكانة بين أفراد مجتمعه، إذ بالنسبة لرواد هذه النظرية أنه " يصعب الفصل بين البناء والوظيفة، فالمجتمع بناء ووظيفة معا وأن هناك تكاملا بين الجانب البنيوي للمجتمع والجانب الوظيفي".[1]

فمن خلال البنائيين الوظيفيين يتضح أن المجتمع لديهم ما هو إلا وحدة وظيفية ترتبط أجزاؤها مع بعضها حتى تؤدي وظيفة معينة ، كتفسير منهم أنه لا يمكننا فهم الجزء عن طريق فهم الكل لأن هذا الجزء عندهم يقوم بوظيفة من أجل حفاظه على الكل .

فيرى **"مالينوفسكي"** أن الوظيفة الفعلية هي التي تكون داخل الإطار الاجتماعي، فالفرد بحسبه لديه دوافع وأسباب أكثر ليعبر بها عن نفسه ومكانته داخل المجتمع الذي ينتمي إليه، وهذا لا يكون إلا من خلال

[1] محمد غربي، إبراهيم قلواز، **النظرية البنائية الوظيفية نحو رؤية جديدة لتفسير الظاهرة الاجتماعية**. مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الشهيد حمة لخضر .الوادي.العدد2016/10/18.ص ص 181-198

وظيفة يؤديها هذا الفرد من هو حيث عضو في المجتمع، فالعمل هو الذي يبرز كيانه وهويته وفي ذات الوقت هو يلبي حاجاته ويشبع رغباته.

مهما كانت الوظيفة الممارسة فالغاية منها هي تلبية الحاجيات والرغبات ، فحرفة صناعة النحاس مثلا كغيرها من الحرف التي تشبع رغبات الحرفيين من خلال ما تصنعه أناملهم من تحف وإبداعات معبرين فيها عن المجتمع التقليدي الأصيل، فتلك المصنوعات النحاسية تمثل جزء من ثقافتهم وهويتهم فهم بدورهم وعملهم هذا يساعدون في غرس الثقافة بين أفراد المجتمع، عن طريق وظيفتهم الحرفية التي تتشكل بها الهوية الإجتماعية وتضمن لهم مكانة داخل هذا المجتمع.

في حين يرى "**راد كليف براون**" أن "المجتمع هو أجزاء متداخلة وظيفيا وتعتمد على بعضها البعض وأجواء الكائن تعمل معا في الحفاظ على الكل ".[1]

غير أن الحرفي لا يمكنه أداء الوظيفة لوحده دون التداخل الوظيفي مع غيره من أفراد المجتمع الذي هو عنصر هام فيه، "**فراد كليف براون**" يرى في الأفراد أجزاء متداخلة وجب أن تعمل مع بعضها البعض حتى تحقق مستوى من التكامل الوظيفي يساهم في بقاء الكائن واستمراره. فمن خلال "**مالينوفسكي** " و"**راد كليف براون** " نخلص إلى أمرين مفادهم أن :

1-"**مالينوفسكي**" يقر بوجود علاقة بين إشباع حاجيات الإنسان كونه كائن حي بيولوجي وبين الأساليب التي يستخدمها في إشباع هذه الحاجيات".[2]

2-أما زميله "**راد كليف براون**" يرى أن المجتمع متكون من أجزاء متداخلة وظيفيا تعمل كلها من اجل الحفاظ على المجتمع واستمراره".[3]

---

[1] محمد الجوهري، **الأنثروبولوجيا أسس نظرية وتطبيقات عملية**، دار المعارف الجامعة، الإسكندرية، 1996 ، ص346

[2] العثمان وسام، **المدخل الى الانثروبولوجيا** ،ط1، الاهالي للطبع والنشر ، سوريا ، 2002 ، ص52.

[3] محمد الجوهري، مرجع سبق ذكره، ص 348.

ما يمكن قوله هو أن التنظيم الاجتماعي بين الأفراد في الالتزام بأدوارهم بحيث كل منهم يؤدي وظيفته، يجعل من المجتمع ذو تركيبة متناسقة ومترابطة فيما بينها لا تخرج عن معايير وقوانين هذا الاخير، كما حاولنا من خلال دراستنا أن نبرز الدور الذي تلعبه وظيفة الحرفي النحاسي في البناء الاجتماعي والثقافي للمجتمع وأنها مهنة ذات قيمة ومكانة داخل الحيز المجتمعي، كما لها دور أيضا في الدفع بعجلة التنمية المحلية والوطنية للنهوض بقطاع الحرف والصناعات التقليدية.

1-8- الدراسات السابقة :

تعتبر الدراسات السابقة بالنسبة للباحث عنصرا أساسيا لا غنى عنه في موضوع دراسته، فهو ينقل له التجارب والأعمال العلمية السابقة حتى تتشكل لديه صورة واضحة يستطيع الإنطلاق منها معتمدا بذلك على أليات وتقنيات منهجية محددة ، ومنها يستطيع الباحث أن "يستفيد من إيجابيات مناهجها ويتجنب سلبياتها".[1]

فهي تشمل جملة الإسهامات ذات الصلة بالموضوع المراد دراسته والتي تساهم في تدعيم البحث العلمي ومساراته، ولعل قلة المراجع والبحوث في مجال الحرف والصناعات التقليدية، دفعتني لبذل جهد إضافي بغية الحصول على دراسات وبحوث أجريت من قبل باحثين كان هدفهم جعل بحوثهم مرجعا لنا وسنحاول من خلال هذا العنصر استعراض بعض الدراسات السابقة والتي نتوسم فيها الفهم الأعمق لمشكلة بحثنا، والذي يتطلب منا الوقوف على طبيعة هذه الدراسات من حيث موضوعها وأهدافها وإبراز نتائجها، فتمازجت الدراسات بين الأجنبية والعربية وكذا الوطنية، حيث أن استعراضنا للدراسات السابقة أو تلك المشابهة لموضوع بحثنا سيكون وفق الترتيب الزمني لهذه الدراسات فتعرض على النحو الآتي: دراسة أجنبية ثم دراسة عربية ويليها دراسات الوطنية.

[1] فضيل دليو، علي غربي، **أسس المنهجية في العلوم الاجتماعية**، دار البحث قسنطينة، الجزائر، 1999 ، ص11

إن أول ما يعترض الباحث في مجال بحثه هو قلة المادة العلمية والمصادر المساعدة في جمعها والتنقيب حولها، هذا ما نلمسه وبشكل واضح وجلي حول ندرة الدراسات الأجنبية التي تطرقت الى حرفة النحاس حيث لم أتمكن إلا أن أحصل على دراسة أجنبية واحدة جاءت كالآتي :

1-8- 1- الدراسة الأجنبية :

دراسة Baptiste Buob **بعنوان " الحرف والتقاليد في المغرب": دراسة أنثروبولوجية مصورة لصناعة النحاس في مدينة فاس ، جامعة باريس العاشرة ، نانتير،2007.**

هذه الدراسة عبارة عن أطروحة دكتوراه وهي دراسة أكاديمية أنثربولوجية حصرت في شقها الميداني بالمغرب وبالضبط في المدينة القديمة "فاس" المعروفة بنحاسها الأصفر الذي يميزها عن غيرها من المدن، فعمل الباحث إلى تقسيم الدراسة إلى قسمين حيث اختص في قسمه الأول إلى احتواءه على أربع أجزاء ذات صورة إثنوغرافية شملت القطع المعلقة وصينيات شاي واخرى دائرية، أما القسم الثاني فاشتمل على الجزء المونوغرافي من خلال التعرض للظروف التاريخية والاقتصادية والاجتماعية، فكانت منطلقا لإبراز مشكلة البحث، حيث ركزت على ملاحظة دقيقة للحرفيين المغربيين وأفعالهم وسلوكاتهم وكل ماله علاقة بالحرفة.

وركزت الدراسة على الفرضيات الأتية :

- صناعة النحاس كحرفة تقليدية وموروث الأجداد.
- صناعة النحاس منتوج مباشر.
- الحرف التقليدية تحمل جملة من القيم .

واعتمدت الدراسة على المنهج الإثنوغرافي لتحليل ووصف الظاهرة موضوع البحث، واستخدمت أدوات وتقنيات ملائمة لذلك كالملاحظة والتصوير الفوتوغرافي.

أما عن أهم نتائجها :

- الحرفة برزت كتنظيم اقتصادي في ظل تواجد النظام الرأسمالي، في حين أن صناعة النحاس تعتمد أساسا على معارف سهلة وبسيطة، وأن عملها يعتمد على التجزئة في العمل وكذا التصنيع المباشر للمنتوج.

– الحرف التقليدية هي موروث من الآباء والأجداد، غير أن الصناعة النحاسية بشكل خاص هي من فعل المستعمر الفرنسي فما كان من المغرب إلا العمل على تطويره.

– الحرف التقليدية تمتلك الانفرادية في نقل القيم والأخلاق والعمل على الحفاظ عليها، من خلال العلاقات التي تجمع بين حرفييها.

تقييم الدراسة :

يمكن الاستفادة من هذه الدراسة كونها دراسة أنثربولوجية ميدانية لامست حقيقة الحرف والصناعات التقليدية عموما وحرفة النحاس بشكل خاص ، فتسليطها الضوء على الصنعة والمشغولات النحاسية فتح لنا المجال لمعرفة حقيقة الحرفة وكل ما يعتريها في منطقة أخرى غير مجتمع الدراسة الخاص بنا ، كما كان شقها الميداني مسرحا لنا لمعرفة طبيعة ميدان الدراسة وما يمكن أن نواجهه من خلال الخرجات الميدانية والاحتكاك بالمبحوثين ناهيك عن الأدوات والتقنيات المستخدمة فيها.

1-8- 2- الدراسة العربية :

" الحرف والصناعات التقليدية بين الثبات والتغير ، القاهرة ،1991 " :

وهي دراسة للباحثة **"اعتماد علام"** وتعد دراسة حرة من خلال كتابها المعنون " بالحرف والصناعات التقليدية بين الثبات والتغير" في منطقة "المغربلين" و"حارة اليهود" بمدينة القاهرة في مصر، حول الصناعات التقليدية بها هذا من جانبها الميداني، أما في شقها النظري فتعرضت الدراسة إلى التاريخ الاجتماعي للنظام الحرفي بمصر برؤية نقدية منها، كما عرضت جملة من المفاهيم والمداخل النظرية ذات الصلة بالصناعات التقليدية في كل من علم الاجتماع والاقتصاد، وكان الهدف من الدراسة هو معرفة ماهية الحرفة وطبيعة نشاط الحرفيين وما مدى تمسكهم بأخلاقيات الحرف الممارسة آنذاك كما حاولت التعرف على ما هو ثابت وما هو متغير في بنية الصناعات الحرفية .

وجاءت فرضيات الدراسة كالآتي :

- التاريخ الاجتماعي لنظام الحرفي.
- الطوائف الحرفية في مصر بين النشأة والزوال.
- الثقافة الحرفية.

حيث اعتمدت الباحثة المنهج التاريخي الوصفي، كما استخدمت تقنيتي المقابلة والملاحظة كأداتين أساسيتين في دراستها.

وعن نتائج الدراسة فجاءت على النحو الآتي :

- اعتماد الصناعات الحرفية التقليدية في القطاع الرسمي.
- الصناعات التقليدية تحت يد الرأسمالية.
- الخصائص الحرفية للصناعات التقليدية بين الثبات والتغير.
- تعايش الصناعات التقليدية مع منتجات القطاع الرسمي المثيلة.
- مظاهر الثبات والتغير في الأخلاقيات الحرفية التي كانت سائدة.

تقييم الدراسة :

إن دراسة الباحثة اعتماد علام تعتبر دراسة شاملة، حيث جمعت بين الجانب النظري والميداني للحرف والصناعات التقليدية، وأعطت لنا نظرة موضوعية حول موضوع الدراسة وجل الإسقاطات والجوانب الملمة به، فكان الشق النظري يركز على حقيقة الحرفة والحرفيين والنظام الاجتماعي والأخلاقي السائد بينهم، أما ميدان الدراسة فمن خلاله نتأكد من حقيقة الفرضيات والتساؤلات المبينة حولها، فإتباع ما جاءت به الباحثة في دراستها سهل علينا وضع الخطوط العريضة لموضوع دراستنا وكيفية التعامل معه .

1-8-3- دراسات وطنية :

1-8-3-1- دراسة شيبان آسيا والمعنونة "بدور المؤسسات الصغيرة والمتوسطة في التنمية الاقتصادية، حالة الصناعة التقليدية والحرف في الجزائر ، وهي عبارة عن دراسة مقدمة لنيل شهادة ماجيستير، بكلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير ، بجامعة الجزائر، قدمت سنة 2008-2009".

تمثلت هذه الدراسة حول قطاع الصناعة التقليدية والحرف في الجزائر، وتدور إشكالية البحث حول الدور الحقيقي الذي يمكن أن تلعبه المؤسسات الصغيرة والمتوسطة لتحقيق التنمية الاقتصادية، وكذا عن مساهمة الصناعة التقليدية والحرف ضمن هذا القطاع في الجزائر وانطلقت الباحثة من الفرضيات الأتية :

- الخصائص الاقتصادية والاجتماعية للمؤسسات الصغيرة والمتوسطة تجعلها منفذا تنمويا لإستغلال الموارد المادية والبشرية المتاحة.

- ترقية وتطوير الاستثمار في المؤسسات الصغيرة والمتوسطة، وإيجاد المناخ المناسب لعملها أصبح ممرا لازما.

- تشكل الصناعات التقليدية والحرف مجالا يجمع بين القيم الاجتماعية والثقافية، من خلال تجسيدها لأصالة الشعب الجزائري من جهة، وبين الأهمية الاقتصادية من جهة أخرى.

- تتوقف الفعالية التنموية لمشاريع الصناعة التقليدية على تظافر جهود السلطات العمومية، هيئات دعم القطاع، والحرفيين على حد سواء.

وقد اعتمدت الباحثة على المنهج الإحصائي والمنهج الوصفي وكذا منهج دراسة حالة بغية تحليل الظاهرة موضوع الدراسة.

كما توصلت الباحثة إلى عديد النتائج نذكر منها على سبيل المثال:

- الصناعة التقليدية أمل الاقتصاد الجزائري في مواجهة الفقر وتحديات العولمة إذ تحظى بميزة نسبية تشغل الموارد المحلية، وتقلل من نسب التلوث، هي صناعة صديقة للبيئة.

– تتمتع المنتوجات التقليدية الجزائرية بميزة نسبية تؤهلها لاختراق الأسواق الخارجية وتفعيل الطلب الدولي عليها.

– تغطي منتوجات الصناعة التقليدية والحرف مدى بالغ التنوع والاتساع من المجالات :الأغذية، الغزل، النسيج، الملابس، الفخار، بناء المساكن، حفر الآبار... إلخ

–تعاني الصناعة التقليدية والحرف من فجوة كبيرة في المعلومات الإحصائية لدى الهيئات على القائمة على تنميتها، إضافة إلى عدم وجود سياسات ملائمة على المستوى الوطني.

تقييم الدراسة :

تمثل هذه الدراسة إضافة علمية فيما يخص قطاع الصناعة التقليدية والحرف، وتعتبر ذات أهمية بالغة بشقيها النظري والميداني حيث تحدثت الباحثة عن قطاع الحرف والصناعات التقليدية الممثل لأحد المفاهيم الغير مباشرة لدراستنا ، كما ركزت على الجانب الاقتصادي للحرف والصناعات التقليدية من خلال المؤسسات الصغيرة والمتوسطة كمشاريع تنموية محركة وفعالة للقطاع الإقتصادي.

1-8-3-2- الدراسة الثانية خاصة بالباحثة طرشي أحلام صابرينة والموسومة " صناعة النحاس بقسنطينة ،دراسة فنية، وهي دراسة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، بكلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية جامعة أبي بكر بلقايد ، تلمسان، قدمت سنة 2011.

ومن هذا المنطلق ارتأت الباحثة أن تعالج موضوعها حول صناعة النحاس بمدينة قسنطينة على وجه الخصوص، فكانت الدراسة فتمحورت إشكالية البحث حول حرفة النحاس هل هي حرفة أم مهنة ؟

وقسمت بحثها في ذلك الى فصلين، الأول خصته بالحديث عن تاريخ مدينة قسنطينة والصناعات التقليدية بها، أما فصلها الثاني فتطرقت من خلاله إلى حرفة النحاس كمادة أولية ثم كمصنوعات نحاسية والأدوات المستعملة في النقش على المشغولات النحاسية بمدينة قسنطينة .

أما فرضيات الدراسة فتمحورت حول:

– تدني المستوى المعرفي في المجتمع للتقنيات التنفيذية لصناعة النحاس.

– إهمال الحرفيين لتطوير أساليب النحاس ، وعدم قدرتهم على إخراج المنتوج إلى السوق أو معرض المؤسسات الصغيرة.

– عدم وجود حافز تشجيعي لمفهوم الإبداع في زخرفة النقش.

– عدم وجود محلات بواجهات العرض لمنتوج الحرفة.

ولتحليل الظاهرة والوقوف عنها اعتمدت الباحثة على المناهج أتية الذكر : المنهج التاريخي والمنهج التجريبي .

ثم أنهت الباحثة دراستها متوصلة إلى النتائج الأتية :

– الحرفيون يلجؤون غالبا إلى مقاسات الزخارف الجاهزة المتعارف عليها لربح الوقت أثناء إنجاز الحرفة وغالبا ما يلجأ إلى ورق الكاربون في الزخرفة .

– وحدة نوعية الزخارف عند غالبة الحرفيين في إنجاز الحرفة.

– اعتزاز الصانع بعمله وافتخاره بما قدمته يداه.

– امتياز صناعة النقش على النحاس بالجمع بين البساطة في الأداء والدقة في الإنجاز، إضافة إلى التوازن والتناظر بين الأشكال الزخرفية في عملية التنفيذ.

تقييم الدراسة :

تكمن أهمية هذه الدراسة في اختيار الموضوع في حد ذاته، كونها تتقاطع مع دراستنا في إحدى متغيرات البحث والتعرض له وللمنطقة بمراحل وحقب تاريخية، كما تعتبر الدراسة ذات صلة مباشرة مع موضوعنا حيث أنها تناولت حرفة صناعة النحاس في مدينة قسنطينة والتي هي بمثابة ميدان الدراسة، حيث سعت الباحثة إلى إبراز تقنيات ومراحل النقش على النحاس مع التطرق إلى أهم الزخارف والنقوش وكذا الأشكال الهندسية.

1-8-3-3- الدراسة الثالثة خاصة بالباحثة بن لعمودي جليلة والمعنونة " استراتيجيية تنمية قطاع

الصناعة التقليدية والحرف بالجزائر، في الفترة(2003-2010) , دراسة حالة تطوير نظام إنتاج محليspl بحرفة النسيج التقليدي بمنطقة تقرت، وهي أطروحة مقدمة لنيل شهاد دكتوراه بكلية العلوم الاقتصادية، تخصص اقتصاد وتسيير مؤسسة، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، قدمت سنة 2012/2011.

وتمحورت إشكالية الدراسة حول قطاع لحرف والصناعات التقليدية وما مدى مساهمته في حركة التنمية، من خلال الاستراتيجيات التنموية المكرسة لذلك كنظام الإنتاج المحلي "SPL" المستخدم في معظم دول العالم والرامي لترقية المؤسسات الصغيرة والمتوسطة، العاملة كلها من أجل تنمية قطاع الصناعات التقليدية والحرف .

أما عن فرضيات الدراسة فجاءت كالأتي :

- تغلب على الصناعة التقليدية والحرف بالجزائر بعض المزايا والتي يمكنها أن تلعب دورا هاما في التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للبلاد.

- عملت الدولة على مرافقة قطاع الصناعة التقليدية والحرف بمختلف الطرق والوسائل كسياسة لتنفيذ استراتيجيتها الموضوعة لتحقيق تنمية مستدامة للقطاع.

- نظام الإنتاج المحلي هو عبارة عن تجمع لمؤسسات صغيرة في مجال ترابي معين، تستفيد على إثره المؤسسات المتجمعة من مزايا إيجابية في مجالات عدة، تسمح بدورها بالتحفيز على الابتكار وتحقيق ميزة تنافسية للنشاط وكذا للمنطقة، كما يعتبر أيضا مسعى مساهم في التنمية المحلية.

- تتوقف عملية نجاح إنشاء نظام إنتاج محلي بين مؤسسات متخصصة في نشاط معين على مجموعة من العناصر، تتصدرها الإرادة السياسية للجهات الفاعلة المحلية، إلى جانب الالتزام القوي والرغبة

في الانضمام من طرف مسيري هذه المؤسسات، كما يتطلب الأمر أيضا وجود فريق تنشيط يتولى مهام التنظيم والتأطير.

- يواجه الحرفيون في الجزائر جملة من الصعوبات مرتبطة بمجالات عديدة حالت دون برهنتهم عن إمكانياتهم الحقيقية، ولهذا سعت الدولة نحو دعم ومرافقة تجمعات الحرفيين والتغلب على الترعة الفردية الملازمة لهم بالتحفيز على جمع المبادرات في شكل أنظمة للإنتاج المحلية.

– أظهرت الحصيلة الأولية لتطبيق برنامج أنظمة الإنتاج المحلية ببلادنا نتائج محفزة، عكست الجهود الكبيرة المبذولة من طرف الدولة لإعطاء القطاع دوره الحقيقي في حركية التنمية، وبالتالي فتوسيع هذه الجهود على نشاطات حرفية أخرى بباقي مناطق الوطن من شأنه تحقيق تنمية مستدامة لقطاع الصناعة التقليدية والحرف.

– تعتمد عملية تطوير التجمعات الحرفية إلى أنظمة إنتاج محلية حسب البرنامج الموضوع على درجة نضج المشاريع على المستوى المحلي وكذا على مدى مساهمة هذه التجمعات في التنمية المحلية والوطنية، فإذا أخذنا التجمع الحرفي حول حرفة النسيج التقليدي بمنطقة تقرت على سبيل المثال، فنجاح تطوير نظام إنتاج محلي بهذه الحرفة وفي هذه المنطقة سوف يساهم مساهمة فعالة في ترقية الحرفة.

وللوقوف على مختلف الفرضيات اعتمدت الباحثة على المناهج والتقنيات الأتية :

المنهج الوصفي المسحي، والمنهج التاريخي وكذا منهج دراسة حالة، كما استعانت الباحثة ببعض الأدوات المنهجية كالنصوص التشريعية والتنظيمية، كما استخدمت استمارات للاستقصاء، بالإضافة إلى المقابلة الشخصية لأفراد العينة كأدوات للبحث، بينما استعملت لمعالجة الاستبيان برنامج SPSS15.0.2007 Excel.

أما عن نتائج الدراسة المتوصل إليها نذكر على سبيل المثال :

– أن قطاع الصناعات التقليدية أصبح محورا أساسيا وفعالا في دفع عجلة التنمية لمختلف الدول ، فهو يلعب دورا هاما في تنمية الاقتصادية والاجتماعية وكذا الثقافية وبالتالي يشكل ثروة كامنة .

– يغلب على قطاع الصناعات التقليدية والحرف في بلادنا مجموعة من الصفات تمثل في آن واحد إيجابياته وسلبياته.

–أحرزت الاستراتيجية والجهود المبذولة من طرف الدولة لتحقيق تنمية مستدامة لقطاع الحرف والصناعات التقليدية في الجزائر نتائج مشجعة نسبيا .

– اعتماد السلطات العمومية نظام SPL كمحور أساسي لتنفيذ هذه الاستراتيجية .

تقييم الدراسة :

الدراسة ذات فائدة فهي لم تعرف بقطاع الحرف والصناعات التقليدية فقط بل ركزت على حرفة النسيج التقليدي من منظور منطقة أخرى ذات طابع صحراوي من الجزائر" تقرت "، فهذا التنوع والاختلاف بين الحرف والصناعات التقليدية يعطي لنا حيزا واسعا للنظر مليا في هذا القطاع، وما يزخر به من خيرات وثروات كامنة وجب التعرف إليها والتنويه إلى إيجابياتها خاصة على مستوى قطاع الصناعات والحرف، وإسقاطها هذا أعطى صورة للصناعة التقليدية وتطورها في مكان وفترة زمنية مغايرة، كما أن الجانب الميداني للدراسة قرب لنا صورة الحرفي باختلاف ما تمتهنه أنامله والقيمة التي يعطيها له.

1–8–3–4– الدراسة الرابعة والخاصة بالباحثة بن صديق نوال، والموسومة "التكوين في الحرف والصناعات التقليدية، بين المحافظة على التراث ومطلب التجديد, دراسة أنثروبولوجية بمنطقة تلمسان وهي رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، قدمت سنة 2013/2012.

حاولت الباحثة تقسيم دراستها إلى فصول فناقشت في أولى فصولها الحرف والصناعات التقليدية وما مدى أهميتها لما تكسبه من خبرات كالنسيج والغزل والملابس التقليدية، أما الفصل الثاني فخصصته للسياحة والمؤسسات بنوعيها الصغيرة والمتوسطة في تطوير قطاع الصناعات التقليدية، وعن فصلها الثالث فركزت

على التجربة الجزائرية في مجال الصناعات التقليدية والمراحل التي مر بها القطاع من أجل التنمية والتطور في الفترة ما بين 1992-2009.

وانطلقت هذه الدراسة من الفروض الأتية :

- للتكوين في الصناعة التقليدية دور في المحافظة على التراث و تناقل الحرفة من جيل لآخر.

- يساهم التكوين في الصناعات التقليدية في تحقيق التنمية المحلية.

- تعد الحرف والصناعات التقليدية تعبيرا عن هوية ثقافية معينة.

أما فيما يخص المناهج فقد اعتمدت الباحثة على المنهج الإثنوغرافي ، كما استخدمت تقنية الملاحظة بالمعايشة وكذا المقابلة .

وبعد تحليل المادة العلمية التي جمعتها الباحثة توصلت إلى جملة من النتائج نذكر منها :

- ضرورة تأصيل الموروث الشعبي والثقافي وتغيير النظرة السلبية للحرف والحرفيين من خلال رد الاعتبار لهم واحصائهم، وصنع حلقة وصل بين الحرفي الأصيل والمعاصر، ولأن صاحب الحرفة يستطيع المساهمة في نقل الحرفة وتوريثها والتجديد فيها وذلك من خلال وضع برامج من الهيئات الوصية متوجهة خصيصا للمتمدرسين منذ بداياتهم.

- رد الاعتبار للحرفيين القدامى و إحصائهم و التعريف بهم لعامة الشعب لضمان الحفاظ على الحرف إذ يبقى صاحب الحرفة هو الذي يساهم في عملية توريث الحرف والتجديد فيما يكون عن طريق ذلك التواصل بين الحرفي القديم والجديد.

- يبقى معهد الصناعات التقليدية ورغم كل المجهدات المقدمة لا يؤدي دوره الحقيقي في تكوين الكفاءات اللازمة، فرغم ذلك الهيكل الجمالي وتلك التجهيزات الراقية والموارد البشرية يجب إعطاء الاهتمام لبعض الأشياء التي في نظرنا تكون بسيطة ولكن هي في الأصل تحدد مسار التنمية والتكوين في المنطقة.

تقييم الدراسة :

ركزت الباحثة في دراستها على ضرورة التكوين في الحرف والصناعات التقليدية، وهذا ما يقدم حسبها حرفيين ذوي كفاءة وخبرة يساهمون من خلال خبراتهم في الرقي بالحرفة وتقديم الدعم والمساهمة في دفع عجلة التنمية الاقتصادية للوطن، وهذا ما يتقاطع مع دراستنا إذ نحاول أن نفهم من خلالها مدى مساهمة الحرفي القسنطيني في النهوض بقطاع الحرف والصناعات التقليدية بمدينة قسنطينة عامة وقطاع الصناعات التقليدية والحرف بشكل عام هذا من جهة، أيضا ترتبط دراستنا مع دراسة الباحثة إلى حد بعيد من خلال ضرورة نقل الموروث الثقافي وتناقله بين الأجيال، وذلك للحفاظ عليه وترسيخه في الأذهان كي تبقى الحرفة همزة وصل بين الحرفي القديم والحرفي الجديد ولعل هذا أحد أبرز ما نسعى إليه من خلال دراستنا هذه.

1-8-3-5- الدراسة الخامسة والخاصة بالباحث دراسة بلمرداسي يامن والمعنونة " تغيرات اليد العاملة في الجزائر، قطاع السياحة والصناعة التقليدية (1990-2014)، وهي رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه ، بكلية العلوم الإنسانية والإجتماعية ، جامعة باتنة، قدمت سنة 2019 .

لقد نوه الباحث في دراسته أن قطاع السياحة والصناعة التقليدية أحد أهم الأنشطة التي تقوم عليها اقتصاديات الدول ، كما ركز على معرفة مدى قدرة هذا الأخير في تفعيل وإنعاش الاقتصاد الوطني الجزائري خاصة من جانب التشغيل والقضاء على شبح البطالة ، وإشكاليتها تتمحور حول تغيرات اليد العاملة في قطاع السياحة والصناعة التقليدية خلال الفترة (1990-2014) حيث يساهم القطاع في توفير مناصب عمل تمس مختلف شرائح المجتمع والتي بدورها تؤدي إلى تحسين المستوى المعيشي للأفراد.

وجاءت دراسته بالتساؤلات الأتية :

-كيف يمكن أن يكون قطاع السياحة والصناعة التقليدية كمصدر لخلق مناصب عمل؟.

-هل يعمل قطاع السياحة والصناعة التقليدية على تقليص نسبة النزوح الريفي نحو المناطق الحضرية والمحافظة على الاستقرار في المناطق الريفية؟.

-هل يمكن أن يكون قطاع السياحة والصناعة التقليدية كوسيلة لجذب واستقطاب الشباب الفاشل في الدراسة؟

-هل الامتيازات التي توفرها الدولة تؤثر على المساهمة في إحداث مناصب شغل؟.

-هل تستفيد المرأة من مناصب الشغل التي يوفرها قطاع السياحة والصناعة التقليدية؟.

-هل الظروف السائدة المتمثلة في انخفاض البترول وكذا الأوضاع السياسية والأمنية في الدول العربية تؤدي إلى استغلال الفرصة وكسب الرهان في تنمية قطاع السياحة والصناعة التقليدية؟.

ولتحليل الظاهرة موضوع الدراسة اعتمد الباحث على المنهج الوصفي التحليلي وكذا المنهج المقارن.

وعن نتائج الدراسة فقد توصل الباحث إلى :

-البحث عن الأسباب والعوامل المؤثرة في عدم استغلال الإمكانيات المتوفرة في الجزائر.

-معرفة واقع قطاع الصناعة التقليدية في الجزائر.

-معرفة مختلف نشاطات الصناعة التقليدية الموجودة في الجزائر.

- إيصال فكرة أن قطاع الصناعة التقليدية لا يمكن الاستغناء عنه وأنه يمس كل الشرائح ويغطي معظم الاحتياجات اليومية للفرد.

- التعرض لبعض التجارب التي تسمح بتقييم أهمية الصناعة التقليدية في بعض البلدان الأجنبية وكذلك المكانة التي يجب أن تتولاها في بلادنا.

تقييم الدراسة :

تعتبر الدراسة إضافة متميزة للبحث العلمي من خلال ربط الباحث للقطاعين في آن واحد، قطاع السياحة وقطاع الصناعات التقليدية، إن هذا الربط الذي قام به الباحث في دراسته فتح أمامنا الأبواب واسعا

لمعرفة خبايا قطاع الحرف والصناعات التقليدية ومدى التعاون بينه وبين الحرفيين على اختلاف صنائعهم، لكن كان تركيزنا على حرفي النحاس كمتغير أساسي لبحثنا، كما كانت مقابلاته منتقات بصورة علمية وعملية كان الغرض منها معرفة التغيرات التي طرأت على اليد العاملة الجزائرية في الفترة الممتدة من 1990-2014، فهذا الجانب الميداني ساعدنا كثيرا في إعادة النظر حول الحرفي القسنطيني كيد عاملة من أولوياتها النهوض بقطاع الحرف والصناعات التقليدية بالمنطقة والوطن أجمع.

1-8-3-6- الدراسة السادسة و الخاصة بالباحث بن جدو عبد القادر محي الدين الجيلالي والمعنونة " الصناعة التقليدية للمرأة و التحولات السوسيو-أنثروبولوجية، وهي رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، بكلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة البليدة 2، قدمت سنة 2019.

خصت هذه الدراسة للنساء الحرفيات بمدينة الأغواط، والذي رأى فيهم حاضر ومستقبل الصناعات والحرف التقليدية بالمنطقة، إذ يعبرن عن هويتها وتاريخها هذا من جهة وخير ناقلات لهذا الإرث الثقافي بجل مقوماته المادية والمعنوية من جهة أخرى.

وتمحورت فرضيات الدراسة في:

- تساهم ممارسة المرأة الحرفية الصحراوية للصناعات التقليدية في نقل الحرفة وتنميتها والحفاظ على مقوماتها المادية واللامادية.

- تساهم الصناعة التقليدية للمرأة الحرفية الصحراوية في دفع عجلة التنمية بالمنطقة.

- الصناعة التقليدية الخاصة بالمرأة الحرفية الصحراوية دور كبير في نقل الموروث الثقافي الخاص بالمجتمع المحلي إلى المجتمع الجزائري ككل.

ولتحليل الظاهرة اعتمدت الباحث على المنهجين المنهج الإحصائي والمنهج الوصفي التحليلي ، كما استعان الباحث بتقنيتي المقابلة وتحليل المحتوى.

وبعد التمعن في الجانب الميداني وتحليله توصل الباحث إلى النتائج التالية :

– أن أغلب المبحوثات اتفقن أن منتوجاتهم التقليدية لها رموز تعبر عن المنطقة وخصائصها بنسبة 94.4%.

أن أغلب المبحوثات يستعملن المواد الأولية في صناعة الزرابي وهي (الصوف – صبغة خيط لقيام –قطن) بنسبة72.22% .

– أن أغلب الحرفيات لا يملكن سجل تجاري، وهذا كذلك يبن أنهن يردن أن يقمن بالشغل غير رسمي وهذا يدل على أن الصناعة ا لتقليدية مازالت بعيدة عن التنمية

– يوضح تعبير المنتوج التقليدي عن حقبة زمنية، بحيث وجدنا نسبة 100% أي كل الحرفيات يرون بأن منتوجاتهن تعبر عن حقبة زمنية لها علاقة بإرث الأجداد وماضي المنطقة.

– سجلنا نسبة 100 %صرحن بأن الحرفة التقليدية ومنتوجاتها يمثل فخر المرأة الصحراوية.

تقييم الدراسة :

وتكمن أهمية الدراسة في اختيار الباحث للموضوع من الأساس حيث لطالما كانت نظرة المجتمع الجزائري للحرف والصناعات الحرفية هي نظرة هيمنة للجانب الرجالي عليها وذلك بالأمس القريب، إذ أن الحرف والمهن التقليدية لم تعد رهينة فئة معينة بل هي لكافة أفراده وبمختلف الأعمار والفئات، فلا ضير أبدا أن نجد حرفية في صنعة النحاس، وهذا ما حاولنا أن نلمسه لدى مبحوثينا وهل سيشكل لديهم فوارق وفيما تكمن يا ترى؟ كما أعطت الدراسة صورة حقيقية للحرفيات الجزائريات ومكانتهم داخل المجتمع لأنهن ناقلات للإرث الثقافي ومن تم محافظات على أصالة وعراقة الحرف جيلا بعد جيل، غير أن البحث خص النساء الأغواطيات بالتحديد، فكانت الدراسة بمثابة زاوية جديدة لموضوعنا خاصة أنها كانت موجهة لفئة أخرى غير الحرفيين من فئة الرجال.

1-8-4- منافع الدراسات السابقة في البحث :

تتفق جل الدراسات السابقة وتتقاطع مع بحثنا حيث أنها عرفت ببعض متغيرات الدراسة "الحرف الصناعات التقليدية" عبر مراحل تاريخية، والتطورات التي طرأت على قطاع الحرف والصناعات التقليدية وكذا في التحليل العميق للمؤشرات الاجتماعية والاقتصادية المسؤولة عن القطاع، واعتماد السبل والتجارب الرائدة للنهوض به، من خلال سياسات منتهجة من طرف السلطات المعنية نظرا للدور الذي يلعبه هذا الاخير، فالدراسات السابقة في غالبيتها تتفق حول عينات الدراسة والمتمثلة في "الحرفي" كذلك في المناهج المعتمدة من خلالهم وهي المنهج الوصفي والمنهج الوصفي التحليلي.

كما أفادت الدراسات السابقة في البحث العلمي بشقيه النظري والميداني على حد سواء باعتبارها أصبحت مراجع علمية، كما أوضحت الشراكة بين البحث العلمي والقطاع الاقتصادي الذي يقوم بدوره بتجسيد أخر التطورات والدراسات المتوصل إليها للنهوض بقطاع الحرف والصناعات التقليدية .

فالعلاقة سوآء كانت مباشرة أم غير مباشرة مع دراستنا إلا أن الشبه والترابط الملاحظ يكمن في مجتمع الدراسة، والذي نجده يحمل في طياته نفس الخصوصية بالنسبة للحرف والصناعات التقليدية على مستوى كامل التراب الوطني والتي تختلف من منطقة إلى أخرى، وبالتالي هذا التعدد في الحرف والصناعات خلق تنوعا في المواضيع والدراسات العلمية، غير أن هذا التنوع لا ينفي إطلاقا ما توصلت إليه جل الدراسات والمتعلق بقطاع الحرف والصناعات التقليدية على أنه لا يزال قطاعا يعاني من عراقيل ومشاكل عدة، ناهيك أن هذا الأخير معول عليه في خلق مناصب شغل عديدة وكذا النهوض بعجلة التنمية الاقتصادية للوطن.

غير أن ما يمكن الإشارة إليه هو نقص المصادر والمراجع العلمية بل وشحها في كثير من الأحيان ما تعلق الأمر بحرفة صناعة النحاس في الجزائر، وما زاد من حيرتنا أكثر هو عدم وجود دراسة متخصصة في الحرفة بمدينة قسنطينة على وجه الخصوص، والتي كان من المفروض أن تعج بمختلف الأبحاث والدراسات المتعلقة بحرفة النحاس خاصة أن هذه الاخيرة تعتبر هوية المدينة وإرثها الثقافي .

1-9- صعوبات الدراسة :

لا تخلو أي دراسة مهما كان نوعها من مصاعب ومطبات تواجه الباحث أثناء القيام بها خاصة ما تعلق منها بالجانب الميداني فهو احتكاك مباشر بعينة الدراسة ويمكن أن نلخص صعوبات بحثنا في ما يلي :

– شح الدراسات السوسيولوجية والأنثروبولوجية المتعلقة بالموروث الثقافي بشقيه المادي واللامادي في مدينة قسنطينة خاصة المرتبطة بحرفة صناعة النحاس، هذا ما انعكس على الدراسات السابقة لبحثنا إذ حاولنا الإلمام بموضوع البحث قدر الإمكان.

–غياب التوثيق والمراجع حول أصول الحرفة بقسنطينة، أجبرنا الاعتماد في كرونولوجيا ماهيتها على ما سرده لنا المبحوثين، من خلال المقابلات التي أجريناها معهم.

– صعوبة إجراء المقابلات مع المبحوثين خاصة وأن الحرفة هي رجالية مئة بالمئة أثر نوعا مع على معطيات البحث.

–تماطل بعض المبحوثين سوآء في تقديم المعلومة أو في إجراء المقابلات ، وهذا ما يجعلنا نغير توقيت المقابلة في كل مرة وانتظارهم لساعات طويلة تماشيا وما يساعدهم ، لنخلص في النهاية إلى اعتذارهم أو نسيانهم للموعد احيانا.

–جل المقابلات تم إجراءها أمام مدخل المحلات، أولا لضيق مساحة هذه الأخيرة وثانية لعدم القدرة على الجلوس رفقة المبحوثين لأنها كما سبق الذكر حرفة تخص الرجال فقط، أثر هذا بعض الشيء على ملاحظاتنا سواء ما تعلق بمقتنيات المحل من السلع النحاسية أو الزوار والزبائن غير أننا وكباحثين وجب التأقلم مع هذه الصعوبات حتى نجد سبيلا ونحقق هدفنا المرجو من هذه الدراسة والمقابلات ككل.

الفصل الثاني

وضعية الحرف والصناعة التقليدية بالجزائر

تمهيد

تلعب الحرف والصناعة التقليدية دورا هاما في التعبير عن هوية الشعوب وثقافة الأمم ناهيك عن دوره في المجال االقتصادي ومساهمته الفعالة في التنمية، فهي لم تبقى على سابق عهدها كونها موروثا ثقافيا وحضاريا من مهامه الحفاظ على القيمة الجمالية والطابع الفني، بل أصبحت اليوم قطاعا قائما بذاته يحظى باهتمام ملحوظ من قبل السلطات المحلية وكذا مساهمته في الدفع بعجلة التنمية واقتصاد البلاد، وقد ارتأينا ان يتخلل هذا الفصل جملة من المحاور نذكرها :

1- تعريف الصناعة التقليدية.

2- أنواع الصناعة التقليدية الجزائرية.

3- أهمية الصناعة التقليدية والحرف.

4- خصائص الصناعة التقليدية والحرف.

5- واقع الحرف والصناعات التقليدية في الجزائر.

2-1- تعريف الصناعة التقليدية :

إن الحرف والصناعات التقليدية من أبرز مقومات الهوية الوطنية وأحد أهم العناصر المشكلة لموروثها الثقافي والحضاري، ويعود تاريخ الصناعة التقليدية إلى عصور ماضية خلت حيث كان الإنسان هو المسؤول عنها بالدرجة الأولى، لأنه مطالب بالتعايش والتأقلم مع بيئته فلزمه حيال ذلك اعتماد مواد وأدوات بسيطة وبدائية الصنع لا لغاية إلا لسد جوعه وتأمين استقراره وإشباع حاجياته، ومن هذا المنطق يمكن القول أن الحرف هي أقدم ما اعتمده الإنسان للرقي بذاته وفكره، ولعل الأهرامات المصرية خير دليل على ما قام به الإنسان وأبدعه رغم بساطة الوسائل والأدوات التي استخدمها آنذاك.

ولكن قبل أن نتعرف على جملة التعاريف التي شملت مفهوم الصناعة التقليدية وجب إلقاء نظرة حول الحرف والصناعات التقليدية منذ القدم مرورا بمختلف الحضارات، ففي القديم كان ينظر الى الحرفي ومختلف الممارسات التقليدية نظرة منحطة كلها ازدراء وتعالي تجسد فيها مفهوم العبودية، حتى أنه منبوذ داخل مجتمعه في أبسط ارتباطات أفراده، فصاحب الجاه مثلا لا يمكنه أن يحضر وليمة دعي إليها حرفي فهذا التحقير يعود كون العمل اليدوي يختص به جموع العبيد والخدم والضعفاء من الناس.[1]

حيث يدعم عالم الاجتماع " **كمال الزيات"** في كتابه "علم الاجتماع المهني" هذه النظرة في الحضارة اليونانية معتبرا إياها من أقدم الحضارات في أوروبا، فيؤكد أن العمل لديهم بمثابة نوع من الألم والمعاناة وكله قسوة ومرارة لا تليق بالأشراف والأحرار، كما أضاف أن هؤلاء الحرفيين والصناع لا تتعدى وظيفتهم إشباع حاجيات المجتمع والعمل على استمراره ".[2]

---

[1] نوال بن صديق, **التكوين في الصناعات والحرف التقليدية بين المحافظة على التراث ومطلب التجديد** ,مذكرة لنيل شهادة الماجيستير ,دراسة انثربولوجية ،جامعة ابي بكر بلقايد , تلمسان 2013/2012، ص 25.

[2] كمال الزيات، **علم الاجتماع المهني**،مكتبة النهضة ،القاهرة،197،ص40،ص49

ولا تزال النظرة ذاتها متواصلة إذ يؤكد الفيلسوف " **أفلاطون**" في جمهوريته الفاضلة أن كل الحرفيين وأصحاب الأعمال اليدوية في الطبقة الدنيا من الزراع والصناع وغيرهم عكس الفلاسفة الذين اعتلوا عنده المكانة الأسمى".[1]

وتضيف المفكرة والفيلسوفة " **أرندت**" في دراسة قامت بها سنة 1958م مفادها أن الفرد لا يولد مهانا محقرا فاقدا لحريته ،بل ينشأ ذلك من إرغامه على امتهان العمل اليدوي، فحتى في الحضارة الرومانية لم تتغير تلك النظرة تجاه كل ما هو يدوي حيث كانت مرتبطة دائما بالعمل الزراعي والعبيد مستندة في ذلك إلى التعاليم الدينية التي كانت ترى في العمل اليدوي تكفير عن الخطايا والمعاصي والذنوب المرتكبة ".[2]

وحتى لدى العرب قبل مجيئ الإسلام لم تتغير نظرة الاحتقار شأنها شأن الحضارات السابقة، فقد كان البدو يمتهنون الصيد والرعي والسطو على القوافل في حين كانت الحرف أمثال التجارة والزراعة وكذا الصناعة من اختصاص الحضر.

ما يمكن أن نستخلصه من كل ما سبق أن العمل اليدوي والصناعات التقليدية في مختلف الحضارات والعصور طغت عليها النظرة الدونية والاحتقار المتواصل، واتسم أصحابها ببصمات العار وارتبط اسمهم دائما بالعبيد والرق، ولم يشفع لهم ما تصنعه أناملهم ولا ما تحققه لمجتمعاتهم من تلبية لحاجياتهم وإشباع رغباتهم وتامين متطلباتهم، إذ أنهم من الطبقات الدنيا حتى وإن كانت أعمالهم وصنائعهم تحافظ على مجتمعات بأكملها.

غير أن هذه النظرة تغيرت تحت ظلال الإسلام وبمجيء سيد الخلق الذي كان نموذجا يقتدى به في كل المجالات **"محمد صلى الله عليه وسلم"**، حيث إمتهن التجارة ورعى الأغنام كغيره من الرسل والأنبياء

---

[1] عيسى عبده، احمد اسماعيل، **العمل في الاسلام** ، دار المعارف، القاهرة، 1983، ص 46

[2] ستا فروس فوتيراس، **إيديولوجية وقيم الاتجاه الكلاسيكي والرومانسي للعمل** ،المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية ،اليونيسكو، العدد 114، يوليو 1981 ، ص 10-14.

فسيدنا نوح عليه السلام كان نجارا، وقد تعددت الصناعات اليدوية في هذا العصر وتنوعت في دراسة أجراها الباحث والمؤرخ السعودي"**عبد العزيز بن إبراهيم العمري**" موضحا فيها" ازدهار الصناعات الحرفية في عهد النبي محمد "**صلى الله عليه وسلم**" ... ونجد عدة صناعات منها: البناء والحدادة والنسيج والنجارة".[1]

إن النظرة الإيجابية التي جاء بها الإسلام والتي ساوت بين البشر في كل شيء وأننا كلنا عند الله سواء، فلا نختلف في الصنائع والمهن بل نرتقي بأخلاقنا وسلوكاتنا، وشرفت اليد العاملة صاحبها ونال بها أعلى المراتب وتميز بها عن غيره وخلق من خلالها مكانة له داخل مجتمعه تجعل منه ذات قيمة وفاعلية بينهم.

أما علماء الإجتماع وعلى رأسهم "**ابن خلدون**" في كتابه الشهير " المقدمة " فله وجهة نظر مختلفة

فهو لا يرى في الحرفي أو الصانع حسبه كل من يقوم بعمل يدوي، بل الاختلاف عنده يكمن في نوعية العمران ، فعمران البدو لا يحتاج إلى صنائع غريبة بل يكتفي بأبسطها كالحدادة والنجارة، على خلاف العمران في المدينة والذي في رأيه يتميز عن البدو في شكله، مما يتطلب الكثير من الصنائع والحرف المختلفة والمتنوعة حتى تصل لمستوى التطور والرقي ، فتعتمد على غرار الصنائع السابق الدباغة والخرز مثلا، إلا أن "**إبن خلدون**" يعتبرها من علامات الترف "[2]، يعني أنه يربط بين كلا الجانبين الفكري والعضلي حتى يتسنى للصانع حسبه أن يبدع ويتفنن فيما يصنعه حتى يكون ذو جودة عالية حيث يقول "ملكة في أمر عملي فكري، وبكونه عمليا هو جسماني محسوس والأحوال الجسمانية المحسوسة أتم فائدة..."[3].

---

[1] عبد العزيز بن ابراهيم العمري، **الحرف والصناعات في الحجاز في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم**، ب ت ن، ط1، 1985، ص 45.

[2] جليلة حسن حسنين، **دراسات في التنمية الاقتصادية**، الدار الجامعية للنشر، الإسكندرية، 2006 ، ص 483

[3] عبد الرحمن بن خلدون: **مقدمة العلامة ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، الدار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2007 ، ص، ص 404، 405.

إن **'ابن خلدون"** في تعريفه هذا يقسم الحرف أو الصنائع حسبه إلى قسمين فيرى في القسم الأول صنائع بسيطة من أولوياتها إشباع الحاجيات الضرورية، وتعتمد في ذلك على وسائل وأدوات ترتبط كلها بالجهد العضلي، أما القسم الثاني فيكون بصنائع أكثر تركيبا و تطورا من سابقه من خلال نوعية الوسائل والتقنيات المستخدمة، **"فابن خلدون"** هنا نراه نوه إلى أمر ضروري وإن كان عن غير قصد وهو إبراز الفرق بين الصنائع التقليدية والمتطورة.

أما علماء الأنثروبولوجيا وعلى رأسهم **"مارسيل موس"** فيرى في العمل "أنه ظاهرة إنسانية واجتماعية شاملة ذات أبعاد متعددة "[1]، فالعمل بهذا المنطلق يتسم بطابع الشمولية والملامسة لكل جوانب الفرد من حيث هو عضو داخل مجتمعه، ومن بين أنواع العمل تلك المهن ذات النوع الشعبي والتي ترتبط دائما بالمفاهيم السوسيو –أنثربولوجيا، فهذه الأخيرة تتطلب العديد من المعارف والمهارات الفنية من أصحابها يحقق من خلالها الفرد ذاته ومكانته ويبرز قيمة ما تصنعه أنامه داخل النسق الاجتماعي الذي يعيش بداخل من حيث هو عضو فيه.

فالحرف والمهن التقليدية ليست وليدة اليوم بل هي نتاج لسنوات خلت وحضارات مضت أظهر من خلالها الإنسان مدى إيجابيته وفعاليته حتى تتناقل هذه الحرف جيلا بعد جيل باعتبار هذه الأخيرة موروث الأمم والشاهد على تاريخها، فلا أحد ينكر دور الحرف والصناعات التقليدية في ترسيخ القيم الثقافية والاجتماعية وكذا الهوية الحضارية لأي مجتمع، وهي على استطاعة ومقدرة كبيرة في حماية الموروث الثقافي بشقيه المادي وغير المادي من خلال الممارسات الثقافية النابعة منهم والتي تكسبه طابع الاستمرارية والفعالية .

[1] عائشة التايب، **النوع وعلم اجتماع العمل والمؤسسة**، ط1.منظمة المراة العربية .القاهرة.مصر.2011.ص 15.

إن ما شهدته الحرف عبر فترات سابقة لم يخرجها عن نطاق الإنسانية فهي مرتبطة دائما بالفرد وما يحققه من خلال إبداعاته ومهاراته، حتى يستمر عن طريقها ويحقق ذاته ومكانته ويلبي متطلباته ويشبع رغباته ويشعر من خلالها بعضويته وانتماءه إلى مجتمعه.

2-2- تعاريف دولية للصناعات التقليدية والحرف :

في الصناعة التقليدية اختلفت التعاريف والمفاهيم الموضحة لها، سواء كان من حيث الدول أو المنظمات العالمية فكل عرفها حسب رؤيته وقوانينه الاقتصادية والداخلية الخاصة به وسنذكر أهمها فيما يلي:

2-2-1- تعريف المنظمة الدولية للتجارة والتنمية" CNUCED"

في سنة 1969 أعطت المنظمة الدولية للتجارة والتنمية تعريفا عن الصناعات اليدوية، إذ عرفت الصناعات التقليدية على أنها تلك المنتجات المصنوعة باليد والمستخدمة للوسائل البسيطة، وكل ما يستعمل من قبل الحرفي والتي تحتوي جزء كبيرا من العمل المعتمد على اليد "الصناعات التقليدية لديهم تتميز عن اليدوية بما يلي:[1]

- الطابع التقليدي أو الفني والذي يعكس تقاليد وخصائص المنطقة المنتج.
- يمارس الحرفيين معظم المنتوجات في منازلهم.

2-2-3-تعريف منظمة الأمم المتحدة للتجارة والتنمية(UNISCO) والمركز العالمي للتجارة (CCI)

قدمت منظمة اليونيسكو والمركز العالمي للتجارة تعريفا حول الصناعة التقليدية مفاده أنها " تلك المشغولات الحرفية المنتجة من قبل الحرفيين سوآء عن طريق اليد أو باعتماد تقنيات ووسائل يدوية شريطة

[1] احلام عماري، سهام وناسي، **الحرف والصناعات التقليدية في الجزائر**، مجلة الانثربولوجيا،مجلد8،العدد1، 2022،ص ص 466-483

أن تكون منتجات الحرفيين اليدوية ذات الإسهام الأكبر من بين المنتوجات ، بالإضافة إلى أن هذه المنتجات تعتمد بالدرجة الأولى على المورد الطبيعي ، كما تتميز بخصائص زخرفية وفنية إبداعية وأخرى نفعية وجمالية تعكس من خلالها صورة اجتماعية ودينية تجسد دورا اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا هاما"".[1]

إن الملاحظ من التعريفين السابقين للصناعة التقليدية هو العامل المشترك بينهم، حيث تشترط المنظمتين في الصناعات اليدوية أن تكون من صنع أيادي الحرفيين الذين يمارسون أعمالهم من بيوتهم أو حتى اعتماد أليات وأدوات أخر، على أن يكون الانتاج الحرفي ذو الحصة الأكبر من ضمن المنتوجات، فهي ذات طابع تقليدي تبرز من خلال منتوجاتها تقاليد المنطقة وممارساتها الثقافية لتكون بها صورة عاكسة للجمالية والإبداع الفني والتميز الحرفي، كما ترسم لوحات عن الواقع الاجتماعي والجانب الديني فهي بهذا ذات مكانة ودور هام في مجالات عدة كالاقتصاد والثقافة وغيرها.

2-2-4- تعريف المنظمة العالمية للعمل« OIT » :

وحسب التصنيف الدولي للمهن الصادرة سنة 1988 والمنشور في سنة 1991، والتي صنف من خلالها الحرفي ضمن المجموعة السابعة، بحيث تطلق تسمية عمال المهن والحرفي على الأفراد المشتغلين بأيديهم اعتمادا على وسائل يدوية تساعد في تقليص الجهد المبذول والمدة المخصصة للقيام بذلك المنتوج وأن باختلاف درجات جودته ويقسم هؤلاء إلى:[2]

-حرفيو وعمال مهن الاستخراج والبناء : وهي مرتبطة بالحرفيين المختصين في استخراج المعادن من المناجم وإعدادها وكذا وإصلاح المباني وغيرها.

---

[1] جليلة بن العمودي ,**استراتيجية تنمية قطاع الحرف والصناعات التقليدية بالجزائر في الفترة 2003-2010** ,دراسة حالة تطور نظام انتاج محلي لحرفة النسيج التقليدي بمنطقة تقرت ,2012/2011, ص 27

[2] **Organisation International De Travail**, Classification International Type De Professions :Grand Groupe 7 :Artisans Et Ouvriers Des Métiers De Type Artisanal ,28/09/2009.

-حرفي وعمال مهن التعدين وألات البناء: وتجمع الحرفيين وعمال المهن المختصين في مجال المعادن وبناء وإصلاح الهياكل كما تعمل على إصلاح الآلات وغيرها.

-حرفي وعمال الهندسة ومهن الفن والصباغة وما شابهها، وتضم الأجهزة والآلات الموسيقية وكذا المجوهرات والمعادن الدقيقة وغيرها.

-حرفي وعمال مهن ذات طابع حرفي: وتشمل هذه المجموعة على المهن التي من شأنها إعداد المواد للصيد والزراعة معالجة من أجل تحويلها إلى أغذية ومنتجات أخرى.

2-2-5- تعريف منظمة الأمم المتحدة للتنمية الصناعية (UNIDO) :

لم تقدم المنظمة تعريفا صريحا بل عملت على تقسيم الحرف اليدوية وفقا وما يتماشى مع السوق فجاءت التقسيمات كالآتي:

الحرف التقليدية الجميلة: وتعبر منتجاتها عن الخصائص العرقية والتراث التقليدي وتنتج بالوحدة وتصنف ضمن الأّعمال الفنية، كما تعرض منتجاتها في المتاحف والمعارض الفنية ويتم شراؤها من قبل محبي جمع الأثار.

الحرف التقليدية: وهي حرف تستخدم الأساليب التقليدية وتكون منتجاتها مصنوعة يدويا باستعمال مواد أولية تقليدية وتكنولوجية، الفرق بينها وبين الحرف التقليدية الجميلة هي أن الحرفيين يلجؤون إلى المساعدة من طرف مصممين لمساعدتهم على ضبط المنتج حسب متطلبات السوق مع ضمان ظهور الخصائص العرقية والخلفية التاريخية والمحافظة عليها ، يمكن أن تنتج بكميات كبيرة.

الحرف التجارية: تكون منتجاتها مصنوعة تقليديا حسب احتياجات السوق وبدرجة عالية اتجاه الموضة وتخصص للمشترين الأجانب، تنتج بكميات كبيرة وباستخدام عدة أنواع ووسائل تنتج بأحجام أكبر وقد لا يلتزم المنتجون لها بالطابع التقليدي للمنتج.[1]

[1] Unido, **Creative industries and micro and smale scale enterprise development a contribition to poverty** , Vienna Austria, 2005, pp 29-30

إن ما جاءت به المنظمة العالمية للعمل ومنظمة الأمم المتحدة للتنمية الصناعية لا يمكن اعتباره تعريفا فما هي إلا تقسيمات لمجموع الحرف اليدوية والصناعات التقليدية، حيث جاءت هذه التقسيمات حسبهم لتعطي كل مجموعة دورها الذي تقوم به وكذا الأدوات والوسائل المستخدمة، حتى يتسنى لهم في الأخير الحصول على منتوجات حرفية تقليدية متقنة تكون إما ذات طبع حرفي تقليدي أو تجاري، غير أن العامل المشترك بينهم هو الاعتماد على الحرفي ومهارته اليدوية بالدرجة الأولى، لأن ما ينتج من خلاله سواء ذو قيمة فنية جمالية أو نفعية يعتبر تقليديا وموروثا ثقافيا لا غنى عنه، أكثر من ذلك الذي تنتجه الآلات والوسائل التكنولوجية، وما يمكن أن نستخلصه أن الحرف والصناعات التقليدية تعتبر قطاعا يضم العديد من العائلات الحرفيين والمهنيين والغالب عليها هو الطابع اليدوي، فبالرغم من بساطة أدواتها وتقنياتها إلا أنها تجمع بين الموروث الثقافي والمساهمة الاقتصادية.

2-2-6- تعريف الصناعة التقليدية المعتمد في الجزائر:

بصدور الأمر 01-96 والمؤرخ في 1996/01/10 حدد مفهوم للصناعة التقليدية اعتمدته الجزائر والذي يحدد من خلاله القواعد والنظم التي تحكم الصناعة التقليدية والحرف وجاء هذا في المادتين 5 و6 كالآتي: الصناعة التقليدية والحرف هي نشاط إنتاج أو إبداع، أو تحويل، أو ترميم فني أو صيانة أو تصليح ،أو أداء خدمة يطغى عليها العمل اليدوي، ويمارس بصفة دائمة ورئيسية، وفي شكل مستقل أو منتقل، أو معرضي، ويكون هذا النشاط إما فردي، أو ضمن تعاونية للصناعة التقليدية أو ضمن مقاولة للصناعة التقليدية والحرف"[1].

وقسمت الصناعة التقليدية حسب مجالاتها إلى :

[1] وزارة المؤسسات الصغيرة والمتوسطة،**مدونة النصوص القانونية والتنظيمية الخاصة بقطاع الصناعة التقليدية والحرف لسنة 2005**،الامر رقم 96-01 المؤرخ في 19 شعبان 1416 هـ الموافق ل 10 يناير 1996،المحددة للقواعد التي تحكم الصناعة التقليدية والحرف ،ص 35.

– **الصناعة التقليدية والصناعة التقليدية الفنية:** هما كل صنع يغلب عليه العمل اليدوي ويستعين فيه الحرفي أحيانا بالآلات لصنع أشياء نفعية و/أو تزيينية ذات طابع تقليدي، وتكتسي طابعا فنيا يسمح بنقل مهارة عريقة بالأصالة والإبداع الفردي.

–**الصناعة التقليدية الحرفية لإنتاج المواد أو الصناعة التقليدية الحرفية النفعية الحديثة:** هي كل صنع لمواد إستهلاكية عادية،لا تكتسي طابعا فنيا خاصا ، وتوجه للعائلات وللصناعة والفلاحة.

–**الصناعة التقليدية الحرفية للخدمات:** هي مجمل الأنشطة التي يمارسها الحرفي والتي تقدم خدمة خاصة بالصيانة أو التصليح أو الترميم الفني، وعموما يمكن التمييز بين صنفين من الصناعة التقليدية:

منتوج حرفي نفعي: وهو منتوج يستخدم للاستعمال العادي.

– **منتوج حرفي فني:** وهو منتجات تدخل عليها رسومات، نقوشات مميزة، مستمدة من حضارات غابرة للمجتمع ، تستخدم للتزيين والاستعمال في المناسبات.[1]

إن ما يمكن أن نسلم به هو أن الحرف والصناعات التقليدية ما هي إلا صورة للمجتمعات عبر مختلف الأزمنة، من خلال مختلف المنتوجات ذات الطابع التقليدي والغنية بالدلالات التاريخية والممارسات الثقافية والاجتماعية وهذا إن دل إنما يدل على المستوى الحضاري والثقافي المتميز للمجتمعات، فالتعريف الذي اعتمدته الجزائر يبرز تنوع الثقافات واختلافها داخل المجتمع الواحد، من خلال ما ترجمته الحرف والصناعات التقليدية عبر سلسلة تاريخية مرتبطة ارتباطا وثيقا ببعضها الهدف منه هو الحفاظ عليها والعمل على استمرارها وتناقلها بين الأجيال والعمل على تطويرها لتكون دافعا مهما للنشاط الاقتصادي وعجلة التنمية.

[1] وزارة المؤسسات الصغيرة والمتوسطة، مرجع سبق ذكره، ص ص 36–37.

2-3- أنواع الصناعة التقليدية الجزائرية :

من الطبيعي أن يكون للجزائر أنواعا عدة من الحرف والصناعات التقليدية نظرا لتنوع مناخها وشساعة مساحتها وكذا تنوع ثقافاتها، هذا يجعلها تزخر بتراث متنوع حضاري وثقافي وتاريخي يحاكي ويعكس صورة أهلها ويعبر عن ممارساتهم الثقافية وتقاليدهم وفيما يلي نستحضر أهم الصناعات التقليدية الجزائرية :

2-3-1- صناعة الزرابي والنسيج : يوضح تنوعها الاحتكاك الثقافي الذي ميز تاريخ هذا الفن البربري والعربي والإسلامي والإفريقي وحتى الشرقي ومن أبرزها: زربية المعاصيد(المسيلة برج بوعريريج) زربية فرقور (سطيف وبجاية) ، زربية بني يزقن (غرداية) ...إلخ.

2-3-2- صناعة الآلات الموسيقية : هو فن لمنح الخشب سحر رنان ذي صوت، ويتم تداوله في الجزائر العاصمة، البليدة، تلمسان، الأغواط، ومن بين منتجاته : الناي، العود،...إلخ

2-3-3- صناعة الحلي والمجوهرات: تتمتع صناعة الحلي والمجوهرات بالجزائر بشهرة واسعة نتيجة إتقان صنعها، وجمال تصميمها، فقد استوحى مصممو تلك الحلي الأشكال التي ينتجوها من عدة تصاميم روح الحداثة، وعبق الماضي الأمازيغي العريق، فشكلوا القلائد والأساور، والخواتيم، والخلاخيل وزاوجوا بين الثقافات باختلافها من مدينة لأخرى، ليبدعوا في تصميماتهم، وينتجوا مجوهرات تطلب من كافة أنحاء العالم العربي والأجنبي، وتتمركز صناعة الحلي في تيزي وزو والمسيلة وغيرها من بعض مدن الوطن.[1]

2-3-4- صناعة النحاس: تعتبر صناعة النحاسيات من أبرز الصناعات التقليدية وأعرقها في المدن الجزائرية وتضرب بجذورها أعماق التاريخ، حيث يعود تواجد هذه الصناعة في الجزائر إبان التواجد العثماني على أراضيها، ونجد هذا التاريخ محفور في مختلف المصنوعات النحاسية التي تحاكي حقبا زمنية مختلفة منها الأندلسي والتركي، وتختلف المنتوجات النحاسية من مدينة إلى أخرى إذ يكمن الفارق في طبيعة

[1] ندير بوحنيكة ، وداد دريوش ، **أهمية الصناعة التقليدية والحرف في تنمية الاقتصاد الوطني الجزائري رؤية تحليلية** , مجلة التنمية وادارة الموارد البشرية –بحوث ودراسات –المجلد 08,العدد 01, 2021, ص.ص ,283 -297

الزخارف والنقوش التي حفرت داخل كل قطعة، واشتهرت هذه الصناعة في العديد من المدن الجزائرية كالقصبة بالجزائر العاصمة، وأحياء في مدينة تلمسان وغرداية، وعاصمة الشرق الجزائري قسنطينة، ونجد أبرز الصناعات النحاسية في الجزائر تتمثل في الأكواب النحاسية، وأباريق الشاي والقهوة، وآنيات الكسكس والصواني وغيرها.

غير أن مدينة الصخر العتيق قسنطينة عرفت بجملة من المشغولات النحاسية ميزتها عن غيرها من المدن الجزائرية " كالأطباق النحاسية التي تدمج الرموز الزخرفية، المحبس، القطارة، المرش وهي أدوات تنظيف تعود إلى القرون الماضية ". [1]

2-3-5- صناعة الجلود: تتميز صناعة الجلود بارتباطها بمناطق تربية المواشي والتي تعتبر أساس المادة الأولية (الجلد)، ويعود تاريخ هذه الصناعة إلى عصور ما قبل التاريخ من أجل تلبية متطلبات الحياة اليومية ومن أبرز منتوجات هذه الصناعة نجد السروج، الأحذية، الأحزمة، غلافات الوسادة أغمدة السيوف، وتتميز تلمسان بمختلف السروج ومحافظ النقود ومنتجات أخرى تتسم برسوم وأشكال أندلسية رائعة، بالإضافة إلى منتوجات الجنوب الكبير الأصيلة مثل: حقائب السفر(العرق)، السديرة (حافظة السروج)، حافظة النقود....إلخ [2].

2-3-6- صناعة الفخار: تشتهر في الجزائر الصناعات الفخارية بشكل كبير، وتعتبر منتوجات ريفية خالصة كصناعة الجرة، وآنية الطعام، والمزهريات، والخزان، والأباريق، وغيرها من المواد التي كان الجزائريون القدماء يعتمدون عليها في حياتهم اليومية، فأدوات المطبخ الفخارية لا زالت تطلب بشدة إلى غاية الأن لإرتباطها في تحضير وجبات شعبية من أهمها: الكسكس، الطاجين، وجرار الزيت، وأوعية لحفظ

---

[1] حسام خليفي , عمر لعلاوي, **واقع استراتيجية ترويج منتجات الصناعات التقليدية و الحرف في الجزائر** , مجلة معهد العلوم الاقتصادية , المجلد 24, العدد 01, 2021, ص .ص ,1027-1044

[2] المرجع نفسه.

الحليب والزبدة، ومشتقات الألبان، أما الصناعات الفخارية المتطورة نوعا ما والتي تصلح للمواطن الذي يسكن في المدن، مثل التحف التي تصلح للديكور، من فازات ومشربيات ومنحوتات فخارية على شكل لوحات وغيرها، وما يميز الفن الفخاري المدني هو تأثره الكبير بروح الزخارف الإسلامية، وجمالية الخط العربي، ينتشر هذا الفن في عدة مدن جزائرية منها قالمة، المسيلة..إلخ.[1]

2-3-7- فن الطرز: يشهد فن الطرز الحضري والدقيق عن براعة مجددة بواسطة مختلف المساهمات الثقافية ،كما يصف الماضي البعيد من خلال النسيج الذي يجمع بين الأناقة والإبداع، وينتشر في الجزائر العاصمة، البليدة، القليعة، مليانة، ومن أبرز أنواع الطرز المعروفة هي القفطان ،الكراكو، الفتلة وغيرها".[2]

إن مثل هذا النوع من الفنون اشتهر في مدينة قسنطينة وأخذ حصة الأسد في جهاز العروس القسنطينية، وأعتبر أحد أهم مستلزماتها ومقتنياتها إلى بيت الزوجية خاصة ما تعلق بقندورة الفتلة والكراكو وقندورة القطيفة .

2-3-8- صناعة السلالة :

تعتبر حرفة السلال أو السلالة من الحرف التي عرفها الإنسان منذ القديم وخاصة في المناطق الصحراوية، نظرا لوفرة وجود النخيل وموادها ومن ثمة توفر وجود منتجاتها التي تتمثل في الأطبقة السعفية وبناء المنازل بجذع النخل وجريدها، وبناء سقوف البيوت بها، حيث تّعرف بشدة مقاومتها كانت النخلة ولا تزال مصدر فخر واعتزاز شعب الجزائر، حيث اشتهرت الصحراء منذ القديم بنخلها فإنتاجها يدخل في جميع

[1] وسيلة سبتي وصحراوي محمد تاج الدين، 2018، **مساهمة الصناعات التقليدية والحرف في ترقية قطاع السياحة دراسة مقارنة بين الجزائر وتونس آفاق 2020** ، مجلة اقتصاديات الاعمال والتجارة ,العدد,2018,05 ,ص ص 297-298

[2] ندير بوحنيكة ، ودا د دريوش, مرجع سابق.

الأدوات التقليدية، فجميع البيوت الصحراوية القديمة دخل جذع النخلة وسعفها وجريدها في بنائها"،[1] فاستطاع الحرفي من خلال سعفات النخيل أن يبدع في صنع مختلف المنتوجات التقليدية كالسلال والحصير الذي تفرش به الأرضيات والقفاف وغيرها.

إن ما سبق من منتوجات حرفية تقليدية مختلفة في الجزائر يعكس مدى التنوع الثقافي والحضاري داخل هذا البلد، الذي يزخر بصناعات تقليدية عملت على ربط الماضي بالحاضر وساهمت في ترسيخ الهوية وإبراز قيمة الموروث ومكانته ، كما تساهم في دفع عجلة التنمية الاقتصادية كونها أصبحت قطاعا مستقلا بذاته، فالواجب إذا الاهتمام بها ودعمها حتى لا تندثر لأنها كانت ولا تزال تمثل خصوصية المجتمع وأصالته.

وعليه ويمكن أن نلخص ما سبق من تقسيمات وأنواع الحرف والصناعات التقليدية في مخطط جدولي مفاده توضيح النشاط الحرفي التقليدي ورمزه الخاص به وذلك حسب ما جاء في المرسوم التنفيذي رقم 339-07 المؤرخ في 31 اكتوبر 2007م.

الجدول رقم 01 : يوضح أنواع الصناعات التقليدية ذات الخاصية الفنية

التسمية	الرقم في القائمة	الرمز في النشاط
المواد الغذائية	**01**	**01**
العمل على الطين ،الجبس ،الحجر،الزجاج ، وما يماثلهم	**02**	**01**
العمل على المعادن بما في ذلك المعادن الثمينة	**03**	**01**
العمل على الخشب ومشتقاته وما يماثله	**04**	**01**
العمل على الصوف والمواد المماثلة	**05**	**01**

[1] زينب شنوف ,**تشكيل الهوية الجماعية عند المقاولين الشباب** , دراسة ميدانية لعينة من المقاولين الشباب أصحاب مؤسسات الصناعة التقليدية الحرفية بورقلة , اطروحة لنيل شهادة الدكتوراه , كلية العلوم الانسانية والاجتماعية , جامعة محمد خيضر ,بسكرة , 2017 , ص 93.

العمل على القماش أو النسيج	**06**	**01**
العمل على الجلود	**07**	**01**
العمل على المواد المختلفة	**08**	**01**

المصدر :(و.م.ص.م.ص.ت) ، قائمة نشاطات الصناعات التقليدية والحرف، مرسوم تنفيذي رقم: 339-07 المؤرخ في يوم 19 شوال 1428 هـ الموافق ل 31 أكتوبر 2007 م

يوضح الجدول أعلاه مجموع الصناعات التقليدية ذات الطابع الفني والتي تضمن عدة أنواع منها العمل على المعادن والخشب والجلود وغيرها ، كما خصت برمز موحد فيما بينها عرف بالرمز(01) ومن خلال تصنيف هذه الصناعات من جانبها الفني، يتضح أنها تمثل قيمة ومكانة ومشكل أساسي للموروث الحضاري والثقافي حيث تبرز قيمتها في منتوجاتها ذات الاستعمالات اليومية، كما تلعب دورا هاما في الدفع بالاقتصاد الوطني وعجلة التنمية باعتبارها قطاعا ذا أهمية، لكن العامل الأبرز في هذه الخاصية أن الصناعات الحرفية التي يقوم بها الحرفي تقوم على مبدأ الانفرادية في الإبداع فيعمل من خلالها الحرفي على رسم معالم الموروث الثقافي والتقليدي المتعلق بعادات وتقاليد مختلفة لمناطق محلية عديدة فهي تعتمد في ذلك على الحرفي صاحب المنتوج لا غير حتى تكون مصنوعاته في غاية الدقة والجمال هذا ما يجعل هذه المنتوجات تكون بأسعار نوعا ما مرتفعة مقارنة بمثيلاتها في الأسواق لأنها تستغرق وقتا وتتطلب جهدا ومهارات فنية في غاية الدقة. وحسب ذات المصدر السابق سنقدم جدول نوضح فيه الصناعات التقليدية ذات الخاصية الانتاجية

الجدول رقم 02 : يوضح الصناعات التقليدية الحرفية ذات الخاصية الإنتاجية

التسمية	الرقم في القائمة	الرمز في الميدان
نشاطات الصناعات التقليدية الحرفية للإنتاج و الصناعة أو التحويل المرتبط بقطاع المناجم والمقالع	**09**	**02**
نشاطات الصناعات التقليدية الحرفية للإنتاج و الصناعة أو التحويل المرتبط بالميكانيك والكهرباء	**10**	**02**
نشاطات الصناعات التقليدية الحرفية للإنتاج و الصناعة أو	**11**	**02**

التحويل المرتبط بقطاع الحديد		
نشاطات الصناعات التقليدية الحرفية للإنتاج و الصناعة أو التحويل المرتبط بالتغذية	**12**	**02**
نشاطات الصناعات التقليدية الحرفية للإنتاج و الصناعة أو التحويل المرتبطة بقطاع النسيج والجلود	**13**	**02**
نشاطات الصناعات التقليدية الحرفية للإنتاج و الصناعة أو التحويل المرتبطة بالخشب ،الخردوات والأدوات المنزلية	**14**	**02**
نشاطات الصناعات التقليدية الحرفية للإنتاج و الصناعة أو التحويل المرتبطة بقطاع الحلي	**16**	**02**
نشاطات الصناعات التقليدية الحرفية لإنتاج المواد المختلفة	**17**	**02**

المصدر:(و.م.ص.م.ص.ت) ، قائمة نشاطات الصناعات التقليدية والحرف، مرجع سبق ذكره

يوضح الجدول رقم 02 نشاطات الصناعات التقليدية ذات الطابع الإنتاجي والتي خصت بالرمز(02) حيث جاءت متنوعة ومختلفة حسب متطلبات السوق وحاجياته ولتلبية رغبات الأفراد وإشباعها، والملاحظ أن الصناعات التقليدية والحرف التي يتضمنها هذا الجدول لا تعتمد على أنامل الحرفي ومهاراته الفنية والإبداعية، بل تركز أكثر على الآلات والتقنيات التكنولوجية التي تضاعف من المنتوج التقليدي وتعتمد على تقسيم العمل، يعني أنها تهتم أكثر بحجم الإنتاج وذلك تماشيا وما يتماشى مع الأسواق الخارجية هذا ما يخرجها عن طابعها التقليدي كونها نفعية إنتاجية تفتقد للروح الثقافية بداخلها.

وحسب ذات المرسوم سنقدم جدول نوضح من خلاله الصناعات التقليدية ذات الطابع الخدماتي.

الجدول رقم 03 : يوضح الصناعات التقليدية الحرفية ذات الخاصية الخدماتية

التسمية	الرقم في القائمة	الرمز في الميدان
نشاطات الصناعة التقليدية الحرفية للخدمات الخاصة بالتركيب الصيانة و الخدمة ما بعد البيع للتجهيزات والمعادن الصناعية المخصصة لمختلف فروع النشاط الإقتصادي	**18**	**03**
نشاطات الصناعة التقليدية الحرفية للخدمات المرتبطة بتصليح وصيانة التجهيزات والمواد المستعملة في مختلف فروع النشاط الإقتصادي والعائلات	**19**	**03**

نشاطات الصناعة التقليدية الحرفية للخدمات المرتبطة بالأشغال الميكانيكية	**20**	**03**
نشاطات الصناعة التقليدية الحرفية للخدمات المرتبطة بالتهيئة الصيانة ، التصليح وزخرفة وتزيين المباني المخصصة لكل الإستعمالات التجارية ،الصناعية والسكنية	**21**	**03**
نشاطات الصناعة التقليدية الحرفية للخدمات المرتبطة بنظافة وصحة العائلات	**22**	**03**
نشاطات الصناعة التقليدية الحرفية للخدمات الأخرى	**23**	**03**

المصدر:(و.م.ص.م.ص.ت) ، قائمة نشاطات الصناعات التقليدية والحرف، مرجع سبق ذكره.

من خلال الجدول أعلاه والموسوم بالصناعات التقليدية ذات الخاصية الخدماتية والتي أشير إليها بالرمز(03)، نلاحظ أن الصناعات التقليدية والحرفية ذات خصائص متعددة على غرار الطابع الفني والإنتاجي تتمتع أيضا بخاصية الخدماتية ، هذا التنوع يجعلها حرف وصناعات شاملة يمكن أن تقدم دعما ومساهمة لمختلف القطاعات والمجالات سوآء في الجانب الاقتصادي أو الثقافي أو الاجتماعي، هذا ما يجعلها تحتل مكانة بالغة الأهمية يمكنها أن تدعم الواجهة الاقتصادية للبلاد، غير أن ما يتوجب علينا الاعتراف به أن مثل هذا النوع من الصناعات تتميز نشاطاته بالخدماتية أي انها غير منتجة للسلع.

يمكن القول أنه وبالرغم من أن الحرف والصناعات التقليدية وباختلاف أنواعها لها بعد اجتماعي وثقافي يعكس الممارسات الثقافية للمجتمع الجزائري، إلا أن ما يميزها هو البعد الاقتصادي إذ يعتبر قطاع الحرف والصناعات التقليدية من أهم القطاعات الاقتصادية والتي من شأنها الدفع بعجلة التنمية المحلية والوطنية وتحقيق دعم بارز خارج قطاعات أخرى كالمحروقات مثلا.

2-4- أهمية الصناعة التقليدية والحرف :

إن قطاع الحرف والصناعات التقليدية نراه متكاملا من حيث أنه الجامع لمختلف الموروثات الحضارية والتاريخية والثقافية والدافع بالاقتصاد نحو التنمية ، فهو قطاع يشكل أهمية للاقتصاد الوطني من خلال ما

نلمسه من مهارات أفراده التي تعكس من خلالها صورة المجتمع وتراثه ، فكانت أهمية الصناعات التقليدية قد مست مجالات عدة سواء الثقافية والاجتماعية أو حتى الاقتصادية ويمكن أن نذكرها على النحو الآتي :

2-4-1- في المجال الثقافي والحضاري :

تمثل الحرف والصناعات التقليدية عند كل شعوب العالم أحد أبرز مقوماتها وهويتها الشخصية فهي مرأة عاكسة لنتاج حضاري تعاقبت عليه أجيال وأجيال لسنوات وقرون طويلة، فنقلت بأنامل أحبت الحرفة وأحسنت إتقانها، فأنتج الإنسان ما استطاع أن يتفاعل به مع الطبيعة ويهذبها ويشبع حاجياته ومتطلباته اليومية، مستعملا بذلك أدوات بسيطة وأولية للحصول على مستلزمات للطهي والفلاحة والبناء وغيرها، نقشت عليها أحرف وعبارات تناقلتها الأجيال فيما بينهم فأصبحت موروثا يشهد تلك الحقب والمراحل التاريخية، فهذه الأهمية التي تكتسيها الصناعات التقليدية والحرف تعكس بصورة جلية الهوية والملامح الثقافية والحضارية للمنتجات .

"...كما تساعد هذه الأخيرة في تنمية المواهب الإبداعية لدى المواطنين والحرفين العاملين في المجال لا سيما وان الحرف تستلهم إلهامها من التراث، وتمثل جانبا مهما منه وقيمة كبرى تعكس قدرات الأمم على ممارسة الحضارة بجميع أبعادها الروحية والمادية ".[1]

إن الحرف والصناعات التقليدية –التي تعتبر مخزونا ثقافيا أصيلا– تستخدمه مجتمعات اليوم كسلاح للمحافظة على خصوصياتها الثقافية والاجتماعية لمجابهة التأثيرات الوافدة ومن جانب أخر فهي تعتبر عاملا أساسيا من عوامل الاحتكاك والتلاقح الحضاري ما بين المجتمعات والدول[2].

[1] الهيئة العامة للسياحة والتراث الوطني , **الحرف والصناعات اليدوية** , الرياض ,2015 , ص ص 49-55

[2] العربي بوحسون,**الحرف والصناعات التقليدية في مدينة تلمسان ,مقاربة تاريخية وانثربولوجية واقتصادية ,دورية كان التاريخية** ,السنة العاشرة , العدد 35 , مارس 2017,ص ,132

كما أنها تحافظ على الارتباط الثقافي لشخصية الدولة داخليا واقليميا، و تحافظ أيضا على الإرث الثقافي الحضاري المتعدد والمتنوع.[1]

لذلك تلعب الصناعات التقليدية والحرف دورا هاما في المجال الثقافي، فهي إثبات لهوية الفرد والمجتمع وشكل من الفنون ونوع من أنواع الابداع، وتمثل جزء كبيرا من تقاليد وثقافة الشعوب وتعبير صادق حتى عن طرق الحياة. [2]

ومما سبق نستطيع القول أن لقطاع الحرف والصناعة التقليدية بعدا حضاريا وثقافيا يعكس التراث التاريخي والثقافي والواقع الذي تعايشه الشعوب فهو تعبير عن هويتها، من خلال ما تناقل عنهم من عادات وتقاليد باختلاف حضاراتهم سواء كانت حضارات بدائية أو حضارية، فالحفاظ على الصناعات التقليدية والحرف بمثابة الحفاظ على إرث الأجداد والآباء والذي تعبر به كل دولة عن سيماتها الثقافية وهويتها وشخصيتها الحضارية، فهي للمجتمعات بمثابة مقوماته الشخصية وأحد أهم خصوصياته وأصالته وهويته ورمزا راسخا لكل دولة.

2-4-2- في المجال الاقتصادي :

يعتبر قطاع الحرف والصناعات التقليدية قطاعا بارزا في مجال الاقتصاد والتنمية ، فهو يشكل ثروة وطنية وأحد ركائز عجلة التنمية، ضف إلى ذلك فهو قطاع غير مكلف لكونه يعتمد على أبسط الأدوات والتقنيات مقارنة بغيره من القطاعات، وهذه البساطة التي تميزه جعلته أكثر توسعا وانتشارا في مناطق مختلفة وعلى مسافات بعيدة سواء كانت المناطق ريفية أو حضرية، فهي بكل أقسامها وفروعها تشكل موردا

[1] محمود صبح، **العمال وتمويل المشروعات الصغيرة**، البيان للطباعة والنشر، القاهرة، ط 2 ,1999 , ص 196.

[2] المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ,**الخطة القومية للنهوض بالصناعات التقليدية في الوطن العربي** . تونس 1995, ص 109.

اقتصاديا هاما ويعتبر قيمة إضافية للاقتصاد الوطني، ويمكن حصر الأهمية الاقتصادية للحرف والصناعات التقليدية في النقاط الأتية:[1]

– "يمتلك القطاع ميزة تنافسية كبيرة للخصوصية التي يتميز بها النتوج الحرفي من منطقة إلى أخرى أو من بلد إلى أخر مما يجعل قابلية التسويق مضمونة في حال احترام المقاييس والجزائر بتنوع وثراء منتوجها الحرفي النابع من تنوع وثراء الثقافات المحلية".

– تساهم الحرف والصناعات التقليدية في توفير مناصب شغل وتمتص بذلك شبح البطالة.

– اعتمادها على وسائل وأدوات بسيطة وغير مكلفة.

– تعمل الصناعات التقليدية على تكوين اليد العاملة.

– تساهم الصناعات التقليدية في الرفع من مستوى معيشة الأفراد من خلال زيادة دخلهم.

– تساهم أيضا في تحسين الاقتصاد الوطني وتحقيق التنمية من خلال ما توفره عائداتها وكذا صادراتها خارج قطاع المحروقات.

– تعتبر الصناعة التقليدية كمصدر دخل اضافي للدولة من خلال الرسوم الضريبية والضرائب .

– تعمل الصناعات التقليدية والحرف على خلق مؤسسات صغيرة ومتوسطة.

–مساهمتها في القطاع السياحي والعمل على تطويره من خلال ما يقتنيه السواح من منتوجات حرفية تقليدية.

إن الحرف والصناعات التقليدية تلعب دورا اقتصاديا بارزا لا يمكنه إنكاره، فلم تبقى حبيسة الحرفي داخل جدران ورشته بل تعدته إلى أنها أصبحت عاملا هاما في خلق مناصب الشغل وامتصاص البطالة فوجد الحرفي من خلالها تحسينا لمستواه المعيشي عبر تلك المداخيل المادية، فهو بذلك يحسن من المستوى

[1] نوال بن صديق, مرجع سابق , ص , 13.

الاقتصادي ويحقق تنمية مستدامة بما أن الصناعات الحرفية والتقليدية تعتبر قطاعا غير مكلف لبساطة أدواتها ووسائلها المستخدمة.

2-4-3- في المجال الاجتماعي:

لقطاع الحرف والصناعات التقليدية دور هام وفعال من شأنه جلب طاقات هائلة لامتصاص شبح البطالة ومعاناة الشباب، كما يخفف الضغط عن المدن بالحد من النزوح نحوها، وهذا ما سنعرج عليه في الآتي :

أ- **البطالة** : إن جل المجتمعات في معاناة دائمة مع مشاكل وأزمات اجتماعية عدة كانت ولا تزال البطالة أحد أهمها، والتي تجسد طاقات هائلة ونشاطات شبابية مهدورة نراها كامنة تحت أسوار الفقر والتهميش والآفات الاجتماعية التي طالتها من مخدرات، وجريمة بكل أنواعها، جعلت من المجتمعات مهددة ضمن أطر اجتماعية وأخلاقية واقتصادية أفقدتها نوعا من الانفلات الأمني وعدم الاستقرار جرائها .

لذا فقد كان قطاع الحرف والصناعات التقليدية ذو أهمية بالغة في امتصاص البطالة وفتح باب التشغيل واسعا واحتضان الفئات الاجتماعية على اختلافها ، من خلال مناصب شغل دائمة تؤمن لهم العيش الكريم يحقق لهم الاستقرار المادي والمعنوي ، وتحميهم من كل أشكال الانحراف فيكون قطاع الحرف والصناعة التقليدية من خلال تعبئته للقوى العاملة والالتفاف حولها قد دفع بعجلة التنمية نحو تحقيق التطور والازدهار في المجال الاقتصادي.

ب- **تقليص النزوح الريفي** :يستجيب قطاع الصناعة التقليدية للأهداف الوطنية المتعلقة بإحداث نوع من التوازن في التوزيع للصناعة التقليدية، تسمح بتخفيف الضغط الديمغرافي على المدن، وتعمل على الاستغلال الأمثل للموارد البشرية، وتساهم في تغطية الحاجات الأساسية للمستهلكين، وكذا تحافظ على الحرفة التقليدية في الارياف.[1]

[1] شفيقة صديقي, مرجع سابق , ص 65.

فهذه المؤسسات تعمل على خلق فرص عمل والتشغيل عدد من البطالين الريفيين للحد من نزوحهم نحو المدن.

فقطاع الحرف والصناعات التقليدية من خلال أدواته وتقنياته البسيطة التي يستعملها داخل الحيز الريفي، استطاع أن يجلب العديد ممن تستهويهم تلك الحرف وكذا أصحاب الدخل المحدود الذين يسعون جاهدين لتحسين وضعهم الاجتماعي وزيادة دخلهم لتأمين حياة كريمة لهم ولأهاليهم، فالقطاع يتيح لهم فرصا للتشغيل أمام من لا عمل لهم ويحاول أن يقلل من النزوح نحو المدن ويخلق نوعا من التوازن الديمغرافي بينها وبين المدن.

ت- دور المرأة :إن صورة المرأة لم نراها تقتصر على مهن ووظائف معينة بل هي تجاري الرجل في صنع النسيج الاقتصادي والاجتماعي لأي مجتمع، فدخلت قطاع الحرف والصناعات التقليدية من أوسع أبوابها بما تتمتع به من مهارات وإبداعات جعلت منهن حرفيات متميزات،" يعتبر إشراك المرأة في سوق العمل من إبراز التحديات التي تسعى الجزائر إليها وقد جاء في قائمة أنشطة الصناعة التقليدية والحرف بعض الأنشطة التي يمكن أن تمارس في البيت والمنصوص عليها في المرسوم التنفيذي رقم 97-274 والمحدد بتاريخ 21 جويلية 1997، كما توجد العديد من المنتجات التقليدية من صنع أنامل النساء كصنع الحلويات والطرز والخياطة، حيث يقدر مجموع المشاريع المنشأة من طرف الإناث ب 109583 مشروع منذ 1998 إلى غاية 2015 ما يمثل بنسبة مشاركتهم 35 بالمائة من مجموع المشاريع".[1]

ما تقدمه المرأة دور فعال وبارز لا يمكن إغفاله فهي تساهم قدر المستطاع سعيا منها لفرض ذاتها من خلال مشاركاتها ومساهماتها في إحياء قطاع الحرف والصناعات التقليدية، فإسهاماتها مست جميع الأنشطة الحرفية فصنعت السلال والألبسة التقليدية ورسمت على الفخار وأبدعت بأحلى الزخارف والنقوش وفجرت

[1] سهام بن عمار ، أحمد بن داودية , **واقع قطاع الصناعات التقليدية والحرف في الجزائر** , مجلة مينا للدراسات الاقتصادية , المجلد 02 , العدد 03 , 2019 , ص ص 105- 124 .

طاقاتها بالحلويات ...وغيرها ، فهي تسعى دائما لتطوير القطاع الاقتصادي بناء على ما تملكه من خبرات ومهاراتها تجعل منها أحد الأساسات الضرورية في سوق العمل .

2-4-4- في المجال السياحي :

تلعب الحرف والصناعات التقليدية دورا فعالا ومكانة بارزة في مجال السياحة من خلال دعم الاقتصاد الوطني، فقطاع السياحة يرتكز في مجمله على السائح بنوعيه محليا كان أو دوليا، لأن هذا الأخير ليس لديه أدنى فكرة لا عن البلد ولا أهله سوى معلومات بسيطة جمعها عبر ما خزنتها ذاكرته من صور فوتوغرافية، أو ما تناقلته الكتب وصفحات الجرائد، أو حتى ما تصفحه عبر المواقع الالكترونية، غير أن هذه اللمحة الجوفاء يمكن أن تتحول إلى موروث ثقافي وحضاري يرسخ بذهن السائح ويتجسد في ماديات ملموسة تعبر عن أصالة وعراقة هذا البلد تصورها تلك التحف الفنية والمنتوجات الحرفية التقليدية.

الغرض منها أن تصنع هذه التحف والإبداعات الحرفية فارقا لدى السائح، من خلال قيمتها ومكانتها الفنية بداخله، فهو لا يحمل قطعة حرفية تقليدية فحسب بل هو موروث ثقافي وحضاري مادي تناقلته الأجيال فيما بينها، "فالصناعات التقليدية والحرفية تكون بهذا عاملة جدب للسائح والزائر كما هو الحال مع المناظر الطبيعية والأثرية التي تستهويه، وحسب إحصائيات المنظمة العالمية للسياحة فإن الصناعات التقليدية تشكل 10 بالمائة من مداخيل السياحة في العالم"[1]

"... من خلال جعل المنتج السياحي عادة في الشراء لدى السائح، والترويج للمنتجات التقليدية كالتعريف بها والتعرض الى خلفياتها الاجتماعية والثقافية وجعلها صورة تجدب السائح ويقدر قيمتها "..[2]

---

[1] فاطمة سويتم، **الصناعة التقليدية كمصدر لترقية السياحة والاستثمار السياحي منطقة اهقار نموذجا** , مجلة الاجتهاد للدراسات القانونية والاقتصادية , مجلد 7, العدد 5, 2018 ، ص 271

[2] عبد الرحيم شنيني, **دور التسويق السياحي في انعاش الصناعة التقليدية الحرفية** –دراسة ميدانية : حالة مدينة غرداية ,مذكرة ماجيستير ,كلية العلوم الاقتصادية والتسيير والعلوم التجارية ,جامعة ابي بكر بلقايد , تلمسان ,2010 , ص 115.

فلا يمكن إخفاء مساهمة الحرف والصناعات التقليدية في التنمية السياحية التي ترتبط بالمكان ارتباطا وثيقا، ولاستغلال هذه المنتجات وفق خصوصيتها المحلية والحضارية لتطوير وتنمية السياحة.[1]

إن قطاعي السياحة والصناعات التقليدية يكمل أحدها الأخر والإنفاق على أحدهما يؤدي إلى تطوير الأخر وكليهما يؤديان إلى النهوض بالمستوى الاقتصادي العام للبلد.[2]

ولعل من كل ما سبق نصل إلى ما مفاده أن العلاقة بين الصناعات التقليدية الحرفية والسياحة هي علاقة تكاملية كل منهما يكمل الأخر مسلم بها، فالصناعات التقليدية هي عناصر جدب ثقافية ومادية تعكس صورة الحياة اليومية للبلد الذي سيزوره السائح، فهذه المصنوعات اليدوية تعرف بالخصائص والمميزات الداخلية لكل مناطقها وأماكنها التراثية، كما تستعرض جملة العادات والتقاليد التي تتحلى بها فالسياحة مجال خصب ومساحة واسعة وأسواقها رائجة تخدم المنتوج الحرفي وتسهل تسويقه، لما تتمتع به المصنوعات الحرفية من تناغم فني وحرفية عالية الجودة تبرز فيها المهارة والذوق الفني الراقي، هذا ما نراه جليا في مختلف التظاهرات والمهرجانات التي تحتضنها الجزائر وعلى سبيل الذكر لا الحصر " إقامة (عيد الزربية) السنوي بغرداية ، وهي من الصناعات التقليدية المشهورة بالمنطقة – يستقطب عددا معتبرا من السياح يتجاوز العشرين ألفا، منهم 260 من الأجانب وهذا ما ينتج عنه استغلال كبير لمختلف الخدمات السياحية المقدمة".[3]

---

[1] جمال جعيل واسماعيل زحوط .**الحرف والصناعات التقليدية كفرص لترقية السياحة الداخلية في الجزائر** ,مداخلة ضمن فعالية الملتقي الوطني : فرص ومخاطر السياحة الداخلية في الجزائر ,كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير ,جامعة باتنة ,ص 14-15.

[2] ابراهيم راشد حسين وماهر صبري درويش,**الصناعات الحرفية ,انتاجها وتسويقها وافاقها في الاقتصاد العراقي** ,مجلة كلية بغداد للعلوم الاقتصادية الجامعة ,العدد28.ص 57-58.

[3] عبد الرحيم شنيني,مرجع سابق ,ص 161.

2-5- خصائص الصناعة التقليدية والحرف :

حتى يختلف قطاع عن غيره وجب تحديد مميزاته وخصائصه فقطاع الحرف والصناعة التقليدية له من المزايا بنوعيها سلبية وإيجابية، غير أن تركيزنا سوف يكون على تقديم هاته المميزات وليس على تفسير سبب تمثيلها جوانب قوة وضعف في أن واحد، وباعتبار أن الصناعة التقليدية والحرف تندرج ضمن الصناعات الصغيرة [1]، لذا نجد رابط الشراكة بين الصناعة التقليدية والحرف مع الصناعات الصغيرة في عدة خصائص نذكرها في النقاط الأتية:[2]

2-5-1- انتشارها في المناطق الريفية والحضرية:

تمارس نشاطات الصناعة التقليدية في معظم المناطق سواء كانت حضرية أو ريفية، عكس النشاطات الأخرى التي تتطلب مناطق نشاط أو مناطق خاصة مزودة بمختلف البنى والوسائل، حيث تعتبر من الممارسات اليومية بالنسبة للمناطق الريفية والتي تغطي نسبة كبيرة من احتياجاتهم اليومية، كما أن منتجاتهم تعبر عن عادات وأصالة سكان الريف.

إن أولى خاصية من خاصيات الحرف والصناعات التقليدية هو بساطتها ما سمح لها بالانتشار واسعا وفي معظم المناطق والمدن ، حيث لم تقتصر ممارساتها على الأرياف فقط بل تمارس بالمناطق الحضرية كذلك وإسهاماتها واضحة خاصة على المناطق الريفية إذ تلبي حاجياتهم .

2-5-2- سهولة وبساطة متطلبات إنشاء مشروع حرفي :

إن ما يميز الحرف والصناعة التقليدية هو قلة تكلفتها ورأس مالها البسيط وفي الكثير من الأحيان هو لصاحب المشروع، وحسب تقرير مكتب الدراسة والاستشارة Ecotechnics أن 88,8% من المشروعات

---

[1] محمد هيكل ، **مهارات إدارة المشروعات الصغيرة**، الطبعة الأولى ، مجموعة النيل العربية ،القاهرة، 2003 ، ص. 142

[2] AUVOLAT.M, **les artisans en milieu rural, une force entravée**, économie rural, vol.238, 1999, p.5.

الحرفية في الجزائر قام أصحابها بتمويل استثماراتهم فيها بالاعتماد على مواردهم الخاصة وفق إحصائيات تم إحرازها سنة 2008 ،[1] ضف إلى أنها تعتمد على أدوات وتقنيات بسيطة .

إن بساطة الوسائل والتقنيات المستعملة في صنع المنتوج الحرفي التقليدي لم يقتصر على هذا فحسب بل تعداه إلى أن يتكفل الحرفي برأس مال مشروعه ويتحمل كافة تبعاتها ، هذا ما يجعل من هذه الحرف لا تتطلب الكثير من المال إذ يمكن لأي شخص أن يدير مشروعه كل حسب قدرته واستطاعته المادية .

2-5-3- البعد الثقافي، الحضاري، الإجتماعي الأصيل للمنتج التقليدي:

فنجد المنتوج الحرفي التقليدي يكتسي سيمات خاصة بحياة الشعوب وأعرافها وتقاليدها ، كما أنه يجسد مختلف إبداعاتهم ومواهبهم على طبيعتها، فنجده ذو أبعاد ثلاثة : [2]

أ-**البعد الثقافي:** باعتباره يعكس الموروث الثقافي التاريخي للبلد ويرتبط بعادات وتقاليد الشعوب، يتوارثه الأجيال المتعاقبة.

ب-**البعد الحضاري:** باعتبار المنتج التقليدي يتضمن مختلف أنماط الإبداع التلقائي للشعوب سواء كانت بدائية أو حضارية، لذا نجد المنتج التقليدي يعتمد على شكل وألوان وذوق السكان الأوائل من رموز للحيوانات والطبيعة وأشكال هندسية مختلفة، باستعمال مواد وألوان طبيعية تظهر في العديد من المنتجات كالزرابي والفخار.

ت-البعد الاجتماعي : فالمنتوج التقليدي الحرفي يعتبر مصدر عيش للكثيرين خاصة في المناطق الريفية وبالتالي فهو يساعد على استقرارهم الاجتماعي .

---

[1] - Ecotechnics, **Etude sur la production et l'emploi dans le secteur de l'artisanat et des metiers**, ministère de la PMEA, Alger, 2010,p 39.

[2] سالم عطية الحاج، **الصناعة التقليدية بين الموروث الثقافي والفاعلية الاقتصادية**، مجلة الحرفي، الجزائر، عدد خاص، 2001.ص 2

فالمنتوج الحرفي التقليدي يجتمع بداخله أبعادا ثلاثة تستطيع أن تجسد حياة الشعوب وتقاليدها وماضيها إبداعات أفرادها، سواء ما تعلق بالمجتمعات البدائية أو المتحضرة منها، فالغاية هي رسم معالم حضارية وثقافية تبقى راسخة ومتناقلة بين الأجيال، ضف إلى ما ذكرناه سابقا أن الصناعات الحرفية التقليدية تعتبر مصدر رزق للكثير من الأفراد تساعدهم على الاستقرار الاجتماعي.

2-5-4- انخفاض تكلفة توفير اليد العاملة:

في هذا القطاع يمكن بأقل قدر من الاستثمار توفير المزيد من فرص العمل، وبالتالي يعتبر قطاع مكثفا للعمالة وغير كثيف رأس المال، حيث يمكن اعتباره من الحلول الخاصة لحل مشكلة البطالة[1] ، في الجزائر على سبيل المثال يعتبر قطاع الصناعة التقليدية والحرف من أهم القطاعات التي تمنح مناصب شغل لصالح الشباب وبأقل تكلفة من بين 11 قطاع آخر، إذ يتموقع القطاع بعد كل من البناء والمهن الحرة والخدمات والصيانة.[2]

2-5-5- عمل فردي :

فهو عمل يرتبط بالحرفي صاحب المشروع فهذه الميزة تعد من أبرز ما يتميز به الحرفيون وممارسو النشاطات الحرفية التقليدية بالجزائر، إذ نجد أن الحرفي يلعب مختلف الأدوار فهو صاحب المشروع والقائم عليه والمسير له والمنتج لمصنوعاته ومسوقها فيهتم بكل شؤون عمله ذات الصلة بحرفته .

---

[1] مصطفى بن بادة، **اجتماع الجمعية الأولى للاتحاد العربي للصناعات التقليدية والحرف بالجزائر**، وزارة المؤسسات. الصغيرة والمتوسطة والصناعة التقليدية، الجزائر،2007.

[2] سالم عطية الحاج، **الصناعة التقليدية و الحرف : قطاع يبحث عن إستراتيجية** ، مجلة الحرفي ، الجزائر ،العدد .02 .2003.ص 19

2-5-6- ضألة حجم الإنتاج المساهم به قياسا بالطلب الداخلي والخارجي :

فالكميات التي يتم إنتاجها لا تتعدى وحدات معدودة مقارنة بالطلب، ويرجع ذلك إلى صغر حجم الورشات التي غالبا ما تكون فردية لا تتعدى أفراد العائلة وفي أحسن الأحوال نجد مستخدمين فضلا عن التخّلف التكنولوجي،[1] هذا ما يقزم من مساهمة القطاع ويجعل حجم إنتاجيته في السوق محدودة.

2-5-7- صعوبة مطابقة المنتجات الحرفية لمقاييس الجودة والنوعية:

لا يمكن وصف أي منتوج بالجودة مهما بلغت أهميته حتى تتطابق مواصفاته لمقاييس الجودة والنوعية والتي يحددها جملة من المعايير كالشكل والتقنيات والوسائل المستخدمة وغير ذلك، فلو يخضع المنتوج الحرفي التقليدي لكل المعايير سابقة الذكر لأفرغ من محتواه وروح الأصالة وصورة الهوية.

فحماية الموروث الحرفي من كل تقليد ضرورة لم تكفلها له إلا شهادة المطابقة التي ضمنت الحماية للمنتوج والحرفي معا.

2-5-8- ميزة الخفاء :

يغلب على معظم دول العالم الثالث التي تمتهن الصناعات الحرفية واليدوية هي ميزة الخفاء، التي ينتهجها الحرفيون في ممارسة نشاطاتهم من دون إذن أو تصريح رسمي من قبل السلطات المعنية، إذ نجد نسبة الحرفيين غير المسجلين في السجلات الخاصة بقطاع الحرف في الجزائر عالية تصل إلى حوالي 113.000 شخص[2]، يضيف في هذا السياق البرفيسور وأستاذ الاقتصاد بجامعة الإسكندرية **"أحمد يسري**

---

[1] شكري بن زعرور، **إشكالية تصدير المنتوج التقليدي نظرة كلية** ، مجلة الحرفي ،الجزائر، العدد 3. 2004.ص 10

[2] عبد الهادي أحمد، **الصناعة التقليدية و الحرف في الجزائر** ، ورشة عمل حول الصناعات التقليدية في الوطن العربي ، المغرب 17-19 سبتمبر 2005 ، ص. 04.

عبد الرحمان" أن" القطاع يعتمد على فئتي الأطفال والنساء مما يعرضهم لعقوبات في حالة انكشاف أمرهم"[1].

وحتى تمارس الحرفة بشفافية وأريحية أكثر، وجب على الحرفي أن يكون ضمن سياق قانوني يكفل له ولمشروعه السيرورة الحسنة والمضي قدما، من خلال كسبه للسجل التجاري الخاص بالحرفة الممارسة من قبله.

2-5-9- عامل سياحي مهم :

تعتبر الحرف والصناعة التقليدية بمختلف أشكالها ومنتوجاتها عنصر جذب هام وسياحي من الدرجة الأولى ، ضف إلى أنها تساهم في ارتفاع الدخل القومي من العملة الصعبة إذ ما قورنت بقطاعات أخرى فهي تعتمد على وسائل وأدوات بسيطة نذلك هو الحال مع تكاليفها كما أن حرفييها يتقاضون أجور منخفضة.

من كل ما سبق لا نرى في الحرف والصناعات التقليدية إلا منظومة ثقافية واجتماعية وحضارية مترابط، فجملة الخصائص التي تتمتع بها جعلتها متميزة عن غيرها وفريدة في إبداعها ومكانتها الفنية

فالحرف لم تكتفي كونها منتوجات صماء للزينة والتباهي، بل هي قصص وحياة مجتمعات بأكملها عايشت أزمنة وحقبا تاريخيا جسدتها تلك الحرف والمنتوجات التقليدية حتى ترسم حضارة وترسخ ذاكرة الأمم وهوية شعوبها.

2-6- واقع الحرف والصناعات التقليدية في الجزائر:

إن ظهور الحرف والصناعة التقليدية مرتبط بظهور الإنسان وما أراده لإشباع حاجياته من طعام ومأوى وصناعة ما يلزمه لذلك، فبالرغم من بساطة الأدوات والتقنيات المستخدمة حينها إلا أنها تعتبر أعلى درجات التقدم والتكنولوجيا لديه، فبعد صنعه للسهام والسكاكين تحول إلى متطلبات أخرى في ميدان الزراعة،

[1] أحمد يسري عبد الرحمان، **تنمية الصناعات الصغيرة و مشكلات تمويلها**، الدار الجامعية للطباعة و النشر والتوزيع.الاسكندرية.1996.ص ص 33.32

فما كان منه إلا أن يصنع أدوات الحرث ومنها إلى البناء وتشكيل البيوت والمنازل من الطين والحجارة، فكان يسعى دائما للتطوير والتأقلم مع الطبيعة للعيش والاستقرار والأمان.

2-6-1- الحرف في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي :

إن المميز للصناعات الحرفية في الجزائر إبان تواجد الاستعمار الفرنسي هو التدهور والتقهقر المفروض عليهم من قبل هذا الأخير، لما فرضه من نظام جعل الحرفيين يتخلون عن الحرفة والتوجه إلى العمالة لديه، حيث سيطرت فرنسا على اليد العاملة والمواد الأولية مما يصعب الحصول عليها بأثمان ليست في متناول الحرفيين، كما عملت بسياسة التصدير نحو دول أجنبية.

ولم تكتفي فرنسا بذلك بل عمدت إلى خلق قوانين هدفها عزل الجزائر تجاريا، وتلك القوانين التي حرمت الجزائر من حماية صناعاتها وحرفها الوطنية التي لم تستطع المنافسة مع الشركات الفرنسية الحديثة ،التي كانت تنتج بضائع وسلع ذات جودة عالية وأسعار أقل مما كانت تنتجه الصناعات الحرفية الجزائرية مما أدى إلى خنق الصناعة الحرفية الجزائرية وتدميرها.[1]

فما يلحظ على الحرف والصناعات التقليدية أثناء التواجد الفرنسي بالجزائر أنها كانت شبه منعدمة وكل هذا يعود إلى السياسات الاستعمارية المنتهجة ضدها، خاصة من جانب المواد الأولية التي عملت فرنسا على استخراجها والسيطرة عليها ثم تصنيعها إلى دول أخرى ،غير أن الحرف والصناعات التقليدية أثبتت أنها متأصلة ومتجذرة في المجتمع الجزائري وأنها جزء لا يتجزأ من إرثه الثقافي والحضاري خاصة بعد استقلال الجزائر سنة 1962.

2-6-2- الصناعة التقليدية والحرف بعد الاستقلال:

بعد مغادرة الاستعمار الفرنسي الجزائر استعادت هذه الأخيرة سيادتها واستقلالها، وشهدت خطوات نحو التقدم بدت واضحة خاصة في مجال الحرف والصناعات التقليدية، فهي مرأة عاكسة لماضيها وموروثها

[1] -فيلب رفلة، **جمهورية الجزائر سياسيا واقتصاديا وطبيعيا**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1956 ، ص 181

وخصوصياتها الثقافية، فعمدت الدولة الجزائرية إلى انتهاج استراتيجية لدعم قطاع الحرف وإنعاشه في مختلف الفترات التي سنراها على نحو التقسيم الآتي :

- **المرحلة الاولى : 1962- 1991**

وتميزت هذه المرحلة بتحقيق عدة إنجازات من خلال إنشاء المؤسسات الأتية .

أ/- **إنشاء مديرية الصناعة التقليدية :** يعود تاريخ تنظيم الصناعة التقليدية إلى السنوا ت الأولى من الاستقلال بصدور الأمر (62-25) والصادر شهر أوت سنة 1962 و المتعلق بتنظيم مديرية الصناعة التقليدية وصلاحياتها، حيث أنشأت تحت وصاية وزارة التصنيع والطاقة.[1] وفي شهر مارس 1963 تم إلحاق الصناعة التقليدية الفنية بوزارة الشباب والرياضة والسياحة[2]

وفي شهر ماي 1964م تم تحويل إدارة الصناعة التقليدية إلى وزارة السياحة بما فيها المؤسسات الانتفاعية الصغيرة والمتوسطة وفق القرار الوزاري المؤرخ في 25 ماي 1964، وتم إنشاء المكتب الوطني للصناعة التقليدية الجزائرية، وحددت مهامه من خلال المرسوم (64-194) والمؤرخ في 14 جوان 1964.[3]

وفي سنة 1965 م تم إلحاق مديرية الصناعة التقليدية بوزارة الصناعة والطاقة وفق المرسوم(65-136)[4]والمؤرخ في 18 ماي 1965.

ب/إنشاء الشركة الوطنية للصناعات التقليدية: شهدت سنة 1971م إنشاء الشركة الوطنية للصناعة التقليدية بعد حل المكتب الوطني للصناعة التقليدية الجزائرية، وفي سنة 1973م أصبحت تسمى مديرية

[1] الجريدة الرسمية رقم 5 المؤرخة في 23 نوفمبر 1962 م. ص 54

[2] المرسوم رقم 63-79 .بالجريدة الرسمية رقم 13.الؤرخة في 15 مارس 1963. ص 270.

[3] **الجريدة الرسمية رقم 14 المؤرخة في 14 جوان 1964 م. ص 226.**

[4] **الجريدة الرسمية رقم 42 المؤرخة في 18 ماي 1965 م. ص 555**

الصناعة التقليدية والحرف تحت وصاية وزارة الصناعة والطاقة، حيث كان الهدف من ذلك هو جمع صلاحيات سجل الحرف التي كانت من صلاحيات الديوان الوطني للملكية الصناعية.[1]

ت/- القانون الأساسي للحرفي :

تم سنة 1982م إصدار القانون رقم(12/82) المتضمن تعريف الحرفي وحقوقه وواجباته، و قواعد ممارسة الأعمال الحرفية ومجالاتها ويعرف ويحدد تنظيم التعاونية الحرفية، كما يؤكد استعداد الدولة لحماية وتشجيع ودعم الأعمال الحرفية وترقيتها وتطويرها نظرا لمنفعتها الاقتصادية والاجتماعية[2].

وفي سنة 1983م تم إصدار المرسوم (550/83) والذي جاء متمما لما تضمنه القانون السابق ويشمل سجل الصناعة اليدوية والذي يسجل فيه الحرفيون الفرديون وسجل أخر خاص بالحرف ،إذ يترتب عن هذا مباشرة التسجيل في السجل التجاري، ثم يليه المرسوم (551/83) الخاص بكيفية إعداد الفهرس الوطني للحرفيين والتعاونيات يتولى جميع المعلومات المتعلقة بالحرفيين والتعاونيات على المستوى الولائي يليه المرسوم (230/88) والمتضمن إعادة تنظيم سجل الصناعة اليدوية والحرف على أن يتم مسكه من طرف المجالس البلدية بدلا من الوالي، يليه القانون رقم (16/88) المؤرخ في 1988/05/10 الذي يعدل ويتمم القانون (12/82) والمتضمن القانون الأساسي للحرفي[3].

ما يمكن استخلاصه في هذه المرحلة أن قطاع الحرف والصناعات التقليدية بعد مغادرة الاستعمار الفرنسي للأراضي الجزائرية واسترجاع الحرية والاستقلال، ما أمكنها من إعادة حقها الضائع ومكانتها بين

---

[1] وزارة المؤسسات الصغيرة والمتوسطة والصناعة التقليدية. الغرفة الوطنية للصناعة التقليدية -**تطور قطاع الصناعة التقليدية والحرف في الجزائر 1962-2009**- الطبعة 2-2009- ص 3-4.

[2] **الجريدة الرسمية رقم 35 المؤرخة في28أوت 1982 م. ص 17 -4.**

[3] شكري بن زعرور ، **تطور الصناعة التقليدية في الجزائر 1962**-2009.الطبعة الثانية , الغرفة الوطنية للصناعة التقليدية والحرف , الجزائر .2009.ص ص 16-17.

الدول هذا ما عملت الجزائر على تحقيقه في شتى المجالات، فكان لقطاع الحرف والصناعات التقليدية حظا في هذا التغيير كغيرها من القطاعات خاصة أن هذا الأخير سيعمل جاهدا في حفظ الموروث الثقافي والهوية الوطنية التي عمل المستعمر الفرنسي على طمسها لسنوات عدة، فعملت السلطات الجزائرية على انتهاج سياسة لدعم القطاع من خلال مراحل ثلاثة، فبدأت في المرحلة الأولى في إنشاء مديرية الصناعة التقليدية ثم الشركة الوطنية للصناعات التقليدية ختاما بإصدار القانون الأساسي الخاص بالحرفي، فكانت كلها خطوات إيجابية لخلق قطاع متكامل يستند إلى نصوص قانونية صادرة عن المشرع الجزائري من شأنها أن تحمي الحرفة والحرفي .

- **المرحلة الثانية : 1992-2002**

لم تمر الأزمة الاقتصادية التي شهدتها الجزائر بين الفترة الممتدة بين (80-90) من القرن الماضي مرور الكرام خاصة على قطاع الحرف والصناعات التقليدية، فقد عرف القطاع تقهقرا وتراجعا ملحوظا من خلال انخفاض الإنتاج وعدم وجود مخطط واضح للنهوض به .

لكن ما بين (92-97) شهد القطاع حركة إيجابية من خلال إنجاز الغرفة الوطنية للصناعة التقليدية، حيث تم إنشاء 8 غرف جهوية حددت مقراتها بمقرات الولايات بموجب المرسوم رقم (92-10)[1] المؤرخ في 1992/01/09، ليتطور العدد الى 20 غرفة سنة 1997 م خاضعة لوصاية وزارة السياحة والصناعة التقليدية انطلاقا من جوان 1997م.[2]

[1] الامانة العامة للحكومة. **المرسوم الرئاسي رقم 92-307. المؤرخ في 19 يوليو 1992** . الجريدة الرسمية. العدد 56. يوليو 1992 .ص 21.

[2] المرجع نفسه . ص 35.

تم إنشاء الوكالة الوطنية للصناعة التقليدية عام 1992 وهي مؤسسة عمومية ذات طابع صناعي وتجاري، تتمتع بالشخصية المدنية والاستقلال تهدف إلى الحفاظ على مجمل الأنشطة المتعلقة بالصناعة التقليدية وترقيتها وتنشيطها وتوجيهها [1]، وكذا إنشاء الصندوق الوطني لترقية نشاطات الصناعة التقليدية.[2]

فسطرت هذه المرحلة أهداف تجلت في الرفع من سقف الحوار مع أكبر عدد ممكن من الحرفيين من خلال جملة البرامج الجهوية والملتقيات والصالونات والتظاهرات الدولية ، وكذا العمل على ترقية المنتوج الحرفي وتحسين التكوين داخل القطاع سواء للحرفيين أو مؤسساتهم.

أما عن المرحلة الثانية فقد ارتبطت بالأزمة الاقتصادية التي عرفتها الجزائر في الفترة الممتدة ما بين (80-90) من القرن الماضي مست جل القطاعات بما فيها قطاع الحرف والصناعات التقليدية، هذا الأخير عرف تراجعا واضحا نجم عنه ضعف الإنتاج والسير العشوائي للقطاع دون سياسة واضحة للنهوض به ،

غير أن هذا القطاع امتاز بنوع من الحركية ما بين (92-97) عمل فيها على إنشاء الغرفة الوطنية للصناعة التقليدية، وكذا الوكالة الوطنية للصناعة التقليدية والصندوق الوطني لترقية نشاطات الصناعة التقليدية، فكل هذه المؤسسات كان هدفها مشتركا كجلب أكبر يد عاملة من الحرفيين والعمل على ترقية المنتوج الحرفي من خلال التظاهرات الدولية والمعارض وغيرها.

---

[1] - Pmeart, **Renforcement De L'agence Nationale De L'artisanat Traditionnel Et Des Institutions Publiques Et Professionnelles** . Chargees De Promouvoir L'artisanat Tradionnel, Op.cit. , P.31

[2] جليلة بن العمودي، **استراتيجية تنمية قطاع الصناعة التقليدية والحرف بالجزائر في الفترة 2003-2010** دراسة حالة spl تطوير نظام إنتاج محلي بحرفة النسيج التقليدي بمنطقة تقّرت مذكرة ماجستير .كلية العلوم الاقتصادية والتجارية جامعة قاصدي. مرباح .ورقلة .2012/2011. ص 78.

- **المرحلة الثالثة : 2003-2009**

وهي مرحلة تطوير قطاع الحرف والصناعة التقليدية، فبعد الفاعلية التي قدمها قطاع الحرف والصناعات التقليدية والإبراز الكبير لإمكاناته الاقتصادية، لم يعد أمام الدولة إلا إسناده وتقديم الدعم له من خلال إلحاقه بالمؤسسات الصغيرة والمتوسطة، فعمل المسؤولون في القطاع إلى إيجاد استراتيجية أو مخطط لتنمية الصناعة التقليدية 2003-2010 [1]، وقد تبنت الإستراتيجية سبع أهداف تتمثل في[2]:

1- تنمية الشغل.

2- تغطية حاجات المجتمع من السلع والخدمات.

3- تحسين نوعية السلع والخدمات .

4- زيادة التكامل بين فروع النشاط الاقتصادي.

5- تدعيم الصادرات خارج المحروقات.

6- تحسين نوعية التكوين والتمهين.

7- دعم التنمية المحلية .

ولتحقيق هده الأهداف سطرت الاستراتيجية إحدى عشر (11) مجموعة من الإجراءات تتمثل في :

1- تبسيط النصوص التشريعية والتنظيمية.

2- تدعيم التأطير وتعزيزه.

3- تنمية نشاطات العمل المنزلي.

4- إعادة تأهيل للوحدات الحرفية والإنتاجية.

---

[1] وزارة المؤسسات الصغيرة والمتوسطة والصناعة التقليدية(2003) ، **مخطط عمل من أجل تنمية مستدامة للصناعة التقليدية آفاق 2010** . شركة اتصالات وإشارات. الجزائر.ص 14 .

[2] شكري بن عزوز، **تجربة الجزائر في تنمية قطاع الصناعة التقليدية والحرف 1992-2002**، ص ص 78.

5- تدعيم نشاطات الصياغة والمناولة.

6- تدعيم نشاطات التموين.

7- لدعم نشاطات تسويق المنتج التقليدي وترقيته وتصديره.

8-تحسين عمليات التكوين والتمهين.

9-دعم الحرفيين ماليا.

10-تحسين نظام المعلومات و الإتصال.

11-إستغلال فرص التعاون الدولي .

وما نلاحظه في المرحلة الثالثة والأخيرة هو الاعتماد على استراتيجية أو مخطط عمل، الهدف منه هو النهوض بالقطاع وتنمية الصناعة التقليدية، اعتمادا على جملة من الأهداف سطرتها الجهات الوصية أهمها دعم التنمية المحلية وتحسين نوعية الخدمات والمنتوجات وغيرها، يدخل كل هذا ضمن إجراءات مسطرة للقطاع كإعادة تأهيل الوحدات الحرفية ودعم الحرفيين ماديا ...إلخ، فكل هذه المساعي من شأنها أن تكون حافزا للحرفي حتى يبدع وينجز أكبر عدد ممكن من التحف الفنية والجمالية، التي يفجر فيها كما هائلا من التميز والحرفية التي كانت حبيسة الحواجز والعوائق المادية والاجتماعية .

إن التنوع والاختلاف الذي يتميز به قطاع الحرف والصناعات التقليدية ما هو إلا مزيج بين جملة من الحرف والصناعات التي تناقلتها الأجيال فيما بينها، حتى تحافظ على تاريخ المجتمعات وهوية الأمم والجزائر كغيرها من البلدان عرفت بالعديد من الحرف التي ميزتها عن غيرها كصناعة السلال والحلي والصناعات الجلدية والمصنوعات النحاسية هذه الاخيرة هي محور دراستنا.

2-7- حرفة النحاس كصناعة تقليدية :

تختلف الحرف والصناعات التقليدية وتتنوع من بيئة إلى أخرى ومن بلد إلى أخر، ففيها تتناغم النقوش والزخارف والرسوم بأيادي حرفية ماهرة مبدعة ترسم معالم ثقافية وحضارية تعكس واقع بلدان وماضيها، فلكل

دولة إرثها من زرابي ونسيج ومصنوعات يدوية يميزها عن غيرها، والجزائر كغيرها من البلدان تميزت بجملة من الحرف اليدوية والمصنوعات الحرفية باختلاف مناطقها، حيث اشتهرت مدينة قسنطينة بحرفة صناعة النحاس وتميزت بها، هذا ما سنعرضه في هذا المبحث حيث نتعرف إلى النحاس من حيث الملامح التاريخية والأنواع وكذا الصناعة والاستخدامات ثم نخلص إلى أنه أحد أهم الحرف والصناعات التقليدية في الجزائر عامة وقسنطينة على وجه خاص.

2-7-1- الملامح التاريخية للنحاس :

عرف النحاس على مر الأزمنة والعقود بأسماء تختلف باختلاف ألوانه والمعادن المضافة إليه ، فهو أول معدن استخدمه الإنسان والذي تم اكتشافه منذ القدم[1]، فهو معدن متواجد ليس ببعيد عن سطح الأرض، "فقد اكتشف الإنسان المعادن في فترة باكرة من تاريخه ويرجح العلماء أن النحاس أول المعادن التي عرفها الإنسان، فهو معدني يسهل اكتشافه لأنه يوجد في الطبيعة. "[2]

والنحاس وجد في الطبيعة على شكل قطع حمراء نقية مخلوطة بالصخور منذ أكثر من عشر ألاف سنة قبل الميلاد، وهذا النحاس يحتوي على فقاعات هوائية كثيرة ولا يصلح لصنع الأدوات منه، ولقد تغلب سكان حوض الرافدين على هذا العيب و زادوا من صلابة النحاس الفطري بالطرق عليه بالحجارة وبدأ استخدامه في الأغراض المعيشية منذ حوالي ستة ألاف سنة قبل الميلاد، وقد اعتبر هذا التاريخ بداية لعصر حضاري جديد في تاريخ البشرية.[3]

---

[1] نهى نبيل فهمي .**تطوير حرفة النحاس في القاهرة** .المؤتمر العلمي الدولي الاول للقصور المتخصصة. الموروث الفني والحرفي لغة تواصل بين الشعوب . مجلة التصميم الدولية .

[2] منى كامل العسوى. **المشغولات المعدنية**، ط 1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية و الاجتماعية، ص28

[3] Geneviève Bernoux . **Emaux Sur Cuivre,** Édition Eyrolles .Paris. 2002.page.65

ويقول الفيلسوف والمؤرخ الأمريكي **"ديورانت"** في كتابه " تاريخ الحضارة " " إن النحاس كان أول معدن استخدمه الإنسان فيما نعلم، وقد اكتشف في صحراء سيناء على شكل فلزات كبريتية، واستحصلوه منها بإحراقها بعد مزجها بالفحم النباتي الذي يرجع الأكاسيد المعدنية، ويحرر المعدن" [1]، فاستخدمه المصريون القدامى في صنع أنابيب لتوصيل مياه الشرب ، وأخرى لصرف المياه القذرة والفضلات من المنازل، فقد عثر الأثريون على ألف وثلاثمائة قدم من الأنابيب النحاسية في معبد هرم أبي صير الأسرة الخامسة (2750-2625ق م).[2]

وسنعرض فيما يلي تواجد النحاس في بعض الحضارات :

2-7-1-1- النحاس في حضارة ما بين النهرين القديمة :

إن حضارة ما بين النهرين ليست كغيرها من الحضارات فهي تعكس جمالية وروعة البلاد جعلت منها صورة مبهمة للحضارة الغربية لقرون خلت لما تحمله في طياتها من جوانب ثقافية مغايرة، فحدائق بابل المعلقة تعتبر نموذجا صارخا للحضارة العراقية وما تخفيه من أسرار جعلتها قبلة للعديد من السياح والعارفين بمجال الأثار والتحف، فعرفت حضارة ما بين النهرين القديمة كل من الحضارة السومرية القديمة والتي تمخض عنها البابليون في جنوب العراق وكذا الحضارة الأشورية في شمالها، حيث تميز

كلتا الحضارتين وإشتهرت "بصنع السبائك المعدنية لصنع الآلات وسواها، وكيفية الحصول على الألوان من المعادن لتلوين الجدران والزجاج والطوب المزجج."[3]

---

[1] محمد زهير البابا. **التعدين على اساس علم الكيمياء. إسهام الشعوب العربية في تقدم علم التعدين**. التراث العربي .ص ص26-27

[2] طرشي صبرينة .مرجع سابق .ص 54.

[3] ديورانت.**قصة الحضارة** .ترجمة محمد بدران.منشورات الادارة الثقافية في جامعة الدول العربية.القاهرة.المجلد 2 .ص 284.

2-7-1-2- النحاس في الحضارة السومرية (4000-2004 ق م) :

تعتبر الحضارة السومرية مهد الحضارات وأقدم المدن في العالم إذ "...وصلت حضارة السومريين إلى مستويات متقدمة ...فكانت الحرف اليدوية التقليدية واسعة الانتشار، وتحولت فيما بعد إلى صناعات حرفية متخصصة كل جماعة منها تحتفظ بأسرار حرفتها، أما تعلمها فيتم عبر المدى الطويل على يد حرفيين أكفاء في نظام شبيه بالنقابات المهنية، كما توزعت هذه الحرف على كل أرجاء البلاد بحيث يكون لكل حرفة سوق خاص بها"[1]، كما عرفت المجتمعات من خلال الحضارة السومرية " تنوع الصناعات الحرفية التقليدية كصناعة الفخار ومود البناء والأخشاب والصناعات المعدنية ومنتجاتها إذ كانت ترتكز هذه الأخيرة على القصدير والنحاس وتخلط عند الحاجة لصناعة ما يسمى بالبرونز، كما صنعوا من الحديد ألات فالمعادن والمواد كانت نادرة الحصول عليها"[2]، وكانت أولى استخدامات النحاس في بلاد واد الرافدين تجسدت في أدوات حربية، غير أن التطور الذي أثر في هذه الحضارة هو صهرها للنحاس ما أدى إلى تصنيعه بأشكال وأحجام مختلفة حققت به تطورا باهرا وقفزة في مجالها الصناعي المعدني"[3]، ثم عرفت" سلسلة من الحاجيات والمواد المصنعة من النحاس كالفأس قصيرة اليد، الرماح الحراب، الغلايات، المناشير، المفاتيح، الصناديق، النوافذ المشبكة ذات القضبان وغيرها"[4]، كما إكتشف فيما بعد داخل المقابر الملكية السومرية في مدينة "أورو" قطع فنية من الذهب واللازورد والنحاس تعود للملكة "بوأبي" او " شوباد" عام 2600 ق م"[5].

---

[1] صباح اسطيفان كجه جي.**الصناعة في تاريخ وادي الرافدين**.ط 1.مطبعة الاديب. بغداد.2002.ص ص 31 32" بتصرف".

[2] المرجع نفسه. بتصرف.

[3] وليد الجادر . **صناعة التعدين** . حضارة العراق . ج 2.1985. ص 240-241.بتصرف.

[4] مارتن ليفي، "**النحاس والبرونز في بلاد وادي الرافدين** "، مجلة النفط والتنمية، العددين 7 – 8 ،نيسان-مايس 1981.ص 127.

[5] ثروت عكاشة. **الفن العراقي القديم سومر بابل و اشور**. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت. ص .234.

إن ما جاءت به الحضارة السومرية لا يمكن إغفاله فقد كانت مجالا خصبا لصناعات عديدة لا سيما الحرفية التقليدية منها، نذكر بعضها كالصناعات الفخارية والسلال والصناعة المعدنية التي تمخضت عنها الصناعات النحاسية حيث كانت بداياتها بسيطة تجسدت في صنع أدوات حربية ثم تطورت فيما بعد لتصنع ما يمكنه أن يلبي حاجيات الأفراد ومتطلباتهم كالغلايات والصناديق وغيرها، هذا ما جعل الحضارة السومرية ترتقي وتصل إلى أعلى درجات التقدم خاصة في مجالها الصناعي المعدني.

2-7-1-3- النحاس في الحضارة البابلية (1894-539 ق م) :

" كانت بابل أكبر مدينة من مدن بلاد ما بين النهرين وأجملها على الإطلاق ...كما كان لسور المدينة مئة بوابة مصنوعة جميعها من النحاس بما في ذلك قطع الأغلاق"[1]، و كان من المعروف على سكان بابل غير فلاحيها أنهم يقومون بحفر الأراضي ليستخرجوا من جوفها مختلف المعادن على غرار الحديد والذهب والنحاس والفضة والرصاص، حيث كانت هذه المرحلة التاريخية تتميز بعملية صهر المعدن وسبكه، حيث قامت جميع الطبقات الاجتماعية آنذاك غنيها وفقيرها بجمع وتكديس هذه المعادن بل تعدى تقديسها لها لدرجة أنهم كانوا يكفنون موتاهم بالنحاس.[2]

2-7-1-4- النحاس في الحضارة الأشورية (2500-599 ق.م) :

إن معدن الحديد هو الذي تم اعتماده في الحضارة الأشورية بدل البرونز سنة 700 ق، وقد أكد الكثير من الدارسين والعارفين بالحضارات القديمة أنها لا تعتمد كلها على نسق واحد ولا تألف نمطا واحدا وحتى في استخداماتها الصناعية والمعدنية ، فهي تتغير وتتطور من حضارة لأخرى، ويؤكد الدكتور **"قيس حازم توفيق"** والدراس لتاريخ الحضارات أن "الأشوريون اقتبسوا التقنيات الخاصة بالحديد من عند الحيثيين الذين

---

[1] نسرين مرعشلي. **النحاس (ماهيته. خواصه. طرق استخداماته). حتى نهاية القرن السادس الهجري الى الثاني عشر الميلادي**. رسالة ماجيستير. معهد التراث العلمي العربي. جامعة حلب .2017.ص5.

[2] نسرين مرعشلي. مرجع سابق. ص 6.

كانوا يقطنون بلاد الأناضول"[1]، كإشارة منه أن أولى استخدامات الحديد لم تكن أشورية المصدر فهم إستوردوها بجميع تقنياتها ووسائلها من الأناضول، ويضيف ذات المصدر" أنهم صنعوا أنواعا كثيرة من الأسلحة الثقيلة والخفيفة... مكنتهم من إقامة أوسع إمبراطورية عرفها العالم القديم"[2]، فهم بهذا يعتبرونه المعدن الأول والأساسي عندهم لما يملكه من أهمية في مجال الصناعة خاصة الحربية منها، أضف إلى أنهم" وكانوا يتعاملون بالرصاص والنحاس والذهب والفضة وتقدمت صناعة الحديد والنحاس عندهم إلى حد أمكنهم من أن يلبسوا الجنود حللا حديدية سابغة، وألبسوا الرماة وحملة الرماح خوذات من النحاس أو الحديد وكانت أسلحتهم السهام والرماح والسيوف والهراوات المنتفخة الرؤوس والمقاذيف والبلطات الحربية كلها ذات الصنع النحاسي[3].

لو أمعنا النظر جيدا في الحضارتين السابقتين (البابلية والأشورية) نجد أن النسق الصناعي في تزايد وتصاعد مستمر، ففي الحضارة البابلية عرف معدن النحاس شهرة واسعة إذ تخللت معظم المصنوعات المتواجدة في تلك الفترة أبرزها الأبواب المائة الموجودة في سور المدينة، كانت كلها ذات الصنع النحاسي، كما تعدى استعمال المعدن إلى المبالغة في مكانته وصلت حد التقديس عندهم تمثلت في تكفين الموتى بالنحاس، هذا ما يبرز جليا أن الحضارة البابلية فاقت ذروتها مع المعدن وصلت إلى تمجيد كل ما هو نحاسي الصنع، أما عن الحضارة الأشورية فكانت مزيجا من المعادن اعتمدت في بداياتها على الحديد بديلا للبرونز، غير أنه سرعان ما استخدمت معادن أخرى كالنحاس والفضة والذهب وغيرها تجسدت في مصنوعات كانت أغلبها ذات الطابع الحربي .

---

[1] قيس حازم توفيق.**العلوم والمعارف في حضارة وادي الرافدين ووادي النيل في العصور القديمة**.ط1. اشور بانيبال للثقافة.2018.ص 97.

[2] المرجع السابق نفسه.

[3] ديو رانت . مرجع سابق .ص.34

فالحضارتين البابلية والأشورية كان لها نصيب وافر من الصناعات النحاسية، إذ عرفت المعدن النحاسي على سليقته الأولى ثم مزجته بالقصدير لتخرج ما يسمى بالبرونز ليكونا معا تحفا ومجسمات زينت بها معابدهم وأبوابهم و مداخلهم قصورهم وأسوار مدائنهم، وكذا استعملوه في صناعة اللوازم والعتاد الحربي ، كما صنعوا تماثيل ومنحوتات مما أدى إلى ازدهار التجارة لديهم في ذلك الوقت .

2-7-1-5- النحاس في الحضارة الصينية القديمة :

اعتمدت الحضارة الصينية على البرونز الذي هو مزيج بين النحاس والقصدير حيث أصبح صب البرونز ونقشه فنا من الفنون الجميلة الصينية، وأخرجت منه البلاد مجموعات تطلب حصر أسمائها وتصنيفها اثنين وأربعين مجلدا، وكان يصنع من البرونز أواني للحفلات الدينية التي تقيمها الحكومة أو يقيمها الأفراد في منازلهم وقد حول الفنانون الصينيون العديد من أنواع الأواني المنزلية إلى تحف فنية.[1]

فصنع الصينيون تحفا تمثل فنا راقيا زاد من روعة مدنها ، فقد بلغ "الفن الصيني ذروة مجده في عهد أسرة تشونغ (1279-960 ق م) فتعددت التحف وتباينت أشكالها فقد صنعت قدورا ودنان خمر* وأوان ومباخر وأسلحة ومرايا ونواقيس وطبول ومزهريات ملأت كل بيت من بيوت الصينيين[2]، كما عمد الصينيون إلى تسهيل معاملاتهم التجارية واليومية عن طريق سك النقود المعدنية .

---

[1] مصطفى موالدي .**العلوم والتكنولوجية في الحضارة الصينية القديمة**. مجلة التقدم العلمي . مؤسسة الكويت للتقدم العلمي .الكويت . العدد 86. 2014.ص 38.

* الدن :الراقون العظيم : اناء من خزف مستطيل .او مستوي الصنعة في اسفله كهيئة قونس البيضة .له عسعس لا يقعد الا ان يحفر له .والجمع هو الدنان وهي الجرة الضخمة للخمر والزيوت وغيرها.قاموس المعاني.يوم 2024/02/17.ساعة 15:48.

[2] محمد مرتضى الزبيدي الحافظ. **تاج العروس من جواهر القاموس** .دار الهداية.الكويت.ط2. 1424.ص

لكن سرعان ما تراجع هذا الفن وتقهقر ويعود السبب في ذلك إلى قلة الجودة التي لا تتمتع بها التحف رغم كثرتها ، فأصبح بذلك فنا عاما يخلوا من الرقي والإبداع والخصوصية ، حيث خصص لصنع الأغراض والوسائل عادية الصنع المستخدمة للاحتياجات اليومية كآنيات الطبخ مثلا.

2-7-1-6- النحاس في الحضارة المصرية القديمة :

عرف المصريون القدماء خامات النحاس واستخرجوا الفلز منذ عصر البداري وهو عصر ما قبل الأسرات (4500-4200 ق م)، ومازالت المناجم القديمة التي كان يستغلها القدماء في شبه جزيرة سيناء وخاصة وادي نصب ناتجا من استغلال خامة النحاس وتحويلها إلى فلز النحاس ، وكانوا يسمونه فلز وأهم خاماته التي كانت معروفة لديهم هي المالاكيت الدهنج* ، الأزوريت النحاس اللازورد، الكرسوكولا لزاق الذهب[2].

فاعتمدت الحضارة المصرية القديمة على النحاس في صناعاتها لمختلف الوسائل والآلات والحلي وكذا الأسلحة واللوازم المنزلية ، يقول" **رمسيس الثالث "** في هذا الصدد "بعثت رسلي إلى أرض أتيكا في الأماكن الكبيرة التي تشتغل باستخراج النحاس الموجود هناك فشحنت المراكب بهم ... و وجدت أماكن صنع النحاس فحملت الخامات بواسطة ألاف الناس في السفن البحرية، فأرسلت لمصر سالمة ...على شكل كتل صغيرة، كانت تشبه الذهب في لونها ،إذ أنها عولجت بالنار ثلاث مرات.[3]

---

[1] * الدهنج : هو حجر اخضر في لون الزبرجد يوجد في معدن النحاس،والدهنج بفتح الهاء جوهر كزمرد،قاموس المعاني،يوم 2024/02/21، ساعة 11:48.

[2] احمد سعيد. الدمرداش، **النحاس وملوناته قديما وحديثا**. مجلة الجمعية المصرية لتاريخ العلوم. دار مصر للطباعة. القاهرة .ما بين الاعداد 2-8.عدد خاص 1953-1973.ص 54.

[3] الدمرداش .مرجع سابق .ص 55.

ثم عرف المصريون أن للنحاس خاصية التشكيل عليه وهو بارد فاستخدموا المطارق الخشبية ليحولوا قطع النحاس إلى صفائح مطروقة يسهل تشكيلها، ومن أشهر التماثيل المصنوعة من النحاس المطروق تمثال الملك **"بيبي الاول"** من عصر الأسرة السادسة[1].

إن ما يمكن قوله حول الحضارة المصرية القديمة أنها كغيرها من الحضارات عرفت معدن النحاس منذ زمن بعيد ولا زالت أثاره متواجد في مدن مصرية الى حد اليوم، تجسدت في مناجم استغلت لاستخراج هذا المعدن، كما تنوعت صناعاتها المعدنية النحاسية وتعددت بين أواني منزلية وأخرى للزينة وكذا الآلات والوسائل الحربية ، ثم تطورت فيما بعد إلى صنع التماثيل تمجيدا منها وتخليد للأسر الحاكمة آنذاك .

2-7-1-7- النحاس في الحضارة العربية الإسلامية :

عرفت الحضارة الإسلامية معادن متنوعة ومتعددة كغيرها من الحضارات، فكان النحاس أحد المعادن التي لاقت رواجا وصيتا واسعا، إذ شكلت منه العديد من المصنوعات والمشغولات النحاسية بالغة الإتقان والحرفية ساهمت في تقدم الحضارة الإسلامية من خلال الزخارف والرسومات التي عبر فيها الصانعون عن حقبة تاريخية وأزمنة حضارية عاشها الإنسان.

إن التحف والمصنوعات قبل مجيئ الحضارة الإسلامية لم تكن على قدر كبير من الحرفية والإتقان مثل ما أصبحت عليه بظهور الإسلام والفتوحات الإسلامية، فقد اتسمت المشغولات النحاسية في فترة ما قبل الإسلام بالبساطة "من حيث زخارفها ورسوماتها تعكس بساطة أصحابها"[2]، ولكن بظهور الإسلام

[1] يونس سناء حسون .**المعادن والتعدين في مصر القديمة.** مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية .المجلد 17.العدد8. 2010. ص 477.

[2] –راوية عبد المنعم محمد خليل، **مبهرة من النحاس ترجع الى النص الثاني من القرن الثالث عشر هجري–النصف الثاني للقرن التاسع عشر الميلادي**، مجلة العمارة والفنون والعلوم الانسانية، المجلد السادس،العدد26،مترس 2021،ص ص 655–666.

والاحتكاكات المتعاقبة بالبلدان والمجتمعات الأخرى من خلال الفتوحات الإسلامية، هذه الأخيرة فتحت الباب واسعا أمام المسلمين والحضارة الإسلامية بأكملها حتى تنهل من مختلف المجالات والاختصاصات فعرفت بذلك قفزة تطورية ونقلة حضارية جراء ما أفرزه انفتاحها على الحضارات المغايرة.

لقد بدل المسلمون جهدا كبيرا ومالا أكبر في ترجمة ما وقع بين أيديهم من كتب وتفسيرها، فانطلقوا من القرآن الكريم وسنة نبيه **"محمد صلى الله عليه وسلم"** لفهم المعادن، ثم عملوا بأمانة بالغة في نقل كل التسميات والمعارف التي وجدوها داخل هذه الكتب من تعاريف للنحاس وأنواعه واستخداماته وخصائصه، بل ولم يكتفي العلماء العرب والمسلمين" فأبدعوا في تقنيات صناعة المنتجات النحاسية والبرونزية، فطوروا تقنيات تصنيعها وجعلوها تضاهي بجمالها المنتجات الذهبية، التزاما بإتباع الشريعة الإسلامية ولاهتمامهم بصنعها بشكل متقن لحكامهم"[1].

فتميزت الحضارة الإسلامية بالرقي والازدهار باعتمادها على مختلف المعادن خاصة النحاس حيث أقحمته في مجالات عدة منها الطب، والكيمياء، وصناعة العتاد الحربي ومختلف الأسلحة، ناهيك عن الاستعمالات اليومية كالأواني والأدوات المطبخية وغيرها .

لقد عرفت الصناعات المعدنية رواجا منقطع النظير لا سيما في الحضارة الإسلامية، فشهدت تعددا في أشكالها ومجالات استخدامها، كانت ذات أسس جمالية وفنية نابعة من حضارة عريقة وراقية عرفت التطور والازدهار، تمخض عنها موروث مادي إسلامي كانا مزيجا بين الديانة الإسلامية والتقاليد والعادات الثقافية الأصيلة فكانت المصنوعات النحاسية هي الصورة العاكسة لكل ما سبق.

فعمل الحرفيون والصناع المتخصصون في الصناعات النحاسية على رسم لوحات جمالية وفنية تلامس حضارة بأكملها، من خلال تلك النقوش والزخارف التي وضعت على المشغولات النحاسية

[1] –ناصر الدين سعيدوني . والشيخ المهدي بوعبدلي. **الجزائر في التاريخ.ج4.العهد العثماني**. المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر1984.ص 61.

توحي كل تحفة منها على عمق التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ومدى التطور والرقي التي وصلت إليه هذه الاخيرة آنذاك.

2-7-1-8-النحاس في عهد الدولة العثمانية :

عرفت الصناعات الحرفية إبان التواجد العثماني بالجزائر تنوعا وتميزا ملحوظا، حيث مارس الحرفيون والصناع العديد من المهن في مدن مختلفة داخل ورشاتهم ودكاكينهم ،و تميزت هذه الفترة بالتنظيم المحكم والدقيق، فكان الحرفيون منخرطون في جماعات وكانت كل حرفة تخضع لسلطة رئيس يلقب بالأمين يرجع إليه في حل المشاكل التي تشمل شؤون المهنة ، وامتازت هذه الفترة بخاصية" توريث الحرفة أبا عن جد".[1]

كما إمتهن مختلف سكان الجزائر صناعة النحاس، وصنعوا من هذا المعدن "بعض الأواني و أدوات الزينة الخاصة بالنساء" [2]، ناهيك عن" تحويل البيت إلى مكان لمزاولة الحرفة فأصبح يلعب دور المأوى وورشة العمل" [3]، بحيث يقوم الحرفي بصنع التحف النحاسية داخل بيته وبيعها.

وارتكزت صناعة النحاس في هذه الفترة في جل ربوع الوطن على غرار تلمسان والجزائر العاصمة وغرداية وعلى غرار هذه المدن نجد مدينة قسنطينة "أعرق حواضر الشرق الجزائري والتي كانت مقصدا ومستقرا للعديد من الأسر الأندلسية الذين أثروا في العادات والتقاليد الفنية للمنطقة، وأعطت حركة للحرف والصناعات و أكسبتها طابعا مميزا "[4]، وقسنطينة آنذاك كانت تمثل " عاصمة بايلك الشرق " يحكمها نائب

---

[1] نسرين مرعشلي،مرجع سابق.

[2] ناصر الدين ،سعيدوني .**النظام المالي بالجزائر في العهد العثماني.1800-1830**. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر 1979 . ص 36.

[3] سمير بوطيش. **الصناعات النحاسية الجزائرية في العهد العثماني** .معهد علم الاثار.جامعة الجزائر2 .مجلة القرطاس .العدد04.جانفي .2017.ص ص 51-73

[4] عبد القادر حليمي. **أصول النشأة لمدينة الجزائر**. مجلة الاصالة. الجزائر .دون تاريخ. ص 8.

عن الباشا بالجزائر العاصمة يحكم لقب الباي، وهي تأتي بعد مدينة الجزائر من حيث الأهمية "[1] كما أنها كانت تضم الحرفيين المهرة .

إن الملاحظ عن الدولة العثمانية أنها أولت اهتماما كبيرا بحرفة النحاسة وأعطت لها طابعا رسميا وأهمية بالغة ، تجسد في جموع الدكاكين والحوانيت المتواجد في كل مكان، كما وضعت مخططا لتنظيم الحرفة وصناعها يشرف على فك النزاعات بين الحرفين ومعرفة أهم المشاكل التي تواجه الصنعة.

كما تميزت هذه الحقبة بخاصية مهمة جدا لحرفة النحاسة ألا وهي " خاصية التوريث"، هذه الاخيرة لا زال لها الأثر الملحوظ في حرفة النحاس بمدينة قسنطينة، فحين قيامنا بخرجاتنا الميدانية واقترابنا من مبحوثينا وجدنا أن منهم من يعتمد هذه الخاصية من عهد قديم وأنهم لا يأمنون الحرفة إن خرجت عن الطابع الأسري المتوارث فيما بينهم.

وعرفت حرفة النحاسة توسعا شمل جل ربوع الجزائر لما لها من أهمية ومكانة لدى العائلات الجزائرية خاصة أنها اعتمدت الأدوات والأواني النحاسية في موائدها وتزيين بيوتها ومنازلها، حيث استعملت الأباريق والصحون والصواني متعددة الأشكال والاستعمالات وزينت غرفها بالثريات والبراويز والخزانات ذات الزخارف والنقوش العريقة التي زادت البيوت رونقا وجمالا .

ولم يتوانا الصناع والحرفيون في تقديم أجود المصنوعات النحاسية التي من خلالها عبروا عن إبداعاتهم ومهاراتهم الفنية ومدى حبهم وتعلقهم بالحرفة ، جسدتها تحف ومصنوعاتهم من إبداع أناملهم تاركة من خلالها بصمة جمالية منفردة بحس فني متميز.

إن ما يمكن أن نخلص إليه من كل الحضارات والأزمنة سابقة الذكر أن المعادن بالنسبة إليها من أهم وأبرز العوامل الأساسية التي لعبت دورا هاما وبارزا في تطورها وتسارع وتيرة تقدمها وازدهارها، فاشتهر العديد منها على غرار الحديد والذهب والفضة والنحاس وغيرها، هذا الأخير ذاع صيته وشملت مصنوعاته

[1] حمد الصالح بن العنتري .**تاريخ قسنطينة**. دار هومة. الجزائر . 2007 . ص 25 .

كل الحقب التاريخية والحضارات، فكانت بداياته حضارة ما بين النهرين القديمة والتي شملت كل من الحضارة السومرية والبابلية إضافة إلى الحضارة الأشورية، ففي الأولى كانت بدايات حرفة النحاس والصناعات النحاسية بسيطة بساطة الأدوات والوسائل المستخدمة ثم تطورت إلى صنع مختلف حاجيات الأفراد وتلبية متطلباتهم التي تساعدهم في التأقلم والعيش هذا التطور وإن كان بسيطا إلا أنه أعطى دفعا في تقدم المجال الصناعي للحضارة السومرية .

أما عن الحضارتين البابلية والأشورية كان التطور والازدهار هو ما اتسمت به الحضارتين معا، إذ عرفت النحاسيات بمختلف مصنوعاتها شهرة واسعة وصلت إلى حد تكفين الموتى بالنحاس وتزيين المعابد والقصور والأبواب وغيرها ، يعني أن معدن النحاس عرف تمجيدا وتقديسا ملفتا في هاتين الحضارتين .

وعن الحضارة الصينية القديمة فقد اعتمدت على البرونز وهو عبارة عن مزيج بين النحاس والقصدير في كل مصنوعاتها، غير أن هذه المشغولات عرفت تراجعا وقلة إقبال نظرا لضعف جودتها ونقص الإبداع والإتقان فيها، فاقتصرت جل المصنوعات في هذه الحضارة على الوسائل البسيطة كأواني للطبخ والأدوات ذات الاستعمال اليومي .

أما في الحضارة المصرية القديمة فقد اعتمدت على معدن النحاس كغيرها من الحضارات، وأعطت له نصيبا وافرا من الأهمية وصل حد التمجيد والتخليد خاصة للأسرة الحاكمة آنذاك، فصنعت لهم تماثيل من النحاس في صورة راسخة لألاف السنين.

غير أن ما جاءت به الحضارة الإسلامية مغاير تماما لسابقاتها من الحضارات ، نظرا لكمية الفتوحات التي قام بها المسلمون كانت أحد أهم الأسباب في انفتاحهم على التبادل الثقافي والحضاري، فقد عرفت المشغولات النحاسية في بداياتها أي قبل مجيء الإسلام على أنها بسيطة بساطة أصحابها ، لكن بعد ظهور الإسلام وما جاء به من تغيرات جذرية وإطلالات على المجتمعات والحضارات الأخرى. فقد شهد مجال الصناعات في الحضارة الإسلامية تطورا لافتا أعطى صورة عن الإنسان المسلم وتقاليده وعاداته جسدت من

خلال تحف ومصنوعات نحاسية عبر فيها حرفيون وصناع مهرة عن حضارة عريقة، عن طريق موروث مادي كان مزيجا بين الدين الإسلامي والممارسات الثقافية للفرد المسلم.

ختاما بالنحاس في عهد الدولة العثمانية حيث عرفت الصناعات الحرفية بها تنوعا وتميزا وذلك ما يفسر وجود العديد من الحرفيين، كما عرفت حرفة النحاسة في هذه الفترة خاصية التوريث التي من شأنها أن تساهم في الحفاظ على الحرفة وحمايتها من الاندثار والزوال.

عرف معدن النحاس تطورا في كل الحضارات نجم عنه جملة من المصنوعات النحاسية في منتهى الجمالية والفن وصلت إلى مستويات رفيعة، من خلال ما تجسده أنامل الحرفيين والصناع من تحف ذات زخارف ونقوش ورسومات تحاكي واقعا معاشا وحقبا وحضارات غابرة، تناقلها قدامى الحرفيين أمثالهم حتى يتسنى لهذا الموروث المادي والثقافي أن يتوارث عبر مختلف الحضارات ويرسخ هويات الأمم وذاكرتها في أذهان أبنائها .

فرغم اختلاف المصنوعات النحاسية وتنوعها من حضارة إلى أخرى وكذا اختلاف مجالات استخدامها إلا أن كل الحضارات اتفقت على حجم الجمالية والإبداع والإتقان التي تتسم بها أي قطعة صنع منها هذا المعدن وصل حد التمجيد والتقديس عند بعضها.

2-7-2- النحاس وأنواعه:

لقد ورد العديد من التسميات التي أطلقت على معدن النحاس في القرآن الكريم قوله تعالى "**وأسلنا له عين القطر**" سورة سبأ الآية 12، حيث عرف المصطلحين في معجم شرح القرآن الكريم على النحو الآتي : النحاس هو فلز معروف تصنع منه الأنية والقدور، أما القطر فيعني النحاس المذاب[1]، فمعدن النحاس من أقدم المعادن التي عرفتها البشرية، إذ استخدمه الإنسان في بداياته كمرحلة انتقالية من الحياة الحجرية إلى

[1] إبراهيم حمروش واخرون .**معجم الفاظ القران الكريم**. مجمع اللغة العربية. الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر.ط2.المجلد 2.1390هـ-1970م.ص ص .690-403 .

الحياة المعدنية، فيها صنع السيوف والرماح لاصطياد فرائسه والقدور للطهي وكل ما يراه ضروريا لحياته اليومية، فكان في كل حضارة يتفنن في صنع منتوجات نحاسية أكثر أهمية وقيمة من ذي قبل وبجودة عالية ودقة أكبر، وتنوعت مصنوعاته من أباريق وصينيات ومزهريات وحاملات للشمع وغيرها، حيث نلمس الاختلاف من بلد لأخر.

فالنحاس من المعادن التي تتميز بلون أحمر إلى برتقالي"[1]، وبما أنه متين فهو قابل لكل أنواع الطرق"[2]، فيشكل بعد طرقه آنيات وأدوات متنوعة ومختلفة الاستخدامات، فالمميزات التي ينفرد بها معدن النحاس بداية من استخراجه من الأرض إلى عمليات الإضافة التي تعتريه حتى يكون جاهزا للاستخدام وهذه الأخيرة تبرز أنواعا لمعدن النحاس وهي :

2-7-2-1- النحاس الأصفر:

النحاس الأصفر هو مزيج بين الزنك والنحاس وهو نوع قابل للطي والطرق ، لكنه يحتاج "إلى مهارة خاصة في تشكيله لأنه يتشقق نتيجة لتواجد الزنك فيه"[3]، ومن ناحية الصلابة نجد النحاس الأصفر أكثر صلابة مقارنة مع النوع الأحمر، ونجد له استخدامات منها الآلات الموسيقية كما أنه موصل جيد للحرارة والكهرباء [4] ، ويستخدم غالبا في الأماكن التي يتجنب فيها حدوث شرارة نتيجة الاحتكاك كالأجهزة والمعدات المحيطة بالغازات المتفجرة.[5]

---

[1] مريم زروالي. **أساليب وادوات زخرفة النحاسيات في العهد العثماني.**"ورشة ادريس امين خوجة انموذجا""مجلة المعيار.مجلد24.العدد50.سنة 2020.ص ص 666-678.

[2] احمد الطايش.**الفنون الزخرفية الاسلامية المبكرة.** مكتبة زهراء الشرق. القاهرة.2000.ص 50.

[3] عائشة حنفي، **خواص مادة النحاس وطرق علاجها**، معهد الاثار، جامعة الجزائر 2، ص 339-352.

[4] عنايات المهدي ، **فن اشغال المعادن والصياغة** ،القاهرة ،1993،ص 16-17.

[5] طرشي صبرينة، مرجع سابق ،ص 72.

كما أن هناك أنواع أخرى من النحاس الأصفر "بحسب المعادن المضافة إليه كالقصدير الذي يجعله مقاوم للتآكل، وعرف النحاس الأصفر في الجزائر بإسم النحاس الصيني"[1]، وفي مثل هذا النوع من النحاس" تكون نسبة النحاس أكبر من الزنك وذلك حتى يكون أكثر ليونة ويمكن تشغيله وهو بارد "[2].

وسمي هذا النوع من النحاس أيضا بالنحاس الذهبي نسبة إلى الذهب لأنه يشبهه في لونه الذهبي اللامع، وينصهر عند أدنى درجة حرارة بالإضافة إلى القصدير الذي يستعمل لتغطية أواني الطبخ لتعطيها لونا أبيضا"[3].

لذا يستوجب على الصانع عند لحامه الحيطة والحذر كما يتميز بالليونة وسهولة التشغيل فيه على البارد كبقية أنواع النحاس الأخرى، وبالتالي فهو لا يحتاج إلى عمليات تخمر شديدة".[4]

إن ما يتمتع به النحاس الأصفر من مميزات على غرار الطي والطرق، جعلته محل استخدام واسع مؤخرا لا سيما في قسنطينة عاصمة الشرق الجزائري، فقد حضي النحاس الأصفر داخل أسوار المدينة وخارجها باستقطاب وانتشار منقطع النظير، حيث عمد حرفييو النحاس إلى صنع مختلف القطع والمشغولات النحاسية التي من شأنها أن تجذب العائلات وعشاق النحاس أينما كانوا، فعمدوا إلى صنع الصواني والأباريق وقطع الزينة على اختلاف أشكالها ، حيث أصبح النحاس الأصفر بقسنطينة في الآونة الأخيرة وجهة المدينة وقبلة زائريها وزينة ضرورية لموائد المناسبات الاجتماعية والدينية.

2-7-2-2-البرونز :

وهو خليط بين القصدير والنحاس معروف بشدة صلابته، ويعد الأفضل من ناحية مقاومة العوامل الجوية والأكسدة، والعلاقة بين العنصرين عكسية نلخصها في خاصتين: فالأولى أن إضافة القصدير بنسبة

---

[1] محمد احمد زهران ،**فنون اشغال المعادن والتحف** ،مكتبة الانجلو المصرية،القاهرة،1965،ص 15.

[2] المرجع نفسه ، ص 4.

[3] Perrier M. Ibid. p19

[4] Eudel P, **L'orfèvrerie algérienne et tunisienne**, Jourdan, Alger, 1902

4 بالمائة تزيد من قوة النحاس وتصبح من خلاله السبيكة أكثر قوة وصلابة، لكن إذا قمنا بإضافة القصدير بنسب أكبر من ذلك فهو يؤدي إلى هشاشة السبيكة.[1]

أما الخاصية الثانية فهي في عملية الانصهار فدرجة انصهار لبرونز أقل من انصهار النحاس، فهذا الأخير ينكمش حجمه عند برودته إضافة إلى امتصاصه للأكسجين والغازات المتواجدة في الطبيعة وبالتالي لا يصلح للصب، ويصبح البرونز الأقرب في استخدام الأواني التي تعتمد على استخدام القوالب في تشكيلها[2]. كما أن سبائك هذا النوع من النحاس " تتميز بقوة الشد والمقاومة الجيدة للتآكل في مياه البحر"[3].

إن ما يملكه معدن البرونز من خصائص كانخفاض احتكاكه ضد معادن أخرى ومقاومته العالية للعوامل الجوية من خلال طبقته التي تعمل على حمايته من التآكل، حيث برزت استخداماته منذ قرون خلت خاصة في صناعة الدروع والأسلحة أيام الحروب، ثم انتقلت استخداماته إلى صناعة أجزاء من الآلات الموسيقية كما استعمل في صنع الأبواب والثريات والشمعدان وغيرها من الأدوات التي كانت تستخدم في مختلف الطقوس ، ويعتبر معدنا ذو أهمية وقيمة تاريخية كبيرة إذ بفضله انتقلت البشرية من استخدام الأدوات والوسائل الحجرية إلى إستخدام هذا المعدن كمادة بالغة الأهمية لصناعة الأدوات والأسلحة كالفؤوس والسهام والرماح وغيرها، " ووجد البرونز في الجزائر في عدة مواقع أهمها الكروم عين قدارة، عرق الراوي، هذه الأخيرة تقع بالجنوب الغربي لوهران...حيث عثر على رأس سهم مصنوع من مادة البرونز " [4]، كما أنه من أشهر المعادن وأكثرها صلابة .

---

[1] عبد العزيز صلاح سالم، **الفنون الاسلامية في العصر الأيوبي**، القاهرة ،1999، ص22

[2] نفس المرجع، ص27.

[3] عبير غريب عبد الله ابراهيم،**علاج وصيانة المعادن** "**صياغة تشكيل ومعالجة** "،كلية الفنون الجميلة ،قسم ترميم الاثار ،جامعة المنيا،2020/2019.ص 38.

[4] عزيز ساجد، **عصر المعادن في بلاد المغرب "حالة المعادن"**، معهد الاثار، جامعة الجزائر2، مجلة الدراسات الاثرية، العدد9،الرقم1، ص 08-21،سنة 2011.

2-6-2-3- النحاس الأحمر :

المعروف على هذا النوع من النحاس أنه الأكثر استخداما كونه يمتاز" بالطراوة والسهولة في التشكيل وذلك أثناء عملية الطرق دون أن يحدث له انكسار، ونظرا لهاتين الخاصيتين فإنه يمكن تحويله إلى أسلاك رقيقة ويسمح بتحويله إلى صفائح في غاية الرقة"[1]، يتميز عن بقية أنواع النحاس الأخرى لكونه "لا تضاف له أي معادن أخرى، إذ يدخل في تكوين النحاس الأصفر بنسبة كبيرة "[2]

وهو يكتسب النشفة أثناء تشكيله مما يلتزم تخميره وتسخينه إلى درجة الإحمرار ثم يغمس في الماء مباشرة."[3]

ما يتميز به هذا النوع من النحاس يعتبر غريبا عن سابقيه، فهو رغم السهولة والليونة التي يتمتع بها إلا أنه لا ينكسر ولا يتشقق، كما يصنع منه الصفائح الرقيقة والأسلاك النحاسية التي تستخدم في توصيل الكهرباء والتي تتحمل أعلى درجاتها، كون النحاس الأحمر مقاوم للتآكل وعلى غرار غيره من أنواع النحاس يعتبر النحاس الأحمر الأكثر نقاوة منهم فهو لا يحتوي على كميات كبيرة من القصدير والرصاص وغيرها.

2-7-3- استخدامات النحاس :

لقد عرف معدن النحاس العديد من الاستخدامات وذلك منذ البدايات الأولى حيث طوعه الإنسان رغبة منه في تلبية حاجياته وإشباع أولوياته اليومية والمتنوعة، فصنع قديما الأواني المنزلية فكانت القدور للطهي والدلاء لحمل الماء، وأخرى للصيد والزراعة، كما استعد للحروب بالدروع والأسلحة المختلفة واستخدمه لصناعة العملات المعدنية، وكان في كل مرة يطور من مصنوعاته التي اعتمد فيها على النحاس، فاليوم أصبح استعماله للمعدن أوسع وأشمل تجلت استخداماته فيما يلي :

---

[1] Perrier M, **Le livre de dandiner**, dessin et tolra, Paris, 1979, P 20.

[2] محمد احمد زهران، مرجع سابق ،ص ص 4-5

[3] Perrier M, Ibid, p20

2-7-3-1- الكهرباء : تعتبر صناعة الكهرباء الأكثر استخداما للنحاس نظرا للخصائص الفريدة التي يتمتع بها من مرونة ومقاومة التأكل، فهو ناقل جيد للكهرباء والحرارة حيث يستخدم في صناعة الأنابيب الخاصة بالمدفأة كما يدخل في صناعة الكوابل الكهربائية والمولدات، إضافة إلى استعمالات كهربائية أخرى كالحواسيب والأجهزة الإلكترونية والهواتف ومولدات الطاقة، ويستخدم كذلك في صنع أسلاك لخطوط الأنترنيت.

2-7-3-2- اللحام: حيث يعتبر الحام بالنحاس من أقدم الصناعات حيث استخدمه الحدادون وصانعوا المجوهرات والدروع والأسلحة وأصحاب الحرف اليدوية، ويعتبر اللحام بالنحاس أحد الأساليب الأساسية لوصل الفلزات ببعضها البعض، حيث تشتهر هذه الطريقة في صنع الآلات الموسيقية النحاسية مثل الأبواق والأجهزة الأخرى التي يتم لحامها بالنحاس والزنك.[1]

2-6-3-3- المواصلات: إن قطاع النقل والمواصلات بمختلف وسائله من سيارات وقطارات وطائرات وسفن وغيرها تعتمد في جلها على معدن النحاس فهو ذو ميزة بالغة الأهمية تتمثل في نقل الحرارة والكهرباء.

2-7-3-4 البناء : أما في مجال البناء فكان معدن النحاس أحد أهم المعادن المعمارية التي اعتمدت منذ القدم في تزيين الأبراج وقبب المساجد والبيوت الفاخرة، ثم اعتمدت في وسائل الإنارة والحنفيات فهو مقاوم للصدأ، كما استخدم النحاس في المستشفيات والعديد من المرافق الطبية .

[1] طرشي صبرينة . مرجع سابق. ص ص 57-58

2-7-3-5-الغذاء : كما يتجلى استخدامه في حياة البشر لا سيما في غذاء الإنسان فهو" يكون بنسبة ما بين 2 إلى 5 غرام في اليوم ، ولكن الزيادة عن ذلك قد تسبب وعكة صحية والإصابة بمرض "ويلسون" الذي يظهر في أغشية الجسم، كما يستخدم في تحاليل السكر".[1]

2-7-3-6- صناعة السبائك: يستخدم في ذلك بحيث يخلط مع معادن أخرى كسبيكة البرونز والتي صنع منها العديد من الأسلحة كالسيوف والرماح ذات الرؤوس الحادة، ثم سبيكة النحاس والنيكل والزنك والتي استخدمت لتغطية أنية الطعام مثل الأطباق والملاعق والسكاكين وكذا في طلاء المجوهرات، وأيضا سبيكة البرونز والفسفور والقصدير الملائمة لصناعة البطاريات وكذا سبيكة البرونز والسيليكون وهي مقاومة للاحتكاك تتميز بقوة وهي خاصة لصناعة المعدات الكيميائية، وأيضا سبيكة البرونز والنحاس والألمنيوم تتميز بمقاومة التفاعلات وتستخدم في معامل تكرير الملح والمصافي"[2].

إن ما جاء من تطورات في مجال الصناعة على مر الصور والأزمنة كان سببه تلك المواد التي اعتمدها الانسان، فكل النشاطات التي مارسها البشر تطلبت وجود تقنيات وأليات لصنع متطلبات التأقلم والتكيف مع الطبيعة فكانت المعادن المتواجدة في الطبيعة عنصرا هامها في ذلك، وكان معدن النحاس من أبرز المعادن التي استطاع الإنسان تليينها وطيها وكذا تشكيلها حتى يتسنى له صنع حاجياته ومتطلباته، فصنع منه مشغولات وقطع نحاسية قمة في الإبداع والإتقان عبر فيها عن ماضيه وحاضره وسعى أن تواصل الأجيال صنع مستقبل هذا المعدن، فرسم من خلال تلك النحاسيات على اختلاف أشكالها وألوانها ذاكرة الأمة جمعت بين العادات والتقاليد وتاريخ أمم بأكملها.

---

[1] حسن بخيت، **كل شيء عن النحاس**، بوابة العرب للثروات الطبيعية، 2021 ،على الموقع https://kenanaonline.com/users/hasan/posts/68442 يوم:2023/02/17.الساعة:10:15..

[2] المرجع السابق.

والحياة اليومية لا تخلو من استعمالها لمعدن النحاس وفي شتى المجالات والميادين وذلك للخصائص العديدة التي يتمز بها دونا عن غيره من للمعادن، جعلته المقصد الأول وإن اختلفت ألوانه وأشكاله.

2-7-4- مميزات وخواص النحاس:

محترما لقواعد المادة لأنه وببساطة " الشخص الوحيد الذي يتميز بالحساسية نحو الوسيط الذي يخلق يتمكن من الإبداع والإتقان والقدرة على تشكيل مختلف القطع والمشغولات النحاسية، فيكون بذلك فنانا يعتبر النحاس كغيره من المعادن يتمتع بمميزات وخصائص تجعل من الصانع يدرس أساسياته حتى فيه العمل الفني ويتآلف مع هذا الوسيط"[1]، إذ تكمن أولى مميزاته في الليونة والمرونة وهو قابل للحام واللصق"[2]، وميزة أخرى لديه أنه "يتحمل درجة حرارة عالية الإشتعال لذا إستعمل لصناعة الأواني المنزلية كونه لين، ويصبح صلبا حين إتمام صنعه"[3].

فالنحاس كما هو معروف يوجد بلونه الأحمر في حالته الطبيعية الخام " ولعل هذا هو السبب في تسميته بالنحاس الأحمر ويستخدم في صناعة الكثير من الأواني النحاسية بسبب سهولة طرقه وسحبه وثنيه"[4].

أما عن النحاس ذي اللون الأصفر فلم يعرف سوى في فترة متأخرة من تاريخ المعادن، وهو قابل للسحب والطرق والكبس، إذ ساهمت هذه الخصائص في جعل معدن النحاس من أكثر المعادن تحويلا وتشكيلا.

---

[1] جيروم ستولونيتز .**النقد الفني دراسة جمالية وفلسفية** ، ترجمة فؤاد زكريا ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.ص 148.

[2] احمد محمد زهران.مرجع سابق.ص03..

[3] قاسيليف(م). **المعادن والانسان**. تر انور محمود عبد الواحد. الهيئة المصرية العامة للكتاب.القاهرة.1970.ص 242.

[4] منى كامل العسوى. مرجع سابق. ص ص 90-91.

إذ اعتمد عليه الإنسان واستخدم منه أهم الأدوات والوسائل التي صاحبته في حياته اليومية، حيث "كان أكثر الطرق شيوعا للحصول على النحاس من الخام هو صهر المعادن وهو أسلوب تم ابتكاره وتطويره في عصور ما قبل التاريخ"[1].

فلا يمكن بأي شكل من الأشكال أن ننكر الأهمية الكبرى التي تلعبها المعادن لا سيما النحاس منها في مجالات حياتنا اليومية المختلفة سواء كانت صناعات يدوية تقليدية أو صناعات ألية، والتي يعتمدها الفرد بصفة مستمرة ، ونظرا لهذه الأهمية أصبح مجال الصناعة واسعا شمل حتى التعليم ، فقد خصصت مجالات وفروع لتدريس المعادن والصناعات في جامعات ومعاهد مختلفة.

ولمعدن النحاس خواص ومميزات ينفرد بها عن غيره من المعادن ارتأينا حصرها في جدول توضيحي يبرز الخصائص الطبيعية لهذا المعدن.

جدول رقم (04) : يوضح الخواص الطبيعية لمعدن النحاس

الشكل البلوري	**مكعب**
اللون	**نحاسي مائل للإحمرار**
المخدش	**أحمر نحاسي لامع**
الكثافة النوعية	**89**
درجة الإنصهار	**1083.4م**
درجة الغليان	**2567م**
الصلابة	**3-2.5**
رمزه الكيمائي	**Cu**

المصدر: حسن بخيت ، مرجع سبق ذكره.

[1] Geza Fehervari , **Islamic Metal work of the Eighth to the Fifteenth Century in the Keir Collection** ,Faber and Faber ,London ,1976 ,p21

يبين الجدول الذي بين أيدينا جملة من الخواص الطبيعية التي يتميز بها معدن النحاس، إذ يعرف بشكله المكعب ولونه النحاسي الذي يميل إلى الحمرة، ويتغير لونه فنجد فيه الأصفر والبرونز متأقلما بحسب الظروف التي يوجد فيها، كما يبرز الجدول رمزه الكيميائي وكثافته ودرجة غليانه العالية، وكذا درجة انصهاره المرتفعة، فكما علمنا مسبقا أن معدن النحاس بمختلف ألوانه هو معدن مقاوم للتأكل ويمكنه المقاومة والتصدي لمدة أطول ، خاصة في المناطق ذات الطابع الريفي والأخرى ذات الطابع البحري والصناعي هذا ما نجده في طلاء السفن البحرية بمعدن النحاس حتى يقاوم ملوحة البحار.

2-8- حرفة صناعة النحاس في الجزائر:

تعتبر حرفة صناعة النحاس مهنة لها عراقة ومكانة خاصة عند الجزائريين، حيث ظلت صناعته ركيزة أساسية للحياة اليومية وموردا تجاريا من خلال الأواني المستخدمة في البيوت والمنازل ملبية في ذلك مختلف الاحتياجات المنزلية، بل وتعدته إلى أكثر من ذلك فقد استخدم النحاس في البراويز واللوحات الحائطية حيث ترفق بصور قرآنية أو أشكال ورسومات لمعالم أثرية ، كما كانت هناك تحف نحاسية تذكارية مخصصة للسياح حتى يتسنى لحرفي النحاس أن ينقل فنه داخل تلك المشغولات مجسدا هويته وأصالته من خلالها.

فالحرفة هي الوسيلة الوحيدة القادرة على التعبير ونقل ثقافات المجتمعات وأصالتها، إذ عملت الجزائر جاهدة للحفاظ على مختلف الحرف والصناعات التقليدية، من بينها حرفة صناعة النحاس التي توارثها الجزائريون فيما بينهم وعملوا على نقلها، واعتبارها قيمة تاريخية وثقافية وامانة مقدسة وجب نقلها جيلا بعد جيل فهي تشكل هوية الشعوب وماضيها وعراقتها وتكون بذلك وثيقة انتماء تاريخي وثقافي بامتياز.

إن جذور حرفة النحاس بالجزائر" تعود إلى القرن 13م أين أنشأ الزيانيون مصانع لسباكة المعادن"[1] وبمجيء العثمانيين إلى البلاد انتعشت وازدهرت جملة من الصناعات والحرف اليدوية من خلال ما عرف عن الأتراك من تنظيمهم المحكم للنشاطات الحرفية آنذاك، "واحتل معدن النحاس خاصة بلونه الأصفر مركز الصدارة لدى العثمانيين في صناعة الأواني والأدوات النحاسية ذات الاستخدام اليومي وظلت مناجم النحاس تشتغل من غير توقف حتى منتصف القرن 13هـ /19م "[2]، وهذا ما نلحظه اليوم في مدينة قسنطينة هو عودة هذا اللون ليغزوا المحلات والورشات الخاصة بحرفة النحاس، إذ تشهد قسنطينة في السنوات الأخيرة طلبا متزايدا على النحاسيات والمشغولات ذات اللون الأصفر، والذي أصبح موضة وشكل من أشكال العصرنة لا تخلوا منه البيوت القسنطينية فاقتنت منه الصواني والأباريق والثريات والشمعدان ومختلف ما يزين المنازل من ديكورات عصرية ذات الطابع النحاسي الأصفر ، إذ يرى فيه سكان مدينة الصخر العتيق أنه يعطي جمالية ورونقا للمكان ويكتسي حلة تجمع بين الأصالة والمعاصرة وما زاده جمالية حسبهم هو ما تقدمه أنامل الحرفيين والصناع من مهارات عالية في التعامل مع الصفائح النحاسية وتليينها حتى نرى في نهاية المطاف مصنوعات نحاسية ذات جودة وحرفية وإتقان قمة في الإبداع والجمالية.

وعلى غرار الأتراك نجد الأندلسيون والذي أقل ما يقال عنهم أنهم "أصحاب صناعات وفنانين"[3] إذ عرفوا بذوقهم الراقي وأساليبهم الفنية، حيث نقلوا من خلال هجراتهم إلى الجزائر مختلف الفنون والمهارات التي امتازوا بها، كما قدم "السوريون خاصة العاصمة دمشق إذ حملت نحاسياتهم الطابع المشرقي حيث لاقت التحف التي جلبوها رواجا وإقبالا كبيرا"[4].

---

[1] اسماء مجدوب. سليمان دحماني. **قيم الحرف اليدوية في المجتمع الجزائري "قيم النحاسين بقسنطينة انموذجا"**.مجلة انثربولوجيا.مجلد08.العدد 02.السنة 2022.ص ص 386-402.

[2] ربيع حامد خليفة. **الفنون الاسلامية في العصر العثماني**. مكتبة زهراء الشرق. القاهرة .2001.ص 133

[3] زكي محمد حسن. **الفنون الزخرفية والتصاوير الاسلامية**. دار الرائد العربي.بيروت.1981.ص 01.

[4] -Vachon M., **Les industries d'art indigène en Algérie**, Alger, 1902.p.35

فالجزائر حسب ما سبق وبداية من وجود الزيانيين بها عرفت صناعة النحاس منذ قرون ماضية تعاقبت عليها الكثير من البلدان على غرار الأندلسيين والعثمانيين وغيرهم، غير أن تواجدهم لم يمر مرور الكرام بل كان محط اهتمام لما جاءت به هذه الدول خاصة ما تعلق بالحرف والصناعات اليدوية فكان لكل منها ما تتميز به عن غيرها سواء من حيث الشكل أو النقوش والزخارف وغيرها، هذا ما جعل من الجزائر تتعرف على العديد من خبايا حرفة النحاس من خلال ما نقله هؤلاء عنها.

لقد إمتهن مختلف سكان الجزائر صناعة النحاس أولهم الحضر الذين كانوا صناعا بامتياز حيث استغلوا المناجم وصنعوا من النحاس بعض الأواني وأدوات الزينة الخاصة بالنساء، كما كانوا يرممون بعض القطع النحاسية".[1]

فحرفة صناعة النحاس بالجزائر كانت "مرتكزة حول القصبة وأحياء مخصصة لها في مدينة الجزائر، قسنطينة، تلمسان وبدرجة أقل في غرداية وتندوف"[2].

وتباينت المشغولات النحاسية واختلفت من منطقة إلى أخرى وساهم الحرفيون الذين عشقوا الصنعة وتوارثوها في فتح ورشات ومحلات لتعليمها نظرا للمكانة والقيمة التي احتلتها حرفة صناعة النحاس والتحف النحاسية منذ القدم.

فاستقطبت حرفة صناعة النحاس بالجزائر العديد من الحرفيين عبر كامل التراب الوطني في مقدمتها ولاية قسنطينة "بنحو 57 بالمائة من الوعاء العام"[3]، إذ اشتهرت مدينة الصخر العتيق بهذه الحرفة منذ القدوم العثماني إليها، فصنعت من خلالها تاريخا حافلا وموروثا ثقافيا يتناقله الأجيال فيما بينهم يحمل في طياته ماضيهم وهويتهم وأصالتهم، فإبداع الحرفيون في صناعة أواني نحاسية قمة في الإبداع والإتقان

[1] سمير بوطيش .مرجع سابق.

[2] مصطفى بورنان ..مرجع سابق.

[3] وزارة السياحة والصناعة التقليدية. **تقرير حول النشاطات التقليدية لصناعة النحاس في الجزائر**. الجزائر.2018.ص 13

تحاكي عشقهم لهذه المهنة وتمسكهم بها، إذ أصبح التنافس فيما بينهم حول اختصاص كل منهم في صناعة أنية نحاسية معينة فمنهم من يختص في صناعة المزهريات وأخر اختص في صناعة الثريات وغيرها.

وفي الجزائر اكتسبت حرفة النحاس أهمية كبيرة لدى الجزائريين عامة وأهل مدينة قسنطينة على وجه الخصوص، إذ اشتهرت مدينة الصخر العتيق بصنع أروع المنتوجات النحاسية وأجملها من أدوات منزلية كأواني الطهي ولوازم الحمام كالطاسة والسطل، و أدوات للزينة وصينيات ذات نقوش وزخارف مختلفة، ناهيك عن صنع المحابس وغلايات القهوة وأباريق الشاي وغيرها من الوسائل التي تدخل ضمن المتطلبات اليومية .

يعود إبداع الفنان القسنطيني لهذه التحف النحاسية إلى استفادته من التواجد العثماني بالبلاد، حيث تعلم الحرفيون فنون وأساليب واستخدامات زخرفية جديدة فتنوعت النقوش والزخارف بين النباتية كالزهرة والنخيل وشجرة الزقوقو والحيوانية كالطاووس، والحمامة، وأخرى أدمية كاليد البشرية التي تقي من العين لدى اعتقاد الكثير من الجزائريين، بالإضافة إلى الآيات القرآنية كأية الكرسي والسور القصيرة كالمعوذتين ومنها زخارف كتابية كالكتابة بالخط الكوفي ومنها الشكلية كرسم جسر قسنطينة مثلا، وكل هده النقوش تختلف من ولاية إلى أخرى .

إن صناعة النحاس في قسنطينة حرفة تقليدية عريقة ذات صيت داخل البلاد وخارجها إذ تميزت المشغولات النحاسية القسنطينية عن غيرها بروعة الإبداع و دقة الإتقان و لا تزال تحظى بالإعجاب من قبل كل من يراها بجودة صنعها وبريق ألوانها، غير أن الملاحظ اليوم حول الحرفة أنها في تذبذب مستمر"، وعزوفا بل إنها تحتضر في بعض المناطق التي تعرف بهذه الصناعة"[1]، خاصة بعد ارتفاع أثمانها أدى إلى قلة الإقبال عليها وحلت مكانها المصنوعات العصرية من البلاستيك والإينوكس ساهمت وبشكل ملفت في ركود المنتوجات النحاسية، ويرجع الحرفيون هذا إلى غلاء المادة الأولية وبالتالي غلاء تكلفة إنتاجهم للقطع

[1] شكري بن عزوز. **تطور قطاع الصناعة التقليدية والحرف في الجزائر 1962-2009**.ط2.الغرفة الوطنية للصناعة التقليدية .الجزائر. 2009.

النحاسية ويؤكد ذلك أحد مبحوثينا في قوله **"والله يابنتي الإقبال على النحاس ما بقاش كي بكري غير اللي يعرفلوا وما نلوموش المشتري درك المادة نجيبوها غالية هو كيسوم القطعة تجيه حنا لزايدين فيها وهو ومقدوروا حنا نعاونو بشي لنقدروا شوي علينا وشوي عليه".**

ورغم هذا تصارع مدينة الجسور لإبقاء الحرفة في الواجهة فهي هوية أهلها وموروثهم الثقافي والحضاري لسنوات خلت، حيث حافظت المدينة على هذا الإرث الذي كان صاحب الفضل للتعريف بها داخل الوطن وخارجه من خلال مختلف المعارض والتظاهرات المنظمة، إذ كانت المشغولات النحاسية القسنطينية فريدة من نوعها وتمتاز بجودة منقطعة النظير ساهمت في انتشارها بالدول العربية والأوروبية كفرنسا والعراق وسوريا وتونس وغيرها، كما حصدت الكثير من الجوائز في مهرجانات دولية أهمها جائزة صناعة حرفية الخاصة بالنحاس في مهرجان الصناعات التقليدية والحرفية في العاصمة السورية دمشق 1998"."[1]

فالصناعة النحاسية بمدينة الجسور المعلقة عرفت ولا تزال حتى الأن بجودة منتوجاتها وتحفها النحاسية على اختلاف أنواعها وزخارفها، لأن كل تحفة فيها تكتسي طابعا جماليا وحسا فنيا منفردا يوحي بقيمة التحفة سواء للحرفي صانعها أو للزبون أو للسائح حاملها للذكرى، فأهل المدينة لا يرو في النحاس مصدرا لعيشهم وقوتا لأولادهم بل تعدت العلاقة بينهم إلى كونها رابط ثقافي وحضاري .

وتعتبر ورشة الحرفي **"إدريس أمين خوجة"** (1827م) أحد أقدم الورشات في قسنطينة والمتخصصة في صناعة النحاس والتي تعتبر معلما سياحيا لكل من أراد التعرف على أسرار الحرفة داخل المدينة، إذ يعود عمر الورشة إلى أكثر من 100 سنة، وتوجد بقلب المدينة القديمة (السويقة) بحي صلاحي الطاهر الذي عرف قديما بحي سيدي بوعنابة، كما لقسنطينة حيا بأكمله خصص لحرفة صناعة النحاس وهو "حي باردو

[1] فوزي مجمج .عبد المجيد بوالصلب. **الصناعة التقليدية للنحاس بقسنطينة**. المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ علم الانسان والتاريخ.2020

العتيق" الذي يتواجد به العديد من الورشات والدكاكين يترأسها حرفيين مهرة ومبدعين توارثوا الصنعة أبا عن جد، كما توجد ورشات هنا وهناك في حي الدقسي عبد السلام وحي بكيرة وجبل الوحش والخروب والمدينة الجديدة علي منجلي وغيرها.

2-9- واقع حرفة صناعة النحاس بمدينة قسنطينة :

كانت حرفة صناعة النحاس ولا تزال في قسنطينة الرابط الأول والأساسي بين أهل المدينة، فلا يكاد يخلوا بيت قسنطيني من المنتوج النحاسي أيا كان شكله أو طريقة استعماله انطلاقا من القرون الماضية فكان أحد أساسيات البيت القسنطيني لأنه تعبير عن هوية المدينة وعاداتها وتقاليدها، فهو جزء لا يتجزأ من ذاكرتها وتراثها الثقافي والحضاري المادي، فعمد الحرفي القسنطيني منذ الأزل إلى صنع كل ما يمكنه أن يشبع للفرد رغباته ويلبي حاجياته، فكانت انطلاقاته تتمثل في مصنوعات نحاسية كالقصعة والكيروانة والسينية والمحبس والطاسة وأواني الحمام وغيرها، والتي كانت أواني وأدوات هامة في جهاز العروس سابقا،لا ننكر أن البعض من الأدوات سابقة الذكر لم تعد في أجندة الحرفي القسنطيني لأنه مرهون في صنعته بما تمليه السوق ومتطلباتها، إلا أنه احتفظ ببعضها واجتهد في تغيير شكله ونقشاتها وزخارفها حتى تعاصر المستجدات الراهنة والمنافسة مع منتوجات أخرى، كما عمد الحرفي القسنطيني كذلك إلى صنع تحف نحاسية تقدم كهدايا في المناسبات العائلية كالزواج مثلا، والاحتفالات الدينية كالمولد النبوي الشريف حيث يقتنون تحف نحاسية على شكل هلال تحمل تهاني بالمناسبة الشريفة، أو فوانيس ملونة يحملها الأطفال في أيديهم وغيرها.

كما توجه الحرفي القسنطيني إلى صناعة وسائل وأدوات تستخدم للزينة كالمحابس التي توضع فوق الخزانات والسينيات في زوايا البيت لتضفي على البيت لوحة جمالية مميزة، ونجد المطبخ القسنطيني لا يخلو من أنية نحاسية فنجد حيث تقتني النسوة أباريق الشاي، وغلايات القهوة و اعتمد الحرفيون القسنطينيون في ذلك على جملة من الرسومات والنقوشات تمازجت بين الحيوانية وأخرى نباتية، بالإضافة إلى الآيات القرآنية،

فكان اللونين الغالبين على التحف النحاسية هو الأحمر والأصفر فعاصمة الشرق اليوم تتزين بكل ما هو أصفر حيث يزيد الطلب عليه يوما بعد يوم، فزاد الحرفي القسنطيني من إبداعه وحرفيته اكتست من خلالها التحف جمالية وإبداعية زادت من إقبال المواطنين والسياح عليها خاصة ما تعلق بالسينية وما تتطلبه من صحون وحاملات ملاعق ومنادين وسكريات ومرش لوضع الورد المقطر.

وما يلاحظ اليوم أن الحرفي يساير الزبون ويعطيه كامل الحرية في إختيار النقشة والرسومات التي ستوضع داخل طلبه، فمنهم من يطلب صور قرآنية قصيرة كأية الكرسي والمعوذتين، ومنهم من يطلب تجسيد المعالم الأثرية للمدينة كتذكار وغيرها من طلبات الزبائن، فالحرفي يعمل على إرضاء الزبون والحفاظ على الموروث الثقافي.

إلا أن الحرفي القسنطيني يقر بأن صناعة النحاس في مدينة قسنطينة تحاول دائما التأقلم والتكيف مع كل التطورات والمستجدات التي يمكنها زعزعة الحرفة والتأثير على مستقبلها، فالحرفي يعمل دائما وفق منطلق واضح ومنهج أساسه أن صناعة النحاس هي موروث ثقافي مادي في قسنطينة وجب الحفاظ عليه والعمل على نقله بين الأجيال، هذا ما يوضحه التهافت الملفت للفرد القسنطيني حول المصنوعات النحاسية خاصة ذات اللون الأصفر، كما لا يزال القسنطينيين يعتمدون في عملية التقطير على ما يسمى بالقطار (أنية لتقطير الورد والزهر) ذات اللون الأحمر، كل هذا جعل من المنتوج النحاسي القسنطيني ينفرد بمكانة خاصة لدى سكان المدينة وحتى خارج أسوارها.

لكن سرعان ما فقدت الحرفة بريقها جراء التطورات الراهنة وتخلي بعض الحرفيين عن صنعتهم فمنهم من فضل غلق محله ومنهم من توجه للتجارة نظرا لعدم تلبية الحرفة لمتطلباتهم ورغباتهم، كما ساهم عزوف الزبائن عن اقتناء المنتوج النحاسي الأصلي والتوجه للمنتوج المقلد رخيص الثمن، فحرفة صناعة النحاس بقسنطينة تعاني جملة من النقائص والمعوقات تحد من تقدمها وسيرها في تقديم الإضافة والحفاظ على هذا الموروث الثقافي والإرث الحضاري للمدينة، وهذا ما سنذكره في المطلب اللاحق.

2-10- معوقات حرفة النحاس في مدينة قسنطينة:

تعاني حرفة صناعة النحاس في قسنطينة جملة من العوامل والمعوقات التي حالت بينها وبين الحرفيين على تقديم ما هو مرجو منهم وما هو مخطط من قبل الجهات الوصية نذكر منها:

1- ظروف العمل غير اللائقة إذ تمارس معظم نشاطات الصناعات التقليدية والحرف في محلات مهنية غير لائقة نظرا لقدمها أو عدم تهيئتها وكذا عدم توفرها على أدنى شروط الأمن والنظافة ما يحول دون ممارسة نشاط منظم ومطورا ، بالإضافة إلى هذا يلجأ الحرفيون إلى استعمال تجهيزات وعتاد وأدوات غير مناسبة لنوعية النشاط أو مهترئة، ما يترتب عنه إساءة إلى نوعية المنتوج وعدم القدرة على احترام الآجال"[1]،كما أن "صغر الورشات وقلة الحرفيين المستخدمين يجعل حجم المنتوج صغيرا جدا ويتخذ صفة الإنتاج المعاشي"[2].

2- جل ورشات الحرفيين ومحلاتهم قديمة وذات بناءات هشة نتيجة تواجدها في اقدم حي بوسط المدينة "'حي باردو العتيق" حيث لا يساعدها في الترويج لمنتوجها الحرفي التقليدي، حيث أخبرنا مبحوثنا نقاش وصاحب محل أنه اقترح على ابنه أن يساعده في إعادة ترميم المحل إلا أن الابن فاجئه بقوله " **الحانوت قديم ومبقا يصلح لوالو غير بيعوا كاشما تربح فيه** ".

3- غلاء أسعار المادة الأولية وندرتها في بعض الأحيان ، هذا ما أكده لنا أحد الحرفيين وهو نقاش في قوله "إن الزبون يعلم أن النحاس الأحمر هو الأصل لكن ما يمنعه من اقتنائه هو غلاء الأسعار سواء بالنسبة له كزبون أو لنا"، فشراء المادة الأولية بأسعار باهظة يصعب علينا تثمين المنتوج

---

[1] وزارة المؤسسات الصغيرة والمتوسطة والصناعة التقليدية، **مخطط عمل من أجل تنمية مستديمة للصناعة التقليدية آفاق 2010**. (2003).ص 21.

[2] شيبان اسيا. دور المؤسسات الصغيرة والمتوسطة في التنمية الاقتصادية ,حالة الصناعات التقليدية والحرف في الجزائر. كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير قسم العلوم الاقتصادية: جامعة الجزائر.(2009).ص 110.

المصنوع فيما بعد لأننا نراعي فيه الزبون، ولكن في الحالتين لا يمكن أن نفرض سلعتنا عليه او نرضى الخسارة لأنفسنا.

4- إشكالية تسويق المنتوج الحرفي وتصديره.

5- ضعف التكوين لدى الحرفيين وتدني المستوى الثقافي لديهم مما قد يجعله عائقا أمام السياح الأجانب خاصة من ناحية اللغة.

6- عزوف الشباب عن المهنة وعدم اكتراث الكثيرين منهم باعتبارها في نظرهم مهنة الزمن الجميل، التي لا تفتح البيوت ولا تعيل الأسر فهي بالكاد تسد الرمق لأصحابها حيث يؤكد أحد مبحوثينا **"حنا يا بنتي تعلمناها من جدودنا وبياتنا (الآباء) ما قريناها ما تعلمناها كنا نشوفو النقشة نحفظوها ونعاودو نرسموها وحدنا، ودرك الدنيا تقدمت بصح الشبيبة مهيش حابة تتعلم الصنعة** ".

7- نقص في التحفيز المالي والجبائي من قبل السلطات الوصية.

8- ضعف القدرة التنافسية للمنتوجات الحرفية خاصة بوجود منتجات مقلدة وبسعر أقل مما هو عليه المنتوج المحلي، كالمنتوجات الصينية والهندية .

9- قلة مشاركة الحرفيين في المعارض والصالونات في جميع الأصعدة سواء كانت محلية جهوية أو دولية وذلك للتكاليف الباهظة المترتب عن ذلك.

10- في إشارة خطيرة من مبحوثينا لضرورة حماية الموروث المحلي فحسبهم الحرفة يتربص بها الأشقاء التونسيين لقول أحدهم **" خاوتنا تاع تونس يجيو يشريو النحاس من عندنا من قسنطينة ويروحو يعاودو بيه البيع لهيه عندهم ونزيدك يقولو بلي راهم هوما لخادمينو وحنا دراهمنا طايحين عليهم راهم يدوروا فيه مليح خاطر حنا خدمتنا باليد ومتقونة بالنحاس لصفر ولحمر وهوما عندهم لبيض برك"**, أما أخر فأخبرنا أن السياح الأجانب لا يزالون يحبذون النحاس القسنطيني إلى غاية اليوم.

11- غياب دور الإعلام وعدم الاهتمام الكافي بمثل هذه الحرف التقليدية اليدوية .

ورغم كل هذه العوائق كان لابد من إيجاد حلول والعمل على وضع مخطط يدخل ضمن أولويات الدولة الثقافية والاقتصادية للنهوض بقطاع الحرف والصناعات التقليدية بالولاية، خاصة أن هذا الأخير أبان على مساهمة فعالة يمكنها أن تكون دعما كبيرا للدولة اقتصاديا خارج نطاق المحروقات.

2-11- مقترحات للنهوض بحرفة النحاس في قسنطينة :

سنحاول فيما يلي تقديم بعض المقترحات التي نرى أنه منه شأنها النهوض بحرفة صناعة النحاس بمدينة قسنطينة والحفاظ على هذا الإرث الثقافي والحضاري نعدها كالآتي :

1-تسهيل المعاملة الإدارية التي من شأنها تمكين الحرفيين من الحصول على محلات لممارسة نشاطاتهم الحرفية، وكذا الدعم المادي المتاح من خلال تقديم البنوك لقروض دون فوائد تكون عامل تحفيزي لهم.

2- استحداث منصة رقمية لإحصاء الحرفيين وكل ما تعلق بالحرفة وقطاع الصناعات التقليدية.

3- على الصناعات التقليدية والحرف أن تواكب التطورات، محافظة في ذات الوقت على الأصالة والتقليد وما تحمله في جنباتها من ترسيخ للقيم المحفزة على الموروث الثقافي ونقله جيلا بعد جيل ، حيث يصرح لنا أحد مبحوثينا "**لازم يا بنتي القطاع يدعم بالشباب لأنوا مع التكنولوجيا هادي وحنا كبار فلعمر منعرفولهاش وكيما قالو جدودنا لفاتوا وقتوا ما يطمع في وقت الناس** ".

4- العمل على غرس الروح الثقافية وحب كل ما هو أصيل وتقليدي يجعل من الحرف والصناعات التقليدية ترى نورا مشعا في مستقبل أبناءها خاصة أبناء مراكز التكوين المهني ومراكز الشباب.

5-مساهمات السلطات في توفير المادة الأولية بأسعار معقولة، كما تعمل على تسويق المنتوجات الحرفية سواء على مستوى الوطن أو خارجه.

6- تقديم صورة مغايرة لقطاع الحرف والصناعات التقليدية من خلال العمل على برامج وحصص تلفزيونية وإذاعية، وأيضا معارض ومهرجانات يكون أساسها التعلق بكل ما يمثل تاريخنا وأصالتنا وإرثنا الثقافي والحضاري، حيث يؤكد أحد الحرفيين أنهم لا ينكرون الدور البارز لوزارة الثقافة وكذا الصناعة في العمل على ترسيخ الموروث الثقافي سواء النحاس أو غيره من الحرف والصناعات التقليدية.

7- العمل على تقنين أسعار المنتوجات الحرفية خاصة النحاسية منها بصفتها عنصر جدب هام للسائح المحلي والأجنبي.

8-العمل على حماية المنتوج المحلي من المنتوجات الأجنبية وذلك بفرض ضرائب عالية على هذه الأخيرة .

وبالرغم من الصعوبات والمعوقات التي تصاحب الحرفة وممتهنيها، إلا أن حرفة النحاس بمدينة الصخر العتيق تبقى أحد أهم وأبرز مقومات قسنطينة الثقافية والحضارية التي جعلت منها مدينة سياحية يقصدها الأجانب والسواح بغرض التعرف على هذا الموروث المتجذر بها، حيث لا يكاد يخلوا بيت قسنطيني من تحف ومصنوعات نحاسية قديمة كانت أم جديدة فهذا التعلق من سكانها ليس وليد اليوم بل هو عشق لحرفة النحاس تتوارثه الأجيال وتتناقله فيما بينها جيلا بعد جيل.

خلاصة الفصل :

يقول البستاني الأمريكي " **ليبرتي هايد بيلي"** كل عقد يحتاج إلى دليل الحرف اليدوية الخاص به **"** من هذا المنطلق نعي جيدا حقيقة الحرف والصناعات التقليدية والقيمة التي تصنعها للشعوب والانفرادية التي تمتاز بها على خلاف غيرها والمكانة التي يحتلها الحرفي، من خلال جملة المصنوعات والتحف التي تصنعها أنامله فالصناعات الحرفية التقليدية تلعب دورا بارزا في تمثيل عادات وتقاليد المجتمعات ومرآة عاكسة لماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم، إذ تعتبر ذات أهمية بالغة في الحفاظ على الموروثات الثقافية ونقلها إلى الأجيال القادمة .

فارتأينا تخصيص هذا الفصل للحديث عن واقع الحرف والصناعة التقليدية في الجزائر بتعاريفها ومفاهيمها الدولية والوطنية مرورا بأنواعها ومجالاتها وكذا أهميتها على جملة من الأصعدة، كما عرجنا على أهم الخصائص المميزة لها وصولا إلى واقع القطاع في فترات متباينة وعلى مراحل مختلفة، ثم تطرقنا إلى حرفة صناعة النحاس كواحد من أهم وأبرز حرفة وصناعة تقليدية في الجزائر ومدينة قسنطينة على نحو خاص، حيث تعرضنا لها من حيث كل الجوانب ختاما بمعوقاتها والحلول المقترحة من أجل النهوض بها.

الفصل الثالث

الموروث الثقافي والهوية التراثية لمدينة قسنطينة

تمهيد

إن الموروث الثقافي هو قيمة الأمة وكنزها الذي لا يقدر بثمن فهو ماضيها وحاضرها ومستقبلها فتبرز به وجودها وخصوصيتها، فكان الحفاظ عليه والتمسك به أمرا ضروريا لا محال، فحظى المجتمع الجزائري بتنوع موروثه الثقافي المادي واللامادي ويعود الفضل في هذا التنوع إلى عديد المناطق بها، والتي تحوي جملة من العادات والتقاليد ما يكون رصيدا من الرموز والدلالات الثقافية والحضارية، إذ يتشكل من خلاله موروثا ثقافيا تتناقله الأجيال فيما بينها، فيخلق بذلك الهوية والوحدة الوطنية ويزرع روح التآزر والانتماء لدى أفراد المجتمع، فكانت الحرف والصناعات التقليدية نموذجا ومرأة عاكسة لكل إنتاج و إبداع و مهارات تميزت بها الأنامل البشرية وحفظت في تحف وصور غاية في الجمال والإتقان ناقلة من خلالها هوية الشعوب وأصالتها وعراقتها جيلا بعد جيل.

وسلطنا الضوء في هذا الفصل على جملة من المحاور نذكرها :

1- تعريف الموروث الثقافي.

2- أقسام الموروث الثقافي.

3- عناصر الموروث الثقافي.

4- أهمية الموروث الثقافي .

5- واقع الموروث الثقافي بالجزائر

6- حماية الموروث الثقافي الجزائري وأليات إحيائه.

7- الهوية التراثية لمدينة قسنطينة.

إن موضوع الموروث الثقافي بشقيه المادي واللامادي متعدد الماهيات والمفاهيم في كل المجتمعات لأنه مرآة عاكسة لماضي وحاضر ومستقبل الأمم، فهو ركيزة أساسية تحمل في طياتها خصوصيات وأصالة الشعوب وهويتها، والملاحظ أن المصطلح مركب من موروث وثقافة هذا ما يجعلنا نتقرب إلى المفاهيم ذات الصلة بالموضوع ونتعرف إليها.

3-1- تعريف الموروث الثقافي :

إن مصطلح الموروث الثقافي هو مفهوم مركب من كلمتين وجب الفصل بينهما على سبيل الشرح والإيضاح، فهو مصطلح يتشكل من الموروث والثقافة وسنحاول أن نتعرف على كليهما كل على حدى حتى يتسنى لنا الربط بينهم .

أ/- الموروث الثقافي اصطلاحا :

هو كل ما تركه لنا أجدادنا وسابقينا من أعمال سواء مادية أو معنوية ويتميز التراث بالاستمرارية والامتداد ويتداول بين المجتمعات القديمة والحاضرة الذي له ارتباط بالحداثة، كما نجده ينتقل من جيل إلى آخر باستلام تلك الثقافة التي تساعد الأفراد على بقائهم ومزاولة الحياة اليومية[1]، وهو ما نقوم به أو ما نعتقد لأن الأجداد فعلوه أو أمنوا به[2].

ب/- الموروث الثقافي من منظور الأنثروبولوجين والسوسيولوجيين :

إن مصطلح الموروث يستخدم لدى علماء الأنثربولوجيا بديلا عن أنماط المعتقدات ، والعادات الاجتماعية والقيم، والسلوك والمعرفة، أو الخبرة التي تنتقل من جيل إلى جيل عن طريق التنشئة الاجتماعية داخل مجتمع معين، وقد استخدم المصطلح أحيانا كمرادف لمصطلح الثقافة نفسه[3].

---

[1] محمد الجوهري، حسن الخولي، فاتن أحمد علي وآخرون، **التراث الشعبي في عالم متغير دراسات في إعادة إنتاج التراث**، أعين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، القاهرة، ط 1 ,2007,ص11

[2] جان فرانسوا دورتيه ,**معجم العلوم الانسانية** ,مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ,2009,ص 214.

[3] محمد الجوهري ,المفاهيم الاساسية في الانثربولوجيا (مدخل لعلم الانسان) ,2008, ص 122

ويقر الأنثروبولوجين أن الموروث الثقافي له دائما وظيفة يؤديها من خلال عناصره المكونة له حتى لو كان هناك اختلاف في الوظيفة الأصلية حيث " اعتبروا أن المخلفات والرواسب عناصر ثقافية موروثة من أوضاع أقدم ثقافيا وأن لها تأثيرها في أرقى الحضارات، كما اعتبروا أن المعتقدات والعادات هي مخلفات لماض قديم وقد اكتسب وجودها لا عن طريق المعرفة التجريبية المؤيدة ولا بالحقائق المؤيدة ولا بالقانون الوضعي وإنما بحكم العادة، وعلى أساس أنها جزء من التراث "[1].

وما إن يرتبط الموروث بالثقافة سرعان ما نرى قيمة ومكانة لكل ما عايشته المجتمعات واحتفظت به في ذاكرة أبنائها، فتتجسد بذلك هوية الأمم وذاكرتها من خلال تلك الممارسات الثقافية والموروثات المتناقلة فيما بينهم، **و** أيا كان ما يجده الفرد من الأسلاف والسابقين فهو يدخل في إطار الإرث الثقافي والحضاري، وجب الحفاظ عليه والاعتناء به ونقله بشتى الطرق والوسائل إلى الأجيال القادمة حتى يتسنى لها العلم بذاكرتها الثقافية وتحافظ هي الأخرى على هويتها ومكانتها بين الشعوب من خلال ماضيها.

يعرف الباحث المصري " **فوزي العنتيل"** الموروث الثقافي بأنه تلك الأشكال والعناصر الثقافية المادية والفكرية والاجتماعية التي كانت سائدة في المجتمع في وقت ما، ثم طرأ على هذا المجتمع تغير، فانتقل من أوضاع إلى أوضاع أكثر حداثة، ولكنها (الأشكال الثقافية) لا تزال مستمرة في ذلك المجتمع، متداولة بين أفراده، وهذه الاستمرارية لعناصر الموروث الثقافي بين الأجيال" تحمل معها من التواصل الحضاري عصارات فكر أجيال متعاقبة"[2].

فمن خلال هذا التعريف نجد أن ما تحمله الثقافة في طياتها من ممارسات ثقافية وحضارية تفسر كلها ذاك الموروث الثقافي والتواصل الحضاري بين الأجيال في نقلة متعاقبة بينهم، يحاول فيها الفرد رسم معالم

---

[1] فاروق أحمد مصطفى، **الأنثروبولوجيا ودراسة التراث الشعبي**، دراسة ميدانية، دار المعرفة الجامعية، الهيئة المصرية للكتاب، الإسكندرية–القاهرة 2008 ، ص 229

[2] فوزي العنتيل: الفولكلور، **ما هو؟ دراسة في التراث الشعبي**، دار المعارف، مصر،1965. ص .23.

ماضيه على خطى حاضره وأمل مستقبله ، وإن تغيرت تلك الممارسات الثقافية والعناصر المشكلة للموروث إلا أنها تحمل تاريخها بداخلها وتسعى جاهدة للحفاظ عليه .

فالمورث الثقافي لا يحمل سوى الماضي والتاريخ الغابر فقط بل له من الإيجابية والتي تجعله يؤثر في حاضر ومستقبل الأمم، فوظيفته موجودة دائما كونها تراث الأجداد يسكن داخل افراد المجتمع.

يمكن القول أن الموروث الثقافي هو ما كان سائد في مجتمع معين من أشكال معبرة عن الثقافة في كل الميادين الاجتماعية والمادية والفكرية وغيرها، لكن يمكن أن يطرأ تغيير على هذه المجتمعات لتنتقل إلى مرحلة أكثر تطور غير متجاهلة ماضيها وإرثها السابق، من خلال الاستمرارية في مكونات موروثها التي يعمل عليها أفرادها وينقلونها فيما بينهم وبين الأجيال القادمة.

ومن خلال ما شهدناه من تعاريف لهذا المفهوم يمكن القول أن الموروث الثقافي هو تمازج بين العناصر الثقافية المكونة للمجتمع سادت في وقت معين سواء كانت اجتماعية أو معرفية وما على أفراد المجتمع إلا العمل على الحفاظ عليه من خلال العمل على الاستمرارية في نقلها فيما بينهم أو للأجيال القادمة.

3-1-1- مفاهيم ذات الصلة بالموروث الثقافي :

3-1-1-1- الثقافة :

قبل تحديد العالم **" تايلور"** مؤسس الأنثربولوجيا الثقافية لمصطلح الثقافة أواخر القرن التاسع عشر في كتابه "الثقافة البدائية" كانت هناك تعاريف ومفاهيم تمازجت بين العلماء والقواميس، فكل عرفها حسب مدارسه وتوجهاته الإيديولوجية، إذ عرفت في قاموس علم الاجتماع على أنها "محتوى الإرث الاجتماعي للمجتمعات البدائية"[1]، هذا من الناحية الاجتماعية، أما من الزاوية الأنثربولوجية فقد عرفها **" إدوارد تايلور"** (1871) أنها "ذلك الكل المركب الذي يشتمل على المعارف والمعتقدات والفن والقانون والأخلاق والتقاليد و العادات

[1] Dictionnaire de sociologie, **le Robert** ,France, éditions le seuil,1999

التي يكتسبها الإنسان باعتباره عضوا في مجتمع"[1]، وهذا التعريف يعتبر الأكثر شمولا للنواحي الحياتية مقارنة بما سبقه.

إن خاصية الشمولية التي أكسبها **" تايلور"** للثقافة من خلال هذا التعريف تعود كونه ضم كل ما يمكن للفرد أن يكتسبه في مجتمعه، سوآء سلوكات اجتماعية أو ثقافية تجعل منه شخصا ذو ثقافة يتميز بها عن غيره بناء على علاقته مع الجماعة ، كما نلحظ من خلال تعريفه تحديده للعناصر الثقافية

ثم في أواخر الستينات جاء تعريف أحد علماء الاجتماع المحدثين **"روبرت بيرستد"** الذي يرى أنها ذلك الكل المركب الذي يتألف من كل ما نفكر فيه، أو نقوم بعمله، أو نمتلكه كأعضاء في مجتمع [2]."

فالثقافة لدى" **روبرت"** إذا هي مركب يتكون من عناصر ذات اتجاهات فكرية وسلوكية وأخرى مادية.

وفي تعريف أخر للثقافة يرى عالم الأنثربولوجيا **"مالينوفسكي "** عام (1944) الثقافة على أنها "هي ذلك الكل المتكامل الذي يتكون من الأدوات والسلع والخصائص البنائية لمختلف المجموعات الاجتماعية من الأفكار الإنسانية والحرف والمعتقدات والأعراف[3]، فالثقافة عند **"مالينوفسكي"** شاملة بين المادي واللامادي تتميز بالتكامل. والثقافة نوعان :

أ/-" **الثقافة المادية:** وهي كل ما ينتجه الإنسان وما هو مادي وملموس، كاللباس والسكن والأجهزة الإلكترونية وما تعلق بالتكنولوجيا، وأن أي تعبير عن مظاهر الحياة يدخل في الثقافة المادية.

---

[1] مجموعة من الكتاب. **نظرية الثقافة**. عالم المعرفة. تر د علي سيد الصاوي . المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب .الكويت .1997. ص9

[2] المرجع نفسه .نفس الصفحة.

[3] سامية حسن الساعاتي. **الثقافة والشخصية**. ط2. دار النهضة العربية .بيروت. لبنان .1983. 35- 53

ب/- الثقافة غير المادية: هي جملة الصفات والمنتجات الغير ملموسة لكنها ذات تأثير اجتماعي كبير كاللغة والمعتقدات والابداعات والافكار[1]".

من خلال التعاريف والمصطلحات سابقة الذكر والتي أكدت جميعها أن الثقافة هي كل لمجموعة من الممارسات الثقافية التي حظي بها الأفراد داخل حيز مجتمعاتهم وتناقلها الأجيال فيما بينهم، ووجدنا أن الثقافة تنقسم إلى قسمين منها المادي الملموس ومنها ما هو معنوي لا مادي يدخل تحت إطار الإرث المتناقل بين الأجيال كالعادات والتقاليد وغيرها من السلوكات والممارسات التي تحافظ على هوية الأمة وذاكرتها، وفي الأخير تبقى الثقافة مفهوما واسع الأفق شاملا لجوانب متعددة مادية منها ومعنوية ترتكز على جملة المعتقدات والأفكار والأساليب التي يكتسبها الفرد من خلال عضويته داخل المجتمع .

3-1-1-2- الهوية الثقافية:

تعددت المفاهيم الخاصة بالهوية واختلفت ذلك كون المصطلح مركب في كثير من الأحيان ويأتي مقرون بمصطلح أخر كالهوية الوطنية مثلا، فهي صفات يتسم بها الأفراد ويتميزون بها، ومن أبرز عناصر الهوية نجد الارض، العرق، الإنتماء، الثقافة، اللغة وغيرها أما المهم في دراستنا هو ربط الهوية بالثقافة.

ويرى الناقد والباحث **" جورج لارين"** في كتابه "الإيديولوجيا والهوية الثقافية" أن الهوية الثقافية "هي معرفة وإدراك الذات القومية ومكوناتها من قيم، وأخلاق وعادات وتقاليد ودين وهي سمات وخصائص يتميز بها شعب ما عن غيره من الشعوب، وترتبط هذه السمات بالسلوكيات العامة لمجموع الأفراد والعلاقات السائدة والمنتج الفني والثقافي والتي تميز في مجموعها هذه الجماعة أو هذا المجتمع[2].

---

[1] أسامة بأحمد. **قراءة سوسيولوجية للموروث الثقافي بين ثنائية التغير الاجتماعي والتغير الثقافي ودوره في الحفاظ على الهوية الثقافية** .مجلة التنمية وادارة الموارد البشرية –بحوث دراسات- المجلد 8. العدد 2. 2020.ص 120-131.

[2] محمد منير حجاب. **المعجم الاعلامي**.دارالفجر.مصر.2004.ص 604.

الملاحظ في تعريف " **لارين** " أن الهوية الثقافية بالنسبة له جامعة شاملة لكل ما يميز مجتمعا عن غيره، من عادات وتقاليد وأخلاق وغيرها والتي تترجم في سلوكيات أفراد هذا المجتمع.

غير أن هناك من يرى في الهوية الثقافية تجسيدا لانطباعات الأفراد داخل مجتمعاتهم فهي لديهم "الطريقة التي نظهر فيها أنفسنا في ذات كلية، حيث نرى انطباعاتنا الخاصة بصفة مستمرة مما يمكننا من بناء شخصياتنا من خلال التعليم والتعبير عنها في العمل الذي يؤثر بدوره في العالم الذي نحيا فيه'.[1]

فتكون الهوية الثقافية بهذا المعبر الرئيسي عن خصوصية الأفراد والجماعات، فتشكل ثقافتهم متضمنة بذلك معايير وقيم لتكون تراكمات معرفية وثقافية، حيث يشعر الأفراد من خلالها بروح الانتماء والاندماج مع جماعتهم والتي تعمل بدورها على تزويدهم بالطموحات والأهداف المشتركة.

3-1-1-3- التنوع الثقافي :

يمكن رؤية المصطلح من الجانب اللغوي فنجده يشير إلى أن التنوع الثقافي هو التعدد والتشابه والتباين وورد في كتاب"العولمة والمفاهيم الأساسية" لكل من الباحثتين " **بيتسي إيفانر**"و"**أنابي لموني**" في تعريفهما للتنوع الثقافي على أنه "مزيج من الثقافات والأصول العرقية داخل مكان معين أو دولة معينة[2]"

وقد أشار إليه الأنثروبولوجي" **كلود ليفي ستراوس**" في كتابه "العرق والتاريخ" أن التنوع ناتج عن إرادة ومصلحة الإنسان"[3].

فالتنوع الثقافي خاصية بشرية استطاع من خلالها الإنسان أن يتعلم ويعلم فيصنع بذلك تبادل ثقافي

---

[1] عزيز ابراهيم مجدي. **أسس تصميم منهج تربوي في ظل التنوع الثقا**في .القاهرة .مكتبة الانجلو مصرية.2001.ص 23.

[2] أنابي لموني. بيتسي ايفانر. **العولمة والمفاهيم الأساسية**. تر اسيا شوقي. الشبكة العربية للأبحاث والنشر. بيروت.2009 .ص 100 .

[3] عبد الغني عماد، **سوسيولوجيا الثقافة –مفاهيم والاشكالية من الحداثة الى العولمة** –دار النشر بيروت، ط 1،سنة 2006.ص 312.

وتداخلا مع غيره من الحضارات والمجتمعات، كما أن التبادل الحاصل بين المجتمعات يكسب كل واحدة منها طريقا للتعلم والتعليم الثقافي، ويخلق تداخلا وتنوعا حضاريا وثقافيا فيما بينهم أساسه إرادة الفرد ومصلحته.

3-1-1-4- التغير الثقافي :

لا يمكن الحديث عن التغير الثقافي إلا بوجود ثقافة مجتمع ، لأن هذا التغير لا يكون ظاهرة منعزلة بل هو ظاهرة شاملة وعامة لمجتمع معين وثقافة ما، سواء كانت هذه المجتمعات متفتحة أو منعزلة صغيرة أو كبيرة .

يعرف عالم اللغة " **درسيلر**" التغير الثقافي بأنه " تحول أو إنقطاع عن الإجراءات المجربة أو المختبرة والمنقولة عن ثقافة الماضي مع إدخال إجراءات جديدة "[1].

فالتغير عند " **درسيلر**" لا ينطلق من ثقافات جديدة بل هو جملة الخبرات الحياتية عن ماضي المجتمعات والتي تناقلتها الأجيال فيما بينها، مشكلة بذلك موروثها الثقافي مع إدخال قواعد ونظم جديدة تكون مسايرة لما هو حاصل.

فالتغير لا يساوي الثبات ، لأن كل تغير يحدث في تركيبة المجتمع يشمل عناصر وأنساق ذلك المجتمع، فالتغير الثقافي يمس كل النواحي الثقافية في المجتمعات وما تعلق بها من شقيها المادي أو غير المادي، كالمعارف والتقاليد الخاصة بالجماعات كاللغة واللباس وغيرها، وكل ما يظهر على هذه الجماعات من تحول في الأدوار والقواعد الاجتماعية التي تحكمهم وتضبطهم من حيث هم أفراد في ذلك المجتمع. ويمكن أن نخلص إلى أن كل تغير ثقافي يتضمن تغيرا اجتماعيا.

[1] عبد الله الخريجي، **التغير الاجتماعي والثقافي**، مؤسسة زامتان للتوزيع ،جدة، 1983، ص 265.

3-1-2- علاقة الموروث بالثقافة :

بعد تحديدنا لمصطلحي الثقافة والموروث سنحاول إبراز العلاقة بينهما، وحسب الباحثة **"ياسمين شرابي"** العديد من العلماء والمفكرين الأوروبيين، خاصة في مجال الإثنولوجيا والفلكلور نجد في تعاريفهم لمصطلح الثقافة قرب كبير لمفهوم التراث"[1]، ونجد هذا حتى عند العرب حيث هناك من يساوي بين المفهومين إذ يقول الباحث والمختص في الفلكلور **"فوزي العنتيل"** خلال دراسته للتراث الشعبي في تعريفه للتراث أنه " تلك الثقافة أو العناصر الثقافية التي تلقاها جيلا عن جيل أو التي انتقلت من جيل إلى جيل أخر"[2].

فالثقافة إذ ما اعتبرناها موروثا ذو خاصية إنسانية دونا عن غيرها، من خلال إنتاجات الإنسان الثقافية المادية وغير المادية، التي هي من صنع أنامله وبوسائل وتقنيات غاية البساطة جلها من مخرجات الطبيعة الخالصة، لا لشيء إلا لسعيه في تلبية رغباته ومتطلباته والمتمثلة في لباسه وغذاءه وسكنه حيث استطاع أن يهذب الطبيعة ويتعايش وفق قوانينها، باستخدامه أدوات بسيطة أنتج منها صناعات حرفية عالية الإتقان والجودة والإبداع.

فالعلاقة مرتبطة ارتباطا وطيدا كل يكمل الأخر، انطلاقا من أن الموروث الثقافي هو جملة الأشكال والعناصر الثقافية والمهارات والأفكار التي تسود مجتمع معين ، هذه الحصيلة القيمة من الأسلاف والأجيال السابقة وصلت إلينا بناء على خاصية الاستمرارية والحفاظ على كل ما هو مقدس وثمين، يمس بخصوصية المجتمعات وهويات أفرادها وماضيها وحاضرها، هذه الاستمرارية تحمل في جنباتها الكثير من الرقي والتطور الحضاري من خلال جسر التواصل بين الأجيال المتعاقبة جيلا بعد جيل .

---

[1] يسمينة شرابي ، **الموروث الثقافي في أدب الرحلة الجزائري-(نماذج من رحلات القرن العشرين)**. مذكرة مقدمة لنيل الماجستير في اللغة والأدب. جامعة البويرة 2013/2012.ص 11.

[2] فوزي العنتيل .مرجع سابق.ص 77.

مما لا شك فيه أن للثقافة الدور الكبير في بناء حضارات الأمم والشعوب وكل ما تعلق بنشاطات الإنسان على اختلافها وتنوعها، حيث كان الغرض المرجو هو السير قدما لتحقيق الازدهار والرقي، وهذه المجتمعات لا تخلو من عادات وتقاليد وطقوس تميزها عن غيرها من الشعوب، مكونة بذلك إرثها الثقافي الذي يتراكم من خلال تعاقب الأجيال، حيث يمتلك الإنسان " ثقافة يستعين بها على البقاء، كما يستعين الحيوان على البقاء بأساليب السلوك الغريزية. "[1]

إن في هذا الرأي الكثير من المنطق والموضوعية فتشبيه الثقافة كوسيلة لبقاء الإنسان لا يوجد أبلغ منه، فالفرق بين الإنسان والحيوان هو العقل ، فهذا التميز الرباني للإنسان على غيره من المخلوقات كان لهدف أسمى، فما تعلق بأكله وشربه وملبسه يدخل في التركيبة الفطرية له، أما ما تعلق بالمعارف والأفكار والمهارات والإبداع فهو من مميزات العقل البشري ، الذي يسعى دائما لاكتشافات أفضل وأسرع تسهل من عيشه وتطوره وترتقي به، مكونا من خلال كل هذا إرثا ثقافيا وحضاريا يسير في منحى تسلسلي من جيل لأخر حفاظا على إرث الشعوب وخصوصياتها الثقافية ومميزاتها الحضارية .

3-2- أقسام الموروث الثقافي :

يتميز الموروث الثقافي بغنى عناصره، ثري بخصوبة مادته ولو تأملنا المجتمعات من حولنا نجد هذا التنوع في كل واحد منها في تاريخها وأصالتها وماضيها، فثقافة المجتمعات مرهونة بتاريخها " بل

[1] شريف كنعانة. **دراسات في الثقافة والتراث والهوية**. مواطن المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديموقراطية. رام الله.فلسطين.2011.ص 35.

هي في وجه من الوجوه تعبير عنه وربما هي أكثر من ذلك ما يستمر ويبقى التاريخ "[1]، فالموروث الثقافي بشقيه المادي والمعنوي هو " الذي يميز كل بلاد أو حضارة عن الأخرى."[2]

ويمكن تقسيم الموروث الثقافي إلى قسمين :

3-2-1/- الموروث الثقافي المادي :

يعتبر الموروث الثقافي المادي مصدرا متميزا لا مثيل له يحمل قيما مختلفة ثقافية كانت أو فنية أو علمية أو أدبية، فهو من صنع الإنسان الذي لطالما أبدع وأبهر بفكره وعلمه وإتقان أنامله، وما تناقلته الأجيال فيما بينها هو نتاجه وصنعه، إذ عرف الموروث الثقافي المادي على أنه " كل ما يصنعه الإنسان في حياته العامة، وكل ما ينتجه العمل البشري من أشياء ملموسة، وكذلك كل ما يحصل عليه الناس عن طريق استخدام فنونهم"[3].

ما يغلب على الموروثات الثقافية في هذا التعريف أنها ذات طابع تقليدي أصيل، فبالرغم من التكنولوجيا والحداثة التي نشهدها اليوم إلا أنه لا غنى لنا عن تلك المشاهد والسلوكات التي تسكن داخلنا وتعيش معنا إذ لها قيمة كبيرة وأهمية بالغة في حياتنا .

وعرفت الموروثات الثقافية المادية كذلك على أنها " تلك التقنيات والمهارات والوصفات التي انتقلت عبر الأجيال، كبناء البيوت وصناعة الملابس وإعداد الطعام وفلاحة الأرض وصيد الأسماك وغيره"[4].

---

[1] أحمد فتال، **بنية الثقافة الجزائرية وأسسها، عرض عام**، مجلة الثقافة، عدد 19.افريل 2009.وزارة الثقافة. الجزائر .ص111

[2] جميل نسيمة، **السياحة الثقافية وتثمين التراث من خلال البرامج التلفزيونية في الجزائر**، كلية العلوم الاجتماعية، تخصص علوم الإعلام والاتصال، مذكرة لنيل شهادة ماجستير جامعة وهران، 2009-2010 ،ص 36

[3] أحمد أبو يزيد، **محاضرات في الأنثروبولوجيا الثقافية**، دار النهضة العربية، بيروت .1978.ص 47.

[4] فاروق احمد مصطفى، مرجع سبق ذكره ، ص 21.

ويشمل الموروث الثقافي المادي " أنواع منقولة أو ثابتة ،أو مواقع أو مجموعات هياكل ،أو سمات وخصائص طبيعية ، أو مناظر طبيعية ذات قيمة أثرية أو حفرية أو تاريخية أو معمارية ،أو دينية .

أما الباحث **" ريتشارد دورسون"** فيرى في الموروثات الثقافية المادية " نولي اهتمامنا في هذا الميدان لجوانب السلوك الشعبي المنظورة وليس المسموعة "[1]، ومن خلاله الموروث المادي يقتصر على كل ما نراه بالعين المجردة، كما يمكن أن تلامسه الأيادي البشرية كحقيقة واضحة للجميع فهو أمر ذو أهمية لا يمكن أن ننكرها أو نتغاضى عنها، كما أنه لا يعترف بأي موروث خارج النطاق المادي والملموس

جمالية أو غيرها من القيم التاريخية "[2]

ويمكن تقسيم الموروث الثقافي المادي إلى قسمين يتمثلان في[3]:

أ- الموروث المادي المنقول :

إن التراث المادي المنقول يحوي في طياته كل ما كان له علاقة بالإنسان من خلال مهاراته وإبداعاته في مختلف المجالات والميادين، بما في ذلك النقود والعملات المعدنية في عصور مختلفة إلى تماثيل وصور ولوحات فنية ورسومات أبدعت فيها الأيادي البشرية، كما اشتمل على الخزف كالفخار وكذا الحجارة ذات النقوش والصور التي رسمت على حجارة منقولة، فهو بذلك يضم مختلف الإنتاجات المادية للثقافة كالصناعة التقليدية والصور والنماذج الفنية، ناهيك عن الكتب والمخطوطات والوثائق ذات قيمة وأهمية تعود إلى حقب

[1] محمد الجوهري. **علم الفلكلور. الأسس النظرية والمنهجية**.ج1.ط1.دار المعارف .القاهرة1981.ص 120.

[2] سعاد حميدة .**عناصر التراث الثقافي المادي واللامادي الجزائري ومنهجية صونه**. مجلة الآداب .جامعة ميلة .المجلد19.العدد01.ديسمبر 2019.ص 98-118.

[3] عواج سامية. **التراث المادي واللامادي ودور الإعلام في الحفاظ عليه وتثمينه**. مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية مجلة دورية دولية محكمة .العدد 22.ص 40-68

معينة، ضف إلى هذا الطوابع البريدية، وكذا "المحفوظات بما فيها المحفوظات الصوتية والفوتوغرافية والسينمائية".

ب- الموروث المادي غير المنقول :

هذا النوع من التراث يشمل العديد من المواقع ذات الطابع الأثري كالكهوف والمغارات وما نقش وحفر في جدرانها من صور ورسومات، كما نجد فيه منشاة ذات طابع ديني كالمساجد والزوايا، وأخرى ذات طابع مدني اجتماعي كالحمامات والشلالات وغيرها، كما نجد أيضا الطابع التاريخي متجسدا في المدن القديمة كما شمل أيضا الأحياء القديمة وكل ما يتعلق بالمباني من نقوش وزخارف معمارية ويكون ثابتا، أما علماء الأنثروبولوجيا فقد حددوا المكونات والعناصر التي تحدد الموروث للثقافي فيما يلي [3]:

ا- الآلات الموسيقية : منها ألات النفخ، وكذا الإيقاع وغيرها

ب- الألعاب الشعبية : الفروسية ، البارود ...

ت- فنون التشكيل الشعبي : كفن العمارة الشعبية، والرسوم الحجرية والرملية وكل ما يدخل فيه العمل اليدوي.

ث- أدوات العمل الزراعي.

ج- الأدوات المنزلية.

ح- الحرف والصناعات الشعبية : كصناعة الزرابي والأواني الفخارية وغيرها .

وكما سبق وأشرنا إليه فيما تعلق بأنواع الموروث الثقافي كان قسمه المادي الأكثر وجودا وصمودا مقارنة مع غيره من الموروثات، من خلال ما جسدته أيادي البشرية على مر الأزمنة والعصور وتناقلته الأجيال فيما بينها، ففي هذا النوع من الموروث ما يمكن نقله كالمعادن والعملات والحجارة المنقوشة والمخطوطات وغيرها، ومنها ما لا يمكن نقله خاصة ذي الطابع الأثري منها كالمباني والكهوف .

فالموروث الثقافي المادي سواء كان منقولا أو غير منقول فهو يرتبط ارتباطا وثيقا بالموروث الاجتماعي لأن كلها نابع من ممارسات الإنسان، وبهذا يمكن اعتبار الموروث المادي هو الأكثر مواجهة للتغيرات والتحولات التي تطرأ على المجتمعات، وتكون عند إذ الأكثر حماية من غيرها من الموروثات رغم التعاقب الزمني عليها.

3-2-2- الموروث الثقافي غير المادي :

إن التراث الثقافي غير المادي مغاير لسابقه فهو معنوي وغير ملموس، إذ أنه وسيلة للتعبير عن الهوية والثقافة من خلال ما يتم دعمه من إرث يشمل مجموع المعارف والطقوس والممارسات والعادات والتقاليد الموروثة من سابقينا، وكذا الفنون كالغناء والموسيقى والرقص والشعر "يتعلق الأمر كذلك بالمعارف المرتبطة بالمهن القديمة ".[1]

إن هذا النوع من الموروث الثقافي نراه ذو أهمية بالغة في نقل الأفكار والمعارف بين الأجيال وكذا التماسك الاجتماعي الحاصل بينهم، ولكون هذا الأخير غير مادي كان لابد من وضعه في طابع رسمي خاص به وذلك من أجل حمايته والحفاظ عليه من الزوال والإندثار، و"يرجع ذلك لمساعي منظمة اليونيسكو حيث وضعت صكوكا في ذلك جعلت التراث الغير مادي يشمل التقاليد أو اشكال التعبير الحية الموروثة من أسلافنا والتي تداولتها الأجيال الواحد تلو الأخر وصولا إلينا "[2].

حتى نتعرف عن كثب عن الموروث الثقافي غير المادي ارتأينا أن ننوه لجملة من الخصائص التي يتميز بها نذكرها كالأتي[3]:

---

[1] حمودة العوري. **التراث الشعبي وعلاقته بالتنمية في البلاد النامية .دراسة تطبيقية عن المجتمع اليمني** . عالم الكتاب للنشر. الطبعة 2. ص 88

[2] طلال معلا: **التراث الثقافي غير المادي ، تراث الشعوب الحي**، سلسلة أوراق دمشق، العدد 4، ص 2

[3] منظمة الامم المتحدة للتربية والعلم والثقافة. **التراث الثقافي غير المادي** . ص 3 .

أ- **تراث تقليدي ومعاصر:** يعني أن الموروث الثقافي غير المادي **"**لا يقتصر فقط على التقاليد الموروثة من الماضي، و إنما يشمل أيضا ممارسات ريفية وحضرية معاصرة تشارك فيها جماعات ثقافية متنوعة" .

ب- تراث جامع : إذ كل ما ينتج من أشكال التعبير عن الموروث الغير مادي " يعطينا إحساس بالهوية والاستمرارية وتشكل حلقة وصل بين ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا"، إذ يغلب على أفراد المجتمع طابع التماسك وحب الانتماء كما يزيد من روح المسؤولية لديهم .

ت- تراث تمثيلي : التراث الثقافي غير المادي لا يقيم باعتباره سلعة ثقافية أو لطابعه المميز، بل يستمد قوته من المجتمعات المحلية التي تعتمد على العادات والتقاليد لضمان انتقال المعارف من جيل لأخر.

ث- تراث المجتمعات المحلية : المجتمعات المحلية هي المسؤول الأول عن إنتاج هذا النوع من الموروث وهي القائمة عليه وتعمل على الحفاظ عليه وصونه، حيث لا يمكننا القول عن التراث أنه كذلك إلا إذا تميز بهذه الخاصية .

أما عن المجالات التي يتمظهر فيها الموروث الثقافي اللامادي يمكن حصرها كالآتي[1]:

أ/- التقاليد وأشكال التعبير الشفاهية، بما في ذلك اللغة كوسيلة أساسية للتعبير عن هذا النوع من الموروثات.

ب/- الممارسات الاجتماعية والطقوس والاحتفالية.

ت/-المعارف والممارسات المتعلقة بالطبيعة والكون.

ث/-المهارات المرتبطة بالفنون الحرفية التقليدية.

[1] سليم حاج سعد ، التجاني مياطه ،**التراث المادي واللامادي لقلعة بني راشد وسبل الحافظة عليه** ، مجلة قبس للدراسات الانسانية والاجتماعية، المجلد 07 ،عدد خاص ، ص ص 340-356،فيفري 2023

لا يمكن بأي شكل من الأشكال أن ننكر الدور الهام الذي يلعبه الموروث الثقافي غير المادي في حياة الأفراد والمجتمعات، بما يحتويه من ممارسات ثقافية وسلوكات وعادات وتقاليد وطقوس تحفظ لهم هويتهم وتساهم في بقائها وديمومتها عبر السنين، وتسعى أن تتناقلها بين الأجيال دون حذف أو نقصان ونظرا لهذا الاختلاف الذي يكمن بين النوعين من الموروث، إذ نوهنا سابقا أن الموروث الثقافي المادي هو الأكثر صمودا ووجودا إذ ما قورن بالموروث اللامادي، لدى لابد من أن تولى حماية بالغة لهذا النوع الغرض منها هو حماية الموروثات الفكرية والسلوكية، والتي نرى أن لها كل الأحقية في الرعاية والفخر والاعتزاز لأنها تاريخ الأمة وماضيها وجب أن تصان حتى تبقى حية في أوساط أفرادها وتتناقل بكل أمانة من جيل إلى أخر.

بالرغم من تعدد أقسام الموروث واختلافه بين المادي وغير المادي وكذا الثابت والمنقول، إلا أنه يرسم للمجتمعات ملامح حضارية وخصوصيات ثقافية تتمثل في جملة العناصر الثقافية والسمات المكونة لماضيها وحاضرها ومستقبلها، فلا يمكن الفصل بين القسمين فكليهما وجهان لعملة واحدة وهي هوية المجتمعات وذاكرتها.

3-3- عناصر الموروث الثقافي:

يتشكل الموروث الثقافي من عدة عناصر ثقافية مترابطة بعضها ببعض، الهدف من خلالها حماية التراث ونقله عبر الأجيال وصونه من الزوال والاندثار و يمكن عد عناصره فيما يلي :

3-3-1/- الموروث الفكري :

يعد الموروث الفكري أحد أهم عناصر الموروث الثقافي، فهو يتعلق بكل ما تركه لنا المفكرين والعلماء وأهل العلم في أزمنة سالفة، متجسدة في جموع الكتب والمجلدات وكل ما هو ناتج عن جهودهم الفكرية التي

ترجموها في أعمال ومؤلفات على مر السنين، حيث أكد في هذا الصدد الدكتور **"مجدي وهبة "** أن التراث هو ما خلفه السلف من أثار علمية وفنية وأدبية".[1]

هذا الموروث الفكري في تجمعه يشكل جزء من حضارة الإنسان وتاريخه، حيث كان وقتها لا يشغل ذهنه إلا أمور العلم فحجم مؤلفاتهم وكثرتها وتنوعها يؤكد هذا، إذ نجد " العالم منهم أشبه بموسوعة تضم أكثر من تخصص في فروع العلم ... وكانوا يكتبون مؤلفاتهم بأسلوب تعليمي رائع"[2].

فكل الموروثات الفكرية لا تخص الماضي وحده بل تمتد إلى أبعد من ذلك في ارتباط وثيق مع حياة مؤلفها ... فإسهاماته و مؤلفاته كلها "تعد تراثا فكريا "[3].

لكن الملحوظ أن الموروثات الفكرية بتنوعها وإمداداتها الثقافية للإنسانية لم ترقى بعد إلى الاهتمام والصون الذي يليق بها، فهذا الطرح ينطلق من مشاهد المكتبات وأرشيفاتها وما تحملها في داخلها من عصارات سنوات وقرون خلت، حين خال المفكر أو العالم أيامها أنه أشعل ضوء منيرا للأجيال التي تليه حتى تمضي قدما فيما تركه هو وأسلافه، فالغبار الذي يكسوا الكتب والمخلفات تطرح علامات من التعجب والاستفهام، فلا يعقل جعل حضارة الأجيال في طي النسيان دون رعاية من أهل الاختصاص والعالمين بالأمر، كما أن ربط التراث بالماضي أمر غير منطقي فالعلم من مميزاته أنه تراكمي ويصلح لكل مكان وزمان، فمقدمة **"ابن خلدون"** هي من أقدم المصادر التي نعتمدها في بحوثنا رغم مرور سنوات وأجيال، إلا أن القيمة العلمية والفائدة التي بداخل الكتب والموروثات الفكرية لا تغيب ولا تموت بموت صاحبها بل تكتسي

---

[1] مجدي وهبة, كامل المهندس. **معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب** .مكتبة لبنان-بيروت.ط2. 1944-1984، ص93.

[2] أحمد فؤاد باشا، **التراث العلمي للحضارة الإسلامية ومكانته في تاريخ العلم والحضارة**، دار المعارف، ط2.القاهرة.1984.ص 36.

[3] عبد السلام هارون، **التراث العربي**، دار المعارف، د ط، القاهرة، دت، ص 5.

طابع الاستمرارية "فالتراث غني بعوامل الديمومة والقدرة على الفعل وتدليل عقبات الحياة في الحاضر والمستقبل"[1].

ما يمكن أن نخلص إليه أن الموروث الثقافي الفكري هو عصارة فكرية وأدبية وعلمية، لجملة من المفكرين والأدباء والكتاب والعلماء وغيرهم من السلف، الذين كان إسهامهم واضح في توريث الأمم والشعوب وإحاطتها الدائمة بماضيها ونقل نظرة عن حاضرها ومستقبلها، فالكم الهائل من الموروث الفكري هو خير دليل وشاهد على النمو الثقافي والفكري الذي عرفه سابقونا، فأهميته بالغة في حفظ التاريخ وحماية ذاكرة الأمم، من خلال ما حملته تلك المخطوطات والصور والسجلات التاريخية التي عبرت عن الحضارة الإنسانية.

لكن ما نراه في السنوات الأخيرة هو تهميش ملحوظ لهذا النوع من الموروثات، وبالرغم من الكم الهائل الذي يمتاز به إلا أننا نجده حبيس المكتبات والمساجد وغيرها من الرفوف والخزانات التي تحفظ فيها الكتب والمخطوطات حيث يكسوها الغبار ويغطيها نسيج العناكب، بل وضياع الكثير منها أحيانا.

إن الموروث الفكري لا يحكي قصص الغابرين حتى نعتبر منها، بل يشير إلى حاضرنا ويوجه رسالات إلى مستقبلنا من خلال رؤية تأملية وأفاق مستقبلية علها تكون حلا وإسهاما في تحقيق مستقبل أفضل فهو موروث وإن سقطت وصلته الزمنية وخرج من إطار التاريخية فهو يتجه بذلك صوب حاضر المجتمعات ومستقبلها.

غير أن ما تقوم به السلطات الجزائرية اليوم في محاولة منها الحفاظ على الموروث الفكري وصونه تعتبر خطوة متميزة وملفتة، حيث عممت مشروع الرقمنة على جميع القطاعات والمؤسسات هذا الأخير من

[1] علي لطرش. **الخطاب النقدي والاجتماعي وموقفه من التراث الادبي العربي.** شهادة دكتوراه دولة في النقد الادبي الحديث. كلية الادب واللغات. قسم اللغة العربية و آدابها. جامعة الجزائر.2007-200-. ص 162.

شأنه حفظ الكتب والمخطوطات وكل ما تعلق بالإرث الفكري في شكل أسطوانات وملفات رقمية تحفظ لدى مصالح الأرشيف الخاصة بكل مؤسسة.

3-3-2- الموروث الاجتماعي :

وهنا يرتبط الموروث بالمجتمعات وما يحدث داخل أفرادها خاصة ما تعلق بالمعتقدات والأفكار والعادات والتي تؤثر فيهم في شكل سلطة على طباعهم، تتناقلها الأجيال فيما بينها وهذه السمة تميز مجتمعا عن غيره، فهو جملة " السلوكيات والأقوال التي بقيت عبر التاريخ وانتقلت من جيل إلى جيل ومن مكان إلى أخر، ويمكن حصرها في المعتقدات والمعارف الشعبية والعادات والتقاليد الشعبية والفنون الشعبية ".[1]

من هذا المنطلق الذي يربط بين القول (الفكر) والفعل (الممارسة) ينتج الفعل الثقافي، الذي بدوره يخلق نسيج من العادات والأعراف بين أفراد المجتمع الواحد تتناقل فيما بينهم ثم تنتقل إلى غيرهم في شكل تسلسلي ، الهدف من خلاله الحفاظ على ما صنع السلف.

ويجمع الموروث الاجتماعي داخله ثلاث مكونات أساسية تجلت في المعتقدات والتقاليد والفنون هذا ما يبرزه الباحث **"مصطفى فاروق"** بقوله أن " الموروث الاجتماعي ينحصر في ثلاث نقاط هي: - المعتقدات- العادات والتقاليد الاجتماعية- الفنون الشعبية نذكرها على النحو الآتي[2] :

أ- **المعتقدات** : هي مجمل ما يؤمن به الشعب فيما يتعلق بالعالم الخارجي والعالم فوق الطبيعي، وتتميز هذه المعتقدات بخصائص مميزة منها أنها ميدان أكثر من أي ميدان آخر من ميادين التراث الشعبي ما يعرف بالأفكار أو المواقف الإنسانية العامة أو ما يعرف بالأفكار الأساسية كما أنها تهتم بالبحث عن تصورات الناس عن بعض الظواهر الطبيعية والنفسية ".

---

[1] علياء الحسين محمد كامل. **دور الموروثات الثقافية في التهميش الاجتماعي للمرأة المصرية .دراسة أنثربولوجية**. مجلة كلية الآداب جامعة الفيوم.(الانسانيات والعلوم الاجتماعية).مجلد13.العدد 2. 2021. ص 3399-3447.

[2] فاروق احمد مصطفى. مرجع سابق .ص 20.

كما نجد موضوعات أخرى ذات ارتباط بالمعتقدات " كالاعتقاد والتبرك بالأولياء الله الصالحين، ممارسات السحر، والشعوذة، الطب الشعبي، الأحلام وتأويلاتها"[1].

ونجد عالم الاجتماع الأمريكي **"بارسونز"** يستخدم الأفكار والمعتقدات على أنهما معنى واحد فيرى أن" تقسيم المعتقدات يكون على أساس الموضوعات التي شملتها، سواء تلك الخاصة بالبيئة أو الكائنات الحية "[3]، إن هذا التعريف **" لبارسونز"** وإدراجه للمعتقد والفكر تحت غطاء واحد نجده موضوعيا ومنطقيا إلى حد كبير، لأن الفرد لا يؤمن بمعتقد ولا يقتنع بوجوده ولا يصدقه إلا عن طريق الفكر ثم بعد أن يسلم بالفكرة يتجه نحو الممارسات والعمل بها لتصبح بذلك سلوكا ملحوظا وملموسا .

يسعى الإنسان دائما لتقديم حلول وتفسيرات منطقية لكل ما تراه عيناه سوآء في الحياة المعيشية أو ما خفي منها كل هذا يكون من خلال ما يعتقده، وتختلف بذلك اعتقاداته حسب مواضيعه التي يرتبط بها، وتكون مستمرة ومتواصلة بين الأجيال، لأن المعتقدات جاءت لتشبع رغبات المجتمعات هذا ما جعلها ذات أثر بالغ الأهمية لديهم.

ب- العادات والتقاليد الاجتماعية :

يقال أن الإنسان ابن بيئته، ويتأثر بشكل كبير بما يراه فيها ويتعلمه منها فهو بداخلها يسير وفق نسقها ويتبع نظمها، فمن خلال عناصرها الثقافية يؤسس هو وباقي أفراد المجتمع مفهوم الهوية والانتماء لديهم وحب الارتباط، ثم إن التنشئة الاجتماعية فيما بينهم خلقت لديهم الاعتزاز بكل ما يربطهم كالعادات والتقاليد والقيم والأعراف .

فالعادات والتقاليد الاجتماعية لا نراها إلا ارتباطا وثيقا بين الأفراد وموروثهم الثقافي والمادي وغير المادي، معبرين من خلالها على مدى تمسكهم بقيمهم وكل ما تعلق بثقافتهم وهويتهم، انطلاقا من ما سبقوهم، وفي هذا الصدد يقول **"ابن خلدون"** في كتابه الشهير " المقدمة " إن لسلطان العادة أهمية كبرى

[1] الميلود طواهري. **المقدس الشعبي . تمثلات ومرجعيات وممارسات** . دار الروافد الثقافية للنشر.ط1. 2006.ص 156.

في تطور المجتمعات كما هي مؤثرة في العمران البشري، فالإنسان لا يمكنه مخالفة سلفه في ذلك إلى الخشونة في الزي واللباس والاختلاط بالناس إذ العوائد حينئذٍ تمنعه وتقبح عليه مرتكبه ولو فعله لرمي بالجنون والوسواس في الخروج عن العوائد "[1].

فالعادات والتقاليد الاجتماعية مرتبطة ارتباطا وثيقا بحياة الأفراد اليومية، فمن خلالها تتجسد ذاكرتهم وتاريخهم وهويتهم الجماعية والتي يعبرون فيها عن واقعهم من خلال الممارسات والافعال التي اعتادوا أن يمارسوها فيما بينهم، ونلمس فيها طابعا ذا خصوصية وقداسة كما له من العفوية جعلت من تلك العادات والتقاليد الاجتماعية ذات أهمية وقيمة ومكانة بالغة فيما بينهم، والأمر الذي أكسبها هذا هو" الامتثال الجماعي والقبول والمرافقة الاجتماعية (الجماعية) التي قد تصل في بعض الأحيان إلى الطاعة المطلقة وتتوقف العادات الاجتماعية على ظروف المجتمع، فهي تختلف بحسب المجتمعات والأزمنة المطلقة"[2].

ويرى عالم الأنثربولوجيا البريطاني **"مالينوفسكي"** في العادات أنها "روتين الحياة التي يشهدها الأفراد، ذلك الروتين يتعلق بطبيعة اللغة واللهجة التي تستعمل في الحياة اليومية والتي تتفاعل مع الرموز السلوكية، فتكون جملة ظواهر اجتماعية معقدة يصعب على العالم تدوينها أو وصفها أو تحويلها إلى أرقام لكن يمكن مشاهدتها وقت حدوثها أو التكلم عنها "[3].

فالأفراد من خلال قيامهم بأعمالهم وممارساتهم اليومية هم بصدد تشكيل سلوكات مكتسبة وأساليب خاص بذلك المجتمع، ويدخل ضمن العادة والروتين الناتج عن تكرار أفعال معينة كلها ضرورية لإشباع حاجيات المجتمع ورغباته، حيث يختار أفراده السلوكات الأكثر ملائمة لتصبح عادة لديهم ويعملون على

---

[1] عبد الرحمن ابن خلدون . **المقدمة**. دار إحياء التراث العربي. ط 4 . د ت . ص 147

[2] فاروق أحمد مصطفى، مرجع سابق . ص 78.

[3] دينكن ميشل. **معجم علم الاجتماع**. تر الحسن احسان محمد. معجم علم الاجتماع. دار الطليعة للطباعة والنشر. بيروت 1984. ص 157

حفرها في أذهانهم كما يعملون على نقلها فيما بينهم ومن تم" إلى الأجيال المتعاقبة على شكل أعراف وتقاليد تحرص عليها الجماعة وتحترمها "[1]، كل هذا يساهم في بناء الوحدة والهوية التي تجمعهم داخل مجتمع واحد، وفي كتاب" في الثقافة الشعبية الجزائرية" للباحث عبد الحميد بورايو نجد العادات والتقاليد الاجتماعية حددت في عناصر هي[2]:

– دورة الحياة (الميلاد، الختان ، الزواج ، الوفاة ...) .

– الأعياد والمناسبات المرتبطة بدورة العام (الأعياد الدينية، الأعياد الوطنية، احتفالات المناسبات الزراعية...).

–المعاملات الاجتماعية بين أفراد الجماعة (الاستقبال، التوديع، الضيافة، علاقة الصغير بالكبير علاقة الغني بالفقير...).

ت/– الفنون الشعبية :

تعد الفنون الشعبية فنا إبداعيا وسمات جمالية أوجدتها أنامل البشر حتى يتسنى لهم التعايش مع محيطهم، وإعطاء لمسة جديدة وإضافة فنية عفوية على حياتهم اليومية، ويكون أساسها مرتبط بالأفراد ومناسباتهم وأيضا بالعقائد الفطرية لهم فنراها تختلف من مجتمع لأخر بل قد تتنوع حتى داخل المجتمع الواحد.

[1] عبد الله رشدان. **علم اجتماع التربية** . دار الشروق للنشر والتوزيع . الاردن . 2004. ص 141.

[2] عبد الحميد بورايو ،**في الثقافة الشعبية الجزائرية التاريخ والقضايا والتجليات**، دار اسامة للطبع ون وت , منشورات رابطة الادب الشعبي لاتحاد الكتاب الجزائريين ، دون ت ،ص 38

حيث عرفت بالفنون الشعبية بالعديد من الأسماء منها الفلكلور الشعبي، التراث الشعبي، المأثورات الشعبية وهي "جملة الفنون التقليدية الحية الجارية في الاستعمال، و تشمل جميع الفنون والصناعات والحرف والأعمال التي تمارس بيننا"[1].

تمثل الفنون الشعبية حيزا أساسيا من تاريخ الأمم والشعوب وتراثها الثقافي فتعتبر أحد أهم أجزاءه فهي نابعة من روح الجماعات وأفكارها ومخيلاتها وهذا الضمير الجمعي أصبح مصدرا مهما من مصادر تاريخ المجتمعات، كما سهلت طريقة التعرف على عادات وتقاليد الأفراد والجماعات وكذا سلوكاتها وهي فنون جماعية عرفت بجملة من السمات والخصائص كالعراقة والقدم وسرعة الانتشار بين الأفراد والجماعات، كما أنها لا تدخل تحت لواء فرد معين بل تتسم بروح الجماعة، وتعتبر كذلك وسيلة من وسائل التعبير عن الحس والذوق الجمالي لدى الفرد الشعبي .

ويدخل ضمن عناصر الفنون الشعبية كل من "الرقص الشعبي والموسيقى الشعبية، الألعاب الشعبية، فنون التشكيل الشعبي كالأشغال اليدوية ،والحلي والازياء الرسم وأدوات الزينة ...الخ"[2].

إن هذا الاختلاف والتنوع بين الفنون الشعبية من أشغال ذات الطابع اليدوية ورقصات وموسيقى شعبية وغيرها، تمثل تشبعا ثقافيا وزخما للموروث الثقافي يمكن أن يحفظ للمجتمعات تاريخها ما إن تناقلته الأجيال فيما بينها، ولعل الجزائر من البلدان التي يزخر إرثها الثقافي بالعديد من هذه الفنون الشعبية والأيام الاحتفالية الخاصة بها، فيعبر أفرادها عن مدى حبهم وتمسكهم بهذا النوع من الفنون ويتضح ذلك من خلال من نراه في مشاركاتهم ضمن المعارض والوطنية والاحتفالات التي تمس الفنون الشعبية، لتأكد هذه الأخيرة أنها فن إبداعي وذوق جمالي يعبر فيه أصحابه عن روح الجماعة وذوقها.

---

[1] ابراهيم الحيدري، **اثنولوجيا الفنون التقليدية** ، دار الحوار، اللاذقية ، سوريا،1984، ص 25.

[2] محمد الجوهري، **علم الفلكلور(دراسة في الانثربولوجيا الثقافية)**، دار المعارف، مصر، ج1،سلسلة علم الاجتماع المعاصر، الكتاب 17، ط6 ،2004، ص ص 69-70.

إن ما تضمنه الموروث الاجتماعي من العادات والتقاليد والمعتقدات والفنون الشعبية هي جملة التجارب اليومية المعبرة عن إبداعات ومهارات أفراد، فكانت بذلك عفوية خالصة لا تحكمها قواعد ولا تضبطها ضوابط، بل هي أنماط سلوكية من الأفراد تجاه جماعاتهم يتم تداولها فيما بينهم وهي المشكل لذخيرة الأسلاف والأجداد لأنها تربطنا بحياتهم وماضيهم لا سيما جانبهم الفكري والروحي.

وكل العناصر المشكلة للموروث الاجتماعي ليست فقط مجرد عادات وتقاليد تتوارث فيما بين الأجيال، بل هي مخزون ومورد ثقافي نتسمد منه الكثير حتى تتجدد الطاقات والمواهب، انطلاقا من ما تركه الأسلاف، فنخلق روحا مبدعة من خلال اعتمادنا على التأثر والتأثير الحاصل ضمن أطر بيئية خالصة.

إن كل ما سبق ذكره يدخل خانة التراث الروحي المعنوي المتوارث عن أسلافنا وأجدادنا نحفظه عن ظهر قلب ونتناقله فيما بيننا خوفا من زواله واندثاره، فنسعى عن طريق ممارساتنا اليومية وحياتنا الاجتماعية بالعمل بما هو بداخلنا وما توارثناه عن سابقينا، لننقله بكل أمانة لأبنائنا وكل الأجيال القادمة في رسمة منا لماض عريق وثقافة غنية عن حضارتنا وموروثنا الثقافي .

3-3-3/- الموروث الشفوي :

إن الموروث الشفهي يحمل في طياته رموز ودلالات عميقة وهي غاية في الصعوبة، إذ أن طريقه نحو التوثيق والكتابة كان على النقيض تماما من الموروثات المادية التي حظيت باهتمام كبير وتوثيق عبر الحضارات والعصور، فالموروث الشفوي وباعتباره غير مادي (معنوي روحي) فهو أحد أهم الأشكال التعبيرية عن ما تخزنه الذاكرة الشعبية من موروثات متباينة بين قصص وخرافات وأمثال وحكم وغيرها "وهو يكتسي أهمية بالغة ألنه يشكل جزءا من التراث الثقافي، وشهادة حية على هوية الآمة وذاكرتها وموروثها الحضاري"[1].

[1] محمد سليماني .**حدود استعمال الرواية الشفوية في الكتابة التاريخية**. مجلة مدارات تاريخية.المجلد3.العدد4.جانفي 2022.ص 10-36.

وقد نوهت الباحثة **"ياسمين شرابي"** المتخصصة في الدراسات الأدبية واللغوية إلى أهم الفنون الشعبية والموروثات الشفوية لخصتها فيما يلي[1]:

- قصص البطولة (قصص المقاومين و الثوار، قصص الأنبياء ، ...)
- الأساطير.
- الأغاني بأنواعها .
- الأغاني الشعبية.
- الأمثال والحكم والأقوال السائرة والألغاز والنداءات والنوادر والحكم".

مع كل ما تطرقت إليه الباحثة نرى أن اللهجة تلعب دورا كبيرا بين أفراد المجتمع الواحد وهي ذات أهمية، من حيث أنها تمثل انتمائهم لقبائلهم وعشائرهم كما أنها المرأة العاكسة للخصائص السوسيو ثقافية وكذا النفسية للفرد المتحدث بها و تعتبر أيضا " أحد أجزاء أو نظم الثقافة "[2].

إن اللهجة وفور ما سمعت من صاحبها المتلفظ بها حتى تعرف مباشرة المكان الذي هو أت منه أو الذي ينتمي إليه، فاللهجة في المجتمع الجزائري متعددة ومختلفة بحسب البيئة التي ينتمي إليها الفرد، فعلى سبيل المثال الفرد العاصمي يختلف بلهجته عن التلمساني وعن الميزابي وعن الجيجلي وهكذا، فمن خلال لهجات الأفراد نستطيع تحديد الحيز الجغرافي لهم، فاللهجة مرتبطة بحياة الأفراد وممارساتهم اليومية فيما بينهم، ويرى رائد الدراسات اللغوية العربية والباحث اللغوي **"أنيس إبراهيم** " أنها مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة "[3].

---

[1] – ياسمين شرابي. مرجع سابق . ص 17

[2] عاطف وصفي، **الأنثروبولوجيا الثقافية**، دراسة ميدانية للجالية اللبنانية الإسلامية بمدينة ديربورن الأمريكية، دار النهضة العربية، د ت، ص .26.

[3] ابراهيم انيس. **في اللهجات العربية**. مكتبة الانجلو مصرية . 2003. ص 15.

ونخلص إلى أن للهجة دور كبير في نقل الموروث الثقافي باعتبارها أحد عناصره الأساسية وليس وسيلة لنقله فقط، فهي تمثل تراثنا وموروث أجدادنا مع جملة العادات والتقاليد وغيرها من الموروث بشقيه المادي وغير المادي.

إن الموروث الثقافي وإن اختلف وتنوع بين المادي واللامادي وبين الفكري والاجتماعي وغيره، إلا أنه يعتبر مخزون الأمة ومرأتها وتاريخها، فهذه الموروثات تتمتع بالكثير من قدرات المقاومة والصمود في وجه الحداثة ورياحها، ولعل ما تناقلته الأجيال فيما بينها إلى غاية يومنا هذا خير دليل، فالحرف والصناعات التقليدية والموسيقى ومختلف الفنون الشعبية وكل أنواع الموروث الثقافي المادي وغير المادي ما كانت لتصل إلينا لولى سعي أفرادها واجتهادهم في نقل الصورة التراثية والحفاظ عليها ونقلها جيلا بعد جيل.

كما لا يمكن إغفال الدور الذي لعبه الموروث الفكري على مر العصور والأزمنة متمثلا في جموع الكتب والمؤلفات التي عمد أصحابها إلى نقل الحقائق وإيصالها بكل أمانة حتى تتناقلها الأجيال وتتوارثها فيما بينهم.

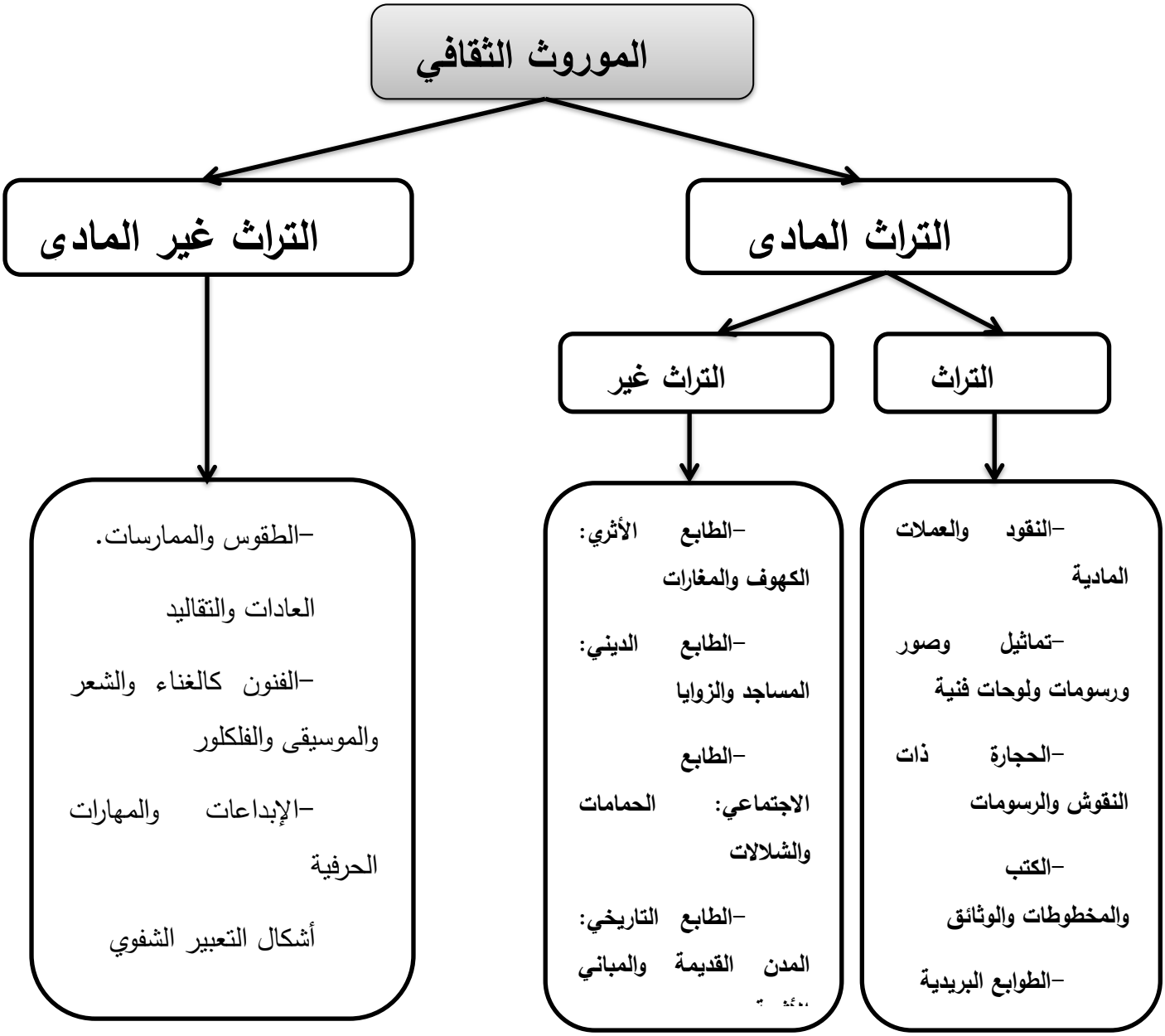
فكل هذا التنوع والاختلاف في الإرث الثقافي يصنع للمجتمع صورة جمالية تجعله يتميز عن غيره من المجتمعات، وقل ما نجد مجتمعا يتمتع بكل هذا التنوع داخله، فالجزائر من البدان التي يزخر موروثها الثقافي بهذا التنوع في شتى اقسامه المادية وغير المادية، فيجمع بين الحرف والصناعات التقليدية والفنون الشعبية الموسيقى، الموروثات الشفوية، القصص والألغاز...إلخ، هذا ما أعطى لها مكانة بين المجتمعات وأصبحت مقصد العديد من السياح على اختلاف جنسياتهم وبلدانهم حتى يتسنى لهم التقرب من كل موروثاتها على اختلافهم وتنوعهم .

وكحوصلة لكل ما سبق من تقسيمات للموروث الثقافي بين المادي وغير المادي، نجد منهم من أيد الشق المادي ورأى أن الموروث الثقافي لا ينحصر إلا فيه، وهناك من أقر بالشق المعنوي غير المادي غير أن الاتفاق سار على أن الموروث الثقافي لا يتم إلا بعناصره مجتمعة سويا مادية وغير مادية، فكل واحد

منهم يتمم الأخر، فالفرد عندما يطلق العنان لأفكاره ثم يتقاسمها مع باقي أفراد مجتمعه ليجسدها على أرض الواقع لتصبح نتاجا ماديا لما فكر فيه، فهو بذلك يشكل صورة لموروث مزدوج بين المادية واللامادية وتتوارثها الأجيال فيما بينها جيلا بعد جيل.

ويتجلى لنا من خلال ما سبق أن التراث الثقافي واسع بشقيه المادي وغير المادي نلخصه على النحو الآتي :

المخطط رقم 01: يوضح أقسام الموروث الثقافي



إن المخطط الذي بين أيدينا يقدم توضيحا حول أقسام الموروث الثقافي والتي تباينت بين الموروث المادي وغير المادي، وجمعت فيه المنقول وغير المنقول والذي عرضناه في المخطط أعلاه، إذ ينطلق الموروث الثقافي من عنصرين أساسين أولهم التراث المادي هذا بدوره انقسم إلى شقين حيث حمل في شقه الأول التراث المنقول وما يترتب عنه من أنواع الموروثات المنقولة كالنقود والعملات المعدنية، والحجارة والرسومات والمخطوطات وغيرها، أما شقه الأخر فيحمل في طياته كل ما هو غير منقول أي ما تعلق بالطابع الأثري كالمغارات والكهوف وأخر ديني كالزوايا وغيرها وأخر تاريخي كالمدن القديمة وأخيرا الطابع الاجتماعي كالشلالات والحمامات، أما النوع الثاني من الموروث الثقافي فهو ذا طابع غير مادي تجسد في إبداعات الحرفيين ومهاراتهم وما تعلق كذلك بالعادات والتقاليد وأنواع الفنون الشعبية كالرقص والغناء الشعبي وغيرها.

3-4- أهمية الموروث الثقافي:

تسعى كل الدول والمجتمعات جاهدة للحفاظ على موروثها الثقافي بشقيه المادي والمعنوي، فهو كنز الأمم و وجهها المشرق الذي تثبت من خلاله وجودها وتبسط كيانها، فهو بيت أسرارها وخصوصياتها، الذي من خلاله نتعرف على الجوانب المختلفة للمجتمعات الفكرية والاجتماعية والثقافية.

فالخوف من اندثاره وزواله لا سيما من الأخطار التي باتت تهدد كيانه واستقراره، أصبح الحفاظ عليه وضمان بقاءه أمرا لابد منه، فهو الشاهد الوحيد على حياة آبائنا وأجدادنا وحلقة وصل بين البشرية جمعاء على مر كل الحضارات السابقة، كالمواقع والمعالم التاريخية مثلا والتي " تشكل انعكاسا واقعيا لحضارة هي منبع الفخر، والاعتزاز، وتعاظم الشعور الوطني، والاحساس بالانتماء لهذا التراث العظيم "[1] .

[1] قسيمة كباشي. **التجربة السودانية في إدارة التراث الثقافي.** الطابعون. المروة للطباعة والنشر. الخرطوم.2008.ص 19

وسنحاول معرفة الأهمية التي يكتسيها الموروث الثقافي فيما يلي[1] :

-هو مرأة عاكسة لكل المجتمعات وأحد أهم الوسائل التي تعرف بها .

- يعتبر الموروث مصدرا مهما وموردا للاقتصاد الوطني .

- يساهم في تحسين دخل الأفراد من خلال خلق مناصب عمل جديدة .

- يعتبر الواجهة الأولى للمجال السياحي.

- المساهمة في تطوير الوعي الاجتماعي والنفسي للأفراد ويحافظون بذلك على هويتهم .

- ضرورة لابد منها في حياة الأفراد والمجتمعات فهو حلقة الوصل بين ماضيها وحاضرها ومستقبلها.

- التراث هو هوية الشعوب .

- يعتبر وسيلة للتعبير عن تنوع الشعوب من خلال التبادلات الثقافية في مختلف الميادين

- يبقى الموروث وسيلة ذات أهمية بالغة في نقل القيم على اختلافها ثقافية كانت أو تاريخية أو دينية...إلخ.

-يعد مادة علمية للبحوث العلمية من أجل الوصول إلى معرفة متكاملة عن الشعوب وحضارتها وثقافتها.

إن ما يشهده العالم اليوم من تطورات رهيبة ومتسارعة على كل الأصعدة، يجعل من المجتمعات مهددة بخطر فقدان موروثها واندثاره بسبب انسلاخ أبناء هذا الجيل وبعدهم عن كل ما ورثه أجدادنا وأباءنا، لكن ورغم هذا الصراع الذي لا يزال قائما ولن ينتهي بين مجاراتنا للتكنولوجيا وحفاظنا على إرثنا وإرث أسلافنا، يبقى الشوق الكامن بداخلنا والحنين إلى كل ما هو أصيل وتقليدي له من الراحة والطمأنينة في نفوسنا أكثر من غيره، فالإنسان دائما يسعى للحياة البسيطة ففيها يجد الأمان والاستقرار، فلو سكن القصور والناطحات

[1] Lipe . W. **Value and Meaning in Cultural.Resource**, Cambridge University Press, London. . 1984. p 6

لا يجد راحة إلا في بيت بسيط في ريف خال من ضوضاء المدينة ومتاعبها، ولو تذوق أحسن الأطعمة لن يستمتع إلا بما طهته المواقد القديمة وما أنتجته الأرض، ولو قرأ ألاف الكتب والروايات فلن يستلذ إلا قصص الجدة والكل مجتمع حولها ينتظر النهاية السعيدة منها، لأن هذا الموروث بشقيه يبقى محفورا في أذهاننا و حيا بداخلنا فلا "يمكن لأحد أن يستغني عن حكاية ،أو أغنية شعبية أو حكمة قديمة أو متوارث ،فكلها متعة للنفس، وحاجة ضرورية "[1]، فحفاظ الأمم على موروثها هو حفاظها على حاضرها ومستقبلها وتاريخها وماضيها فهو كنزها وقيمة مجتمعاتها فإن ضيعته وأهملته تكون بذلك فقدت كل شيء .

للموروث الثقافي أهمية ودور بارز في تنمية الأفراد والمجتمعات، فهو حاجز منيع ضد رياح الحداثة العاصفة بذاكرة الأمم وأصالتها، محاولة التغلغل في أعماق التاريخ لتجعل من الأفراد سريعي الذوبان في الثقافات الأخرى مسلوبي الهوية.

فالعلاقة بين الهوية والموروث الثقافي علاقة وطيدة ومتماسكة، فما نشهده اليوم من تفاقم للمخاطر الناجمة عن العولمة وما يترتب عنها من اجتياح خصوصيات الشعوب الثقافية والحضارية، تجعل من الموروثات بشتى أنواعها وأشكالها تتعرض لحملات مدبرة وبنوايا خبيثة هدفها التشويه والتقليل من القيم التراثية وطمس هوية المجتمعات ومحو خصوصياتها وسماتها الثقافية والحضارية، فالعلاقة إذا بين الهوية والموروث الثقافي بمختلف أقسامه بالغة الأهمية وعلى جوانب عدة.

ويمكن أن نلخص أهمية الموروث الثقافي في جملة من النقاط يمكن حصرها كالآتي :

- يعتبر الموروث الثقافي بشقيه المادي وغير المادي الشاهد الأول على ما عايشته الأجيال السابقة.
- هو هوية الأمم والمجتمعات التاريخية والحضارية والثقافية.

[1] علي الهمذاني. **الحكاية اليمنية في اطارها الانساني**. معارف . القسم الاول. عدد خاص ببحوث الملتقى الدولي الثاني : النص والمنهج. المركز الجامعي .البويرة . الجزائر. ع 4.افريل 2008.ص125

– تكمن أهميته في جانبه الاجتماعي إذ يلعب دورا كبيرا في غرس القيم الوطنية والاعتزاز بكل ما يتعلق بالوطن ، زيادة روح الانتماء والوطنية والتي بدورها تزيد من تلاحم الأفراد فيما بينهم.

– أما من الجانب الاقتصادي فيعتبر الموروث الثقافي دخلا مهما للاقتصاد الوطني وموردا بارزا من خلال المساهمة في توفير فرص العمل وتقليل نسب البطالة، ضف إلى أنه وسيلة جدب سياحية بامتياز.

– هو صورة ناقلة لحقائق و وقائع تاريخية واجتماعية ودينية ...إلخ، مما عايشه أسلافنا ونقلوه جيلا بعد جيل.

– هو وسيلة للتعبير عن ما تطور الشعوب وتنوع ثقافاتها.

– يعتبر الموروث الثقافي مادة علمية في غاية الأهمية بالنسبة للبحوث العملية حتى يتسنى لنا معرفة حقيقة الشعوب وخباياها الثقافية والحضارية.

– يساعد الموروث الثقافي في تطوير المهارات والإبداعات والمعارف وينميها.

غير أن الموروث الثقافي يعتبر طاقة غير متجددة لدى وجب الحفاظ عليه وصونه.

3-5- واقع الموروث الثقافي بالجزائر :

إن الموروث الثقافي بنوعيه المادي وغير المادي هو بمثابة ثروة لكل المجتمعات، وكنز لكل الأمم ففيه حماية لهويتها وصون لانتمائهم والناقل لثقافتها جيلا بعد جيل، فمن خلاله تقرب الحقائق الثقافية والتاريخية للحضارات التي عاصرها الإنسان وكان جزء لا يتجزأ منها، فالجزائر كغيرها من هذه الشعوب لها ما يميزها من موروثها بشقيه فهو متنوع تنوع مناطقها، إذ كل واحدة من هذه الأخيرة تزخر بإرث يختلف عن غيرها ويميزها به، ولعل هذه من الأسباب التي جعلت الجزائر تمتلك إرثا ثقافيا وحضاريا ضخما ومتنوعا.

لكن ما شهدته الجزائر في السنوات الأخيرة حول تخليها عن موروثها الثقافي يطرح العديد من التساؤلات خاصة ما ارتبط بالعادات والتقاليد من شقه المعنوي، ولا شك أن المراقب لهذا المشهد الثقافي يعي جيدا أن هناك عديد العوامل والدوافع الخارجية المرتبطة بالسياسة والاقتصاد والتكنولوجيا المعلوماتية، يأتي

في مقدمتها جميع وسائل التواصل الاجتماعي بما فيها الفيس بوك والتيك توك واليوتيوب وغيرها من الوسائل، التي ساعدت على ابتعاد الكثير من الجزائريين بل ونفورهم من موروثهم وأعرافهم وقيمهم متأثرين بما تمليه هذه الصفحات وشبكات الاتصال من ثقافات دخيلة لا تمت بصلة لمجتمعنا لا من قريب ولا من بعيد.

إن إتساع الفجوة بين الجزائريين وموروثهم الثقافي يجعلنا ندق ناقوس الخطر فالانفلات السلوكي للأفراد والتبعية الغير منظمة والمطلقة إن صح التعبير وجب إعادة النظر فيها، ولعل أول ما يتبادر إلى أذهاننا هو التراث المادي والفن العمراني على وجه الخصوص، فالملاحظ أن الكثير من الموروثات كالمساجد والقصور ومعالم اثرية اخرى، والتي عرفت الطابع الاسلامي نجد هذا الاخير توقف عند حدودها، فلا نجد اليوم مساجد أو أبنية معمارية تحمل هذا الطابع، حتى أن الجانب الاستثماري فيه غائب ولا يأخذ بمرجعتيه كموروث للمنطقة، وحتى في السكنات الفخمة تكشف بداخلها عن "عدم تأصل الذوق المعماري، وعن غياب أي اجتهاد معماري وأي بعد جمالي أو مرجعية ثقافية"[1].

لكننا في الجهة المقابلة من ذلك نجد جانب من الحرف والصناعات التقليدية لا زالت تصارع للبقاء وإبراز ذاتها، من خلال محاولاتها لإحياء الموروث وإعطائه نفسا مغايرة عن طبيعته السابقة كصناعة النحاس والاواني الفخارية والحلي، والتي كانت في سابق العهد وسائل وأدوات ضرورية للحياة اليومية للإنسان نجدها اليوم تتوجه إلى الزينة ورمز من رموز الهوية والانتماء الوطني، لكنها لا تريد الاندثار والزوال وأن تغيرت وظائفها، وهذا إن دل إنما يدل على استمرارية الموروث الثقافي وتطوره فهو دائم الارتباط بالبشر.

[1] ايمان هنشيري. **الموروث الثقافي الجزائري الواقع والافاق**. مجلة حوليات التراث. جامعة مستغانم. العدد17.سبتمبر2017. ص 107-121.

يقول الفيلسوف اليوناني **"هيراقليطس"** "التغير قانـون الوجود والاستقرار موت وعدم"[1]، من هذا المنطلق نقر بأن لا شيء سيبقى على حاله وأن التغير ضرورة لابد منها في جميع مجالات الحياة، حيث تطرأ تغيرات على عادات وتقاليد المجتمع باعتبار أن الإنسان سوف يأثر ويتأثر بعناصر ثقافية جديدة نتيجة الاحتكاك والتواصل مع غيره من المجتمعات.

فيكون التغير واضحا بالنسبة للجانب الثقافي المادي المرتبط خاصة بالتطور والتكنولوجيا مقارنة مع الوتيرة البطيئة التي نلحظها على الجانب اللامادي، غير أن هذا التغير لا يمكنه أن يمحو موروث الأجيال والحضارات السابقة حيث أن" هـذا التراث ونظرا لما يتمتع به من مرونة وقدرة على إعادة التكيف مع كل ظرف إنساني جديد، يستطيع أن يبقى ويحفظ بعض عناصره ويضمن لها الاستمرار ومقابـل ذلك يستطيع أن يخلق عناصر جديدة "[2].

فالجزائر ومن خلال موقعها ومكانتها الجغرافية جعلها بوابة إفريقيا ومحل اهتمام من قبل الكثير من الدول، ما اثمر عنه تأثير وتأثر في العديد من مجالات الحياة، انطلاقا من ماض عريق ومتنوع يشمل مختلف الموروثات الثقافية مادية كانت أو غير مادية، و لعل خير دليل هو الأثار التاريخية المتواجدة في كافة القطر الوطني والتنوع الثقافي بين ولاياتها، فكل ولاية منها تختلف عن الأخرى وتتنوع في ممارساتها الثقافية حتى وإن اجتمعوا على نفس المناسبة أو الاحتفالية سواء كانت اجتماعية أو دينية فطريقة الاحتفال مثلا بالمولد النبوي في مدينة قسنطينة ليست نفسها في مدينة تيزي وزو أو وهران...الخ.

---

[1] حسين عبد الحميد أحمد رشوان، **المجتمع دراسة في علم الاجتماع** ، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية،2005 ، ص282

[2] إسعاد فايزة زرهوني . **مفهوم التراث الشعبي و إشكاليته في عالم متغير**. مخبر حوار الحضارات والتنوع الثقافي وفلسفة السلم. جامعة مستغانم الجزائر.2014.ص 8-18" كتاب جماعي الموروث الشعبي والهوية الوطنية" اشراف ابراهيم احمد

فالتنوع الذي تعرفه الجزائر في مختلف الممارسات الاجتماعية يختلف من مدينة إلى أخرى، معتمدا في ذلك على طريقة التعبير وأشكاله وكذا العناصر المادية كالرقصات والأزياء والعادات والتقاليد وغيرها مما لا يخرج عن ما جاء به أباءنا وأجدادنا.

غير أننا لو أمعنا النظر جيدا سندرك أن البعض من هذا المنتوج الثقافي إما قد توقف تدفقه وإنتاجه أو أنه يسير نحو ذلك والأمثلة المادية خير برهان على هذا، ففي مجال العمران مثلا والذي كان سابقا ذو طابع إسلامي عريق، أصبح اليوم من الماضي ولا وجود لأي عمران تحت هذا الطابع، فالبناء اليوم يتمثل في مدن حديثة عمدت الدولة إلى إنشائها لا تحتوي على أي طابع ولا أي فن من فنون العمران العريقة بل إنها تفتقد لأي مرجعية ثقافية فهي فقد عمارات متراصة مع بعضها هدفها الإسكان لا غير.

هذا ما قد يساهم وبشكل كبير في زوال المشهد الثقافي وطمس معالمه، في حين تصارع العديد من الموروثات ذات الطابع المادي حتى تبقي على أثرها ولو بالقليل، على غرار الصناعات التقليدية والحرفية بما فيها صناعة النحاس، والفخار وغيرها.

ما لا يمكننا إنكاره أن الموروث الثقافي الجزائري اليوم يتسم بصبغة الحداثة، من خلال ما شهدناه في تركيبة الثقافة الجزائرية بدمج مكونات إرثها الماضي ومستجدات حاضرها وتطلعات مستقبلها.

ونخلص في النهاية بالقول أن الموروث الثقافي الجزائري بشقيه المادي وغير المادي اكتسى طابعا تطوريا حداثيا في الوقت الراهن، إذ لعبت الثقافة فيه دورا مهما من خلال تشكيل تركيبة جمعت بين مكونات من الماضي وأخرى ذات عصرنة وتطور من كل الثقافات.

3-6- حماية الموروث الثقافي الجزائري و أليات إحيائه :

التراث هو ذاكرة الأمة وهويتها وأصالتها وانتمائها، وثراء المخزون التراثي الثقافي الجزائري بشقيه المادي وغير المادي لم يكن وليد اليوم، بل هو امتداد لحضارات عدة بداية بما قبل التاريخ والفترات القديمة إلى الفترة الإسلامية مرورا بالتواجد العثماني ختاما بالاستعمار الفرنسي فيها، كل هذه الأزمنة التاريخية كانت

شاهدة على تعاقب حضاري وثقافي بالجزائر، كما زادها تميزا عن غيرها لأن القليل من المجتمعات من نجدها ذات تنوع ثقافي وكذا اختلاف في مصادر هذا الموروث.

فلقد بات الحفاظ على هذا التراث حتمية لابد منها وضرورة ملحة حتى نتفادى انسلاخا أكثر لهذا الجيل وذوبان في غيره من الثقافات تحت ما يسمى بالتطور والتكنولوجيا، فكان لابد من استراتيجية لحماية ذاكرة الأمة وموروثها، فقام المشرع الجزائري بسن قوانين من شأنها الحفاظ على التراث وكيفية التعامل معه ومن بين القوانين التي لم تزل سارية الفعالية والعمل بها لحد يومنا هذا هو قانون 98- 04والمتعلق بحماية التراث الثقافي الذي صدر بتاريخ" 20 صفر 1419هـ الموافق ل 15 جوان 1998م ويهدف هذا القانون التعريف بالتراث الثقافي للأمة، وسن القواعد العامة لحمايته والمحافظة عليه وتثمينه ويضمن شروط تطبيق ذلك "[1].

ويعد أول قانون سنه المشرع الجزائري بعد الاستقلال، يهدف من خلاله إلى التعريف بالتراث الثقافي الجزائري وكذا لتحديد الرقعة الجغرافية للموروثات والممتلكات الثقافية وصولا إلى القواعد التي وجب السير بموجبها للمحافظة عليه وصونه، ولابد من تخطيط حتى لا يكون هذا الموروث مآله النسيان والزوال فتحرم أجيال بكاملها من ماضيها ووسائل نقلها بحاضرها .

إن الموروث الثقافي لا ينحصر في المواقع والمعالم الأثرية فحسب بل يشترك فيه كل ما يصنع للأمة تاريخها وهويتها وأصالتها، من تعابير غير مادية كالفنون الشعبية والفلكلور والموسيقى وغيرها مما توارثته أمتنا جيلا بعد جيل، غير متجاهلين الموروث المادي من حلي وأواني وما ابتدعه الإنسان للتعايش مع بيئته يدخل ضمن نطاق الحرف اليدوية التقليدية، ولا يزال لحد الساعة يصارع من أجل الإبقاء عليها وتوريثها للأجيال القادمة حتى تتمسك أكثر بماضيها وهويتها.

---

[1] الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، **قانون رقم 98-04 المتعلق بحماية التراث الثقافي، العدد 44** ،المؤرخ في 20 صفر 1419هـ الموافق 15 جوان 1998م

وإذا عدنا أدراجنا إلى المشرع الجزائري نجد قانون 98-04 يتضمن تسعة أبواب و108 مادة، كل باب فيه كان مخصص لأغراض معينة كالممتلكات الثقافية العقارية، والممتلكات الثقافية غير المادية والتدابير القانونية لحماية الممتلكات الثقافية المنقولة وغيرها، وصولا إلى الباب التاسع الذي تضمن أحكاما ختامية، كان الغاية منها هو الحفاظ على ذاكرة الأمة واستمرارها لدى الأجيال كشاهد على حياة أباءنا وأجدادنا.

لكن ما يلاحظ أن الحرف والصناعات التقليدية لم يكن لها من الحظ إلا القليل سوآء من جانب المشرع الجزائري أو حتى من المنظمات العالمية على رأسها منظمة " **اليونيسكو** " ففي أعقاب الحرب العالمية الثانية مباشرة، وبناء على اقتراح وزراء دول الحلفاء للتربية، المجتمعين ضمن المؤتمر ضم أربعين دولة في الفترة ما بين 1 الى 16 نوفمبر 1945 تم إنشاء منظمة تعنى بالتربية والثقافة، وفي نهاية المؤتمر وقعت 37 دولة على الميثاق التأسيسي الذي أفضى إلى نشوء منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة والتي تسمى اختصارا " اليونيسكو" ودخل الميثاق حيز التنفيذ منذ عام 1946 بعد أن صادقت عليه 20 دولة "[1]، حيث سعت هذه الأخيرة ومنذ تأسيسها إلى اليوم وبجهود مشتركة مع العديد من الدول في الحفاظ على موروثات الأمم والمجتمعات، خاصة وأن العديد منها يعرف في الفترات الاخيرة صراعات وحروب ساخنة كالحرب الروسية على أكرانيا وما يحدث في كثير من البلدان العربية كاليمن والسودان وسوريا التي تزخر بحضارة تضرب بجذورها عمق التاريخ، غير أن عملها كان مقتصرا على حماية الممتلكات الثقافية ذات الطابع العمراني والأثري والتاريخي أكثر وكل ما يدخل نطاق الموروث الثقافي المادي الثابت والمنقول، وفي ذات السياق برز العديد من" المنظمات الدولية والإقليمية نذكرها منها[2]:

---

[1] فيصل طحرور . **دور منظمة اليونسكو في حماية الممتلكات الثقافية زمن النزاعات المسلحة.** مجلة الحقوق والعلوم السياسية جامعة باتنة .2016. العدد 6 . ص 325- 337.

[2] ياسر هاشم عماد الهياجي. **دور المنظمات الدولية والإقليمية في حماية التراث الثقافي إدارته وتعزيزه** .مجلة ادوماتو. المملكة العربية السعودية. 2016.العدد 34. ص 87-110

- ✓ المجلس الدولي للمتاحف إيكوم
- ✓ المركز الدولي لدراسة ترميم الممتلكات الثقافية وصونها الإيكرومICCROM
- ✓ المجلس الدولي للنصب التذكارية والمواقع الأثرية الإيكوموسICOMOS
- ✓ صندوق التراث العالميWHF
- ✓ الصندوق العالمي للأثار.
- ✓ لجنة التراث العالمي WHC

كما يوجد منظمات عربية وإسلامية من الوطن العربي غايتها حماية الموروث الثقافي نذكر منها:

- ✓ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم السيكوALECSO
- ✓ منظمة الدول العربيةATO
- ✓ منظمة العواصم والمدن الاسلامية OICC
- ✓ المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافةISESCO
- ✓ مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية إرسيكIRCICA

من بين كل ما سبق من المنظمات والهيئات التي من شأنها حماية الموروث الثقافي، كان مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية إرسيكا من بين أهم أهدافه" الاهتمام بالحرف اليدوية التقليدية وتنشيطها في بلدان العالم الإسلامي، بالتعاون مع غيرها من الهيئات والمنظمات الإقليمية والدولية، كما يهدف المركز إلى تعزيز مفهوم التراث الثقافي الإسلامي وتوثيقه والحفاظ عليه وإبراز إنجازات هذا التراث فيما يخص الأثار والتراث العمراني والتراث الثابت والمنقول"[1].

إن سعي كل هذه الهيئات والمنظمات الإقليمية والدولية والإسلامية للحفاظ على موروثات المجتمعات لم يكن عبثا، لأن الموروث بمختلف أشكاله وعناصره لا يمثل هوية دولة بعينها ، إنما هو حضارة أمم

[1] ياسر هاشم عماد الهياجي ،المرجع السابق،ص110.

وشعوب بأكملها تشاركت فيما بينها وتبادلت ثقافاتها لتصنع للأجيال ماضيهم ليتمكنوا من خلالها السيطرة على حاضرهم والذود عن كل ما يمكنه أن يمحي هذا الأثر من حياتهم .

إن كان الموروث الثقافي بشقيه المادي وغير المادي لا يعتمد في حمايته من الاندثار والزوال إلا على المنظمات والهيئات الإقليمية الدولية، فيمكن بهذا أن تفقد بعض الموروثات مكانتها وبريقها إذ لم يصل صيتها لهذه الأخيرة ، وعليه وجب العمل من أجل تظافر الجهود والسواعد لحماية مثل هذه الموروثات التي قد يغيبها الزمن وعدم الاهتمام بها وبقيمتها من قبل من عايشوها وشهدوا وجودها ويمكن حصر أليات النهوض بموروثنا الثقافي في النقاط الأتية :

– ضرورة نشر ثقافة الوعي بالموروث الثقافي والمحافظة عليه والتحسيس بقيمة هذا الارث الحضاري الذي هو بمثابة جزء هام من ثقافتنا ويكون العمل على ذلك، من خلال البرامج التلفزيونية والإذاعية وكذا المهرجانات والتظاهرات الوطنية، فالتراث لهم قيم متعددة فالقيمة التاريخية تتمثل في دراية لممارسات الأفراد في حقبة تاريخية معينة بصفته الشاهد على هذا الماضي، أما قيمته الاجتماعية فمرتبطة بالتفاف الناس حول موروثهم حيث نجدهم يهتمون لأمره في المناسبات الدينية والوطنية فيلتفون حوله ويولون له أهمية اجتماعية بينهم، وعن قيمته العلمية فهو بالنسبة للأفراد مرجعا ومنطلقا لكل تساؤلاتهم واستفساراتهم وأيضا ملاذا للباحثين والدارسين، وصولا لقيمته الجمالية التي تريح النفس مجسدة فيه الذوق الراقي وإبداع ثقافي للسابقين.

– إبراز الوظيفة والدور الهام الذي يلعبه الموروث الثقافي في حياتنا الثقافية والاجتماعية والاقتصادية وحتى النفسية .

– على الدولة الإكثار من الورشات العملية الخاصة بالصناعة التقليدية كالصناعات النحاسية والفخارية وغيرها من المنتوجات الحرفية حفاظا عليها من الزوال .

– إعطاء الدولة أولوياتها لكل ما يدخل حيز الموروث الثقافي بكل أشكاله وأنواعه.

– الحفاظ على موروثنا لا يكون إلا من خلال الاستمرارية وهذه الأخيرة تنطلق من جموع الابحاث والدراسات التي وجب القيام بها وتكثيفها والعمل على نشرها على أوسع نطاق وتواجدها في كل مكان.

– العمل على صيانة وترميم المناطق الأثرية والمعالم التاريخية خوفا من تلفها سوآء من عوامل طبيعية أو عوامل أخرى كالسرقة والنهب والتهريب والتخريب.

– ضرورة انتشار الوعي لدى المواطنين بضرورة الحفاظ على موروثهم وماضيهم من خلال التبليغ عن عمليات النهب والاختلاس والتهريب .

– إنشاء جمعيات وطنية هدفها التعريف بالموروث الثقافي الوطني و حمايته.

–على كل ولاية التعريف بموروثها بإبراز ما يميزها عن غيرها، فالتنوع الذي تعرفه الجزائر يجعل من كل ولاية تمثل حضارة بأكملها.

– تدريب أبناء الجيل خاصة الأطفال منهم على زيارة مثل هذه المواقع الأثرية والمتاحف لترسيخ ثقافتهم وربطهم بماضيهم فينمي بذلك ذوقه ويكتسب معرفة تراثية لابد منها.

– وجب على الدولة الزيادة في إنشاء المتاحف وتوزيعها عبر كامل التراب الوطني.

– في الأخير وجب أن نعي جيدا أن المهمة لا تقتصر على الدولة فحسب بل هي مهمتنا جميعا حماية موروثنا الثقافي الذي يجسد ذاكرتنا وهويتنا، فلا جدوى ترجى منا إذ كنا لا نعرف أهميته وقيمته ومكانته بيننا، لأن التراث ليس فقط ما ورثناه عن أباءنا وأجدادنا، بل هو ما قدرناه حق قدره وعملنا على حفظه وصونه من كل العوامل التي من شانها المساس بماضينا ووحدتنا ثم عملنا على استمراريته ونقله للأجيال القادمة، كل هذا لا يتحقق إلا بوعينا ومسؤوليتنا تجاه موروثنا وضرورة الحفاظ عليه.

ونخلص أن الحفاظ على الموروث الثقافي بأنواعه يتجسد في نقطتين أساسيتين هما :

– الأولى أن معنى الحفاظ هو حماية الموروثات الثقافية والمرتبطة أكثر بالمواقع الأثرية والمواقع التاريخية وإبقائها على طبيعتها التي وجدت عليها دون زيادة أو نقصان، وتكون هنا الحماية من عمليات النهب والسرقة والتلف التي يتعرض لها الموروث الثقافي المادي.

– أما الثانية فحماية الموروث هنا يقصد بها هو إعادة إحياءه وتوظيفه وتشجيع القائمين عليه بغية استمراريته ونقله إلى الأجيال القادمة ليوحدهم ويقوي ارتباطهم بهويتهم.

غير أن المعاب على السلطات الجزائرية أنها ولحد اليوم لا زالت تعمل بهذا القانون منذ عقود خلت إذ أننا بحثنا ونقبنا كثيرا وفي مختلف المجالات خاصة الجانب القانوني، إلا أننا لم نتحصل إلا على هذا القانون الوحيد والذي تعمل به الجزائر للحفاظ على مورثها الثقافي وحمايته.

3-7- الهوية التراثية لمدينة قسنطينة :

تعتبر مدينة قسنطينة موطنا للتراث الثقافي ومعلما من معالم الحضارة وشاهدا على ثقافة المجتمع وهويته وجزء مهما من ذاكرة الجزائر، فغناها بمختلف العادات التقاليد جعل من صورتها أكبر لدى أبنائها والمحافظين على موروثها، فمن خلال هذه العلاقة المتينة الجامعة بين إرث المدينة وأهلها والتي سترسم خطوطها جملة من العادات والأعراف يتضح لنا على أثرها القيمة التراثية والبعد الثقافي ومكانتها لدى سكان مدينة الصخر العتيق.

فقسنطينة_كغيرها من ولايات الجزائر لها من العادات والتقاليد والإرث الثقافي الذي يجعلها تنفرد من خلاله فهي متنوعة بممارساتها وطقوسها تختلف باختلاف مناسباتها، فالمجتمع القسنطيني مجتمع عريق وعلى الرغم من تنوع تركيبته السكانية، إلا أنه استطاع أن يشكل من خلال التفاعل والتمازج فيما بينها رقيا اجتماعيا وثقافيا.

ولطالما اكتشفنا هذا التفاعل من خلال تواجد الإنسان بالطبيعة واختلاف أماكنها حيث يعكس لنا ذلك رموزا ودلالات، ترتبط بذلك المكان لتصبح عادات وطقوس يحيي ذكراها كل من عاش بتلك المناطق.

وتعتبر قسنطينة مدينة ساحرة بتعدد موروثها الثقافي المتنوع على مدار حقب من الزمن وكان كل من مر بها قد ترك أثرا وتأثر بما لها من خصائص مميزة، وسنحاول أن نعرض ما أمكننا من هذا الإرث الفريد بعيون أبناء المدينة (العائلات القسنطينية) في مقاربة أنثربولوجية بين عادات وتقاليد المدينة بين الأمس واليوم.

أ /-**المعتقدات :**

يقول المؤرخ الجزائري القسنطيني **"بن مبارك"** في كتابه الشهير" تاريخ بلد قسنطينة" " قسنطينة بدورها كان لها " طلسم" فوق بوابتها الغريبة يشبه اللغز أو التميمة التي تحفظ المدينة من عاديات الزمان وتقيها شر الأحداث ... فلم غزيت ثمانين مرة لم يدخلها عدو"[1].

لقد عاشت قسنطينة سنوات من الجهل والاعتقادات الخاطئة والمسكوت عنها والتي رمت بها في غياهب الظلمات جعلها تزخر بطقوس غريبة وممارسات لا ربط بينها وبين ديننا وشريعتنا الاسلامية، إذ أن أهل قسنطينة كانوا يعشقون هذه الطقوس والاحتفال بها وتمجيدها" كالزيارة " و" الغراب" و"سيدي راشد " وغيرها.

يقول" **إبن الموهوب"** وهو أحد رجال الحركة الإصلاحية في الجزائر في قصيدته المعنونة "بالمنصفة"[2]

صعود الأسفلين به دهينا لأن للمعارف ما هدينا
إنا التابعون لكل وهم فسل عنا عبادتنا الجنونا
وسل "زارا" و"نسر مسيد طبل" و"زينتنا" تبيع التابعينا
وسل عنا " السلاحف في غراب" و" إعطارا" تراق وعائمينا
وسل "غابا" لحكم الجن أضحى يقينا كل ضر قد يقينا
وسل ذاك "الحمام" لدى الحمام نذبحه بلا إثم عامدينا

[1]-احمد بن مبارك بن العطار(1790-1870),تح تع تق عبد الله حمادي، دار الفائز للطباعة والنشر والتوزيع, قسنطينة، 2011، ص 34..

[2] المرجع نفسه .ص 38-39

وسل "سدرا" به خرق أنيطت و غيرا حيث نفزع ناذرينا

لقد جمعت قصيدة **"إبن الموهوب"** جملة من الطقوس والاعتقادات التي طمست على قلوب القسنطينيين وعقولهم فترات من الزمن، وسنحاول شرح ما جاء فيها من مفردات اعتمادا على ما جاء كرد على هذه القصيدة من الشيخ **"عبد القادر المجاوي"**، وهو أستاذ الشيخ **"إبن الموهوب "** وأطلق على شرحه " باللمع في إنكار البدع "[1].

– **زارا:** حفلة تكاد تكون أقرب إلى الوثنية وتعرف لدى العامة " بالزيارة" يجتمع فيها الاختلاط من الناس والمقصود به هنا ما تعتقده النسوة وتزعمه القسنطينيات من مس الجنون لهن فيلجأن إلى "زارا" ليمنعهم من مسهن .

– **نسر مسيد طبل** : وهو يوم من أيام العبادات مفضل لدى القسنطينيين خاصة البلدية منهم(من يزعمون أنهم من أبناء المدينة)، إذ يذهبون لموضع" سيدي مسيد" ويقومون باحتفال كبير وتشتري النسوة أفئدة الماعز والظأن ويرمونها من أعلى جبل سيدي مسيد لتلتقطها النسور، فيزعمن أن الأولياء الصالحين قد رضو عنهم معتقدين أن من قام بالتقاط تلك اللحوم من النسور هم الأولياء .

– **زينتها:** ويقصد بها تزيين " التيس " بأفخم الثياب ويطوفون به المنازل طالبين الرزق من خلاله.

– **السلاحف في غراب وعطارا:** إن موقع الغراب لا زال إلى اليوم بمدينة قسنطينة حيث يوجد به حوض من الماء يعرف ب " البرمة " وهو حار من طارئ المعادن كالكبريت تأتي إليه النسوة القسنطينيات بالجوز واللوز والتمر والحمص وترمي بها داخل هذا الحوض لتتجمع السلاحف وتأكل منها وتعتقد النسوة أنهن قد فزنا برضا الجن عليهن ويرششن العطر عليه.

يقول الرحالة **"بن الوزان"** المشهور باسم **"ليون الإفريقي"** في رحلته المعروفة "وصف إفريقيا" في القرن الخامس عشر الميلادي " ... يوجد حمام مكون من عين ماء ساخن يتدفق بين أحجار ضخمة يعيش

[1] المرجع نفسه. 40-42

فيها عدد كبير من السلاحف تعتقد النساء أنها شياطين، وإذا أصيبت إحداهن بالحمى أو غيرها ترجع ذلك إلى السلاحف " أما عن طريق علاجها فيواصل" تذبح حينها دجاجة بيضاء تضعها في إناء بريشها كامل ثم تربط حول الإناء شمعات وتحمله حيث العين وتتركه "، ثم يشير إلى قمة اللاوعي والجهل لدى النسوة والفطنة والدهاء لدى بعض الظرفاء فيقول" وكم من الظرفاء تبعوا إمرأة وهي تتوجه إلى العين (الغراب) حاملة معها الإناء والدجاجة وأخدوا الإناء بعد إنصرافها ثم طبخوا الدجاجة وأكلوها"[1].

أثارت إحدى المبحوثات تعجبا غريبا إذ أنها لا تزال تعتقد ببركات هذه الخرافات والحيوانات بقولها **"شوفي أما بنتي أنا باش نجيب لبوفكران ونربيه عندي منجيبوش بصح لا دخل مرحبا بيه حتى يخرج راهو خير وجاني راهو مبروك من بكري من جدود جدودنا'**، تتحدث المبحوثة هنا عن السلاحف(بوفكران)، وترى بأنه لا مانع لديه في تربية هذا النوع من الحيوانات ففيه بركة وخير عظيم يعود أثره إلى أسلافنا السابقين، لكن شريطة أن يدخل إلى بيتها لوحدها لا أن تبتاعه خصيصا كما أن الكثير من "البلديات" يرون في السلحفاة بأنه حيوان مبارك طاهر يقيهم من شر النفوس و العيون الحاسدة لهم ولأبنائهم وأرزاقهم.

ب/- النشرة :

تعتبر النشرة موروثا شعبيا متأصلا في المجتمع القسنطيني كما تحظى بشعبية كبيرة إلى وقت ليس ببعيد، وهو طقس وجب ممارسته مر كل سنة على أقل تقدير، وترتبط النشرة في قسنطينة بنذر أو إعادة إحياء ذكرى الشيخ **" محمد لغراب"** بهدف تحقيق الأمنيات والآمال، خاصة على أيام **"أحمد باي"** فقد كان يخاف على حكمه من أي شيء " إذ أنه عرف بأن لا أحد يتجرأ على إزعاجه وتعكير مزاجه خاصة وقت الظهيرة، غير إن ما يطلق عليهم أصحاب الكرامات والأولياء كانوا يترددون على باحة القصر وتعلوا أصواتهم فلا يقترب منهم أي حارس لأن ذلك يعني موته **" فأحمد باي"** شخصيا يخشى أن يدعوا عليه،

[1] الوزان الفاسي. الحسن بن محمد.(ليون الافريقي).**وصف افريقيا**. تر محمد حجي. محمد الاخضر.ط2.دار الغرب الاسلامي .بيروت. لبنان.1983.ص 59.

كما لهم مكانة عند النسوة فيستشيرونهم في كل ما تعلق بالأمراض الجنسية والحمل وتكون أجوبتهم أنهم سيدعون الله لهم في المرة القادمة، وما زاد من إيمان الناس بهم يوم انتشار الوباء بقسنطينة عام 1834م، قام أصحاب الكرامات بإقناع الناس أن هذا الوباء ما هو إلا حشد من المسيحيين الذين يحومون في صورة غير مرئية بهدف تسميم المدينة، وخرجوا وفي أيديهم عصا طويلة تلوح في اتجاه المسيحيين غير الظاهرين للعيان بحسبهم ويقومون بحركات غريبة أشبه بالجنون ولكن بعد أيام اختفى الوباء هنا أصبح الإيمان بهم لا حدود له"[1].

والنشرة في قسنطينة ليست خطابا عشوائيا إنما هي ممارسة طقسية منتظمة المسالك خاصة لدى العائلات البلدية التي تعتبره نذرا طويل المدى إنطلاقا من" **لالة فريجة** " إلى" **سيدي غراب"** حيث اكدت إحدى المبحوثات ذلك " في قسمطينة أبنتي يطيشوا النشرة بصح حنا البلدية لمعروفين بيها وكيمطيشوش أما بنتي شكون يدير الشي هذا "* ، "ولالة فريجة " هي امرأة كانت موجودة سنوات 1750م وكان يشاع أنها إمرأة روحانية تشفي المرضى وعلى يدها البركة، حيث إتخذت لنفسها حيزا على شكل "قرابة" بمحاذاة عين يقال إنها شافية بمنطقة الحي الشعبي **"عوينة الفول"**[3] والقرابة هي مكان لممارسة طقوس معينة.

وتوكد مبحوثتنا ذلك " أنعم "لالة فريجة" نبداو بيها النشرة ومعاهم ولية خلاف عندك "سيدي ميمون" و"سيدي مسيد" و"سيدي بولجبال" حتى نوصلوا " لسيدي لغراب" وكل بلاصة نديرو حاجة أما بنتي"، فتكمل لنا بقية الطريق انطلاقا من "لالة فريجة" وصولا "لسيدي لغراب" ويعرف عند العائلات القسنطينية **" بالغابة و لغراب"** لأنه موجود في مسلك غابي كثيف الأشجار وهي منطقة لا زالت إلى يومنا هذا.

---

[1] فندلين شلوصر. **قسنطينة ايام احمد باي 1832-1837**.تر ابو العيد دودو. وزارة الثقافة.الجزائر.2007.ص 84.

*-المعنى: ان العائلات البلدية هي فقط من حافظت على طقس النشرة ومن غيرهم يستطيع فعل ذلك .

[3] ن. وردة. **"النشرة" تروي صراع صالح باي مع شيوخ الزوايا. الولي الذي تحول الى غراب وسكن اعالي قسنطينة.** جريدة الخبر.2015/03/08.زيارة موقع جزايرس. يوم 2023/02/02.الساعة 10:00

وقد أكدت كل مبحوثاتنا وإتفقوا أنه في كل موقع وجبت طقوس معينة به تختلف عن المكان السابق أو اللاحق به، **" شوفي ما بنتي كل بلاصة وسولها ماش زي بعضاهم حنا نبداو السع لايمو بعضانا وعلبانا شكون رايحة شكون قالت لا وحاجتها على خاطر بزااف لميشتيش مولى بيتها و وصلوا حتى لربي يسترك أبنتي للطلاق ولحرامات أنا جارتي وردة ربي يرحمها نشفى مخلاهاش راجلها تروح والله راحت بالدرقة وقاللها راكي حارمة الله غالب منصبروش كي تجينا الحالة لازمنا نطيشو النشرة ولا نوليو فلحوال قل هو الله "**، تؤكد المبحوثة أن كل منطقة زيارة لها عاداتها الخاصة بها (سولها) وأنهم لا يذهبن فرادى وجب أن يلتقين و يتجمعن مع بعضهم بعض، ثم أضافت أنهن من يذهبن خفية عن أزواجهن (مولى بيتها) ومنهن من تعرضن للطلاق والعيش في خلافات في كثير من الأحيان، نظرا لعدم رضاهم لذهاب زوجاتهن إلى تلك الأماكن، لكنها تقدم لهن أعذارا أنهن لا يستطعن فذلك يحصل رغم عنهن وأن حان وقته وجب الذهاب لا محالة وإلا فقد تحصل لهن أشياء لا تحمد عقباها (نوليو فلحوال).

من خلالها نلاحظ أن ذهابهن متعلق بحالات معينة نذكر منها كتعب وإرهاق و فشل وقلق نفسي شديد أو إحساس بمرض أو عجزهن عن أداء مهامهم المنزلية وإن موعد رمي النشرة لديهن قد حان فتقول **" أنا كنحس روحي ثقالت عليا وديرلي لغمة وضيق روحي ولا حتى نام منامة ماش ها واين ومنرتاحلهاش نعرف بلي لازمني نطيش النشرة باه تخف روحي ونرجع لباس وجربتها انا نطيش ونرجع لداري تحاسبيني بربي تقول كنت نكذب ونزيد لبنتي كاين حتى لتروح على جال بسم الله هادوك الناس،** (فالجان في قسنطينة لا يستحب بتاتا ذكر إسمه فيسمى بدوك الناس)**"**، إذ كلها يقين أنها لا تجد ملاذا ولا راحة إلا بعد رميها لنشرتها وأداء ما يلزمها تجاه الأولياء والصلاح حسبها حتى إن كان حلما وليس بالأمر الحقيقي والملموس.

إن الواضح هنا هو اليقين المطلق والتطبع لدى المبحوثات لا تغيره قوة قهرية ولا إيمانية فكلهن على عقيدة الإسلام وعارفات بتعاليم الدين السمحة، غير أن ما يعتقدن به لا نقاش فيه **فتقول " لاه حنا جهال ولا**

كفار رانا رحنا لحباب ربي لا قطعت قندورتي ولا ندبت خدودي "* ، للأمانة فقط هنا بالذات لم تشأ المبحوثة مواصلة المقابلة معي لولا تدخل أحد المعارف الذي توسط لي عندها إذ أحست أنني أشكك في إيمانها وعلاقتها بالله، لكن الحقيقة على العكس من ذلك هي من رمقتني بكلام جارح في قولها **" ليقرا زوج كلمات ينسى الشيوخ والولاة "** أي أنني بدراستي وعلمي أترفع عن من هم أهل لذلك من أولياء الله الصالحين والشيوخ العارفين.

وللنشرة القسنطينية تسلسل زمني كما أشرنا إليه سابقا من خلال تتابع الطقس وتقسيمه عبر سادات المدينة وصولا إلى سيدي لغراب فاختياره ضرورة لا بد منها إذ لا يمكن الذهاب في أي وقت "حنا كيبدا يسخن **الحال قولي من الربيع حتى للصيف "**، فالطقس هنا بعدما عرف مكانه وزمانه سنتعرف إلى لوازمه من خلال المبحوثات **" االاه حنا كيبدا وقتها يحوم فقسمطينة تلقاينا نوجدوا فحوايجنا والقش تاع الحمام والحنة والشمع ولبخور والريحة والجاوي شوية تاع لحلوى والكاوكاو"** هذه اللوازم التي تأخذ إلى هناك للإشارة فإنهن يجتمعنا مسبقا أم يلتقينا مباشرة في الحمام، كما لا يمكن أن تذهب معهن النساء اللواتي يردن العلاج والتي لم تنقضي مدة عادتها الشهرية إذ لا بد من طهارتها، أما عن اليوم المحدد للحمام **"نهار التلاتا نروحو أما بنتي موجدين اللي قلتلك عليه وحوايج التحمام الطاسة والمحبس والكيروانة تاع النحاس أنا ميمتي عندها نحاس لحمر نشفالهم كي درك ونروح معاها وندي الرجينة والطفل.* وكنخلصوا اللي تسوك واللي تكحل"** هنا تركز على البعد السيوسيو–ثقافي للمدينة حتى في ممارسة طقوسها لا تتخلى عن إرثها الثقافي والحضاري فالنحاس كرمزية مميزة للمدينة يرافق العائلة القسنطينية في أدق تفاصيل عيشها .

* المعنى : انها لم تمزق ثيابها ولم تندب خدها في اشارة منها انها ليست بجاهلة بأمور دينها حتي تفعل ذلك كله

* المعنى :الطفل هو مادة من التراب تضاف اليه مكونات اخرى تساعد في بياض الوجه اما الرجينة فهي تصنع من السكر والقارص تعمل على صنعها النسوة وتستخدم لنزع الشعر.

أما عن المأكولات فتضيف المبحوثة " **كاينة اللي طيب وتدي لتم وكاينة اللي طيب وتذبح لتم السرادك منهم لحمر ولكحل تكحال عالشيطان وكاين اللي تحني وتعاود لتم وكاين اللي تحني في دارها وتغسلها لتم واليدين والرجلين في زوج** "، ثم تختم قولها " **بلاربعا نبداو من لالة فريجة حتى لسيدي لغراب وبكل نشعلو فيهم الشمع ونريحوا لبلاصة ولجاوي ولبخور والورد والزهر ونسيلو الدم أو لازم شوفي لحنة برك لنشفا نقسموها على ربع طراف كل طرف يتنحى في واحد من لسياد وفرات**". وبعد الحمام يأتي يوم الأربعاء لانطلاق الزيارة أو النشرة من لالة فريجة حتى لسيدي لغراب .

لكن كل ما سبق عن النشرة والزيارة لم يعد لديه تأثير ولا صدى إلا في حالات نادر وهذا سببه الحركات التحررية التي عرفتها الجزائر وظهور الجمعيات على رأسها جمعية العلماء المسلمين بقيادة العلامة "**عبد الحميد إبن باديس**"، الذي حارب بكل ما أوتي من مال وعلم وجهد ووقف في وجه الجهل وسياسات فرنسا القمعية لضرب الإسلام والعقيدة الدينية وحرم كل الأفعال والممارسات التي من شأنها زعزعة قيمة الإسلام ومكانته لدى المسلمين، بعد زوال الاستعمار وخروجه من الجزائر تحررت من كل القيود والمساومات على دينها وعرضها فبنيت المساجد والمدارس القرآنية وأصبح الإسلام وأهله في مأمن من فرنسا وأتباعها وكل أشكال الشرك والشعوذة التي كانت تمارس.

العائلات القسنطينية أسقطت هذا الطقس ليس من وجه الممارسة فقط بل على اعتباره من الموروثات التي وجب تذكرها و نقلها للأجيال القادمة لا غير .

ت/- أعراس قسنطينة :

تتميز مدينة الجسور المعلقة بعادات وطقوس خاصة للاحتفالات، فالعرس القسنطيني له ما ينفرد به عن غيره من الولايات منذ القدم، فأولى ممارساتها كانت " الشوفة " أو الرؤية الشرعية أين كان الزوج يرى زوجته في وجود أهلها بطريقة أحلها الله ورسوله، إلا أن هذا الطقس زال تماما ولم يبقى من الأثر فالفتاة اليوم تتعرف على هذا الزوج إما في مكتبة أو بلدية أو جامعة أو حتى مقبرة ثم التكنولوجيا والتطور العلمي أصبح

التعارف في المحيط الأزرق " وسائل التواصل الاجتماعي على اختلافها فيسبوك- تويتر- واتساب وغيرها"..

ثم ننتقل إلى طقس "الخطبة" حيث يقرا والدي العروسين الفاتحة على نية القبول بينهم سواء في مسجد أو بيت العروس، أما اليوم أصبح عقد القران يسبق الفاتحة بعدما يقدم المهر للعروس وذلك لاعتبارات **"باه ميبقاش يتملعب بالطفلة داخل خارج بها فالزقاقات مالا كتعقد أي مرتو قدام ربي وعبادو "*** .

ثم بعدها يأتي طقس" الجرية" وهي عبارة عن أغراض وهدايا ثمين وفاخرة يحضرها الزوج لزوجته وهي عادة منذ العهد العثماني"**هادي جابوهانا تراكوة خي هوما لاباس بيهم ويشتيو الحطة والكادوات كيما زوج شمعات أو يسميوهم "الركايز " أكي علبالك وريحة ووحوايج الحمام بكري كان قبقاب لخشب وطاسة وحوايجها تاع النحاس والقشقشة ولقنادر ويحنيو لعروسة ويجيو يروحو"****[2]، غير أن طقس الجرية اليوم لم يعد رائجا ومنتشرا بين العائلات القسنطينة نظرا لما يتطلبه من مبالغ مالية مبالغة فيها ترهق كاهل الزوج وأهله، لهذا في قسنطينة صرف النظر عن هذا الطقس عند الكثير من العائلات القسنطينية .

أما ما تعلق باللباس القسنطيني فقد حافظت عروس اليوم على " **قندورة القطيفة** " والتي كانت قديما حكرا على العائلات الثرية لأنها باهظة الثمن، لكن اليوم أصبحت في المتناول لأنها لم تعد تصنع من خيوط أصلية بل مقلدة، فسعرها أصبح مقبولا للجميع وتكون العروس حين ارتدائها للقطيفة مصحوبة بأساور ذهبية وكل أنواع الحلي الذهبي خاصة (سخاب العنبر) ***[3] الذي يعتبر ضرورة مصاحبة لهذا اللباس لكل من

---

* المعنى : حتى لا يتسنى للخاطب اخذ خطيبته اينما تسنى له ذلك ويتجول معها في الأزقة والشوارع وكذا لتفادي احاديث الناس فالعقد المني يخرس السنة الجميع

** المعنى :هذه العادة اتى بها الاتراك الى قسنطينة, وتأكد انهم لا باس بهم ماديا ويحبون التزين والهدايا , والقشقشة هي مجموعة من المكسرات والحلوى تعتبر فال حسن للزوجين لا غير

*** المعنى : عبارة عن قلادة تتكون من حبيبات العنبر وقطع ذهبية ويأتى بالعنبر من كبد الحوت ويضاف له زبد المسك وتطحن وتخلط جيدا بماء الورد او الزهر لتشكل بذلك عجين يشكل بأشكال مختلفة اشهرها الهرمية في قسنطينة

ترتديه، ثم تلبس الدراية فوق رأسها وتحضر من الطرفين فتاتين لحمل الشمعتين عن يمين وشمال العروس، ثم تحضر أم العريس طبق الحنة النحاسي مع المرش المملوء بماء الزهر مع سكرية من النحاس كذلك وكأس الحليب، وتحني العروس على ما أحضرته لها أم زوجها من صيغة ذهبية (سنسال أو خاتم أو أقراط أو أساور)، لترشق أخيرا العروس بكمية من الحلوى تعرف في قسنطينة "بالدراجي" وهي حلوى صغيرة ذات ألوان مختلفة محشوة باللوز، كل هذا رفقة أغاني من ترديد النسوة وزغاريدهن المتواصلة احتفالا وفرحا بالعروس وتختلط المشاعر بين فرح لزواجها وأنها ستصبح أما ومربية أجيال وحزنا على ترك العروس لبيت أهلها وأسرتها التي ترعرعت ونشأت في أحضانها وحتى العروس تراها تبكي تارة وتضحك أخرى وترقص رفقة أقربائها والأغنية التي تتردد كثيرا هنا ومطلعها :

صلوا على محمد صلو عليه و زيدو حبيبنا وشفيعنا يربح من صلى عليه

يا الحنة يا لحنينة جابوها الرجال تحني بيها بنتي صبيعات لغزال

تشهد أعراس اليوم اختلافا بعض الشي مقارنة بما جاء في ماضي هذا الطقس ، نعم لا تزال عروس اليوم ترى في " قندورة القطيفة " ضرورة والتزاما تجاهها حيث لا زالت العروس القسنطينية تلبسها مع ما صاحبها من مجوهرات نفيسة كل حسب استطاعته "فقندورة القطيفة" تعتبر ركنا من أركان نجاح عرسها لدى فهي لا تزال تحافظ إلى غاية اليوم على هذه الممارسة الثقافية وإن كان الاختلاف بسيطا سواء من ناحية القماش أو الألوان أو الطرز الموضوع عليها، أما باقي الطقوس فهي لا تزال تمارس إلى غاية اليوم من لبس الدراية إلى الحناء وترديد الأغاني المصاحبة لها، ولم تعد تكتفي العروس "بقندورة القطيفة" فقط بل أصبحت تلبس مجموعة من الفساتين تعرف " بالتصدير" وهي فساتين من التراث الجزائري من شاوي وقبائلي ووهراني وغيره مما يزخر به موروث الجزائر.

قندورة القطيفة لم تبقى حكرا على العائلات القسنطينية الكبرى وأصبح الحصول عليها ولباسها في المتناول، إلا أن هذا الجيل لا نرى فيها ارتباطا وثيقا بها وبلباسها، إذ في حديثنا مع إحدى بنات مبحوثاتنا

مقبلة على الزواج وسؤالها عن قندورة القطيفة أجابت " **والله يا ختي هيا صح حاجة مليحة وتاع تراتنا وعاداتنا بصح منكدبش عليك منشريش حاجة نلبسها مرة باه نحني بيها ومبعد تشبع فيها لخزانة"**، حيث أكدت أن " قندورة القطيفة "من موروثات قسنطينة وتقاليها غير أنها لا تريد شرائها لمجرد طقس الحنة ثم تتركها في خزانة لا تستعملها بعد ذلك، نشاطرها في شق حديثها الأزل عن الموروث الثقافي للمدينة، غير أن العائلات القسنطينية كانت في قمة الذكاء والحكمة صحيح أن شراء" قندورة القطيفة" لم يعد كسابق عهده بذلك الشغف والضرورة، إلا أنها وجدت لبناتها حلا وسطا يجعلها تظهر في ابهى وأجمل حلة ليلة حنائها ولا تشتري "القندورة" حيث أصبحت النسوة تستلف فيما بينهن " **كيما نقولو حنا تسلفها ونشفى على بنت عمي باية كجات تحني حنات بتاعي وهاي بوليداتها والحمد لله ".**

وتطور الأمر في أيامنا هذه إلى ظهور حوانيت ودكاكين مهمتها كراء " قنادر التصديرة " على اختلافها غير أن العائلات القسنطينية تفضل أن تستلف فيما بينها " **لا لا يابنتي منجيبش تاع لحوانت عندها عوام وهي معلقة نجيب من عند حباباتي ناس لنعرفهم"**، إذ ترى في قنادر الحوانيت لا ترقى للنظافة التي وجب أن تكون عليها " قندورة القطيفة" خاصة (عندها عوام معلقة) وتفضل أقاربها فهي أدرى بهم وبنظافتهم ونقائهم .

في حين أن من العائلات القسنطينية ترفض كلا الرأيين وترى **"محال تلبس بنتي تاع الناس وشبيك هبلتي واش ضمني واش يحطولي فيها بنتي عقاب حنتها منلعبش بيها عندها تاعي ولا خلاف تاع ختي بنت ما لتجي على لحمها "** محقة ربما المبحوثة بقدر معين أولا في خوفها على إبنتها (محال تلبس تاع ناس) في جزم مطلق واستحالة ثابتة من الأم نحو ابنتها، ثانيا يتواصل خوفها من ما هو ات لا قدر الله وحدوث شيء من السحر والشعوذة (واش يضمني واش يحطو فيها) كما ان الخطأ والمجازفة ممنوعة (حنتها منلعبش بيها) خاصة في طقس الحناء الذي اشتهر في كثير من المناطق بوضع السحر للعريسين بغية التفرقة وإبطال الزفاف أو حرمانهم من الذرية أو إصابتهم بالجنون ، ثالثا تؤكد على للقيمة القرابية وصلة الدم

التي لها من الإيجابية والقدرة على حماية الأخر لاسيما في المواقف الصعبة والثقة المطلقة لا يمكن أن تكون إلا لأختها ابنة أمها(خلاف ختي بنت ما).

إن هذا الموروث الثقافي للعائلات القسنطينية لم يكن وليد اليوم فهو يعكس أصالة هذه العائلات وانتمائها إلى مجتمعها، ولم تقتصر فقط على النسوة بل تعدته إلى الرجال حيث أخبرنا أحد الباعة للألبسة المطرزة وسط مدينة قسنطينة " **ماش النسا برك اللي كانوا يلبسو القطيفة والمحروج حتى الرجالة كانوا بكري كانوا يلبسوا خاطر كجاو التراكوة كانوا يتباهاو باللبسة تاع القفطان لمطروز بالذهب والفضة والقاط* المحروج ويروحوا بيه لعراس ومكانش كاين بزاف قليل لي عندو وراهو يلبسو غير فلان وفلان ونهدروها حتى فالدوم** لواحد كي يعود حاط روحو علينا** (واش بيك هاز روحك لابس القاط ولا خويا)".

" فأحمد باي" خلال توليه منصبه كباي لمدينة قسنطينة من طرف" **الداي حسين"** عام (1826م) تم تقليده بالقفطان وقدم له الأغا حين تعيينه برنوسا "[3]، وجاء أيضا في مذكرت أحمد الشريف الزهار"... وعند رجوعه من سفره يقدم له كهدية من قاطات من الذهب، و يلبسه قندورة من الذهب"[4].

ومن أشهر العائلات القسنطينية الحرفية التي عرفت بهذا النوع من الألبسة التقليدية عائلة "بن جلول" تعتبر إحدى العائلات البلدية بالمدينة التي توارثت الحرفة أبا عن جد، وعائلة **"الفرقاني"** والتي تعتبر أقدم عائلة احترفت هذه الصنعة التقليدية إذ يؤكد ذلك المرحوم **"محمد الطاهر الفرقاني"** في حوار له والدي**"عبد**

---

*المعنى : القاط هو "الجيلي"، يطرز بألوان زاهية فوق قماش من القطيفة نفس قماش القندورة ، ويسمى حاليا "قويّط" لصغر حجمه، لأن "القاط" يكون طويل إلى الركبة بينما "القويّط" لا يتعدى حزامها. كما أصبح هذا النوع من اللباس التقليدي يطرز على قماش "ساتان" أو "لا موار".

**معنى الدوم : كلمة قسنطينية تعني في العادة.

[3] فركوس صالح. أحمد باي قسنطينة 1826-1850.ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر .2008.ص 19-20

[4] احمد الشريف الزهار. مذكرات الزهار الحاج احمد الشريف نقيب اشراف الجزائر دخائر المغرب العربي 1168هـ-1246م/1754هـ-1830م.تح احمد توفيق المدني. ش و ن ت .الجزائر.ط2. 1980.ص 59

الكريم فرڤاني" هو من كان يعلم المجبود في قسنطينة... ولكن سبب تسمية قندورة فرڤاني لأنه الأول من تعلم وعلم هذه الصنعة في مدينة قسنطينة"، وفي قسنطينة هناك الكثير من الخلط واللبس في تسمية قندورة القطيفة **"بقندورة الفرقاني "** نسبة للحاج **"محمد الطاهر الفرقاني"** رحمه الله غير أن لقب هذا الأخير **"رڤاني"**[1]، والتصقت هذه التسمية بالعائلة نظرا لظهور النسوة في الحفلات والأعراس والمناسبات التي يحييها **"الحاج الفرقاني"** بلباسهن لقندورة القطيفة، وإرتبط هذا إلى حد اليوم رغم معرفة القسنطنيين للحقيقة إلا أنهم يثنون على الشيخ وأنه رمز من رموز الثقافة والإنتماء في قسنطينة العريقة غير أن هناك من أعاب على العائلة بعدم إعترافها وتوضيح ذلك للناس.

وما يمكن أن نخلص إليه أن العائلة القسنطينية لم ولن تتخلى على قندورة القطيفة (الفرقاني) لأنها ترى فيها عاداتها وتقاليدها وجب الحفاظ عليها وتوريثها لبناتها حبا لهن في ذلك الإرث **"منقدرش نشوف بنتي تحني بلا قطيفة منكدبش عليك تجينا حاجة ماش نورمال خلاص"**، ورغم ما يحدث من تطورات وتغيرات سريعة يمكن أن تحدث انشقاقا داخل العائلات والمجتمع ككل إلا أن اجتهاد الكثيرات في نقل حقيقة الموروث واضح لا يخفى على أحد.

ث/- الملايا القسنطينية:

كانت الملايا من أهم الأزياء التي تأتي في المقام الأول من حياة المرأة الجزائرية، فهي زينتها وأصالتها وهويتها ورمز من رموز ثقافتها وجزء نفتخر به من موروثنا الثقافي الشعبي، فقد أضفى على المرأة الجزائرية جمالية خاصة حفظت من خلالها حياءها وزادت من قيمتها ومكانتها، خاصة في إبان الحقبة الاستعمارية، إذ لعبت الملايا (الحايك) دورا بارزا حيث عملت المرأة في تلك الفترة على الاستفادة منه واستغلت ذلك لنقل الأخبار والوثائق الخاصة بالمجاهدين، بل تعدى الأمر إلى الأسلحة والمواد والمواد التفجيرية كالقنابل وايضا

[1] جعفر سعادة. **هربت متنكرا بعد مقتل ريمون.. لم اكن تلميذه ولا تسالوني عن بناني**. الشروق اون لاين.2015/05/08.

https://www.echoroukonline.com زرت الموقع يوم 2023/02/06.الساعة 19:20

المؤن والاموال وغيرها للفدائيين، فالملايا لباس تقليدي اشتهرت به مناطق الشرق الجزائري خاصة قسنطينة وسطيف وهي ذات لون اسود،" مقاسها حوالي 12 ذراعا تدخل الملايا من الأسفل الذي يقابل الجزء المخالط وصولا الى الكتفين، ثم تغطي الراس بشد الشريطين الموجودين في الطرفين وتربطهما عند مؤخرة الرقبة بحركة خفيفة تسمى الرمية، ترمي الطرف الأيمن والطرف الأيسر خلف الكتفين، ثم تثبتهما بدبابيس على مستوى الرأس علما أن للملايا فتحة واسعة من الإمام على مستوى الخصر لتسهيل حركة اليدين "[1]، أما الحايك فهو أبيض اللون الذي يميل إليه أهل الغرب.

غير أن الملايا لم تكن لباسا منفردا بل تصحب عادة بما يسمى " بالعجار" الذي يختلف شكله من منطقة لأخرى "نجد مثلا في سطيف يتخذن عجارا طويلا على عكس "العجار" في قسنطينة الذي يستر الوجه فقط"[2]، "بحيث لا يستطيع المشاهد أن يرى من الوجه إلا العينين تقريبا"[3]. ويكون ذا لون أبيض جميل ومطرز ساترا لكل الوجه غير عيني المرأة، وخصصت الملايا ولعجار في بادئ الأمر إلى البلديات (الحضريات) دون غيرهن ثم عمم ارتدائهما بعد ذلك، تقول إحدى مبحوثاتنا " **لملايا حاجة كبيرة بزاااف اما بنتي نشم فيها ريحة ميمتي الله يرحمها وخالاتي (وحركت راسها يمينا وشمالا وتنهدت قليلا...ثم واصلت حديثها) مكانتش برك تتلبس باه نسترو رواحنا كانت حيا وحشمة وسترة حتى لقفيفة تاعنا خاطر ناس بكري ربي عالم بحالها تخبيها ميمتي تحت ملايتها واحد لا شاف واش قضات ولا واش جابت وماكانتش رخيسة تلبسها غير اللي لباس بيها كانت غالية اما بنتي والله نشفى كنا نديوها فالشورة ونفوخو بيها**

---

[1] Rabah Abtou. **Artisanat ,traditionnel, Le Génie d'un peuple**, Editions SHFAR ;Algérie-p66

[2] احلام بن عادل. **الحايك العجار. والملاية ألبسة تراثية سردت العديد من الأحداث**.مجلةاحلامي.2020/10/06.اطلعت على https://www.ahlami-revue.dz الموقع يوم:2023/02/11.الساعة: 23:14

[3] رينهارت دوزي، **المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب**، الدار العربية للموسوعات، ط1 ،بيروت، لبنان،2012.ص 64-63.

خاطر كل هادي وقماشها ومودالها كاين لتجي من تحت بخيط حمر وكاين لي بلخيط لخضر ومبعد أي ولات في سول قسنطينة وعادت ناس كل تنجم تشريها وتتلحف بيها '

فالإضافة على رمزية الملايا في الحياء والعفة والأناقة ها هي مرة أخرى تكون رمزا لاختزال مشاعر نبيل لكل من يرتديها، فهي ساترة لكل ما تريد العين أن تسرقه بنظاراتها حتى تحافظ النسوة الحرائر على استقرار مجتمعها داخل شبكة علائقية اجتماعية متميزة لا فرق فيها بين بلدي وبراني =، كما نوهت مبحوثتنا إلى أن الملايا لم تكن متاحة للجميع (تلبسها غير اللي لباس بيها) بل بإمكان الميسورات منهن اقتنائها فقط نظرا لغلائها (كانت غالية) ولها أنواع من الأقمشة التي تصنع منها فكانت رمزا للتفاخر والتباهي في ذلك الوقت(كنا نفوخو بيها) غير أنها لم تبقى كذلك وأصبح اقتنائها للجميع فهي تمثل اليوم أحد أهم رموز وعناصر الموروث الثقافي بالمدينة (ولات في سول قسنطينة).

وللقسنطينيات بالذات قصة حفرت في تاريخ المدينة والجزائر بأكملها، فالملايا عندهن ليست مجرد لباس تقليدي أساسه الحشمة والعفة والحياء، بل هي ذاكرة وهوية وجب الحفاظ على صورتها وتجسيدها بكل إبعادها السوسيو ثقافية، فبسؤالنا عن حقيقة الملايا في مدينة الجسور اجتمع جل أهلها على فرضية واحدة أن هذا اللباس التقليدي والإرث الثقافي ارتدته نسوة قسنطينة حزنا على " **باي البايات** " حسبهن فيقصدن هنا الباي " **صالح باي** " الذي كانت وفاته فاجعة حقيقية ألمت بالقسنطينيين حيث اعتبرت "الملايا "علامة حداد عقب الوفاة المأساوية " لصالح باي" الذي حكم قسنطينة لمدة 21 سنة الذي عرف بعدله ونزاهته وحب الناس له".[1]

إن المشاع في الروايات التاريخية عن **"صالح باي"** أحد بايات قسنطينة الذي كان صاحب بطولات وإصلاحات وعقل راجح جعل من المدينة في أعوام قلائل مزدهرة، كسب من خلال هذا حب الأهالي ورفع مكانته وشعبيته لديهم وكان من" أبرز بايات الجزائر في الشرق، فقد كان ذا شهرة واسعة وذاع صيته بفضل

[1] Rabah Abtou. Ibid. p66

إنجازاته، حيث عرف عصره ازدهارا وانتعاشا حتى خاف منه دايات عصره من الاستقلال ببايلك الغرب لما رأوا الناس قد التفت حوله "[1].

غير أنه شدد الضرائب على التجار وضيق خناقهم، ما جعلهم يشتكون ذلك لداي الجزائر فقرر عزله وتعويضه بالداي ابراهيم، هذا ما لم يتقبله "صالح باي" وعمل على التمرد وعدم الانصياع إلى أوامر داي الجزائر، فنشبت حربا أهلية انتهت بسقوط "صالح باي" الحكم عليه بالإعدام ونفذ ذلك في قصبة قسنطينة سنة 1796م، فحزنت عليه أخته حزنا شديدا فلبست ملاية سوداء بنفس لون القميص الذي لبسه صالح باي حين إعدامه ، وكما نوهنا سابقا لحب القسنطينيين الشديد وتعلقهم الكبير بحاكمهم حذت النسوة حذو أخته وخرجنا ملتحفات الملاية السوداء بل واتخذنها لباسهن الدائم عند الخروج مع حذاء **الشبرلة*"**.[2]

غير أن العارفين وأهل الدراية في هذا المجال يؤكدون عكس ذلك، إذ يوضح السيد **"محمد بن ناصف"** باحث في التاريخ ورئيس جمعية أصدقاء متحف سيرتا **"** أن ظهور الملاية في الجزائر، وفي قسنطينة تحديدا يمتد إلى القرن العاشر ميلادي، و يتزامن مع الفترة التي عرفت تواجد الفاطميين في بلادنا، ناهيك عن كون هذا الزي الذي يندرج ضمن خانة الحجاب، يعد تراثا مشتركا بين عدد من الدول، بما في ذلك العراق ومصر وبلاد الشام وإيران"، وذلك إثر احتضان المتحف العمومي الوطني للفنون والتعابير

---

[1] محمد الصالح العنتري، **فريدة منسية في دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة**، مر وتق وتع يحي بوعزيز، الجزائر. ديوان المطبوعات الجامعية،1991. ،ص64.

[2] هدى طابي. **زي تراثي تزينه الاساطير: الملاية. ملحمة رداء اسود خلد حزن نساء قسنطينة**.جريدة النصر.13ماي.2022. .زرت الموقع يوم:2023/02/12 الساعة 11:15. https://www.annasronline.com

*- معنى الشبرلة هي حذاء اسود اللون له كعب ، مطرز بالذهب والفضة ينظر في شريفة طيان، ملابس المرأة بمدينة الجزائر في العهد العثماني، رسالة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر، معهد الآثار.1991/1990.ص 31

التقليدية قصر **"أحمد باي"** بقسنطينة ضمن فعاليات الطبعة الأولى ليوم الملايا القسنطينية تحت شعار " أحكي يا قسنطينة لملايا تاريخ و أصالة "[1].

رغم هذا التضارب التاريخي حول حقيقة الملاية في قسنطينة ألا أن أهل المدينة صنعوا من وفاة زعيمهم وبايهم **"صالح باي"** التراجيدية ملحمة يشهد لها التاريخ إلى يومنا الحاضر، إذ تغنى بها فنانوا المدينة ورثوه بقصيدة لا زالت عالقة بالأذهان، حيث قدمته أبيات "المرثية" أنه بطل قسنطينة الأول ومخلصها من الظلم والجور، ومن أجمل ما غنى الحاج **"محمد الطاهر الفرقاني"** رحمه الله قصيدته المعنونة **" قالو لعرب قالو"** التي نقل من خلالها مشاعر القسنطينيين الصادقة التي كانت تكنها لبايها الحاج" **صالح باي"** تقول القصيدة في مطلعها :

قالو لعرب قالو **** لا نعطيو صالح ولا مالو

يالو نقتلوا **** ويطيحو لرقاب على لرقاب

وتغنى العديد من فناني قسنطينة بهذه القصيدة مثل بودباغ وعبد العزيز بن زينة وغيرهم، فهي تعتبر ولحد اليوم حسب أهل قسنطينة على اختلاف تركيباتهم و ثقافاتهم من أجمل أغاني المالوف التراثية وأشهر القصائد الشعبية التي تغنت" **بصالح باي"** [2].

---

[1] هدى طابي. مرجع سابق

[2] هو صالح باي احد بايات قسنطينة من اصل تركي ، من منطقة تدعى أزمير عرف برجاحة عقله وميله للسياسة والذكاء والفطنة وكان حسن السيرة وصاحب حق اعجب بع الباي احمد القلي وزوجته ابنته وكلفه بقيادة الحراكتة في الاوراس 1762م وكان يحترم اوامر الباي حتى نصبه الدي محمد عثمان باشا منصب باي قسنطينة وبايلك الشرق الجزائري 1771م. (احمد توفيق المدني. محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791.سيرته حروبه اعماله نظام الدولة والحياة العامة في عهده.دار البصائر.الجزائر.2009.ص 133.

* المعنى : القوال حسب قاموس المعاني العربية رَجُلٌ قَوَّالٌ : حَسَنُ القَوْل و قَوَّالٌ : زَجَّال، أَي الَّذِي يَكْتُبُ الأَزْجَالَ

واِهْتَزَّ لِصَوْتِ القَوَّالِ : الْمُغَنِّي.

زرت الموقع يوم :2023/13/02.الساعة :13:40 https://www.almaany.com/ar/dict/ar

أما بخصوص كلمات القصيدة فقد تضاربت المعلومات ولم نجد أثرا تاريخيا حول صاحبها غير شهادات من أهل المدينة كقول أحدهم " **كتبها قوال* عربي بصح ميعرفوا حتى واحد هك قالونا جدودنا**"، في حين يروي أخرون أن الأبيات من نظم اليهود الذين سكنوا قسنطينة أيام "صالح باي"، إذ كانوا يقطنون **"حومة المزابل"** وهي منطقة تنحصر بين باب الجابية والسويقة بوسط المدينة، لكن كرم "الباي" وشهامته لم يتركهم هناك بل منحهم قطعة أرض بنوا فيها بيوتهم و حوانيتهم بمنطقة تعرف **" بالشارع"**.

إن التضارب في أصل القصيدة لا ينسينا صورة الملايا القسنطينية ومكانتها التي حفرها التاريخ إلى غاية اليوم، ورغم وجود القليلات منهن الذين لا زلنا يرتدين هذا الزي التقليدي والإرث الثقافي للمدينة إلا أننا نلحظ في النسوة القسنطينيات وبإختلاف أعمارهم بريقا وتنهيدا حين تمر بهن صاحبة الملايا وهي في أناقة ووقار وشموخ **" والله متمنية كون ترجع لقسنطينة ونعودوا نلبسوها بكل والله تهبل كتشوفيهم لابسينها تحسي كلي بوقتهم بلي ماش زي تاعنا ومالغري واش تبدلت الدنيا مازالو يلبسوها يعطيهم الصحة فحلات"**، فالكثيرات منهن يتمنين عودة الزمن الجميل وارتدائهن لهذا الرمز والصورة الثقافية لمدينة الصخر العتيق، فهن لا يخفين إعجابهن الشديد بلبسها (تهبل كتشوفيهم لابسينها) وإنها توحي بزمن جميل ورائها(تحسي كلي بوقتهم بلي ماش زي تاعنا) كما يثنين على من مازلنا محافظات على هذا الزي التقليدي الأصيل للمرآة القسنطينية (يعطيهم الصحة فحلات).

إن التحدث عن الملايا القسنطينية بإسهاب لا يعطيها حقها ولا يوفيه، فلم تكن مجرد لباس ساتر أو قطعة قماش وجب للمرأة وضعها، بل هي تاريخ عفة وكرامة وعنفوان صنعتها القسنطينيات إجلالا لأحد أهم باياتها الشيخ " **أحمد باي** " ثم أصبحت بعدها الملايا رمزا من رموز الطهارة والشرف وصون العرض غير أن قسنطينة اليوم تحن إلى ماضيها وموروثها الثقافي المتجسد في اللباس التقليدي كالملايا مثلا بل وأصبح من النادر أن ترى امرأة ترتدي ملايا، إلا وتكون محل أنظار الكثيرين تنقسم نظراتهم بين الحنين إلى الماضي العريق وبين انبعاث روح الزمن الجميل وعبق التراث.

نعود لنستكمل الممارسات الثقافية في أعراس القسنطينيين، فمن جانب الحلويات تغيرت كليا فمن التمر وحلوة الترك(الشامية) قديما إلى المقروض والبقلاوة والغريبية والقطايف، كما أضيف المحلبي والبالوزة والشريك والفاكهة كتحلية بعد حنة العروس، ويعرف في قسنطينة " بالسماط" والذي لا يزال قائما إلى يومنا ،هذا خاصة الأعراس التي تقام في قاعات الحفلات حتى لا يشعر الحضور بالملل فيتم تقسيم أوقات تقديم الطعام إلى أقسام، أضف إلى أن أغاني النسوة لم تعد موجودة اليوم إلا نادرا محصور فيما ترددة بعض العجائز وتعرف ترديداتهم الغنائية " بالبراكة"، خاصة بعد ظهور ما يعرف "بديسك جوكي " وهي ألة ذات مكبرين للصوت من الحجم الكبير توضع في البيوت أو الصالات و عادة ما تكون مرفوقة بأضواء ملونة ومختلفة، وهي تستأجر من أصحابها بمالغ مالية تزيد وتنقص مع الفترة المطلوبة فيها، فمثلا سعرها في الصيف أين تكثر الأعراس والمناسبات السعيدة ليس هو نفس السعر الذي يقل فيه الطلب عليها أين تقل الاحتفالات.

أما قديما كانت النسوة يطلقن العنان لحناجرهن لأداء مختلف الأغاني و المدائح بإستخدام "البندير" **"كانت ما جميلة الله يرحمها كتحكم البندير كل هادي تعرف بلاصتها تعود النسوان تطايح على بعضاها بتهوال وشطيح واليوم حتى لغنى متفهميلو راسو من ساسو شوية وكنجيبو ولاد الالة تحسي بلي راكي في عرس والكالم والهدرة بلساس ولميزان "**، إذ ترى المبحوثة أن أغاني زمان كانت ذات وزن وقيمة لدى السامع خاصة إذا حضر الاحتفال (ولاد الألة) وهم من يجيدون المالوف في قسنطينة، فهم يستعملون الآلات كالكمان والقيثار وأعراسهم هادئة نظيفة وراقية في كلماتها (الكالم والهدرة بلساس ولميزان) ، كما تشير إلى أغاني النسوة قديما فرغم استعمالهم لأبسط الوسائل(البندير) إلا أنهن في قمة السعادة والنشوة (بتهوال والشطيح) وتقصد أنهن في رقص وتمايل فيما بينهن، أما اليوم فقد أصبحت سمة التفاخر والتظاهر بين العائلات القسنطينية سمة بارزة في أعراسها لاسيما في طقس الحنة ويسمى " الرشق" فيدخل أهل العروس والنسوة تتفاخر بالذهب والرجال بالمال ومنهم من يقدم العملة الصعبة (أورو) ومنهم من يقدم سيارة وفي كثير

من الأحيان يكون كله كذب ورياء امام الحاضرين ولقد حضرت شخصيا بنفسي أعراسا كان الذهب ليس ملكا لأهل العروسة ولا المال حقيقيا بل مزورا، بل الكثيرات منهن اليوم تلبس الفضة المرشوشة بالذهب حتى يعتقد الجميع أنها ترتدي مجوهرات حقيقية.

أعتقد أن مثل هذه الممارسات اليوم أعيت كثيرا المجتمع الجزائري لا سيما في مدينة قسنطينة، حيث تجد أن الكثير من العائلات ورغم قلة حيلتها، إلا أنها تضيق على نفسها الخناق وتحضر المال عن طريق الاقتراض سواء من الأهل أو البنك أو حتى الرهن إن اقتضى الأمر، حتى لا يقال أن تلك العروس ينقصها شيء أمام الحاضرين.

ثم ننتقل إلى طقس "الشورة" فطرأت عليه هو الأخر تغيرات عدة فقد كان جهاز العروس القسنطينية يكتسي طابعا خاصا في السابق، إذ بمجرد أن تبلغ الفتاة مقام النسوة تصبح الأم تشتري لابنتها قطع القماش والحلي والالبسة لتجهيزها، وكانت عادة مقدسة جدا لدى العائلات القسنطينية ، وعند خطبتها يدفع العريس المهر لها فتذهب هي وأمها إلى الصاغة وسط المدينة وبالتحديد في شارع يعرف ب"زنقة مقيس" وهي محلات كثيرة مختصة في بيع الذهب والحلي على كل أنواعه، كما يوجد الكثير من الشباب الحاملين للذهب في أيديهم يعرفون في قسنطينة بـ" الدلالة"، فالذهب لدى القسنطينية ليس زينة فحسب بل هو مورد مالي يستعمل وقت الحاجة إليه حين كان يفقد الزوج عمله أو يمرض أحد الأبناء أو طارئ معين **" لحدايد* لشدايد أما بنتي"*** وحتى يومنا هذا لا زال دلالة قسنطينة يعملون بنفس الشكل والوتيرة.

لكن اليوم أصبحت "شورة" العروس القسنطينية أي جهازها يقتصر على مجموعة من الأجهزة الكهرومنزلية من ألة غسل الثياب إلى ألة العجن وكذا المكواة الكهربائية ...إلخ، أما ما تعلق بالذهب فأصبحت تكتفي بالقليل منه نظرا لغلاء ثمنه واختارت أن تعيش اليوم بيومه.

---

* المعنى : الحدايد هو الذهب ويخبأ لوقت الشدائد و الحاجة

كما لم تقتصر الشورة (جهاز العروس) على الملابس والحلي بل يتبعها الصوف، إذ لا بد من وجود مفروشات الصوف في جهاز العروس وإلا ستكون عرضة للسخرية من أقاربها وجيرانها، فتأتي بحرفي مختص في الصوف يعرف في قسنطينة باسم " الطراح " يطرح لها ما تطلبه من وسادات ومطارح ثم تأتي تجهيزات الحمام والمطبخ، إذ تقتنى كلها من النحاس التقليدي القسنطيني وأي عروس تخل بهذا تعتبر عروس عادية وغريبة عن المنطقة **" ما تحقش* ومهيش بنت بلاد خلايا نبعت بنتي عند ناس بلا نحاس".**

وقبل الحديث عن النحاس نرى اليوم أن طقس الأفرشة التي تصنع من الصوف والتي كانت من أساسيات جهاز العروس القسنطينية سابقا، يسقط اليوم وبنسبة كبيرة إذ تفضل العروس القسنطينية اليوم أن تشتري ما يعرف بالأفرشة الطبية والتي تعتبر بالنسبة لهم أسهل من ناحية الحمل وأرخص من ناحية الثمن مقارنة بثمن الصوف، ناهيك عن ما يحمله من تبعات بعد شراءه وجب تنظيفه جيدا من الأتربة وغسله قرابة الثلاث مرات أو أربع حسب نوعية الصوف ارتأت العروس اليوم أن تريح نفسها من كل هذا العناء.

كما تحضر العروس سابقا لوازم الاستحمام والمكونة من **" طاسة وكروانة وسطلة والوضاية وحوايج لكوزينة تدي معاها البرمة والطاوة والجزوة ولبريق لمحبس والسني بوميطرة تاع لغذا وتدي تاع لقهوة كي يجيو ناسها وحبابها توجد فيهم مع سكرية** و لمرش*** وكل هذا ومقدوروا لا زادت صح ليها واذا الشي ناقص الله غالب المهم تشم ريحة لبلاد ومتنساش السول**** تاعنا " .**

---

* المعنى : ما تحقش أي انها لا تعرف قيمة الشيء(النحاس)اما (بنت سرتها) فتعني بذلك انها قسنطينية متأصلة وبلدية ابا عن جد ولم تبرح وسط المدينة اطلاقا.

**السكرية هي وعاء يوضع بها السكر للاستعمال اليومي او المناسباتي او لاستقبال الضيوف كشرط اساسي في السينية القسنطينية وجهاز العروس وعن شكلها فهي دائرية لها قاعدة من الاسفل تكون هي اساس القطعة مرفوقة دائما بالغطاء العلوي لحماية السكر بداخلها حيث تتشكل بزخرفات ونقوش في قمة الاتقان والدقة

*** اما المرش هو: الاخر من المشغولات النحاسية المرافق للسينية وكذا لطقس الحنة حيث ترش بع العروس حين خروجها من بيت اهلها وكذا للاستعمال اليومي في الطبخ حتى يضفي نكهة ومذاق طيب خاصة الاطباق ذات الطعم الحلو ويكون مزخرفا بنقشات تزينه من الاعلى الى الاسفل حيث يكون شكله ذو قاعدة ثم يعلو على شكل مخروط لينتهي بتجويف اعلى الفتحة التي تخرج ماء الورد او الزهر الذي ملئ به المرش.

**** السول تاعنا : ومعناه هو عاداتنا وتقاليدنا.

غير أن العروس لقسنطينية اليوم لا تكترث لكل هذا خاصة ما تعلق بلوازم الاستحمام، فقد اختفى هذا الطقس كضرورة في جهاز العروس، إلا من شاءت أن تأخذ شيء منها على سبيل الذكرى كأن تأخذ "الوضاية "من بيت أهلها كتذكار من والدتها والتي كانت قد أحضرته معها حينما كانت عروس، وهنا نجد نوع من التناقل للموروث الثقافي المادي من جيل لأخر، أما ما تعلق بالأواني المطبخية فلا زالت العروس اليوم تأخذ المشغولات النحاسية، والمتمثلة في السينية والبلاطو والسكرية والمرش وحامل الملاعق والمناديل.

فقيمة النحاس لدى العائلات القسنطينية اليوم فهو ممارسة ثقافية وموروث متناقل بينهم لا غنى عنه منذ الأزل، فالعروس التي لا يرافقها النحاس في جهازها فكأنما أنقصت من قيمة نفسها وعائلتها ومدينتها خاصة إذا تزوجت خارج المدينة، فهي مطالبة بنقل صورة مثالية عن قسنطينة عاداتها وتقاليدها والنحاس في أولى المراتب دائما.

أما العرس القسنطيني اليوم فقد أسقط الكثير مما سبق لأنه يثقل كاهل الطرفين، هذا من جهة ومن أخرى تغيرت العادات والتقاليد بخصوص جهاز العروس، إذ أصبحت تأخذ الضروري وما يناسبها هيا لا ما يراها المجتمع ملائما لها، فلم يعد يحسب لرأي الأقارب والأصدقاء فالتجهيز المسبق عادة زالت تماما **" كلش أو يتباع برا وزيد تخبي لحاجة تقدام وتديمودا وبنتي مكتوبها عند الله وين دريتو ابنتي "** أوافق المبحوثة بقولها أنها لا تعلم متى يأتي نصيب ابنتها، ناهيك أن الموضة تذهب ويأتي غيرها فلا داعي لشراء اللباس وتخزينه، إلا من كان ميسور الحال فيشتري بعض الحلي ويتركه لابنته ريثما يحين زفافها في هذا أيضا حكمة بالغة فالذهب مورد اقتصادي يستفاد منه الفرد متى احتاج إليه عكس الألبسة والأقمشة المرهونة بزمن معين.

وعلى مستوى النحاسيات فلاتزال العائلات القسنطينية تعشق هذه الحرفة بجميع مصنوعاتها وتنوعها فقد تخلت عن كل ما تعلق بلوازم الاستحمام وأبقت على القليل من أواني المطبخ والزينة غير أن ما نراه اليوم من عودة ملفتة جدا للحرفة خاصة بالنحاسيات ذات اللون الأصفر، أما على مستوى الصوف فلم يعد

ضروري أبدا في جهازها إلا قليلا من الأشياء ، كبساط من الصوف يفرش في فصل الصيف ويغطى بقماش جميل أو بعض الوسادات تستعمل لتزيين بيت العروس أو غرفة استقبال الضيوف فقط.

ج/- **قسنطينة و الفن :**

أن النوع الغنائي الغالب على المدينة هو طابع "المالوف" الذي له من الرمزية والدلالة في نفوس القسنطينيين ما يجعله ذو مكانة وقيمة، "تاريخ المالوف هو تاريخ الهجرة الأندلسيّة إلى شمال إفريقيا"[1]، حيث عرف الأندلسيون بمدائحهم الدينية وألحانهم المتميزة "ومن أحسن النّغم و =الأعاريض الّتي أتى بها مهاجرو الأندلس تلاحين الموشّحات والأغاني"[2].

اشتقت كلمة "مالوف" من "مألوف"، ويتغنى هذا الفن بالطبيعة وجمال المرأة والحب والفراق ضمن قصائد الشعر، وهو أحد الألوان الغنائية الكلاسيكية الأندلسية التي اشتهرت بها مدينة قسنطينة منذ أزيد من 600 سنة، ونشأ في عهد الدولة العثمانية مع الهجرة الأندلسية إلى سيرتا (اسم قديم لمدينة قسنطينة)[3].

واشتهرت قسنطينة بهذا النوع الغنائي على مدار عقود من الزمن، وعرفت من خلاله عائلات بأكملها على غرار **"العربي غزال"** والشيخ **"حسونة"** والشيخ **"الدرسوني"** إلا أن هذا الطابع بقي مرتبطا بعائلة **"الفرقاني"** بقيادة عميد طابع المالوف **"الشيخ محمد الطاهر الفرقاني"** رحمه الله، إذ حافظ الحاج على هذا النوع داخل عائلته وأورثه لأبنائه وأحفاده وعملوا جاهدين لحماية هذا الفن من الاندثار والزوال حيث بقي اسم **"الفرقاني"** كعلامة مسجلة لفن المالوف في قسنطينة إلى غاية يومنا هذا.

---

[1] – حسن حسني عبد الوهاب . **ورقات عن الحضارة العربية بإفريقيا التونسية**.ج3. منشورات مكتبة المنار.ط2 . تونس. 1981. ص 258

[2] الرزقي صادق .**الأغاني التّونسيّة**، الدار التونسية للنشر، ط2، 1989، ص 56

[3] الخليج .اونلاين. **فن "المالوف"**.. إرث غنائي أندلسي بالشرق الجزائري مهدد بالاندثار. .زرت الموقع يوم 2023/02/07.الساعة 13:35/https://alkhaleejonline.net الموقع

عشق القسنطينيون هذا الطابع كعشقهم للحاج فهو يسكن قلوبهم ويتذوقون كلماته، أما بخصوص مدارس هذا الطابع الفني فيتحدث الحاج رحمه الله قائلا "هناك ثلاث مدارس كبرى هي قرطبة وإشبيلية وغرناطة، المالوف في تلمسان "غرناطي" وفي العاصمة يسمى "الصنعة" وفي قسنطينة وتونس "المالوف" أي المؤلف من الأندلس، وهناك من يقول بوجود أربع مدارس ولكن هذا خطا فادح.. لا وجود لأربع مدارس، إشبيلية تركت لنا الزجول "طروبادور" وهي كلمة إسبانية تعني بالعربية "الطرب يدور" حيث كان سكان الجبال في إشبيلية يجتمعون بعد الإنتهاء من الحصاد ومن وجبة الغذاء ويغنون بالكف"[1]

فقد عرف هذا الفن الأصيل بالكلمة النقية واللحن الهادئ، ولعل أشهر ما يزال في ذاكرة القسنطينين ما تغنى به الحاج من رائعتي " **صالح باي** " و" قسنطينة هي غرامي "، وتعتبر هذه الأخيرة قصيدة متميزة عند أهل المدينة لما تحمله في طياتها من قيمة فنية وجمالية بلحن بائس وحسرة على ما أل إليه واقع عاصمة الشرق، إذ نرى في القصيدة حالة من الوصف والتحليل لواقع قد قارن الحاج فيه بين قسنطينة القديمة العريقة وبين قسنطينة الحديثة التي فقدت حسبه وحسب نبرات التحسر والآهات المصاحبة للأغنية قيمتها ومكانتها وتخلت عن تقاليدها وموروثها، من حيث الأماكن والطقوس والعادات وجل المورثات التي تنفرد بيها قسنطينة على مر العصور، وسنعرض بعض مقاطع من القصيدة على أن نجعل ما تبقى منها في ملاحق الدراسة .

يقول الحاج "**محمد الطاهر الفرقاني**" رحمه الله في مطلع قصيدة " قسنطينة هي غرامي ":

قسنطينة مدينة الهوا و بلاد الرياس — قسنطينة آه بلاد الدين و العلماء
اللي زارك بلى ندامة — ناس الذكر و الفهامة بن باديس و العلماء آه

ثم ينتقل إلى التحسر على المناطق :

على السويقة نبكي و النُّوح — رحبة الصوف قلبي مجروح
سيدي مزار قولو روح — الرصيف و الجزارين

[1] جعفر سعادة. مرجع سابق

الطقوس و الممارسات :

فرَيجْة و الغابة سيدي ميمون من وحشهم راني ممحون
ما بقاش الما نشفوا لعيون سيدي مسيد آه يا لحنين
آه يا حسرا الغراب و القعدات و البرمة و السقيات بالنشرة و العادات

فلم يتخلى القسنطينيون على هذا الطابع الغنائي إذ يرى فيه الكثيرون أنه من موروثات قسنطينة شأنه شأن النحاس، وقندورة الفرقاني (القطيفة)، فلكل مدينة ماضيها وتاريخها العريق وأصواتها الفنية الخاصة بها ولطالما كان الحاج **"الفرقاني"** رحمه الله كذلك فهو بصوته لم يكتفي أن يكون طبعا ولونا تتميز به قسنطينة بل تعداه إلى أن يصبح أحد أهم رموزها الثقافية وعنصرا ضروريا في يوميات القسنطينيين ومنفسا عن أهاتهم ومحسنا لمزاجهم " **انا كنسمع الحاج نركح ويرتاح بالي وحتى ويكون عندي مشكل"**، وهذا اللون الغنائي حسب" **الشيخ درسوني"** " يتغنى بالقصائد الشعر الطويلة ويعتمد في ذلك على النوبات"[1]، كما يضيف الفنان **"سليم الفرقاني"** أن المالوف فن ينقسم إلى ثلاث طبوع هي (العيساوة) (الفقيرات) (والوصفان)، إشتهرت في كل من قسنطينة ميلة وعنابة "[2].

كما أصبح لفن المالوف القسنطيني مهرجانا وطنيا يجلب الكثير من الجماهير الذواقة لهذا النوع الغنائي حتى من خارج الجزائر، يقول السيد **"عمار عزيزة"** محافظ الطبعة العاشرة للمالوف المقامة في مدينة قسنطينة" أن هذه الطبعة التي تحمل شعار "صدى المالوف، أصالة وتواصل"، تهدف إلى اكتشاف المواهب، وتشجيع روح المنافسة، فضلا عن تثمين هذا التراث العريق، من خلال خلق إطار لتبادل التجارب والخبرات بين الفنانين والمبدعين"[3].

---

[1] فتيحة زماموش. **فن المالوف...موسيقى عريقة من رموز مدينة قسنطينة الجزائرية**. وكالة الانباء الكويتية (كونا) /https://www.kuna.net.kw/Article/. 2012/08/02. اطلعت على الموقع يوم:2023/02/11.الساعة : 14:25/

[2] المرجع نفسه

[3] ح. شبيلة. **بعد غياب 6 سنوات عن قسنطينة" المهرجان الوطني للمالوف يعود في طبعته العاشرة"**.جريدة: https://www.el-massa.com/dz/ المساء.2022/09/20.اطلعت على الموقع يوم:2023/02/11.الساعة .13:42

لا يزال هذا الفن يصارع إلى غاية اليوم للحفاظ على مكانته ضمن موجات التحضر والتطور التي عرفتها كل المجالات بما فيها الموسيقى والفنون، فقسنطينة كغيرها من الولايات شهدت موجات شبابية تعصف بالفن الأصيل والعريق هنا وهناك خاصة ما يعرف بطابع " الراي" الذي عرف انتشارا واسعا تطورا مخيفا يطرح العديد من التساؤلات، إذ نجد القلة من شباب قسنطينة المحافظين في سماعهم لطابع المالوف ويرو فيه أصالة وموروث الأجداد، فالأزمة بين الفنون الموسيقية أصبحت الفجوة بينها تتسع إلى المجهول، فالمدارس الموسيقية في قسنطينة لم تعد تستقطب من شباب المدينة إلا القليل مع بعض الأصالة التي نجدها في أعراس " بلدية قسنطينة " خاصة، فلحد اليوم لا تزال أعراسهم تقام بهذا اللون الغنائي وبحضور قاماته وأعمدته، أما من منظور بقية القسنطينيين فقد اقتصر المالوف في أعراسهم على سماعه وقت شرب القهوة فبالنسبة إليهم هو طابع هادئ ومعدل للمزاج لا سيما إذا كنا نرتشف فنجان القهوة **"فنيجل لقهيوة والحاج يدندن خلاتها ميمتي الله يرحمها راني خير من السلطان في دارو".**

ح/- النمط العمراني بالمدينة :

لكل مدينة سحرها وطابعها العمراني الذي تعرف من خلاله وتتميز به، فقسنطينة تلك الساحرة فوق صخرة من الكلس ذات الجسور المعلقة هنا وهناك، تغزل بها الكثيرون على اختلاف انتماءاتهم فقيل فيها الكثير كونها عاصمة الشرق الجزائري والأقدم عبر التراب الوطني، أما موقعها فزادها جمالية حيث تتواجد فوق صخرة عتيقة، وعبر **"موتسيبي"** رئيس الإتحاد الإفريقي لكرة القدم، وأثناء زيارته للمدينة عقب أحداث الشان المحلي المقام في الجزائر 2023 فيرى في أنها" مدينة ساحرة جدا ومناخها جميل ...أحب قسنطينة وتاريخها "[1].

[1] قناة الهداف .قناة رياضية جزائرية. تصريحات رئيس الاتحاد الافريقي لكرة القدم. يوم 2023/01/25.الساعة 7 صباحا.

وحين تجوالك في مدينة قسنطينة ومرورك بجسورها المعلقة وصخورها العتيقة، وأزقتها القديمة وأقواسها الرومانية وأبنيتها الفرنسية، حينها فقط تدرك أن لهذه المدينة إرث حضاري وثقافي خالد لا يمكن أن تمحوه السنين.

لقد شهدت أم الحواضر عدة ثقافات وحضارات تعاقبت عليها كالحفصيين والنوميديين والعثمانيين والاستعمار الفرنسي، كان لكل واحد منهم أثرا بالغا في شكل المدينة وطريقة عمرانها "غير أن ما تبقى فيها من معالم الحضارة الإسلامية يعود عموما إلى الفترة العثمانية التي دامت حوالي ثلاث قرون(1535-1837) وبقايا من الاستعمار الفرنسي الدي دام قرنا من الزمن وثلاثون سنة(1837-1962)"[1].

يقول المعماري الإيطالي" **ليوناردو بنيفولو"** في كتابه "تاريخ المدينة "حينما كانت الحضارة والبيئة تتشكل في القرون الوسطى بأوروبا كانت الحضارة الإسلامية في عالم البحر الابيض المتوسط في أوج تطورها"[2]

إن التطور والرقي الذي عرفته الحضارة الإسلامية مس كل مجالاتها بما فيها فن العمارة والعمران والذي لا تزال أثاره باقية إلى يومنا هذا، وقسنطينة كمدن عديدة توالت عليها الحضارات والحقب التاريخية المختلفة رسمت كل واحدة منها طريقا لغيرها جعلت من المدينة تحفة للناظرين، غير أن ما يمكن اعتباره ذو الأثر البالغ فيها هو التواجد العثماني وكذا الاستعمار الفرنسي بها فالمدة كانت كافية لترسيخ معالم تاريخية وأثار معمارية فنية يصعب محو تواجدها وأثارها بالمنطقة .

لقد " تعاقب على حكم مدينة قسنطينة 46 بايا كان أهمهم اثنان هما" **صالح باي"** والذي ينسب إليه بناء عدة بنايات وكذا عملية ترميم جسر القنطرة والثاني هو الحاج **"أحمد باي"** أخر بآيات قسنطينة، والذي

---

[1] اسيا ليفة.ابراهيم بن لخلف. **مدينة قسنطينة القديمة، تراث عمراني مهدد بالزوال.** مجلة آفاق للعلوم. العدد العاشر/ جانفي 2018.ص 169- 178

[2] Leonardo Benevolo, histoire de la ville, tra : Catherine Peyre, éd Parenthèses, 1983, p 153

ترك اسمه محفورا من ذهب خاصة وهو الذي ينسب إليه بناء قصر"أحمد باي" هذه التحفة المعمارية الوحيدة من نوعها في العالم"[1]، و التي لا تزال إلى يومنا هذا قبلة للسياح و معلما تاريخيا متميزا.

فالزائر لقصر" أحمد باي" بقسنطينة يدرك تمام التميز المعماري والفني الذي حظيت به الجزائر عموما وقسنطينة على وجه الخصوص، فقد كانت تلك النقوش والزخارف على جدرانه وبلاط الأرضيات تعكس دلالات مادية وأخرى روحية تقوم بوظيفة اجتماعية إنسانية شبيهة تماما بها تقوم به اللغة، فهي تحمل في طياتها هوية وثقافات الشعوب، غير أن هذا التميز والانفرادية التي حظيت بها مدينة الصخر العتيق على يد العثمانيين لم تستمر، إذ وبتدخل الاستعمار الغاشم في عمران مدينة قسنطينة وشكله أثر ذلك وبشكل سلبي على إسلامية البناءات وعروبتها الممتد من العثمانيين والأندلسيين الذين وطؤوا المدينة قبلها، ناهيك على أن فرنسا كانت تعتقد أنها بهذا فهي عامل إيجابي في نقل الثقافة والحضارة الغربية للمدينة .

إن المدينة القديمة بقسنطينة هي فقط من بقيت محافظة على شكل عمرانها وزخارفها التي على جدران مساجدها وأرضياتها وبلاطها المعروف عند أهلها " بالزليج والرخام " وكذا ببيوتها العتيقة والتي تسمى إلى اليوم " بدار عرب" وكان كل ركن من البيت يحمل اسما يدل على ملامح حضارة بأكملها فلقب وسط البيت في قسنطينة (بوسط الدار)، والدهليز(ركن مخصص لحاجة أهل الدار)، والمقصورة (ركن لتخزين المؤن تسمى في قسنطينة بالعولة)، وغيرها من المصطلحات التي غابت اليوم بغياب أهلها عن مناطقهم وبعضهم غير وجهته إلى سكنات لائقة، خاصة أن المدينة العتيقة في حالة لا تصلح للسكن فالكثير من السكنات بها أصبحت هشة غير صالحة لإيواء أهلها حتى بعد الترميمات التي عرفتها المدينة.

[1] بن الشيخ الحسين. **إعادة الاعتبار للتراث العمراني في إطار تظاهرة قسنطينة عاصمة الثقافة العربية 2015 و أثره على التنمية السياحية بمدينة قسنطينة.** مجلة التراث. العدد 04. 2014/09/15.ص ص 114-129

فلا أحد ينكر أهل المدينة ولا المؤرخون حقيقة البصمة العثمانية في كل أرجاء قسنطينة وأنهم أصحاب الفضل إذ "بدخول العثمانيين حافظوا على مكانتها المرموقة وأصبحت ثاني مدينة بعد العاصمة"[1].

فالجهود العثمانية كانت واضحة من خلال استراتيجية التطوير والرقي التي اعتمدها البايات الذين توالى حكمهم على المدينة غير أن " **صالح باي** " يعد المتميز من بينهم حيث يعتبر عهده في قسنطينة الأكثر عمليا من سابقيه " إذ بمنجزاته المعمارية بنى جامع سيدي الكتاني وديارة بالشارع، وغرس البساتين المعتبرة وبنى القنطرة، وجلب لها المهندسين من بلد النصارى وأنفق عليها أموالا عظيمة وعمر الوطن وسعدت الناس في دولته"[2]، كما اهتم بالمنشآت الدينية إذ قام ببناء المدرسة الكتانية سنة، 1775م وبعد ذلك قام بتأسيس الجامع الحنفي بجوارها"[3].

ومدرسة سيدي الكتاني لا تزال إلى يومنا هذا، وهي في وسط سوق يعرف " بسوق العصر" يحدها حاليا من الناحية الشمالية "دار الامام" أما الناحية الجنوبية " جامع سيدي الكتاني" وكان دورها محاربة الزوايا والتصوف حتى بعد مجيء الاستعمار الفرنسي إلى المدينة، فالملاحظ أن الباي" **صالح**" أعطى أهمية كبيرة وعناية خاصة للجانب التعليمي والديني في مدينة قسنطينة منذ توليه الحكم بها، حيث كانت تشجيعاته للمشاريع المعمارية ذات الطابع الديني كثيرة، غير أن التضارب العددي حول هذه المنشآت لم يكن متطابق فمن الإحصائيات من يقول أن بقسنطينة 35 جامعا وأخرون يرون أن بها 75 جامعا غير أن الّانبهار والإعجاب كان متفق عليه فيما بينهم فيقول أحدهم في وصف مسجد سيدي الكتاني " فبنى الشارع

[1] شلابي رفيق. التأثير الاندلسي المعماري خلال العهد العثماني. قسنطينة أنموذجا. مجلة الراصد العلمي.العدد01.جويلية 2022.ص ص 05-18.

[2] احمد بن مبارك بن العطار. مرجع سابق .ص 138.

[3] Mouloud Gaid, **chronique des beys de constantine**,o.p.u.alger, p :41

بعد أن كان مراحا وبنى وأقام به دورا وبنى جامعه المشهور المسمى بسيدي الكتاني بناء عجيبا...وبه صومعة"[1].

فلا تزال بعض البلاطات والأرضيات على حالها خاصة في المدينة القديمة كالسويقة ورحبة الصوف وسيدي جليس والجزارين وغيرها من أحياء المدينة العتيقة، كما لا تزال بعض حماماتها العريقة محافظة هيا كذلك على نمطها العمراني وأشهرها هو حمام " ثلاثة" وعرف بهذا الاسم إلى غاية يومنا هذا نظرا لسعره الزهيد آنذاك مقارنة مع غيره من الحمامات التي كانت تسعيرتها بخمسة صوردي أما هو فبتسعيرة ثلاثة صوردي، ما جعله مقصدا للكثيرين خاصة العائلات العريقة والمعروفة بقسنطينة بحضريتها وبلديتها " كعائلة **بن الشيخ لفقون- بن شيكو- بن عزوز** وغيرهم، وأضاف مبحوثنا السيد**"حسن قادري"** صاحب حمام " ثلاثة " أن الحمام لقب أيضا "بحمام لهوا و مليح لدوا" وأيضا عرف "بحمام الشط" لأنه مبني على شط الواد وبقي معروف بهذا الاسم إلى اليوم.

"ايه وينهم حمامات زمان بن ناصف وبلوصيف ودقوج الله الله كانت التحميمة على ديدانها صح وكنا نتلايمو مع بعضانا ونديو حويجاتنا وماش غير لكبارات لي يروحو يجيو حتى الصغارات" تتحصر المبحوثة على الحمامات القديمة (حمامات زمان) أين كان للحمام وزنه وقيمته (كانت التحميمة على ديدانها) ثم تنوه إلى رواد الحمامات في قسنطينة قديما أنه لم تقتصر على المسنات منهن أو النسوة بل حتى الفتيات (يجيو حتى الصغارات)، و تضيف **" كانوا بزاف النسا ليجيبو بناتهم باه يشوفوهم نساخلاف وحدة حاب تخطب لبنها ولا تزوجوا تخير بنت لحلال وكل وحدة ومكتوبها"** ، فلم يقتصر الحمام كونه فضاء للتطهير

[1] فاطمة الزهراء قشي. **قسنطينة المدينة والمجتمع**. رسالة دكتوراه في التاريخ غير منشورة. جامعة قسنطينة.1997-1998.ص.90.

والاغتسال وتنفيس النسوة عن أنفسهن بحكايات وأغاني يرددنها فيما بينهن بل تعدى إلى كونه مكانا اجتماعيا لاختيار شريك الحياة.

لكن اليوم الصورة مغايرة تماما فلم يعد يرتد منهم الحمامات إلا القليلات خاصة بعد ظهور ما يعرف بـ" الدوش الفردي" ، فهذه الأخيرة هي بيوت فردية لكل شخص يدخل يستحم لفترة من الزمن ثم يترك المكان لغيره ،أو الحمامات المنزلية كل يستحم بمنزله أو بالذهاب إلى حمامات خارج الولاية كالحمامات المعدنية "بقالمة" و"عين مليلة " كونهما أقرب الولايتين إلى قسنطينة، **"مابقاتش ابنتي الحمامات كي بكري كنا لازم كل جمعة درك عدنا نتحمموا كل هذا في داروا ولا نروحوا لقالمة بصح بينة لحواسة تاني ماش غير تحميمة ونجيو نروحوا"**، ثم أضاف عامل السياحة إلى جانب الاستحمام لأنه لم يعد ضروري كالسابق.

لقد تغير طعم كل شيء بفعل العصرنة والتكنولوجيا التي أفقدت كل أصيل وتقليدي حلاوته التي كان عليها، فالصراع لا يزال قائما بينهم إلا أن كسب الرهان ليس بالأمر الهين .

لكن بعد أن احتضنت المدينة تظاهرت **"قسنطينة عاصمة الثقافة العربية 2015"**، كانت هناك بعض الالتفاتات والجهود من الوزارة والمصالح المعنية من أجل تحسين وجه المدينة الأثري والحضاري، فقد مس الترميم منشآت عدة بقسنطينة، خاصة المدينة القديمة من مساجد وزوايا وأزقة عتيقة وحمامات ومنازل ،فساهمت في تحسين الوجه العام للمدينة وصارت أكثر جدبا للسياح من خارج وداخل الوطن فإطلالتها الجديدة بعث في المدينة طابعا حيويا.

غير أن لا شيء يضاهي السكن في وسط المدينة حتى لو كانت الوجهة أفضل وأحسن بكثير مما تعانيه المدينة العتيقة اليوم، فقسنطينة القديمة حسب مبحوثينا هي حكاية عشق لا يمكن أن تتغير بسكن لائق أو مكان راق يتوفر على سبل العيش الحديث " **االاه يا لعزيزة كبرو لولاد وماعادتش الدار تهزنا وتالي والله ربي ثلاثا لنخرجها اما بنتي من داري واش فيها نوفال واااالو بصح وسط لمدينة وحدها انا كنقعد فيها برك الدنيا وما فيها وزيد قدامي كلش سوق العاصر الحمامات والسبيطار واش نحوس الله غالب**

تحكمنا بالضيق وولادنا عادو مقام الزواج ما عندنا كيفاه نديرو"، تتحسر المبحوثة في اولى كلماتها(ااه) الصيغة معبرة عن كل المشاعر التي تختلجها تجاه المدينة القديمة (وسط لمدينة وحدها) وأنها لولا الظروف التي حاصرتها من ضيق السكن (ماعادتش الدار تهزنا)، وأن أبنائها على وشك الزواج (وولادنا عادو مقام الزواج) فلن نفكر أبدا في مغادرة المنطقة واستبدالها بأخرى كالمدينة الجديدة (نوفال) التي كانت حلا من حلول الدولة وسلطات مدينة قسنطينة لتخفيف الخناق عن المدينة القديمة التي لم تبقى سكناتها لائقة للسكن والعمران إلا القليل منها ،غير أن للمبحوثة رأي أخر حيث تجد في وسط المدينة كل ما تحتاج إليه (قدامي كلش سوق العاصر الحمامات السبيطار).

يمكن أن نخلص مما سبق أن النمط العمراني اليوم يسير بخطى ثابتة نحو العولمة المعمارية وهذا ما لا يمكن إخفائه لأن حال معظم دول العالم اليوم، حيث من خلال النظر والتصفح في شكل البنايات والعمارات الأوروبية فهي متطابقة مع مثيلاتها اليوم في الجزائر والبلدان العربية والإسلامية غير أن الكثير من المجتمعات تحاول الحفاظ على النمط التقليدي القديم وتبرز لمساتها الثقافية والحضارية في نمطها العمراني، فمسايرة التطور أصبح ضرورة لكن هذا لا يجعلنا نتخلى عن تراثنا وتراث أجدادنا وأباءنا بحيث يكون عمراننا في تطور محلي ومحافظ لعاداتنا وتقاليدنا، مبرزا من خلال زخارفه وبنائه هويتنا الجزائرية ودیننا الإسلامي الحنيف ليميزنا بذلك عن غيرنا من المجتمعات .

خ/- قسنطينة وتقطير الورد :

تقطير الورد في قسنطينة إحدى عادات وتقاليد المدينة الخالدة بحيث لا تقل أهمية عن أي موروث ثقافي اخر، فهو يحظى بمكانة وأهمية بالغة لدى سكان قسنطينة خاصة "البلدية " الذي لا يزال الكثير منهم محافظ على هذه الحرفة إلى اليوم وباستخدام وسائلها التقليدية الخاصة بها، كما لطقس تقطير الورد في قسنطينة عدة جمعيات مهتمة بشأنه " كجمعية البهاء للفنون والثقافات الشعبية والشباب" حيث عملت هذه

الأخيرة على إطلاق " تظاهرة تقطير الورد بساحة قصر أحمد باي وسط المدينة بين 16 و26 أفريل 2022"[1].

لقد اشتهرت مدينة قسنطينة بمثل هذه التظاهرة خاصة في فصل الربيع الذي يكون مخصصا لتقطير الورد ليس فقط كونه تقاليدا توارثها أهلها عن الأسلاف، بل يرى أهل المدينة في تقطير الورد أهمية كبيرة في حياتهم اليومية، من خلال استعمالاته المتعددة لاسيما في تحضير أشهى الأطباق والمأكولات التقليدية التي تجعل للمائدة القسنطينية نكهة خاصة "الرفيس والشباح الصفراء والمشلوش"، وأيضا في حلوياتها " كالبقلاوة وطمينة اللوز"، كما لا يمكن أن ينقص من صينية القهوة لدى الكثيرين منهم خاصة قهوة العصر، فالقسنطينيون يروا في قهوة العصر مع قطرات الورد المقطر متعة لا تضاهيها متعة غيرها خاصة إذا كانت مرفوقة بأنغام من طابع المالوف القسنطيني " **قهوتنا تاع لعشية نسنى يصلي العاصر لحاج ويرجع من الشنتلي (احد اهم المساجد واعرقها بقسنطينة) نطيبها فلجزوة الله الله ونحطلها قطيرات تاع ما ورد تولي وحدها ريحة تفحفح فالدار كل وهو او مضروب* على الحاج(تقصد الحاج الفرقاني) يشعل لبوسط* وتجي لعشية زاهية خفيفة).**

ضف إلى ذلك استعمالاته العلاجية، فماء الورد يستعمل لتقطيره في العين قصد تخفيف الآلام التي تصاحب مرض الرمد أو الالتهابات الشديدة داخل العين، كما يستعمل كذلك في تخفيف حرارة الأطفال شديدة الإرتفاع جراء نزلات البرد والإنفلونزا الموسمية، إما بدهن الأطفال لكامل أجسامهم أو عمل كمادات فوق رؤوسهم هذا في فصل الشتاء، أما في فصل الصيف فيكون ماء الورد علاجا مهما لضربات الشمس الحارقة،

---

[1] ز.زبير. **مهرجان تقطير الزهر والورد يحكي ربيع سيرتا"**. المساء.12 افريل 2022.زرت الموقع يوم :2023/02/10 الساعة https://www.el-massa.com/dz 10:29.

*– مضروب : يعني يحب ويعشق ذلك الشيء

* المعنى : لبوسط وهو المذياع الذي كان ولا يزال يذيع اغاني المالوف الى اليوم خاصة مع المساء وقت العصر.

فيوضع القليل منه على رأس المريض فيحس بتحسن بعد برهة من الزمن، أما النسوة فترى فيه ملاذها حيث يعمل ماء الورد على تنظيف الوجه و تطهير البشرة لجعلها تظهر أكثر نظارة وجمالا وإشراقا.

وللحصول على ماء الورد الطبيعي وجب إحضار إناء نحاسي كبير، به ماء متكون من وعاءين ملتصقين يخرج منهم بوق أسطواني الشكل رقيق السمك، يوضع به الورد المرغوب في تقطيره كالياسمين والبابونج والنارنج والورود بأنواعها، يوضع على النار يكون أقلها أربع ساعات ثم يتبخر ذلك الماء ليتحول في النهاية إلى قطرات من ماء الورد المرجو معطر برائحة الورد أو الزهور التي بداخله.

غير أنه وبحديثنا عن ما يعيق الحرفيات والحرفيين بقسنطينة أكدوا بصورة جماعية أن المادة الأولية لم تعد تتوفر كالسابق، يعود ذلك حسبهم إلى قلة زراعة الورود بالمنطقة وتراجعها بشكل كبير، لأن التقطير يحتاج كميات كبيرة منه للحصول على عصارة الورود بجودة عالية، وأثنى بعضهم على مبادرة بعض العائلات التي تقوم بزراعة أنواع الورود والأزهار بحدائق منازلها أو ببساتينهم، لكن ورغم كل العوائق والحواجز التي تقف أمام تقطير الورد بمدينة الصخر العتيق لم يستسلم أهلها وزاد ذلك في تمسكهم ومقاومتهم لأجل الحفاظ على مثل هذه الموروثات التي تشكل من خلالها هوية أهلها و أحد رموزها الثقافية .

د/- الأعياد و المناسبات الدينية :

لا تخلوا المجتمعات من أعياد ومناسبات احتفالية يتم الاحتفاء ضمن مواعيد خاصة بها، غير أن المجتمعات العربية الإسلامية هي الأكثر شغفا بمثل هذا النوع من المناسبات والاحتفالات لا سيما الدينية منها، ولعل المجتمع الجزائري شريك مع غيره من المجتمعات الإسلامية والعربية في إحياء الأعياد الدينية والمناسبات التي تخلق نسيجا ورباطا وثيقا بين أبناء المجتمع الواحد.

يرى الباحثون في التراث الشعبي أن الاحتفالات هي "مجموعة من الممارسات والأفعال التي تتعلق بالمناسبات العامة، فهي ترتبط بالتغيرات الكونية كتعاقب الشهور والفصول والسنين، أو بالأحداث وأزمات

المجتمع ومشكلاته"[1]، فالاحتفالات الشعبية والدينية لا نراها إلا ممارسات نمطية تجمع بين الجانبين الثقافي والاجتماعي من قبل ممارسيها.

فالملاحظ فيها أنها ذات منحى ثقافي ملموس يمكن أن نرى الطريقة التي تحتفى بها هذه الأعياد على غرار المولد النبوي الشريف والعيدين (عيد الفطر والأضحى) وليلة القدر وغيرها، فالنسبة للمسلمين كل هذه محطات تنبيهية وتذكيرية لهم فهي مقوية لوحدتهم وإيمانهم، وقسنطينة ليست في معزل من كل هذا فأهلها لا يزالون يتذكرون صور من الاحتفالات الشعبية والدينية التي كانت ترسم لقسنطينة لوحات جمالية من خلال ممارستهم لعادات وتقاليد الأسلاف والسعي للحفاظ على هذا الموروث فيما بينهم، فليلة القدر هي ليلة مباركة فقد عظمها الله عزل وجل "في سورة القدر الآية 03 " ليلة القدر خير من ألف شهر"، فالمسلمون في كل بقاع الأرض يحيون شعائر هذه الليلة العظيمة كل حسب تقاليده وأعرافه ففي الجزائر وأيام التواجد العثماني بها كانوا " وبعد دخولهم إلى المسجد يجعلون الشموع في أعواد ويشعلونها مع عدد كبير من قناديل القوارير ويحيون الليل كله إلى الفجر، فإذا قرب الفجر أوتروا وقرؤوا ما تيسر من القرأن والتسبيح وفي هذه المدة يرشون ماء الورد ثم يسكتون ويشرع الإمام في الدعاء الخاص بالمناسبة "[2].

والاحتفال بهذه الليلة الدينية المباركة يكون في السابع والعشرين من شهر رمضان الفضيل في كافة البلاد الإسلامية مع تغيرات بسيطة كل حسب تقاليده، ففي قسنطينة تعتبر هذه الليلة مميزة حيث يسارع الرجال إلى المساجد لأداء صلاة التراويح لتبدأ بعدها الأدعية والابتهالات والتضرع لله عز وجل التماسا وتبركا بعظمة هذه الليلة، غير ما طرأ اليوم من تغيرات على هذه الليلة يرسم طابعا أخر معها غير ذلك

---

[1] فاروق أحمد مصطفى، مرفت العشماوي عثمان، **دراسات في التراث الشعبي**، ط1، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 2008، ص61

[2] عبد الرزاق ابن حمادوش. **رحلة ابن حمادوش الجزائري المسماة لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال**. تق تح تع ابو القاسم سعد الله. دط .مؤسسة الوطنية للفنون المطبعية.الجزائر1983.ص 125

الديني التي اتسمت به هذه الاحتفالات عادة فأخذت شكلا رسميا، بحيث يختار الرئيس وبعضا من طاقمه الوزاري أحد المساجد الكبيرة في البلاد لكي يؤدي بها الشعائر الدينية وتختتم الليلة المباركة بتوزيع الجوائز على حفظة القرآن الكريم ،**"كنا بكري ليلة السبعة والعشرين نقولولها كاين ليدير شخيشخة كاين لي دير محور كل هاد ومقدورو ومبعد يروحوا رجالة يصليو يرجعوا يلقاونا بلينا الحنة ومشعلين الشميعات ولوليدات نحنيولهم وحنا زاهيين بصح اليوم تبدلت مبقاتش كيما هكد عادو يسناو السبعة وعشرين باه يطهروا ولادهم هاديك اللبسة والحطة وزغاريت وطاكسيات تصوني ولماكل ولحلاوات على كل زي عاد عيد اما بنتي"** تؤكد مبحوثتنا أن ليلة القدر (السبعة وعشرين) كانت بتقاليد معادات مغايرة على ماهي عليه اليوم من حيث المأكولات(شخيشخة /محور) والممارسات(نحنيو ونشعلو شميعات) فليلة القدر أصبحت مقرونة باحتفالات شعبية عارمة تتمثل في ختان الأطفال(يطهروا ولادهم) والطقوس المصاحبة لذلك في اللباس والحلويات وغيرها، هذا ما تراه غير من الطريقة الاحتفالية بهذه الليلة المباركة وأفقدها قدسيتها وطابعها الديني حسبها(عاد عيد) فأصبحت ليلة شبيهة بالأعياد والمناسبات الاجتماعية.

تضيف أخرى " **تبدل كلش ابنتي لاه المولد بقا مولد ولا بنة لعياد بقات واالو سول بكري كل مشا عادت غير لحوايج لماش مليحة كيفاه حنا بكري فلولد نطيبوا لكتب ربي ونشعلو شمعة ولا زوج ونبلو لحنة وحنا نغنيو ونصليو على سيد ناس ليوم قاعدة ولواليدات يطربقوا فلمحارق ولحسوسات تقولشي, حرب ومبعد نحطو سوينية ويجيو لحاب وحنا نمدحوا في رحمة ربي نتي"**، تصر أن كل شيء تغير وفقد بريقه ومقوماته فلم يعد يحترم عادات وتقاليد الأسلاف (تبدل كلش /سول بكري كل مشا) في طريقة الإحتفالات سواء بليلة القدر أو المولد النبوي الشريف أو العيدين (الفطر والأضحى)، فلم تعتد تقتصر على الشموع والحناء وجو هادئ ملؤه الرحمات الإيمانية والأجواء القدسية فيما بين الأهل والأحباب، بل تحولت إلى مشاحنات وصراعات بين الأطفال (تقولشي حرب) مستعملين بذلك أدوات خطيرة وعواقبها أخطر على سلامتهم وصحتهم (يطربقوا فلمحارق) والمقصود هنا هو المفرقعات بكل أنواعها، وتواصل حديثها " **كيف**

كيف تاني فلعيد الصغير ولكبير كنا نتلايمو حلاواتنا حلاوات نفرحوا بالضيف نلبسو نعدلوا نتي ليوم قافلين على رواحهم فلقفاص ويني بنة العيد ولكباش كنا نحنيولهم ليوم ام عادو يفوخو ويتقابضو بيهم صحاب الصوارد هذا هميمة الرحمان تصرالو هكد او عيب علينا ما بقاش السول اما عزيزتي قلييييل لتلقايهم محافظين ".

إن الطابع الديني لم يعد يغلب على مثل هذه المناسبات (لعيد الصغير ولكبير) فطرق الاحتفال بهم لمتعد كسابق عهدها إذ هي أشبه بالرهانات، إذ تشترى الأضحية (هميمة الرحمان) لغرض التباهي أولا (يفوخو بيهم) ثم يستعملها الكثيرون خاصة من هم على مال وجاه بالمدينة(صحاب الصوارد) ثم تنوه إلى أن هذا الذي يقوم بذلك لن ينجو من عقاب الله، وأن هذا الفعل ليس من عاداتنا وتقاليدنا(عيب علينا) غير أنها تخلص في نهاية قولها أن المحافظين في قسنطينة كلها على مثل هذه الممارسات الثقافية و العادات هم **" البلدية تع الصح وولادها" .**

ونخلص نحن مما سبق أن الاحتفالات الدينية في قسنطينة لم تفقد شكلها العام، إذ بقي الاحتفال بها قائما إلى يومنا هذا شاملا مولد النبي (صلى الله عليه وسلم) وليلة القدر، لكن ما نلحظه هو الاختلاف في الطقوس المصاحبة للاحتفال بمثل هذه المناسبات فهي لم تكن حبيسة جيل معين بل هي عادات وتقاليد متوارثة جيلا بعد جيل، لذا نراها تتغير فيما بينهم كل يضيف وينقص حسب ما تعارفوا عليه فيما بينهم، وتبقى كل هذه الاحتفالات سوآء كانت دينية أو شعبية ما هي إلا تعبير عن قيم المجتمعات وتقاليدها وعاداتها كل حسب ثقافته وما توارثه عبر الأجيال.

خلاصة الفصل

لا يمكن لأحد أن ينكر بأن الجزائر تملك من الموروث الثقافي ما يجعلها تعتز وتفخر به، فهو الضارب بجذوره أعماق التاريخ والمعبر عن هويتها، فيغذي عقلها الجمعي ويمدها بالقيم، فصونه والحفاظ عليه ليس مهمة فرد بعينه، بل كلنا مسؤولون بلا استثناء وهذه المسؤولية تشعرنا بالوحدة والانتماء تجاه كل ماله صلة بأصالتنا وهويتنا ويحمل في طياته ذاكرة أمتنا، لأن في الحفاظ عليه حفاظ على ذواتنا، وها هي مدينة قسنطينة عاصمة الشرق الجزائري كنموذج عن ما تزخر به الجزائر وتؤكد من خلال موروثها الثقافي والحضاري أن الجزائر بلد الحضارات والثقافات منذ القدم، وتسعى جاهدة للحفاظ على إرثها ونقله لأبنائها سعيا منها لإرساخه في ذاكرة الأفراد والجماعات لأنه هويتهم وانتمائهم لماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم.

الفصل الرابع

دراسة مونوغرافية لمدينة قسنطينة

تمهيد

في هذا الفصل سوف نتطرق إلى مدينة يتنفس أهلها حرفة النحاس إنها عاصمة الشرق الجزائري، مدينة العلم والعلماء مدينة الشيخ العلامة عبد الحميد ابن باديس، إنها قسنطينة، فساكني هذه المدينة لديهم من الذكريات مع هذه الحرفة التي يخاف الجميع زوالها واندثارها، وسنعرض فيما يلي نبذة عن المدينة ثم الحديث عن العائلة الجزائرية عامة والقسنطينية بوجه خاص لنصل ختاما إلى المكانة التي تحتلها حرفة صناعة النحاس لدى العائلات القسنطينية المعاصرة في مقاربة أنثربولوجية بين الأصالة والحداثة.

وارتأينا أن نقسم هذا الفصل من الدراسة إلى :

1-تاريخ قسنطينة.

2-ماهية العائلة.

3-خصائص العائلة التقليدية.

4- العائلة الحديثة.

5- العائلة القسنطينية.

6- مكانة النحاس لدى العائلة القسنطينية المعاصرة.

إن قسنطينة هي مدينة الحضارة والثقافة والتراث، والتاريخ فيها يضرب بجذوره إلى مئات السنين تغنى الجميع بهذه الساحرة عروس الشرق ومدينة العلم والعلماء، ففي كل حقبة زمنية نرى فيها تعلق سكانها الشديد فهي ماضيهم المنقوش في صخورها وحاضرهم ومستقبلهم المصور في أذهانهم، لذلك سنحاول التعريف بمدينة قسنطينة بماضيها وحاضرها على النحو الآتي :

4-1- نبذة عن مدينة قسنطينة :

4-1-1- تاريخية قسنطينة :

يقول الشيخ **"بن مبارك "** أنها مدينة قديمة بناها من بنى قرطجنة "، هذا المنطلق الغامض حول مدينة قسنطينة يوضح صعوبة البحث في تاريخها، فقد تضاربت الأقاويل والدراسات حول مدينة بحجم عراقتها حتى من الجهات المعنية لم نجد المبتغى، فقلت الوثائق المتعلقة بها وزوال الكثير منها سوآء بعوامل طبيعية أو عوامل أخرى، والمتعارف عليه في جل الكتب أن اسم قسنطينة كان مرتبطا في بداياتها بقيصر الروم **"قسطنطين"** عام 313 م الذي سميت باسمه لأنه صاحب أمجادها وصانع تاريخها آنذاك ويواصل الشيخ " أن قسنطينة أصلها لقبائل كتامة ... واسمها القديم **سيرتا** وكانت عاصمة إدربال النوميدي سنة أربعمائة وثمانية وعشرين بعد المسيح "، ثم تكتسب قسنطينة اسما جديدا بوجود النوميديين ومصادر أخرى تذكر أن " قسنطينة فيما بعد أصبحت عاصمة ماسينيسا 203-206 ق م، وقد عثر على قطعة برونزية عليها أربع أحرف (ك. ر. ت. ن) ويقصد بها كرتن أي المدينة"[1].

كما يؤكد الشيخ أن الكثير من الكتب والدراسات ضاعت وذهبت مهب الريح ذاكرا منها "تاريخ قسنطينة" للحاج **"مصطفى بن جلول"** وأيضا كتاب "التحديث والتأنيس في الاجتماع" " لإ**بن باديس"** وغيرها، هذا ما يجعل الحديث عن المدينة يفتقر للمصادر العلمية والتاريخية إلا القلي الذي حصلنا عليه،

[1] احمد بن المبارك بن العطار. **تاريخ بلد قسنطينة (1790-1870)**.تح تق تع عبد الله حمادي. دار الفائز للطباعة والنشر والتوزيع. طبعة جديدة .قسنطينة 2011."ص 14-15-16 بتصرف ".

جعل من الأمر أكثر من ضروري لتحرك السلطات والجهات المعنية من باحثين وعلماء في التاريخ وعلم الأثار لكشف الخبايا علنا نجد ما يوصلنا إلى حقائق جديدة حول مدينة عتيقة كهذه .

إن كل ما أجمعت عليه الدراسات حول مدينة قسنطينة أنها على قدر كبير من المال والجاه والثراء كما أنها واسعة الشهرة والحصانة، فيقول المؤرخ " **الواقدي"** في كتابه " فتوح إفريقية" يتعرض فيها إلى الكيفية التي بها فتح قسنطينة على يد القائد الإسلامي عقبة بن نافع في حوار بينه وبين أهل المدينة " أنت تعلم أن ما في الأرض الخضراء أحصن من بلادنا ولا أقوى منا رجالا ومالا "[1].

ويبرز من خلال **"الواقدي"** إن قسنطينة لها من الرجال والمال ما يجعلها ذات مكانة وشان منذ قديم السنين، ضف إلى هذا أن هذه الوثيقة الآتي أتى بها هي من أقدم الوثائق التي تؤرخ قسنطينة كمدينة إسلامية عربية حسب ذات المصدر .

ومما لاشك فيه أن مدينة بقامة قسنطينة من غير المعقول أن لا يدخلها الرحالة وغيرهم ممن يستهويهم الاستكشاف والبحث والمعرفة.

4-1-2- قسنطينة بعيون الرحالة والمستكشفين العرب:

إن ما يعمل عليه كل رحالة وجغرافي للمنطقة التي وطأتها قدماه هو نقله لكل الممارسات الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية لها، بل تتعداه إلى علمهم وفكرهم، لذا فمثل هذه الدراسات والأبحاث أهميتها لا تقل عن الكتب، فهي مصدر هام من مصادر جمع المعلومة وكنز للباحثين خاصة منهم قسمي التاريخ والأثار .

ومن خلال البحث والتقصي وجدنا أن العديد من الرحالة وطأة أقدامهم أرض قسنطينة فعملوا على وصفها والتغني بها ووصل صيتها إلى أبعد الأماكن عن طريق ما سمعه الحجاج والتجارة من لسان هؤلاء يعبر **"الإدريسي والبكري"** من الرحالة الذين كتبوا عن قسنطينة، حيث ذكر أبو عبيدة البكري وهو أشهر

[1] المرجع نفسه ص 17

جغرافي في القرن الخامس هجري في كتابه "المسالك والممالك" والتي يسميها **قسطنطينة** فيقول أنها مدينة أولية ...كبيرة أهلة ...أنها ذات حصانة ومنعة ليس يعرف أحصن منها ...تقع على ثلاث أنهار عظام تجري فيهم السفن"[1].

فالملاحظ من الرحالة **"البكري"** في وصفه لقسنطينة خلال القرن الخامس هجري أنها مدينة كبيرة من حيث المساحة كما أنها ذات كثافة سكانية (قوله كبيرة وأهلة)، ثم أضاف بوصفه للحماية والاستقرار الذي تتمتع به من خلال حصانتها ومناعتها أن ذاك، هذا وإن دل إنما يدل على ما قيل سابقا عنها أنها على قدر من الثراء والجاه.

فمالك هذه المميزات لا بد ان يصنع لنفسه حاجزا منيعا ضد الطامعين في ثروات وخيرات المدينة وحمايتها من الأعداء الذين يتربصون بها وبأهلها فكان من الضروري زيادة الأمن والحماية لها، وأخر ما أضافه البكري عنها خيراتها المائية الهائلة فهذا المورد المائي جعل من السفن تسير فيه بثلاث أنهار ضخمة حسبه.

ولقد وصف **"الإدريسي"** قسنطينة وكان "أول رحالة يطلق عليها اسم بلد الهواء"[2]، وهذا المصطلح الذي خصه بها يمكن أن نستنتجه من ما قاله **"البكري** "حول طريقة التنقل بقسنطينة في وصف منه للوسائل التي يستخدمها أهل المنطقة فيقول "عقد في أسفله (الخندق) قنطرة على أربع حنايا، ثم بنا عليها قنطرة ثانية، ثم على الثانية قنطرة ثالثة من ثلاث حنايا، ثم بني فوقهن بيت ساوى حافتي الخندق يعبر عليه إلى المدينة ...يسمى هذا البيت (العبور) لأنه معلق في الهواء "[3].

---

[1] عبد القادر بوباية . **مدينة قسنطينة من خلال كتابات الجغرافيين والرحالة العرب(ق 5-10هـ)**.مجلة عصور الحديدة.العدد5. 2012. ص 141-151.

[2] احمد بن المبارك بن العطار. مرجع سابق . ص 21

[3] عبد القادر بوباية .مرجع سابق

أما عن الحياة الاجتماعية والارتباط الديني لدى القسنطينين، فحسب الكتابات والمصادر والروايات فإن هناك تذبذب وتناقض كبير عاشه أهلها، نظرا لتفشي عادات وتقاليد وطقوس بينهم تكتسي طابع الغرابة بعض الشي، حيث يقول **"أحمد بن مبارك"** في هذا الصدد " (فزارا) هي حفلة يقوم بها أهل المنطقة تكاد تكون أقرب للوثنية وهي تعرف عند العامة باسم (الزيارة) بحضور الناس ولكن المعني هن النسوة القسنطينيات التي تزعمن بوجود جن مسهن هي عادة شائعة لربما إلى وقتنا هذا "[1].

قد أدعم هذا من خلال قصص كانت ترويها لنا جدتي لأمي رحمة الله عليها عن هذه المدينة، التي تؤكد لنا في كل مرة طقس جديد وعادة جديدة لسكانها، فمرة عن ذبح " السردوك الأسود"* والتقرب به إلى الولي الصالح **"سيدي راشد "**، ومرة تحدثنا عن "الزردة" حيث تجتمع هيا ونسوة من الجيران ويطهون الطعام ويقدمونهم كتقرب منهم للجان وإبعاد الأرواح الشريرة عنهم وهذا الطقس خاصة كان مرتبط بتتالي الجنائز تباعا في المنطقة فيقومون بمثل هذا الطقس اعتقادا منهم أن الأرواح سترضى عنهم وتبعد عنهم الموت لفترة طويلة حسبهم .

4-1-3- قسنطينة في العهد العثماني :

لم تقف هذه المدينة عند ما سبق من وصف بل في كل مرة تكتسي طابع الحداثة والتطور في شتى مجالاتها، وسنعرف الأن ما طرأ عليها في عهد الوجود العثماني، تتضارب الحقائق مرة أخرى بين المؤرخين والكتب والمصادر التاريخية حول التاريخ الحقيقي لدخول مدينة قسنطينة من قبل الأتراك ، يقول **"العنتري"** وهو الكاتب الخاص" **أحمد باي"** في كتابه "تاريخ قسنطينة " نحن نرجح عام 1514م الذي تمكن فيه **"عروج" و"خير الدين"** من افتكاك مدينة جيجل من الجنوبيين والاستقرار بها قبل انتقالهما إلى مدينة

[1] احمد بن المبارك بن العطار. مرجع سابق . ص40

* السردوك الاسود : والمقصود به الديك الاسود .

الجزائر" [1]، فمن هنا توالت البايات على قسنطينة وأخرها "**أحمد باي**"، والمعروف على قسنطينة في هذه الفترة يذكر ذات المصدر " بها أكثر من مائة مسجد وجامع وزاوية وكتاب يعمل به أئمة ووعاظ ومرشدون وقيمون ومعلمون للقرآن الكريم ومدرسون للعلوم الدينية والأدبية "[2].

ما هو واضح للجميع أن مدينة قسنطينة في هذه الفترة على درجة كبيرة من العلم والمعرفة، كما تتحلى بالحفاظ على الدين ومعالمه السمحة من حيث تنوع منافذ العلم والأدب فيها، كانت تسمى قسطنطينة لدى التركي وقسمطينة لدى العربي، تقع فوق صخور وعرة تحيط بثلاث أرباعها وفي سفح هذا الصخور يسيل نهر عرضه حوالي 150 قدم وعمقه ثلاث أقدام يطلق عليه الأهالي إسم الوادي الكبير" [3]، ها هو رسم أخر للمدينة من حيث التسمية كذا الوصف، فمصطلح " قسمطينة" لا يزال ساري اللهجة إلى يومنا هذا فالكثير من أبناء المدينة يرددون هذا عوض قسنطينة.

ومدينة قسنطينة كانت خليطا من الأجناس ما يعنى أنها على وفاق مع كل من يأتي إليها غير طامع ولا معاذ لسيادتها وحكمها، فما يمكن القول عنها أنها مدينة سلم وأمان حسب ذات المصدر، أما عن التجارة والحياة الاقتصادية فقام "**أحمد باي**" " عام 1833 بضرب سكة جديدة وهي قطعة نحاسية في حجم القطعة الفضية وكانت لهم نفس القيمة ".

فالتعامل بالمعادن موجود داخل المدينة كما توجد عدة مهن وحرف أخرى داخلها " لاسيما الحدادون والسمكريين والنحاسين والنجارين الماهرين وصانعي السيور والخياطين...وصانعي السلال وعدد كبير من

---

[1] محمد الصالح بن العنتري. **فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستلائهم على اوطانها او تاريخ قسنطينة** .عالم المعرفة للنشر والتوزيع.الجزائر.2009.ص 6.

[2] نفس المرجع. ص 24

[3] فندلين شلوصر. **قسنطينة ايام احمد باي 1832-1837**.تر ابو العيد دودو. وزارة الثقافة.الجزائر.2007. ص 73.

النساجين"[1]، هذا التعدد والتنوع في حرفها التقليدية ومهنها يجعلها مركز تجاري ذو أهمية اقتصادية كبيرة وسوقا للعديد من التجار الخارجيين .

إننا ولمعرفة مدينة قسنطينة عن كثب، كان لابد أن نقترب أكثر من جانبها التاريخي انطلاقا من الحقبة التاريخية حيث شهدت مدينة الجسور المعلقة تضارب في الحقائق حول تاريخ محدد لدخول الأتراك إلى قسنطينة، وبعد جدلية التاريخ لدخول الأتراك توالى عليها البايات على غرار" **أحمد باي**" و" **صالح باي**".

كما اشتهرت مدينة الصخر العتيق في هذه الحقبة بالعديد من المساجد والزوايا والأئمة والوعاظ ومعلمي القرآن الكريم وغيرهم، فالملاحظ هنا أن الجانب الديني والفقهي لمدينة قسنطينة قد بلغ مستويات رفيعة فكانت بذلك هذه الفترة زاخرة بالعلوم والمعارف الدينية، وهذا إن دل إنما يدل على اهتمام الأتراك بالجانب الديني ومحاولة منهم لسيطرة العلم والدين من قبل اهل الاختصاص، فلم يكن الهدف إذا من الوجود العثماني في مدينة قسنطينة حسب ما سبق اعتماد سياسة التجهيل بل على العكس من ذلك.

4-1-4- قسنطينة إبان الاستعمار الفرنسي :

إن فترة احتلال الجزائر من قبل المستعمر الغاشم لم تكن بالقدر الهين فإننا لا نتحدث عن أيام وشهور بل عن 132 سنة، هذه المدة كانت كفيلة لفرنسا أن يكون لها أثر بالغ في شتى نواحي الحياة لدى الجزائريين كان أهمها الجانب الثقافي والاجتماعي والاقتصادي، فالعمل على ضرب الهوية والدين والثقافة استحق من فرنسا كل ذلك العناء، لأن هدفها كان أسمى لا يهم الوسيلة فيه بل غاية التمكن من الجزائر وأهلها هو المراد والرجاء.

وسنخص مدينة قسنطينة بالذكر فهي أكيد لن تسلم بدورها من مخطط فرنسا وجنيرالاتها فقد كانت أثارها واضحة في كل شيء عملت فيه على جعل الجزائر تكتسي طابع فرنسي بل ولكي تبسط نفوذها سهرت

[1] ينظر الى : فندلين شلوصر. مرجع سابق .ص 79-80-87

على" إيجاد موطأ قدم للمستوطنين الفرنسيين في الجزائر مع تهيئة كل الظروف اللازمة لتغلغلهم في كل الحياة الجزائرية "[1].

دخلت فرنسا إلى مدينة قسنطينة بعد" احتلالها للعاصمة فقد صرح الحاكم **"دوروفيغو"** أن فرنسا لا يمكنها بأي حال من الأحوال أن تثبت أقدامها في الجزائر دون السيطرة على مدينة قسنطينة والشرق الجزائري بصفة عامة "[2]، هذا أن دل إنما يدل على المكانة والموقع الذي تحتله المدينة في نفوس الفرنسيين لما لها من خيرات وثروات تسيل لعاب الطامعين والمتربصين بها كان ذلك عن طريق **" المارشال فالي"** عام 1837م [3]، فأول ما قامت به فرنسا هو إحضار اليهود للمكوث بقسنطينة والهدف واضح من هذه الفئة خاصة على الصعيدين الثقافي والديني .

يقول **"بنيامين سطورا "** المؤرخ اليهودي الديانة قسنطيني المولد في وصفه لمدينة قسنطينة بعد أن قامت فرنسا بغرس أنيابها في كل المجالات، وعملت على نشر جواسيسها في كل شبر من الجزائر وليس قسنطينة فقط فكان اعتمادها على كل الخبرات التي تملكها من عسكريين وسياسيين ومثقفين وأنثربولوجيين " إن قسنطينة هي أورشليم الغرب "[4] في تلميح منه على ما كان من تنوع ثقافي وديني بالمدينة، أما عن

---

[1] اسامة صاحب منعم. **الاوضاع الاقتصادية العامة للجزائر في ظل الادارة الفرنسية 1830- 1962 ومحاولة البحث عن النفط قبل الاستقلال** .مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية .المجلد4.العدد3.ص 222-248.

[2] حميدة عميراوي. **جوانب من السياسة الفرنسية وردود الفعل الوطنية في قطاع الشرق الجزائري(بداية الاحتلال)**.دار البعث للطباعة والنشر .قسنطينة.الجزائر .1984.ص 48.

[3] نبيل أحمد بلاسي. **الاتجاه العربي والإسلامي ودوره في تحرير الجزائر**. الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، مصر، 1990،ص17

[4] Benjamin Stora, **le Jérusalem du Maghreb**; Conférence donnée au musée d'art et d'histoire du Judaïsme à Paris, http://www.Constantine-hierAujourd'hui.fr/images/divers/conférence_b_stora.Pdf. le Dimanche 14 Mai 2010

الجانب الاجتماعي والاقتصادي فقد أجهزت فرنسا على كل الصناعات التقليدية وبكل أنواعها ووضعت قوانين لإلغاء التنظيمات الحرفية التي كانت منتشرة في مدن الجزائر ومنع قيام صناعات حديثة لكي تبقى الجزائر سوقا مفتوحة للصناعات الفرنسية "[1].

لعل الصورة واضحة من مخطط فرنسا سوآء نحو قسنطينة أو غيرها من المدن الجزائرية، وما زاد الطين بلة هو استيراد المنتوجات ذات الطابع الصناعي الأوربية والفرنسية " ففي طريقة تقديمها وأسعارها المنخفضة أدى إلى القضاء على الصناعات المحلية واختفائها تقريبا "[2].

إن دخول المستعمر الفرنسي إلى الأراضي الجزائرية كان مغاير تماما لما جاء به الأتراك في العهد العثماني فمخطط فرنسا بأن واضحا منذ أن وطأة أقدامها بلادنا، ولم تكن لها نية اطلاقا في مغادرتها فقد عمدت بذلك إلى السيطرة على مختلف الميادين والمجالات بداية بالجانب الديني، فالهدف واضح في لطمس الهوية ومعالم الدين الإسلامي، فقد حاربت رجالات الدين بشتى الطرق ففي المجال الاقتصادي كذلك بسطت سيطرتها على مختلف الثروات والخيرات التي تمتع بها الجزائر على رأسها الذهب الأسود "البترول "، كما أنها رفضت جملة وتفصيلا الصناعات التقليدية واليدوية وقضت على التنظيمات الحرفية التي أسست في الحقبة العثمانية حتى تبقي الجزائر سوقا لمنتوجاتها الفرنسية، فقد استغلت فرنسا كل الطرق والمنافذ حتى تبلغ أشدها في الهيمنة على الجزائر في شتى الميادين فمخططها واضح للسيطرة وبسط النفوذ قدومها .

4-1-5- قسنطينة اليوم :

[1] أحمد تريكي. **نظرة تاريخية للتعليم والوضع الاجتماعي والاقتصادي للجزائر قبل وأثناء الاحتلال الفرنسي**. مجلة القرطاس. العدد2 . قسم العلوم الاجتماعية، جامعة بشار. جانفي 2015 ، ص 163

[2] حورية طبعه.**السياسة الاقتصادية الاستعمارية الفرنسية في عمالة قسنطينة.1870-1954م**. اطروحة لنيل الدكتوراه. كلية العلوم الانسانية والاجتماعية والاسلامية. قسم العلوم الانسانية. جامعة ادرار.2020.ص144

عندما قرأت وصف الرحالة الفرنسي**Louis Bertrand** ' 1933" لمدينة قسنطينة في كتابه " إفريقيا": "لا تتكلم عن المدن المثيرة للإعجاب ما دمت لم تر قسنطينة، وهي مشدودة إلى جانبي وادي الرمال بين جسر سيدي راشد الحجري العملاق والجسر الضيق الممتد على الهوة المثيرة للدوار، محاطة بالمرتفعات الخضراء...قسنطينة أشبه ما تكون ببناء أنشأه فنان".[1]

هي مدينة العلم والعلماء مدينة ابن باديس وعروس الشرق الجزائري، مدينة الصخر العتيق والجسور المعلقة، كلها أسماء أطلقت على هذه المدينة المضياف أهلها، فأحبها فنانوها وأدباءها وتغنوا بها أمثال المرحوم "**الحاج محمد الطاهر الفرقاني**" رحمه الله عميد أغنية المألوف القسنطيني، وكتبت الكاتبة **"أحلام مستغانمي"** في روايتها "ذاكرة الجسد" وهي تتغنى بقسنطينة وبأزقتها العريقة .

هي مدينة أثرية بجسورها المعلقة وحجارتها القديمة وبنائها فوق ذاك الصخر الكلسي جعل منها قبلة للسياح ودهشة لكل من راها وهي معلقة بحبال في الهواء الطلق في صورة تعكس جماليتها وموروث مدينة بأكملها، في لا تكتفي بهذا المنظر فحسب بل جعلت عشاقها يتيمون بكل ما فيها ويرتبط بها زوارها أيما ارتباط حتى يعاودوا زيارتها أو ينقلوا شغفهم بها إلى من هم قادمون دونهم، فقسنطينة تحاكي عاداتها وتقاليدها تلك الأزقة والشوارع الضيقة التي تنبعث منها رائحة الأصالة والحنين إلى الماضي، كلما نظرت إلى حرفييها وهم يدقون أباريق الشاي والصواني النحاسية على انغام صنعوها بأيديهم، ثم ترى قندورة القطيفة* معلقة في دكاكينها وحوانيتها، ثم تمر بين الساعات امرأة عجوز ترتدي الملائمة القسنطينية العريقة تدرك

---

[1] Louis Bertrand .Africa 1933 .p147

*قندورة القطيفة : عبارة عن رداء ذي اكمام قصيرة مفصلة بشكل مخروطي بحيث تكون ضيقة نوعا ما من الاعلى وواسعة من الاسفل وتطرز بخيوط من الفتلة او التارزي وهي خيوط بلون ذهبي يزيد من جمالها وروعتها , عرفت بها نسوة قسنطينة واصبحت من موروث المنطقة.

حينها أن قسنطينة تملك من الأصالة والتراث ما لا تستطع محوه السنين، فهي حضارة لن تنسلخ وتزول وسيبقى أهلها في صونها وحفاظها عازمون.

4-1-5-1- الموقع الجغرافي لقسنطينة :

تقع مدينة قسنطينة " في الشمال الشرقي للجزائر، حيث بنيت على صخرة يزيد ارتفاعها عن 600 متر عن عاصمة البلاد بـ 430 كلم أما عن باقي المحيطة بها فتباينت المسافات فمدينة سكيكدة تبعدها ب89 كلم وعنابة بـ 156 كلم أما عاصمة الأوراس باتنة قدرت بـ 119 كلم ومدينة بسكرة بـ 235 كلم جنوبا"[1]، وحسب هذا الموقع الجغرافي تحتل مدينة قسنطينة "موقعا مركزيا بين التل والسهوب المرتفعة عند تقاطع محور شمال-جنوب والذي يشمل كل من سكيكدة بسكرة، وبين غرب- شرق ويضم سطيف وعنابة ومسافة متساوية إلى الساحل الشمالي ومرتفعات الأوراس جنوبا، كما أن حدودها الشرقية والغربية عبارة عن سلاسل جبلية على غرار جبل الوحش والذي يشكل سياجا من الأشجار وجبل شطابة، والمدينة مبنية على صخر"[2].

أما عن حدودها الجغرافية كولاية " فيحدها من الشرق ولاية قالمة، ومن الشمال الشرقي ولاية سكيكدة ومن الشمال الغربي ولاية جيجل، ومن الغرب ولاية ميلة ومن ناحية الجنوب ولاية أم البواقي...أما عن مناخها فتمتاز المدينة بمناخ حار وجاف صيفا وبارد وممطر شتاء"[3]، فدرجات الحرارة في مدينة قسنطينة قل ما نراها تصل دون الصفر إلا أن شتاءها بارد جدا وصيفها حار كذلك، خاصة ما تشهده المدينة في

[1] احمد توفيق المدني ،**كتاب الجزائر**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ،1984،ص 231-232

[2] توفيق بن داود ،**قسنطينة بلاد الهواء والهوى**، دار النشر اطوشة،الجزائر،2016،ص 18-19

[3] عبد العزيز فيلالي ومحمد الهادي لعروق، **مدينة قسنطينة دراسة التطور التاريخي والبيئة الطبيعية** ، دار البعث للطباعة و النشر، قسنطينة ،1984.ص 120

السنوات الأخيرة من شبه جفاف بداية من أواخر شهر ماي إلى شهر أكتوبر هذا ما قد يؤثر على المحصول الزراعي والنباتات خاصة ما تعلق منها بضرورة تشبعها بالماء طيلة الموسم الفلاحي.

إن هذا الموقع الجغرافي لمدينة قسنطينة أعطاها مكانة استراتيجية مهمة جعلها ترتبط بولايات مختلفة شرق وغرب وشمال وجنوب الوطن رغم تباين المسافات بينهم، فهذا الموقع ساهم في استقرار حياة السكان داخل المدينة من خلال اعتمادها على العلاقات الخارجية للبلدان المجاورة لها كالتبادل التجاري فيما بينهم، ضف إلى تواجدها فوق صخرة فهذه بحد ذاتها خاصية جغرافية وواجهة سياحية للمدينة بامتياز يجعلها تستقطب السياح والزوار حتى يتسنى لهم التعرف عليها عن كثب.

وفي هذا الصدد يقر الجغرافي **" مارك كوت "** إذا كانت هناك مواقع حضرية تلعب دورا ثانويا لأنها منبسطة أو منسجمة فوقع قسنطينة هو الكل **"**[1].

4-1-5-2- الموقع الطبيعي :

بعيدا عن جمالية المنطقة وجدبها السياحي من خلال موقعها الفريدة من نوعه ومحل أنظار العديد من السياح والأثريين، إلا أن وكما أشرنا إليه أنفا أنها أن قسنطينة تحتوي مدينة معروف بتضاريس جد وعرة بحيث تتداخل هضابها وتلالها وتمتد على هضبة صخرية بارتفاع 649 م، "تتربع فوق الصخرة العتيقة على جانبي واد الرمال تحف بها العوائق والمنحدرات الشديدة من كل الاتجاهات، وإذا تتبعنا مظاهر سطح المدينة نلاحظ أن المنطقة التي تقوم عليها غير متجانسة من حيث ارتفاعها عن سطح البحر، فهي تنحصر بين خطي كنتور 400م و 800م في الشمال و 800م و1200م في الجنوب"[2].

---

[1] Marc Côte, **Constantine: Cité antique et ville nouvelle**, Édition Média plus, Constantine, 2006, p 9

[2] زينب قماس. **المجمعات السكنية الحضرية في مدينة قسنطينة. واقعها ومتطلبات تخطيطها**. رسالة ماجستير في علم الاجتماع الحضري .جامعة منتوري قسنطينة.2005-2006.ص .45

هذا ما يفسره الجانب العمراني والحضري لمدينة قسنطينة اليوم، فقد شهدت المدينة في السنوات الأخيرة تصاعدا غير مسبوق في تشييد المباني والعمارات انحصرت جلها في منطقة عرفت بالمدينة الجديدة "علي منجلي "، إذ كانت استراتيجية الولاية في ترحيل السكان لا تخرج عن نطاق هذه المنطقة حيث تعرف الكثافة السكانية بها ارتفاعا كبيرا، نظرا لعدم وجود مناطق عمرانية أخرى بالمدينة يعود إلى ما سبق ذكره من صعوبة التضاريس بها، والتي تشكل عائقا أمام التوسع العمراني بالمدينة، كما تأثر و بشكل واضح على هيكل النسيج الحضري بها، حيث اتجهت السلطات إلى الاستعانة بمناطق فلاحية وإنجاز المشاريع العمرانية بها منها منطقة عين عبيد والمعروفة منذ القديم بجانبها الفلاحي المتميز وخصوبة أراضيها.

إضافة إلى صعوبة تضاريسها وغرابة موقعها، إلا أن قسنطينة قبلة للكثيرين وبوابة اقتصادية متميزة بصفتها عاصمة للشرق الجزائري، فهي "معبر إجباري للطرق بين الشرق والغرب والشمال والجنوب"[1].

4-1-5-3- عدد السكان والتركيبة السكانية:

ولأن علم الأنثروبولوجيا هو علم الأجناس البشرية كان من المهم تسليط الضوء على مختلف الشعوب والإثنيات العرقية التي يتشكل من خلالها المجتمع المحلي اليوم، من خلال التعرف على فقسنطينة اليوم تتربع على مساحة وقدرها 2187كلم^2، و يبلغ عدد سكانها أكثر من 1291575 نسمة بكثافة سكانية تقدر بـ 521 فرد في كلم^2 "[2]، حيث توزع هذه الكثافة على (6) دوائر و(12) بلدية سوف نعرضها في الجدول الأتي :

[1] ، زرت الموقع يوم : 2024/03/20 https://www.dcwconstantine.gov.dz مديرية التجارة لولاية قسنطينة ،

الساعة :00:15

[2] المرجع نفسه.

جدول رقم 05 : يوضح التقسيم الإداري لولاية قسنطينة

الدائرة	البلدية	الرمز الجغرافي	المساحة (كم2)
قسنطينة	قسنطينة	25-01	231.63
الخروب	الخروب	25-06	244.65
	عين سمارة	25-09	156.10
	أولاد رحمون	25-10	209.95
عين عبيد	عين عبيد	25-07	323.80
	إبن باديس	25-03	310.82
زيغود يوسف	زيغود يوسف	25-04	236.95
	بني حميدان	25-08	131.02
حامة بوزيان	حامة بوزيان	25-02	71.18
	ديدوش مراد	25-05	115.70
إبن زياد	إبن زياد	25-12	150.77
	مسعود بوجريو	25-11	106.60

المصدر : الموقع الرسمي لولاية قسنطينة[2].

يوضح الجدول أعلاه التقسيم الإداري لولاية قسنطينة بين البلديات والدوائر من خلال تقديم الرمز الجغرافي والمساحة لكل واحدة منها، حيث تأتي بلدية قسنطينة ودائرتها أول الجدول في حين تتقاسم بلدية الخروب وعين السمارة وأولاد رحمون دائرة الخروب، كذلك الأمر مع بلدية عين عبيد وابن باديس التي تدخل ضمن دائرة عين عبيد، الأمر ذاته مع بلدية زيغود يوسف وبني حميدان التي تنتمي إلى دائرة زيغود يوسف، أما بلدية حامة بوزيان وديدوش مراد فتكونا تابعتان لدائرة حامة بوزيان، وأخيرا كل من بلدية ابن زياد ومسعود بوجريو فهما تابعان لدائرة ابن زياد، ولا تتشابه أي واحدة منهم مع غيرها في الرمز الجغرافي، أما

عن مساحة كل بلدية فتختلف فيما بينهم حيث نلاحظ أن حامة بوزيان أصغرهم مساحة قدرت بـ 71.18 كم^2، في حين تتقارب كل من بلدية عين عبيد وابن باديس بمساحة (323.80كم^2-310.80 كم^2) على التوالي، كما تتقارب أيضا بلدية قسنطينة والخروب وأولاد رحمون (231.63كم^2-244.65كم-209.95 كم^2) على التوالي أما باقي البلديات فتنحصر بين(106.60كم^2 حتى 156.10كم^2).

أما عن تركيبة قسنطينة السكانية اليوم فهي عبارة عن تركيبة مختلطة بين سكان قسنطينة والذين يعرفون أوساط المدينة " بالبلدية" وبين ولايات عديدة من التراب الوطني، ولكن تعتبر ولاية ميلة وسكيكدة وجيجل هم الأكثر تواجدا بالمدينة إضافة إلى المزابين المعروفين في مدينة قسنطينة بـ " بني مزاب ".

إن هذا التمازج والاختلاط في التركيبة السكانية لمدينة قسنطينة يعود للانفتاح والتوسع الاقتصادي الذي عرفته المدينة، فهي مؤخرا احتوت على جملة من المشاريع الاقتصادية والتنموية، جعلها قبلة للشباب ومقصدا للأيادي العاطلة على غرار السرح التجاري الكبير بأنواعه الثلاث المعروف باسم" الرتاج مول القديم" و" الرتاج مول الجديد " ومؤخرا إضافة " الياس مول " والمتواجدة كلها بالمدينة الجديدة علي منجلي، إضافة إلى مركز "إيلاف للتسوق" والمتواجد بمنطقة تسمى " الأربع طرق" وهي قريبة إلى المدينة سالفة الذكر.

هذا ما يفسر أمرين هامين وجب التنويه إليهم أولها التركيبة المختلطة لسكان قسنطينة اليوم فما تعرفه المدينة مؤخرا جعلها مقصدا للجميع خاصة من قبل الولايات المجاورة لها، فإن لم يكن بغرض السكن كان بالهدف هو التسوق وزيارة المشاريع الاقتصادية الحديثة بها، وثانية الجانب الاقتصادي للمدينة أصبح وسيلة جدب أساسية أما لاقتصاد الولاية أو لتلبية حاجيات طالبي العمل والوظيفة، فهي بهذا تساهم أيما إسهام في التخفيف من حدة شبح البطالة من خلال توفير مناصب الشغل.

غير أن ما يعاب على هذا الجانب الاقتصادي في مدينة قسنطينة أنها حصرت مجمل المشاريع الاقتصادية والتنموية في المدينة المستحدثة " المدينة الجديدة على منجلي "، إذ تعتبر المدينة سرحا تجاريا

ضخما على خلاف غيرها من بلديات الولاية، والتي أصبحت مناطق سكنية من أجل ممارسة الحياة اليومية الروتينية لا غير كاقتناء الحاجيات الضرورية من خبز وحليب وخضار وفواكه ...إلخ، في حين تعرف المدينة التجارية علي منجلي حركة يومية في جميع المولات السابقة (المول) من خلال انتقال الأفراد للتسوق بها وشراء متطلباتهم وإن وجدت في أماكن سكناهم فهم يفضلون التنقل وممارسة متعة التسوق بها.

4-1-5-4- معالمها الاثرية والتاريخية:

إن كل الحضارات التي تعاقبت على مدينة الصخر العتيق تركت خلفها موروثا ماديا كشاهد على تاريخها العريق والتي تلعب دورا بارزا في الحفاظ على هوية المدينة وذاكرتها، وسنحاول تقديم أبرز المعالم التي تعرفها قسنطينة نذكرها كالآتي[1] :

أ- مدينة تيديس :

هي مدينة " كانت تحمي مدينة سيرتا من الهجومات الأجنبية وتبعد عنها حوالي 30 كلم عبر الطريق الوطني رقم 27 ... وهي ليست مدينة رومانية بل أثبتت الكشافات عن تعاقب العديد من الحضارات لا تزال معالمها قائمة بدءا بعصور ما قبل التاريخ كالحضارة الفينيقية الرومانية، المسيحية، فالإسلامية ".

حيث تقع المدينة في جبل مهجور ويوجد بها العديد من الكهوف التي كان أهلها يتعبدون داخلها، كانت ولا تزال مدينة تيديس شغفا للباحثين وعلماء الأثار لدراسة هذه المدينة الجامعة لحضارات عديدة، إلا أن دعم مثل هذه الأماكن كموروث ثقافي مادي لا زال يشهد تقصيرا رغم ما لاحظناه في الآونة الأخيرة من وجود حركية إيجابية اتجاه هذه الأماكن وإن كانت متأخرة، إلا أننا ندعمها ونتمنى أن ترفع السلطات والجهات المعنية على عاتقها حماية الموروث الثقافي من الزوال والاندثار.

[1] رابح بحشاشي. **ملتقى وطني حول فرص ومخاطر السياحة الداخلية** .مداخلة بعنوان" مقومات تنمية السياحة الداخلية – دراسة حالة ولاية قسنطينة". يومي 19-2012/11/20.جامعة حاج لخضر. باتنة.

ب/- المدينة القديمة:

تعتبر المدينة القديمة وسط المدينة ونبضها، فالمار بها يشم عبق الأصالة ويقدر عمق حضارتها وتاريخها انطلاقا من أزقتها الضيقة وأرضياتها ذات الطابع المستطيل البسيط ومبانيها القديمة التي تتبع منها رائحة الهوية ومعالم الزمن الجميل، أما دكاكينها ومحلاتها ترى من خلالها موروثا ثقافيا ماديا، غير أنها اليوم عرفت محلات عصرية وحديثة سواء من الشكل أو من البضاعة المعروضة .

إن المدينة القديمة اليوم تصارع حتى تحفظ هيبتها ومكانتها، لا سيما بعد أن عمدت الدولة إلى ترحيل العديد من سكانها جراء تأكل منازلهم وسقوط الكثير منهم نظرا لقدمها ومرور السنين، دون اجراءات تضمن صمودها كإعادة ترميمها، فما عمدت إليه السلطات الولائية بهذا الصدد تمثل فقط في ترميم واجهتها الأمامية وبالضبط في احتضان قسنطينة لعاصمة الثقافة العربية عام 2015.

إلا أنها تبقى قبلة لأبنائها ووجهة للسياح والأجانب فقدمها شاهد على العديد من الحضارات والثقافات التي تعاقبت على مدينة الهواء و الهوى.

ت- الجسور :

تعرف مدينة قسنطينة بجسورها المعلقة لتواجد العديد بها نذكرهم كالآتي [1]:

- جسر القنطرة :

هو أقدم جسر بمدينة قسنطينة ويبلغ طوله 128 م قام ببنائه الباي **" صالح باي "** سنة 1792م فوق بقايا جسر روماني، وتعرض للهدم إبان التواجد الفرنسي بالمدينة، غير أن السلطات الفرنسية أعادت بنائه ليعاد فتحه 1860م عام ويدخل سنة 1863م حيز الخدمة ويصبح صالحا للمرور.

[1] امينة بن المجات. **التنمية السياحية في ولاية قسنطينة "بين المؤهلات والعوائق'**. مذكرة لنيل شهادة ماجستير في التهيئة الإقليمية والتنمية المحلية .كلية علوم الارض والجغرافيا والتهيئة العمرانية، قسم التهيئة العمرانية. فرع التهيئة الاقليمية .جامعة منتوري قسنطينة . 2004-2005.ص 76.

- جسر سيدي مسيد :

ويعتبر من أجمل الجسور على مستوى العالم، سمي كذلك نسبة للولي الصالح " مسيد"، وهذا الجسر يصل بين صخرتين ولا تسنده دعائم من تحته، حيث يربط بين حي القصبة والمستشفى الجامعي **"إبن باديس"**، ويبلغ طوله 168 م.

- جسر سيدي راشد :

يحمل هو كذلك اسم الولي الصالح **" سيدي راشد "**، ويعد أطول جسر حجري بالعالم يمتد على مسافة 447م يؤمن مرور الراجلين والسيارات بدأت به الحركة سنة 1912م[1].

-جسر ملاح سليمان :

يشبه إلى حد بعيد جسر "سيدي راشد" إلا أنه يمتاز بصغره وضيقه، كما أنه جسر مصنوع من الحديد ومخصص للراجلين فقط ، ويطلق عليه بلغة أهل قسنطينة "بقنطرة الصانصور".

-جسر الشلالات :

وهو أحد جسور المدينة الذي يمتاز بإطلالة جميلة، حيث إذ تمر تحته مياه وادي الرمال لتشمل بذلك شلالات صغيرة ورائعة، ويقع جسر الشلالات أسفل جسر سيدي مسيد، وطريقه تؤدي إلى بلدية حامة بوزيان.

-جسر مجاز لغنم :

يعتبر هذا الجسر امتدادا لشارع رحماني عاشور " حي باردو" المعروف بزنقة النحاسين موضوع الدراسةويعرف بضيقه مقارنة بغيره من جسور المدينة.

[1] هدى جباس. **مقاربة اثنوغرافية لبعض طوبونيمات قسنطينة**. مجلة انسانيات .العدد97. جويلية –سبتمبر2022.ص13-36.

- جسر الشيطان :

وهو جسر صغير حجري يقع أسفل جسر سيدي راشد، أهل مدينة قسنطينة يرجعون أصل تسميته بهذا الاسم لوجود شيطان بتلك المنطقة نظرا لسماع أصوات غريبة ومخيفة لا سيما حين ارتطام المياه بالصخور خاصة في فصل الشتاء.

- الجسر العملاق "صالح باي" :

وسمي بهذا الاسم نسبة لباي قسنطينة **"صالح باي"**، ويعرف بالجسر العملاق أو جسر الاستقلال وهو أكبر جسر وطنيا وإفريقيا، إذ يعد أهم إنجازات الزائر وأضخمها منذ الاستقلال بطول 4300م [1].

وتبقى هذه الجسور رغم عتاقة أغلبيتها تصارع من أجل الصمود والإبقاء على وجه المدينة السياحي فهي كانت ولا تزال عامل جدب مهم للسياحة الوطنية عموما ولمدينة قسنطينة على وجه خاص.

ث- ضريح ماسينيسا :

سمي كذلك نسبة للملك " **ماسينيسا"** الذي أسس الدولة النوميدي، و يوجد بالخروب وهي إحدى بلديات مدينة قسنطينة بالضبط في جنوبها الشرقي، "وهو برج مربع تم بناؤه على شكل مدرجات بها ثلاث صفوف من الحجارة منحوتة بطريقة البناء الإغريقي"[2].

ج-الاقواس الرومانية :

وتوجد بغرب مدينة قسنطينة وهي احدى شواهد الحضارة الرومانية" هي أثار قنطرة الماء الكبيرة التي كانت تحمل الماء إلى الكدية "[1] فهي وسيلة لحمل قنوات التزويد بالماء الصالح للشرب.

---

[1] مديرية السياحة والصناعات التقليدية لمدينة قسنطينة . زرت الموقع يوم 2023/02/23 الساعة 15:30 https://constantine.mta.gov

[2] محمد عثمان. **قسنطينة ملكة الشرق الجزائري ومدينة الجسور المعلقة**.ط1.الدار المصرية للكتاب. القاهرة . 2013.ص 14.

ح- المساجد و الزوايا :

-الجامع الكبير :

يوجد مسجد الجامع الكبير وسط مدينة قسنطينة، وهو من أقدم المساجد بها ويعتبر معلما إسلاميا "بناه الحماديون 1136م ، أقيم على أنقاض المعبد الروماني الكائن بنهج العربي بن مهيدي"[2].

- مسجد سوق الغزل :

يتواجد بالقرب من قصر **"أحمد باي"** أمر ببنائه "حسن باي" سنة وكان إبان الاحتلال الفرنسي عبارة عن كنيسة لكن ارجع إلى واجهته الحقيقية بعد الاستقلال.[3]

- مسجد سيدي لخضر :

أمر ببنائه **"الباي حسن"** الملقب "بأبي حنك" تم تشييده عام 1743م، وتوجد بحافة المسجد مقبرة دفن فيها "الباي حسن" وعائلته[4].

- مسجد سيدي الكتاني :

يقع مسجد "سيدي الكتاني" بسوق العصر وسط مدينة قسنطينة، وهي منطقة حيوية تمارس فيها مختلف النشاطات التجارية" بناه **"صالح باي"** سنة 1776م[5] كما توجد بجانبه مقبرة **"صالح باي"** وعائلته.

---

[1] سفيان بودراع. **سيرتا من خلال النقيشات اللاتينية المحفوذة بالمتحف الوطني سيرتا قسنطينة.** مجلة الدراسات الاثرية.المجلد12.العدد01.ص 103-127. 2014

[2] بن الشيخ وليد. **إعادة الاعتبار للتراث العمراني في إطار تظاهرة قسنطينة عاصمة الثقافة العربية 2015 وأثره على التنمية السياحية بمدينة قسنطينة** .مجلة التراث .المجلد4. العدد6. ص 114-129.15-09-2014

[3] فاطمة الزهراء قشي. **قسنطينة في عهد صالح باي البايات**.ط2.دار مداد يونيفارسيتي براس.قسنطينة.2013.ص 13

[4] بن الشيخ وليد. مرجع سابق.

[5] عبد القادر دحدوح. **المعالم الاسلامية الاثرية بمدينة قسنطينة خلال الفترة العثمانية.** مجلة الثقافة الاسلامية. المجلد11. العدد01. ص 69-114.15-01-2015

-مسجد الأمير عبد القادر:

هو معلم من المعالم الدينية والسياسية في الجزائر عموما ومدينة قسنطينة على وجه الخصوص وذلك منذ سنين خلت، و يعد من أقدم المساجد بها والأجمل على الإطلاق، حيث يقع مسجد الأمير عبد القادر على طريق شارع " **قدور بومدوس"**، فهو تحفة فنية معمارية قمة في الإبداع والإتقان يجسد الحضارة الإسلامية وجمالية معمارها وعن منارتيه، فيمكن لأي شخص أن يراهما فهو على علو مرتفع ينار بالأضواء مساءا ليشكل منظرا غاية في الروعة وبه جامعة تعرف أيضا " بجامعة الأمير عبد القادر الإسلامية"، ويعرف المسجد بين أهل قسنطينة أنه " **أزهر قسنطينة** " في تشبيه لهم بجامع الأزهر المصري وللإشارة "يتسع المسجد ل 15 الف مصلي قام بتصميمه رفقة الجامعة المهندس المصري مصطفى موسى"[1].

-الزوايا :

الزاوية ركن من أركان المسجد اتخذت للعبادة والاعتكاف التعبد ثم تطورت لتصبح أماكن لإقامة الحلقات الدينية ويعقد فيها مشايخ الصوفية حلقات الذكر[2]، وغالبا ما تستمد الزوايا أسماءها من الأفراد الذين قاموا بتأسيسها فتحمل إما القاب العائلات أو أولياء الله الصالحين في المدينة وسنذكر أهمها:

- ✶ الزاوية القادرية أو كما تعرف في قسنطينة باسم زاوية سيدي عبد المومن.
- ✶ زاوية بن الشيخ لفقون.
- ✶ زاوية سيدي راشد.
- ✶ زاوية سيدي عبد الرحمان.
- ✶ الزاوية العيساوية.
- ✶ الزاوية الطيبية.

خ- المغارات :

---

[1] طرشي صبرينة .مرجع سبق ذكره. ص 38.

[2] الطيب العماري. **الزوايا والطرق الصوفية بالجزائر التحول من الديني الى الدنيوي ومن القدسي الى السياسي دراسة انثربولوجية**، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية.بسكرة.العدد15.جوان 2014.ص 127-128

توجد بمدينة قسنطينة ثلاث مغارات هي مغارة الدببة ومغارة الأرونة وأخرها مغارة الحمام وسنعرضها فيما يلي

- مغارة الدببة :

وتوجد مغارة الدببة في مدينة قسنطينة عند ثاني نفق للسكة الحديدية التي تربط مدينة قسنطينة بسكيكدة يطلق عليها سكان قسنطينة بـ"الغار الزهار" وسميت بهذا الاسم نسبة لبقايا الدببة التي وجدت بها[1].

- مغارة الأرونة :

وسميت مغارة الأرونة بهذا الاسم نسبة إلى نوع من الخراف البرية ينتمي إلى الماعز كان يعيش بالمنطقة " وكانت عظامها تتواجد بكثرة، وهي تضم أيضا بقايا عظمية حيوانية من الضباع والكركدن"[2].

-مغارة الحمام :

وتوجد مغارة الحمام مقابلة المغارتين السابقتين، كما لقبت المغارة بهذا الاسم نسبة لأسراب الحمام التي كانت بكثرة داخلها ووجد بها العديد من بقايا عظام الحمام .

رغم ما ذكرناه من مواقع أثرية وتاريخية إلا أن مدينة قسنطينة تزخر بالعديد منها:

- تمثال الإمبراطور الروماني " **قسطنطين**" الموجود أمام محطة القطار.
- نصب **"سيدة السلام"** الموجود أعلى سيدي مسيد.
- إقامة **"صالح باي"** المتواجد بحي الغراب، حيث كانت تمارس نسوة المدينة داخله طقس النشرة.

لقد عرفت قسنطينة منذ القديم تاريخا زاخرا بالبطولات من خلال العديد من الحضارات التي تعاقبت عليها حيث كان لكل حكم هدف وغاية من دخوله المدينة، تاركين وراءهم موروثا حضاريا وثقافيا متنوعا من

---

[1] A. Debruge : **« La Grotte Des Ours » Receuil des notices et mémoire de la société archéologique**, 11éme volume, Librérie africaine et coloniale, Paris, 1909, p.117

[2] عبد القادر دحدوح. **قسنطينة محطات تاريخية ومعالم اثرية. دراسة تاريخية اثرية.** ط1.نوميديا للطباعة والنشر.2015.ص 307

خلال مخلفاتهم الأثرية والتاريخية شهدتها كهوف ومغارات وجسور ومساجد عبرت كلها عن عراقة قسنطينة وأصالة ماضيها وتاريخها.

إن كل ما سبق ذكره من أثار ومعالم تاريخية متنوعة تنوع الحضارات المتعاقبة على مدينة الصخر العتيق، تعتبر قيمة تاريخية وثقافية وسياحية وفنية بالغة الأهمية من شأنها أن تغير من مكانة المدينة سياحيا وتبعث روحا جديدة، من خلال إعادة النظر في كيفية الاهتمام بها من حيث أنها وجه المدينة أولا وموروثا ثقافيا وجب الاهتمام به وصونه حتى تتوارثه الأجيال فيما بينها ثانيا، غير أن الملاحظ هو غياب تام لدور السلطات في مجال الترميم وبعث الموروث، فقد أصبح معظمها مناطق تملؤها القذارة والتلوث ولا تعتبر مقصدا حتى لسكان المنطقة لانعدام الأمن بها.

4-2- ماهية العائلة:

قبل البدء بتعريف العائلة وجب إماطة اللثام عن اللبس الذي نقع عنده عادة و هو الخلط بين المفهومين "الأسرة والعائلة "، فالتقارب بينهم والاستعمال دائم الحضور فمن يعتمد لفظ العائلة يعتقد أنه يتحدث عن الأسرة والعكس، إن مفهوم العائلة هو الأكثر عمقا واستعمالا لا سيما عند من سبقونا من الأجيال فهي بمثابة المقدس ولا ينبغي الخوض فيه، والكل يعي تماما أن العائلة تتكون من أسرة مكونة من أب وأم وأبناء متزوجين رفقة أولادهم أو غير متزوجين بالإضافة إلى ابنة المتوفي زوجها وغيرهم، إذ تسمى العائلة في الجزائر تحت هذا الإطار "الدار الكبيرة أو دار العائلة"، "حيث يشترك هؤلاء في الحياة الاقتصادية والاجتماعية تحت رعاية رئيس العائلة "[1] .

[1] فايزة اسعد. **العادات الاجتماعية والتقاليد في الوسط الحضري بين التقليد والحداثة**. مقاربة سوسيو- انثربولوجية لعادات الزواج والختان مدينتي وهران وندرومة نمودجا. رسالة لنيل شهادة دكتوراه علوم في علم الاجتماع. كلية العلوم الاجتماعية .جامعة وهران.2012/2011.ص 144

فهذا المصطلح الأكثر رواجا في ربوع الوطن، فمدينة قسنطينة لا تزال ليومنا هذا تعتمد مصطلح العائلة مثلا في التعبير أن فلان تزوج في "دار العائلة" أي بيت أبيه وأمه وإخوته وجده وجدته أو فلانة تزوجت في "دار العائلة" أي لم تسكن في بيت مخصص لها ولزوجها بل تعيش رفقته أهله، إن مفهوم العائلة يتحلى بالخصوصية لعدم ارتباطه بشيء معين يجعل منه تابعا له " ولا يحتاج إلى صفة تابعة ليدل على الجماعة المنزلية المرتبطة الوجود بالحياة التقليدية والتي تميزها عن غيرها "[1].

كما أن المفهوم يرتبط بكل ماله علاقة بالتقليد والعراقة كما أشرنا له سابقا يدخل في المقدس، لما للعائلة من مكانة داخل المجتمعات التقليدية ليكون أعمق وأشمل من مصطلح الأسرة الذي يكون تابعا للصفة التي تليه من خلال ظهور نماذج للأسرة، فمنها الأسرة الممتدة والنووية والمركبة في حين أن لعائلة تشمل بداخلها الأسرة بكل أنواعها . سنتعرف على مصطلح العائلة التقليدية من خلال :

4-2-1- تعريف العائلة التقليدية :

أ/- **قاموس علم الاجتماع:** عرف **Emilio Willems**: " العائلة في قاموس علم الاجتماع على أنها المؤسسة الأساسية التي تشمل رجلا أو عددا من الرجال، يعيشون زواجيا مع امرأة أو عدد من النساء ومعهم الخلف الأحياء الأقارب منهم وكذلك الخدم ".[2]

ب/- تعريف كلودين شولي"C.chaulet ":حيث ترى عالمة الاجتماع أن " الأسرة في المغرب عرفت ولمراحل طويلة بالعائلة الكبيرة التي تضم إخوة متضامنين فيما بينهم تسمى العائلة، وهو نمط الأسرة

[1] محمد حمداوي. **البنيات الاسرية ومتطلباتها الاسرية الوظيفية في منطقة بني سنوس في النصف الاول من القرن العشرين. قرى العزايل نموذجا** .دكتوراه دولة في علم الاجتماع .جامعة السانية .وهران.2005.ص 197.

[2] حنان مالكي. **الخصائص السوسيولوجية للأسرة الجزائرية-التقليدية والحديثة**-مجلة العلوم الانسانية. جامعة محمد خيضر .بسكرة.العدد22.جوان 2011.ص 43-58.

السائد في المجتمعات المتوسطية القديمة والعائلة كنمط في الجماعة التي تتكون من رجل متزوج وأبنائه المتزوجين مع الأطفال يعيشون كلهم مع بعض في مسكن واحد"[1].

ج/- تعريف " العيد دبزي" و"روبير ديزكلوتر"L.DEBZI et R.DESCLOITRES : " يرى عالما الاجتماع كلاهما أن الأسرة التقليدية هي" جماعة منزلية تدعى العائلة من الأقارب القريبين الذين يشكلون وحدة اجتماعية اقتصادية قائمة على علاقات الالتزام من تبعية وتعاون "[2].

ت/-تعريف بيير بورديو :" P. bourdieu " إن الأسرة الممتدة هي الخلية الأساسية... والنموذج الذي

على صورته تنظيم البنيات الاجتماعية ولا تقتصر على جماعة الأزواج وذرياتهم، ولكن تضم كل الأقارب التابعين للنسب الأبوي جامعة بذلك تحت رئاسة قائد واحد عدة أجيال في جمعية واتحاد حميمين"[3] .

ث/-تعريف " ناصر قاسمي ": عرفها الباحث قاسمي بأنها " جماعة قرابية متعددة الوظائف فهي وحدة اقتصادية إنتاجية استهلاكية، وهي وحدة دينية من أهم وظائفها تحديد الهوية الاجتماعية للأفراد وتمنحهم الشرعية فوظيفتها أهم من وظيفة الإنجاب"[4].

ح/- تعريف مصطفى بوتفنوشت: عرف الباحث العائلة " أنها عائلة موسعة حيث تعيش في أحضانها عدة عائلات زواجية وتحت سقف واحد، الدار الكبرى عند الحضر والخيمة الكبرى عند البدو، إذ نجد من20 إلى 60 شخص أو أكثر يعيشون جماعيا ". [5]

---

[1] Claudine Chaulet , **La terre et les frères et l'argent – stratégie familiales et production agricole en Alger**, , O.P.U. TOM 1 , Alger, 1987 , P 205.

[2] Robert Descloîtres, LaïdDebzi: **Système de parenté et structure familiales en Algérie**, in Annuaire d'Afrique du nord, Paris, CNRS, 1963, P29

[3] Bourdieu Prérre , **Sociologie de l'Algérie , coll. que sais-je** ? n 802 , Paris , P.U.E , 1974 , P 12

[4] ناصر قاسمي . **سوسيولوجيا العائلة والتغير الاجتماعي** .ط1.دار الكتاب الحديث. القاهرة .2013.ص 8

[5] بوتفنوشت مصطفى. تر دمري احمد. العائلة الجزائرية التطور والخصائص الحديثة. ديوان المطبوعات الجامعية .الجزائر. 1984. ص 47

أعطى **"بوتفنوشت"** هنا صورة العائلة التقليدية التي كانت تتخذ من البيت الكبير مقرا لها تحت سلطة ذكورية من الجد أو الأب سوآء في الريف أو المدينة بأعداد كبيرة متكونة من أبناء وأزواجهم وأحفاد وأعمام وبروابط متماسكة ملؤها الاحترام والانضباط، كما تعتمد على صاحب الشأن وكبير العائلة في فك نزاعاتهم وخصوماتهم خاصة ما تعلق بالإرث والماديات بينهم كما ركز" **بوتفنوشت** "على الوحدة السكنية أكثر.

وفي منظور" **ناصر قاسمي"** العائلة عبارة عن مجموعة تربطهم قرابة، وهذه المجموعة ذات وظائف متعددة ومختلفة تصب كلها لصالحها، من خلال عملية التأثير والتأثر فيما بينها من جميع الجوانب لا سيما الاقتصادي منها، الذي يعبر عن عملية إنتاجية استهلاكية لذه المجموعة، كما لا يغلب على هذه الأخيرة الطابع الديني والذي تنحصر وظيفته حسب**" قاسمي"** في تحديد الهوية الاجتماعية لأفراد الجماعة، فوظيفة هذه الجماعة بالغة الأهمية على حد قوله تضاهي وظيفة الإنجاب نظرا لما تحققه لأفرادها من قيمة ومكانة لا يمكن أن يشعروا بها بوجودهم داخل حيزها .

يمكن أن نخلص مما سبق من تعريفات للعائلة التقليدية، أولا أن المصطلح يرمز إلى الجماعة ذات الصلة بالمجتمعات التقليدية، كما أنه لم يكن يتردد في الكتب والموسوعات العربية بقدر ما كتب عن مصطلح القبيلة والعشيرة، ثم ما أتى على لسان المفكر **"ابن خلدون"** في المقدمة والذي لخص المصطلحين في" مفهوم العصبية" إشارة منه عن العلاقات الاجتماعية السائدة بين أفراد المجتمع والروابط التي تجمعهم، أما ثانيا فنعرف العائلة على أنها تتكون من مجموعة أفراد كالأب والام والأبناء المتزوجين وأبنائهم" الاحفاد" يسكنون تحت سقف واحد تجمع بينهم روابط اجتماعية قوية أساسها الدم، تحكمها الأعراف والتقاليد ويسيرها عامل الدين، ذات هيمنة ذكورية لها عدة وظائف أهمها تحديد الهوية الاجتماعية للأفراد المقيمين بها.

4-2-2- خصائص العائلة التقليدية :

لا يمكننا الحديث عن العائلة المعاصرة ما لم نتعرف عن الأساس واللبنة الأولى لهذه العائلة وكيف كانت عليه في سابق العهد، فالعائلة التقليدية " استمدت خصائصها من الأشكال الأولى للعائلة المغاربية

الأمازيغية عبر مختلف المراحل، مضافا إليه التراكمات التاريخية من خلال الحضارات التي تعاقبت على هذا المجتمع منها الحضارة الإسلامية، خاصة أشكال العائلة العربية والتركية وتأثيرات الاستعمار الفرنسي، المتمثل في تحطيم وتشويه بنى القرابة للمجتمع الجزائري"[1].

إذ أن المجتمع الجزائري هو مزيج بين الثقافات والحضارات التي تعاقبت عليه ناهيك عن الاستعمار الغاشم، الذي كان هدفه الأول طمس معالم الهوية الوطنية وضرب المجتمع الجزائري في معاقله الأساسية وهي العائلة التي يعلم جيدا أنها تستمد قوتها ومكانتها اعتمادا على ما يسنه الدين في الكتاب والسنة ويمكن أن نحصر خصائص العائلة التقليدية الجزائرية ومنها العائلة القسنطينية فيما يلي:

4-2-2-1- العائلة وحدة اجتماعية :

انطلاقا من أن الأب يتمتع بسلطة روحية قيادية مطلقة فهو بذلك مسؤول عن كل ما يخص هذه العائلة، ويتخذ القرارات اللازمة بموجب العرف والتقاليد والدين بالفصل في الأمور المتعلقة بالميراث والأرض والملكية وكذا الزواج والطلاق، كل هذا بغية الحفاظ على تماسك العائلة وترابطها كوحدة ذات نطاقين إنتاجي واستهلاكي, ولأهمية الجانب الاقتصادي والدور الذي تلعبه العائلة التقليدية مع أفرادها فإنه" لا يحدد مركز الشخص كفرد معزول لكن ينظر إليه كعضو في أسرة محددة معينة"[2].

4-2-2-2- أبوية :

"إن الأب في النظام التقليدي للعائلة يحتل هرم السلطة فيها فيتوجه إلى أفرادها بالأوامر والنصائح والإرشادات والتهديدات، بينما يتوجهون إليه بالاستجابة والتأكيد على الطاعة والاحترام"[3]، فهذه السلطة

---

[1] قاسمي ناصر .مرجع سابق .ص5.

[2] الوحيشي احمد بيري. الاسرة والزواج 'مقدمة في علم الاجتماع العائلي'. .الجامعة المفتوحة .طرابلس.1998.ص71

[3] حليم بركات. **المجتمع العربي المعاصر**. بحث استطلاعي اجتماعي.. مركز الدراسات الوحدة العربية. ط6.بيروت.1998.ص180

الأبوية ما إن دلت فإنما تدل أن المجتمع الجزائري مجتمع كان ولا يزال ذكوريا سوآء في العائلة التقليدية أو الحديثة، وإن تغيرت بعض المراكز والأدوار إلا أن الأب لا يزال السلطة المهابة ويحظى بكل الاحترام والتقدير خاصة المناطق الريفية منها فهو الأمر الناهي والفاصل في كل نزاعاتهم، كما يستمد الأب قراراته وأوامره لما تمليه العادات والتقاليد والقيم التي اكتسبها خلال حياته، فالدين اللبنة الأولى للقواعد والقيم الأساسية في العائلة التقليدية، إضافة إلى أنها أبوية إذ النسب يعود فيها للأب وحتى يومنا هذا، فالفتاة حين زواجها لا تفقد رابط الانتماء لأبيها "و قد أخذ المشرّع الجزائري بهذا التقليد بذكر لقب المرأة الأصلي ولقب زوجها في الوثائق الرسمية"[1]، إضافة إلى ميزة الهرمية التي شكلت سلما هرميا مفاده العلاقات الاجتماعية داخل العائلة وتوزيع السلطة حيث أن " تقسيم العمل والنفوذ والمكانة كان على أساس الجنس والعمر".[2]

4-2-2-3- العائلة أسرة ممتدة :

انطلاقا من تعريف" **بوتفنوشت**" نجد أن العائلة تضم مجموعة من الأسر وفي حيز جغرافي مشترك بينهم ففيها يجتمع أكثر من جيلين الأب والجد والأحفاد.

4-2-2-4- تعدد الزوجات :

اتسمت العائلة التقليدية الجزائرية بما فيها العائلة القسنطينية في هذه الفترة" بالزواج الداخلي لنقطتين رئيسيتين هما تثمين رابطة الدم و إبقاء الإرث في يدها"[3]، وهذا لا يتحقق إلا إذا تزوج الرجل من ابنة عمه حتى يتسنى له ذلك، ففي نظر" **ناصر قاسمي**" " يعتبر الزواج من بنت العم حقا مشروعا لابن عمها إلا إذا

[1] فاطمة الزهراء دميم –حمزة الشريف علي. **التغيّر الثقافي وعلاقته بتكيفّ كبار السن في الأسرة الجزائرية**. مجلة دراسات إنسانية واجتماعية. جامعة وهران 02 . المجلد 09 .العدد03. 2020.ص 83-93

[2] مالكي حنان. مرجع سابق

[3] مالكي حنان. مرجع سابق

تنازل هو عن ذلك "[1]، حيث "تقوم الأسرة في هذه الفترة بتأهيل الفتاة وتدريبها على الحياة الاجتماعية التي ستجدها بعد زواجها، كما أن الزواج المبكر لها يعتبر ميزة افتخار واعتزاز مقابل ذلك كلما طال مقام الفتاة المهيأة للزواج في منزل أبيها كلما شكل ذلك مصدر قلق وحرج للآباء خصوصا عندما يكتمل نضج جسدها وتكون مظاهر أنوثتها بارزة للعيان "[2].

من خلال ما سبق وانطلاقا من تعاريف العلماء والباحثين للعائلة التقليدية، حيث اتفقوا أن المصطلح يشير إلى الجماعة والمتكونة من أفراد تجمع بينهم روابط الدم، وتحكمها عادات وتقاليد مرهونة بعامل الدين، كما تملك مهام عديدة تساهم في اندماج الفرد داخل جماعته وإعطاءه مكانة وقيمة ضمن مجالها عن طريق الخصائص والسمات السوسيو ثقافية للعائلة التقليدية الجزائرية عامة والعائلة القسنطينية على وجه الخصوص، والتي تتجسد في أفراد هذه الجماعة من خلال سلوكاتهم وممارساتهم الثقافية، غير أن هذه المميزات لم تدم طويلا وانبثق عنها ما يعرف اليوم بالعائلة الحديثة أو" المعاصرة".

4-2-3- العائلة الحديثة "المعاصرة":

أثناء الاستعمار الفرنسي للجزائر أصبح المجتمع الجزائري خاضعا لثقافتين مختلفتين، فثقافته الأولى تقليدية تعود إلى ما قبل الاستعمار، أما الثانية فهي غربية أوروبية جديدة من نتاج المستعمر، ففي الأولى يسير وفق أعراف وتقاليد محافظا بذلك على المجتمع والتأقلم مع ما هو جديد دون الانحلال الذوبان فيه، أما الثانية فهي بعادات وتقاليد جديدة تسير بطريقة عكسية فما تحمله في كنفيها كفيل بتغيير نهج العائلة وضرب كيانها، هذا من جهة أما من أخرى فقد عرف المجتمع الجزائري جملة من التغيرات والتطورات خاصة بعد الاستقلال أدت إلى تغير العائلة الجزائرية.

---

[1] قاسمي ناصر .مرجع سابق .ص 25.

[2] عز الدين الخطابي. **دينامية العلاقة بين التقليد والحداثة**. تطور الحياة الاجتماعية بمدينة عتيقة .ط1.افريقيا الشرق.المغرب.2015.ص 116-117

4-2-3-1- عوامل ظهور العائلة المعاصرة:

من بين أهم العوامل التي أدت إلى ظهور هذا النوع من العائلة نذكر ما يلي :

1- تغير الطابع المعيشي من محلي إلى اجتماعي ساعدها في الاحتكاك والتأقلم بالمجتمع الكبير.

2- الهجرة الأسرية نحو المدينة خاصة بعد ما عرفته هذه الاخيرة من تطورات ومنشاة مغايرة للحياة الريفية، جعل من العائلات تتحرر من القيود المفروضة عليها بحكم الأعراف والتقاليد، كما ساهمت هجرتها في ارتفاع ثمن الأراضي والعقارات لأنها في حاجة إلى مساحات شاسعة لبناء العمارات وغيرها من أنماط الحياة المدنية الجديدة.

3- ما يحصل في المدينة من تطورات في مختلف وسائل الاتصال والارتباط الاجتماعي يجعل تمسك الأفراد بقيمهم وعاداتهم وتقاليدهم من الأمر الصعب والمتعب، كما أن الانتشار الثقافي وتنوعه غير كثيرا من سلوكات الأفراد الاجتماعية وعاداتهم المعيشية من أنماط وقيم من شأنها أن ترتقي بهم.

4- خروج المرأة للعمل أخلط حسابات العائلة الجزائرية والأدوار والمراكز بين أفرادها حيث بات الزوج مطالب بمساعدتها في أمور المطبخ والاعتناء بالأطفال، في حين أنها كانت أعمال تخصها لوحدها ولا علاقة للرجل بها "وهذا خروج الزوج عن مفهوم دوره التقليدي"[1]، كما تعمل بدورها على مساعدته في مصاريف البيت كشريك اقتصادي أساسي في حين وبوقت غير بعيد كانت "صورة المرأة مصبوغة بالجنس أو أنها ست بيت "[2] . يعني أنها خلقت لوظيفتين لا ثالث لهما الإنجاب والعمل المنزلي فقط.

5- "يعتبر العامل الإيديولوجي من الأسباب التي تحدث التغير الاجتماعي لدى الأفراد والجماعات فالأفكار الجديدة عن الإنسان وحتى التمتع بالحرية والاستقلال وحق الحياة في ظروف اجتماعية واقتصادية

[1] كاميليا ابراهيم عبد الفتاح.. **سيكولوجية المرأة العاملة**. بيروت. دار النهضة العربية.1984.ص 99.

[2] زهير خطب. **تطور الاسرة العربية و الجذور التاريخية والاجتماعية لقضايا المعاصرة** .ط. 1.. معهد الإنماء العربي. بيروت. 1976.ص 243

وسياسية مريحة، جعلت الأفراد يحملون قيما جديدة حول حياتهم ومستقبلهم ولهم تصور يسعى دائما إلى الاقتداء بالدول المتطورة "[1].

كانت العائلة الجزائرية عامة والعائلة القسنطينية خاصة تعيش تحت طابع التقليد الذي تحكمه العادات والتقاليد والأعراف التي يضعها الأفراد وتوافق عليها الجماعة حتى تصبح منهج حياة بالنسبة لهم، فكان الأمر نمطي إلى حد كبير، غير أن موجات الاستعمار وأهوالها كان للجزائر نصيب منها، فبقدوم المستعمر الفرنسي اضطر المجتمع أن يواجه ثقافة مغايرة لثقافته الأم، فجاءت فرنسا بأفكار وممارسات ذات طابع تدميري تخريبي خاصة أن هدفها كان ضرب استقرار العائلة الجزائرية بتمزيق أواصرها باعتبارها فضاء الافراد ومتنفسهم .

فما جاءت به الإيديولوجية الفرنسية جعل العائلة الجزائرية عموما والعائلة القسنطينية خاصة أمام خيارين إثنين لا ثالث لهما، إما أن تتمسك العائلة بموروثها الثقافي وتحاول التأقلم والتعايش دون انسلاخ وذوبان في الثقافة الغربية الفرنسية، أو أن تختار انفتاحها وانصهارها في ثقافات الغير ما يجعله يؤثر سلبا على كيان العائلة المرتبطة ارتباطا وثيقا بعاداتها وتقاليدها.

هذا التضاد بين الثقافات أضفى إلى القول أن العائلة المعاصرة عرفت جملة من التغيرات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية وحتى السياسية جعلها تكسب ثقافة جديدة وما تحمله في طياتها من ممارسات ثقافية، لكن رغم هذا التطور وما جاء به من تغيرات مست جميع المجالات والمستويات إلا أن العائلة الجزائرية والقسنطينية خاصة تصارع من أجل الإبقاء على كيانها ومقدساتها وموروثاتها الحضارية والثقافية حتى لا تصيبها الثقافات الأخرى في مظاهر حياتها وممارساتها السوسيوثقافية بسهام الحداثة والتطور المزيف.

[1] نادية فرحات. **الأسرة الجزائرية بين القيم التقليدية وقيم الحداثة**. كلية العلوم الانسانية والاجتماعية. قسم علم الاجتماع. جامعة الجزائر2. 2010/2009.ص 146

4-2-3-2- خصائص العائلة المعاصرة :

إن ما أصاب العائلة الجزائرية التقليدية من مظاهر بمثابة أمر طبيعي يحصل في كل المجتمعات، ما سمحت بظهور نوع أخر منها وهي العائلة المعاصرة " الحديثة"، هذه الأخيرة لها ما يميزها عن سابقتها في طريقة البناء الاجتماعي وتغير الأدوار بين الأفراد كما تعددت بها الخدمات الاجتماعية على غرار الصحة والتعليم، ويمكن فيما يلي التعرف على أهم خصائص العائلة المعاصرة:

أ- **أفراد الأسرة لهم الحق في الحريات الفردية و التمتع بها:** " لكل فرد كيانه الذاتي الخاص به وشخصيته القانونية لا سيما إذا بلغ السن الذى يضفى عليه هذه الأهلية، لأن الأسرة الإنسانية في تطورها فقدت صفتها كوحدة قانونية جمعية، فأصبح لكل فرد حق التملك في حدود النظام الاجتماعي والاقتصادي للدولة ولأن الملكية لم تعد ملكية جمعية كما هو الحال في النظام الأسري القديم، ولكل فرد حق التصرف بحرية هو المسؤول الأول في تصرفاته فلم تعد مسؤولية جمعية ".[1]

ب- **تغير شكل الأسرة و حجمها** : إن جملة التطورات والتغيرات الحاصلة في المجتمعات لا سيما الحضارية منها جعلت التأثر يبدو واضحا على العائلات التي اتخذت من المدينة سكنا لها فكان أبرزها هو تغير الشكل الأصلي للعائلة واقتصاره على نموذج مصغر يعرف" بالنووي"، يعني أن العائلة لم تعد ترغب في ذلك الحجم الكبير والعدد الهائل من الأفراد الذين يعيشون في كنفها "ويقصد هنا بالعائلة الممتدة "بل قلص ذلك إلى زوج وزوجة وقلة من الأطفال، وهذا يعتبر ملائما جدا للحياة الحضارية والتكنولوجية الجديدة بما تمليه من توفير لوسائل الرعاية الصحية والتعليم وانتشار الوعي الذي من شأنه تحديد النسل أو التباعد بين الولادات حفاظا على صحة الأم وتنظيم الإنجاب، لكن وبالرغم من الإيجابية الملاحظة هنا إلا أنه ومع تغير شكل العائلة خاصة بنزوحها نحو الحياة الحضارية المعاصرة ظهرت بعض الأعباء والخبايا لم تكن في الحسبان نذكرها في:

[1] مصطفى الخشاب ،**النظرية الاجتماعية ودراسة الآسرة** ، الدار الدولية . مصر، ط1 ، 2008. ص 89

1/- تغير الحياة من تقليدية اجتماعية تقوم على مبدأ التعاون والاشتراك فيما بينهم معتمدين على الزراعة والمنتوج الحيواني، إلى نمط مغاير تماما أساسه الفردية في العمل واقتصاد تجاري صناعي محدد بما يقدمه العامل من جهد و وقت ليكون له أجر مقابل ذلك، و يقول الباحث الدكتور **"محمد السويدي"** في هذا الصدد "الصورة تنقلب في الوسط الحضري ذلك أن كل أسر زواجية مستقلة اقتصاديا عن بقية أفراد القرابة ... ومن ثم تؤمن معاشها اعتمادها على الدخل الشهري المتمثل في مرتب رب الأسرة العامل"[1]، ويمكن أن يتعدى ذلك إلى الأبناء خاصة الأكبر منهم ففي كثير من الأحيان نجد أسرا يعيلها الابن في غياب وظيفة للوالد .

2/- الارتفاع في المستوى المعيشي في الحياة المعاصرة صعب من إمكانية العائلة لتوفير كل الحاجيات وإشباع رغبات أفرادها فهي مطالبة بتأمين المسكن والغذاء والألبسة وغيرها .

3/- تفتقد العائلة إلى وظيفتها التربوية في المحيط الحضاري الجديد شيئا فشيئا، إذ تحتوي المدينة على مؤسسات ومرافق من شأنها أن تقوم بعملية التربية والتنشئة الاجتماعية كروضة الأطفال ودور الرعاية الاجتماعية، ويمكن القول أن خروج المرأة للعمل أفقد المجتمع معايير كثيرة من العادات والتقاليد والقيم كانت لتغرسها في أبنائها وتربيهم عليها.

ت/-العلاقة فيما بين الأسرة وأفرادها: نعلم جميعا بطبيعة الحياة المعاصرة وشكل المباني السكنية داخلها، فالعمارة مثلا لا تتسع لعدد كبير من الأقارب حتى يتبادلا الزيارات العائلية فيما بينهم عكس الطبيعة الريفية الشاسعة التي تتمتع بالمناظر الخلابة وأماكن فسيحة تشمل أعداد هائلة تسمح للجميع بزيارة بعضهم دون حرج، أضف أن خروج الوالدين للعمل يوميا يعد تقصيرا في تنشئة الأبناء فهم بذلك يحاولون التدارك من خلال الاجتماع معهم في نهاية الأسبوع والخروج في فسح معهم لتعويضهم عن ذلك، كما أن الاستقلالية

[1] محمد السويدي. **مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري** . ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر.1990.ص 88-89

المادية داخل الأسرة الواحدة جعلت من أفرادها لا يمثلونها كوحدة بل كأفراد لكل منهم دوره ووظيفته عليه القيام بها.

ث/- سيادة الاتجاهات الديمقراطية : انطلاقا من مبدأ المساواة بين الجنسين ولا يوجد فرق بينهم، فالمرأة في الحياة المعاصرة شريك أساسي ودائم للرجل من أجل المساهمة في رقيها وتطورها ، فدخولها لكل مناحي الحياة الاجتماعية والسياسية أكسبها نوع من الحرية للتعبير عن رأيها خاصة بعد انتشار أفكار الديمقراطية والحريات وفرص التكافؤ بين الذكر والأنثى غيرت من نظرة المجتمع للمرآة، فأصبح يراها مناصفة مع الرجل في كل الميادين والمجالات الحياتية تتمتع بكل حقوقها وواجباتها، فزوال صورة العائلة التقليدية القديمة من خلال جملة العادات والقيم السابقة التي تفرضها الحياة المعاصرة على أفرادها ببروز" النزعة الديمقراطية المسيطرة على الأسر".[1]

ح/- السلطة الأبوية واتخاذ القرار: تغيرت زمام الأمور ولم يعد للأب السلطة القصوى على العائلة كما كان في نمطها التقليدي السابق، فبمجرد مشاركة الزوجة زوجها لكل المجالات الاجتماعية أصبحت شريكة له بآرائها وقراراتها ويكون الأمر بينهم مبني على أساس الشورى والمشاركة لا القوة والتسلط، فتتغير بدورها علاقة الأبناء بآبائهم فتسودها الديمقراطية والحرية وتزول الصورة المشاعة عن الأب في نموذج العائلة التقليدية، وترى في هذا الباحثة **"عيشور نادية"** " أن علاقة الطاعة المطلقة التي كان يقابل بها الأبناء أباءهم وعلاقة السيطرة المطلقة التي كان يقابل بها الآباء أبناؤهم، لم تعد موجودة اليوم إلا في حالات نادرة

[1] سناء الخولي . **التغير الاجتماعي والتحديث** . دار المعرفة الجامعية . الاسكندرية . 2006. ص 212.

وفي مناطق قد تكون معزولة ومغلقة وكذلك علاقة الزوجة والزوج وتقاسم الأدوار وفق الطراز التقليدي لم تعد كذلك ".[1]

ج/- إن جملة التفاعلات الاجتماعية في الوسط العائلي الجديد كان نتاجه تغيرات كثيرة أثرت على العادات والتقاليد والاعراف التي كانت ضمن النطاق التقليدي للعائلة، فالشكل الاستقلالي والديمقراطي الذي تحلت به العائلة الجزائرية المعاصرة سمح ببروز مفردات ومفاهيم كانت بالأمس القريب بمثابة الممنوع والمحرم الخوض في غمارها، ويتعلق الأمر باختيار الشريك المناسب والحب وكذا الجنس، كما نلاحظ اهتمام العائلات بكل ما له علاقة بالشكل والمظهر الذي يساعدها للرقي إلى الحداثة والمعاصرة كشراء السيارات واللباس والسكنات في حين تغاضت عن التنشئة الاجتماعية والدينية لأفرادها، كلها عوامل جعلت من نسيج العائلة المعاصرة هزيلا وهشا لكثرة " النزاعات الفردية الاستقلالية وانعدام العواطف الأسرية ".[2]

خ/- العناية بالجانب المعنوي للأسرة وأفرادها وذلك بالعمل على تخصيص وقت لزيارة المناطق الأثرية ومدينة الألعاب الترفيهية ودور السينما ومختلف التظاهرات والمهرجانات الثقافية وكذا الحدائق العامة لأن في كل هذا تعبير عن الحياة الحديثة المعاصرة.

ما يمكن قوله في كل ما سبق أن العائلة الجزائرية وكغيرها من المجتمعات الأخرى عرفت تغيرات وتطورات ثقافية واجتماعية واقتصادية مست كل مناحي الحياة، كانت بمثابة تحول واضح من النمط التقليدي ذو السيطرة الأبوية والرابط القرابي الدموي بين أفراده، إلى نمط حديث معاصر يحمل في طياته تغير في

---

[1] نادية عيشور. بنية الروابط الاجتماعية في الاسرة الحداثية. مقاربة غربية-اسلامية. جامعة سطيف. ورقة بحثية ضمن فعاليات الملتقى الوطني الرابع لقسم علم الاجتماع. كلية العلوم الانسانية والاجتماعية .جامعة الجزائر.6-7 نوفمبر 2006.ص 121

[2] محمد اسماعيل قباري. **علم الاجتماع الحضري ومشكلا التجهيز والتغيير والتنمية** . نشأة المعارف. الاسكندرية.1985.ص 228

شكل العائلة من أسرة ممتدة إلى أسرة نووية تحكم أفرادها الاستقلالية والحرية في التصرف وبعد تطرقنا لنموذج العائلة الجزائرية بين التقليدية والمعاصرة يمكن حصر خصائص كلتيهما في الجدول الآتي :

الجدول رقم 06: يبين خصائص العائلة التقليدية و المعاصرة

العائلة التقليدية	العائلة المعاصرة الحديثة
مبدأ التعاون الاقتصادي	مبدأ الاستقلالية الاقتصادية
السلطة الأبوية	مبدأ الشورى والمشاركة بين الأفراد
حجم العائلة كبير	حجم العائلة صغير
السكن في البيت الواحد	الانفرادية في السكن
المرأة لا وجودها لها ولا لرأيها بوجود الأب أو الزوج	المرأة شريك أساسي في الحياة الاجتماعية رفقة الرجل
تتمركز أكثر في المجتمعات الريفية التقليدية	تتمركز في المدن الحضارية والمجتمعات الحديثة
قائمة على رباطة الدم فيما بينها	قائمة على المصاهرة والزواج

يتضح لنا من خلال الجدول أعلاه أن الاختلاف بين العائلتين التقليدية والمعاصرة شمل جميع مناحي الحياة، بداية من الشق الاقتصادي والذي كان أساسه التعاون الأسري، أصبحت الأسر اليوم تسير وفق مبدأ الاستقلالية الاقتصادية مع غياب سلطة الأب في العائلة التقليدية وتعويضها بالمشاركة الأسرية والشورى فيما بين أفرادها، غير أننا ما نراه اليوم بغياب السلطة الأبوية هو التشتت داخل أفراد الأسرة وعدم سيطرت الأهل على أبنائهم لأنه بغياب سلطة هذا الاخير، كما أثر في ذلك أيضا الاستقلالية في السكن حيث أضعف وحدة العائلة فالأفراد الذين ينشؤون ضمن عائلة واحدة تكن لديهم تشبع عاطفي واحترام دائم للعادات والممارسات داخل هذا الحيز في حين الأفراد من العائلة المعاصرة ذوي الانفرادية السكنية تجدوهم في جفاء عاطفي لا يحبذون كثيرا المناسبات التي تربطهم بالعائلة الكبيرة، غير أن العائلة المعاصرة أعطت للمرأة حقها من حيث إثبات وجودها والإدلاء برأيها ومشاركة الحياة الاجتماعية رفقة أخيها الرجل في حين كانت مكبلة الفكر بوجود الرجل، كما تغيرت الوجهة السكنية للعائلة اليوم نحو المدينة بحثا عن التطور وبنت

علاقاتها على المصاهرة والزواج بينما كانت قديما تبنى على رابطة الدم وفي نظرهم تجنبا للمشاكل العائلية والأمراض التي كون نتيجة زواج القرابة كإعاقة الأبناء مثلا.

4-3- العائلة القسنطينية :

كانت قسنطينة تركيبة سكانية مختلطة من خلال ما تعاقبت عليه المدينة من حضارات شكل ذلك تأثيرا واضحا على المستوى الثقافي لها.

وحتى نتمكن من فهم حاضر مدينة قسنطينة العريقة بخصوصياتها الثقافية والتاريخية توجب أن نعود أدراجنا إلى ماضيها وما شملها من أحداث، كانت كفيلة بترك تغيرات في شتى المجالات والميادين الاجتماعية منها والثقافية والسياسية رسمت صورة لحاضر المدينة التي هي عليه اليوم.

يؤكد **"أحمد مريوش"** أن " أغلب المصادر التي تحدثت عن مدينة قسنطينة أن تركيبتها السكانية قديما (1518م-1830م) كانت عبارة عن خليط من قوميات عديدة فنجد بعض العائلات العريقة ويعرفون بالبلدية أو" الحضر العريقين في التمدن"[1]، هذا المزيج أسفر عن ألقاب عائلية التصقت بها صفة البلدية أو الحضر كما جاء على لسان الأستاذ **"مريوش"** كعائلة بن لفقون، إبن باديس، بن نعمون، بن جلول باشتارزي وعائلة بن قانة.

كما دخل مدينة الصخر العتيق عدة أجناس كالأمازيغ الوافدون من القبائل الصغرى وبنو ميزاب من الصحراء الجزائرية والشاوية من الأوراس عرفوا جميعهم باسم " **البرانية** " وهم على درجة من المال والجاه فكانوا عائلات برجوازية تمتهن التجارة، وبعدها وطأة أقدام الأندلسيين مدينة العلم والعلماء قادمين من إسبانيا، ثم بقدوم العثمانيين إلى قسنطينة حل بها الأتراك وهم بأغلبية مسلمة ثم انبثق عن وجوده ظهور "**الكراغلة**"

[1] احمد مريوش واخرون. **الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني** .منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة اول نوفمبر 1954م.الجزائر.2007م.ص 27.

وهم رجال الأتراك المتزوجون بالنساء الجزائريات، ومع دخول الاستعمار الفرنسي مدينة قسنطينة ظهرت فئة جديدة من بقايا الجنس الأوروبي المشتت من مختلف أنحاء أوروبا كالفرنسيين والألمان والإيطاليين.

لقد حدثت العديد من التغيرات في مدينة قسنطينة خاصة بتواجد الاستعمار الفرنسي بالجزائر، بداية بسوء الأوضاع الاقتصادية وتعسف الفرنسيين الواضح تجاه المسلمين لصالح أقلية متمثلة في مستوطنيهم كما ضاعفت ظاهرة النزوح الريفي نحو المدينة من الأزمة، حيث انتشرت الأحياء القصديرية ظنا منهم أن الحياة في الريف ستضمن لهم لقمة العيش والحياة الكريمة، وبعد الاستقلال وخروج فرنسا من الجزائر لاحظنا اختفاء الجنس الأوروبي بنهاية الاستعمار لقسنطينة.

وسنعرج إلى معرفة من سكن مدينة قسنطينة قديما، نظرا للتعاقب الحضاري عليها وتمازج الثقافات بها والذي سيترتب عنه مما لا شك فيه تغيرا ثقافيا وسياسيا واقتصاديا واجتماعيا وتاريخيا، ويمكن حصر ساكنيها قديما حسب ما جاءت به قلة الكتب والمعطيات حول تاريخ المدينة بداية بالعرب، والأتراك.

4-3-1- العرب :

"وهم بدو يسكنون الخيم، ثروتهم الوحيدة امتلاكهم للماشية ، والعرب ينقسمون إلى عرب وشاوية ولهم عادات واحدة ولا يختلفون إلا في اللغة حيث يتكلم الشاوية لغة خاصة لا تشبه لغات العرب الأخرين"[1].

كما عرفوا على أنهم عبارة عن مجموعات يحكمها " قائد يعرف بشيخ الدوار"[2]، أما من ناحية الفضاء السكني الخاص بهم فهم أناس "يسكنون السهول والأراضي المنخفضة مهنتهم الفلاحة ومسكنهم تحت

[1] يمينة سعودي، **الحياة الادبية في قسنطينة**. بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في الأدب الجزائري القديم. كلية الآداب واللغات. قسم اللغة العربية وآدابها. جامعة الإخوة منتوري – قسنطينة.2005-2006.ص 40

[2] ناصر الدين سعيدوني. **دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر** . و. ك . الجزائر، 1984 ،ص327

الخيام المصنوعة من الوبر و الصوف و شعر الماعز لهم مستقر إلا حيث يجدون المرعى لماشيتهم لباسهم من الصناعة المحلية"[1].

4-3-2-العثمانيون:

كانت فئة متميزة في مدينة قسنطينة، إذ كان أثرهم واضحا في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية "حيث أنهم جاؤوا بأساليب حضرية ووسائل شرقية إلى الجزائر عامة وإلى قسنطينة بوجه خاص من مأكل وملابس ومشارب وألقاب وصنائع وتقاليد، وكل هذه الوسائل أثرت في ثقافة المجتمع القسنطيني "[2].

كما كانت طبقة حاكمة منذ وصولها ألى قسنطينة " بيدهم سلطة البلاد مثل البايات والبشاوات والأغاوات وأعضاء الديوان"[3].

إذ أن استقرارهم منذ البداية في المدينة والأوساط الحضرية وبعدها عن الأرياف والقرى يوحي بإستراتيجية كبيرة مخطط لها من قبل الأتراك في السيادة والسيطرة وتمركز سلطتها خاصة من الناحية العسكرية، فقد كانت " تؤسس فرق الجيش كالفرقة الانكشارية حيث كان الانتساب إليها طريق للسيطرة والحصول على المال "[4].

وعرفت أستاذة التاريخ " **فاطمة الزهراء قشي"** هذه الفرقة بأنها " فرق متفوقة في فنون الحرب وتتكون فرقهم من وحدات تابعة للباشا أو لداي مدينة الجزائر"[5].

---

[1] خوجة حمدان بن عثمان. **المرأة**. تق. تعل. تح. محمد العربي الزبيري . المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية. سلسلة التراث. رغاية . الجزائر.2006. ص 31-32

[2] ابوالقاسم سعد الله. **تاريخ الجزائر الثقافي من القران العاشر الى الرابع عشر هجري**. المؤسسة الوطنية للكتاب.ج1.ط2. 1985.ص 143

[3] أبو القاسم سعد الله. **تاريخ الجزائر الثقافي** ،ط1، ج1، دار الغرب الاسلامي ،بيروت ،1998 م ،ص 153

[4] سعيدوني ناصر الدين، مرجع سابق. ص .328

[5] قشي فاطمة الزهراء: **قسنطينة مدينة وموروثات**، مر. عياش سلمان، ميديا بلوس، قسنطينة، 2009 ،ص 51.

وبمجيء الأتراك إلى قسنطينة ودخولهم الحياة الاجتماعية الخاصة بالمدينة استطاع المسلمون العثمانيون أن يصاهروا القسنطينيين (البلدية منهم) حيث " تزوج الكثير من بنات الأسر البلدية القسنطينية وطبعوها بالطابع المدني الشرقي الراقي، ونتج عن ذلك طبقة من البلدية جمعت بين الطابعين الحضاري العربي والتركي وهم (الكراغلة) *[1].

4-3-3- اليهود

كانت هذه الفئة إبان التواجد العثماني تخضع " لقائد يعرف بالمقدم أثناء حكم البايات وقد خص لهم "صالح باي" منطقة (الشارع)، وهي تقع ما بين القنطرة وحافة الهاوية، فبنوا فيها منازلهم ودكاكينهم"[2].

أما عن ممارساتهم العقائدية والدينية، فيؤكد الكاتب والقنصل الأمريكي بالجزائر **"شارل ويليام"** أنهم "يتمتعون بحرية تامة في ممارسة معتقداتهم الدينية، وهم يخضعون لقوانينهم الدينية في أحوالهم الشخصية".[3]

فيما يقر الرحالة الألماني " **شلوصر** " أن "عدد اليهود في مدينة قسنطينة عام 1833 قدر ب 9 ألاف نسمة"[4]، كما تمثلت نشاطاتهم في الخياطة والصناعة والتجارة حسب ذات المصدر، قد اندمجوا في الحياة عموما "وما كان يميزهم عن غيرهم من السكان سوى ملابسهم ذات اللون القاتم، وامتناعهم عن ركوب الخيل و حمل السلاح والالتزام بدفع الضريبة (ضريبة الرأس الجزية) "[5].

---

[1] ناصر سعيدوني. **مذكرة حول اقليم قسنطينة**. مجلة الاصالة . العدد 70-71. ص ص 14-15.

*الكراغلة : مفردها كرغلي نتيجة المصاهرة بين النساء الجزائريات والرجال الاتراك , وهم ابناء العبيد من ام جزائرية واب تركي ويعتبرون من فئة الحضر الذين كانوا من الدرجة الثانية من السلم الاجتماعي خلال الحكم العثماني , هم اتباع لأحمد باي وحماته. انظر أبو القاسم سعد الله. تاريخ الجزائر الثقافي ،ط1، ج1، دار الغرب الاسلامي ،بيروت ،1998 م ،ص 11

[2] جميلة معاشي. مرجع سابق . ص 192

[3] شالر وليام. **مذكرات وليام شالر. قنصل امريكا في الجزائر(1816-1824)**.تع. تعل. تق. اسماعيل العربي .ش. و. ن. ت الجزائر.1982.ص89.

[4] فندلين شلوصر .مرجع سابق. ص 56.

[5] ناصر الدين سعيدوني. **الشيخ المهدي البو عبدلي. الجزائر في تاريخ العهد العثماني** .م.و.ك. الجزائر.1984.ص 103

4-3-4- الاندلسيين :

"بعد التمادي والتنكيل الواضح من الإسبان تجاه الأندلسيين وقرار الطرد الصادر بحقهم عام (1018هـ-1609م) "[1]، كانت قسنطينة اختيارا لهم فهم بحاجة إلى الاستقرار فقصدوا الأمن والأمان آنذاك و" بالنظر لبروز سمعة مدينة قسنطينة الطيبة مند القدم ".[2]

فكانت قسنطينة ولا تزال ملاذ الكثيرين على لسان أهلها (قسمطينة حبيبة الزوالي)* فمنذ القدم عرفت بأمنها وثرائها وتنوع خيراتها جعلها مقصدا لكل الفئات الاجتماعية والتركيبات البشرية المختلفة، وبعد استقرارهم حافظ الأندلسيون كثيرا على طابعهم الثقافي وموروثهم من عادات وتقاليد دينية، منها ما تعلق باللباس" والأطعمة والحلويات التي تميزت بذوق أندلسي وطابع تركي حافظت عليه العائلات الجزائرية وبما فيها العائلات القسنطينية "[3].

ليس هذا فحسب بل اشتهر الأندلسيون " بمظاهر احتفالاتهم المتميزة بالأعياد والمواسم الدينية حيث كانوا يحرصون على ترديد الأناشيد والمدائح الدينية"[4]، كما عرف على الأندلسيين أنهم أناس طيبون مسالمون لا يحبون الاختلاط بالغير محافظين على عاداتهم وأعرافهم .

إضافة إلى أن وجودهم بمدينة قسنطينة في ذلك الوقت أضفى عليها طابع الازدهار والرقي الاقتصادي خاصة " على المجال الاقتصادي وأيضا الثقافي، فارتقت بوجودهم العمارة والطب والموسيقى

---

[1] رفيق شلابي. **التأثير الاقتصادي الاندلسي في مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني** .مجلة مدرات للعلوم الاجتماعية والإنسانية تصدر عن المركز الجامعي- غليزان- الجزائر. العدد04.ماي 2021.ص 207-221

*-المعنى : ويقصد هنا ان مدينة قسنطينة مدينة خير وكرم وجود وبإمكان الفقراء وضعفاء الدخل العيش فيها بسلام ومأمن

[2] سعد الله فوزي، الشتات الأندلسي في الجزائر والعالم، ج2. دار قرطبة، 2016م، ص 257

[3] ناصر الدين سعيدوني ، **دراسات أندلسية مظاهر التأثير الايبيري والوجود الأندلسي بالجزائر**، ط1 ،دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003م، ص 58

[4] المرجع نفسه

والزراعة، والصنائع والحرف والتجارة والخط والوراقة، بالرغم من أنهم لم يكونوا منتشرين بكثرة في قسنطينة، إلا أن تأثيرهم على الحياة الثقافية كان كبيرا، لأن الأندلس كانت أكثر تطورا في هذا المجال من الجزائر"[1].

فالجالية الأندلسية التي حلت بالجزائر عامة ومدينة قسنطينة على وجه الخصوص كانت طبقة متميزة بثقافتها ومحافظة على موروثها وممارساتها الثقافية، كما أنهم على دراية وبراعة فائقة تجلت في ميادين عديدة كفن العمارة والموسيقى وطرق أبواب الحرف والمهن والصنائع " حيث وجد بالمدينة عدد كبير من أصحاب الحرف، لا سيما الحدادون بالإضافة إلى النحاسين والنجارين الماهرين والخياطين الماهرين"[2] هذا التميز والتنوع لديها كان له الأثر في عادات وتقاليد أهل مدينة الصخر العتيق.

فالحياة الاجتماعية في قسنطينة سابقا شهدت تركيبة سكانية مختلطة بين عرب وأتراك وأندلسيين ويهود ، فمن فئة العرب لم يعد طابعها البدوي موجودة بالمدينة، فقسنطينة اليوم كلها عمارات وأبنية شاهقة.

وعن فئة العثمانيين الذي سكنوا مدينة قسنطينة، فقد جاؤوا مصحوبين بأساليب جديدة في جميع مناحي الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية، كما عمدوا إلى الارتباط الوثيق أكثر بالمدينة عن طريق المصاهرة، ونتج عنها ما يعرف بالكراغلة.

أما فئة اليهود فلم تعد متواجدة اليوم إلا أنها وعلى لسان الكثير من حرفيين لا زالوا يعشقون النحاس ويفضلونه عن كل المشغولات النحاسية المتواجدة بالعالم حسب ذات المصدر.

وعن فئة الأندلسيين الذي سكنوا مدينة الصخر العتيق يعرف وجودها بالإيجابي حسب ما جاءت به المصادر، فقد أضفى الأندلسيون طابع الحضارة والثقافة والتمدن والرقي في شتى المجالات منها العمارة الإسلامية فمازالت بعض الزخارف والنقشات محفورة في مساجد المدينة إلى اليوم.

---

[1] ابو القاسم سعد الله. مرجع سابق .ص 56.

[2] سعد الله فوزي. مرجع سابق. ص 112

وبعد الاستقلال جاءت موجة من النزوح الريفي لتصيب مدينة قسنطينة كباقي ولايات الوطن فاختلطت تركيبتها هذه المرة و لكن ليست فئات جديدة بل هي من داخل القطر الوطني أمثال السكيكديين والجيجليين عرفت هذه الفئة ب" البرانية ".

4-3-5- البرانية :

يطلق مصطلح (البراني) على كل شخص غريب عن المكان فلا يتسم بعاداتهم ولا يلبس لباسهم ولا يتصف بصفاتهم، وتكون هجرة البراني دائما من مناطق أقل تحضرا ورقيا تقل فيها أساليب العيش الكريم سوآء من الأرياف أو مدن صغيرة، التي لا تتوفر على مستوى المدن الكبرى وأقل ما يرجوه البراني هو كسب وظيفة أو أي عمل يوفر من خلاله لقمة عيشه" وفئة البرانية تتألف من مجموعات سكانية هاجرت من الأرياف إلى المدن الصغرى للإقامة والعمل، وقد فرض عليها الوضع الاجتماعي ونوعية النشاط الاقتصادي في المدن، أن تنتظم حسب أصولها الجهوية ومواطنها الأولى فهناك البساكرة ، والجيجليون والميزابيون والقبائل وغيرهم ".[1]

غير أن مدينة قسنطينة اليوم تطلق على أبنائها الذين تجاوز وجودهم بها عقودا من الزمن ويتحدثون اللهجة القسنطينية القحة **" بالبلدية "**، فمن هم يا ترى البلدية ولماذا عرفوا بهذا الاسم ؟

فالبلدية إذا هم عائلات حضرية تشكل مجموعات سكانية تسكن مدينة قسنطينة ذات أصول إسلامية حيث تزوجوا واستقروا فيها، وكانت هذه العائلات تتسم بمميزات سوسيو- ثقافية عملت عليها منذ سنين خلت، وكان اجتهادها واضحا في الحفاظ على ممارساتها ونقلها لمن هم من نسلهم فكانت لهم المكانة التي صنعوها لأنفسهم في المجتمع القسنطيني إلى حد يومنا هذا .

يستطيع أي شخص غريب عن قسنطينة أي يلاحظ الفرق بين أهلها ولن يطول به الأمر لمعرفة البلدي وتفريقه عن غيره، لما يتمتع به هذا الأخير من مميزات حيث يجد فيه ذلك الشخص المهتم أكثر من

[1] سعد الله فوزي. مرجع سابق. ص 113

اللزوم بهندامه لا شكلا وإنما نظافة، فالعائلة القسنطينية البلدية أولى اهتماماتهم هي النظافة سواء في البيت أو السيارة أو مكان العمل أو غيرها، من أماكن يستطيع أن يكون فيه البلدي ليبرز هذه الصفة لدرجة المبالغة بعض الشيء، كما تحاول العائلات البلدية دائما التفاخر والتباهي لا سيما في الأعياد والمناسبات، فمثلا في عيد الفطر لن تدخل بيت عائلة قسنطينية بلدية إلا ووجدت الحلويات التقليدية المشهورة بالمنطقة كالمقروض والبقلاوة والقطايف وكلها من عسل طبيعي حر، ضف إلى السينية النحاسية التي وضعت بها أطباق الحلويات والفناجين والسكرية النحاسية وحامل الملاعق والمناديل وسحون الحلويات والمرش به ماء ورد مقطر من القطار، كلها ذات صنع نحاسي حيث تقول إحدى المبحوثات من البلديات" **والله يا بنتي انا كون منشوفش سينيتي متولة من كل خير وميعناتي بالنحاس وريحة الزهر والورد مقطر تفحفح والله ما هو عيد عندي** "* ، كما تتولى العائلة البلدية تقطير الورد في القطار النحاسي وهذا باب أخر للتفاخر فقد تبعهم هذا الطبع في كل مجالات الحياة كنمط الغذاء (فهم يشتهرون بأنواع كثيرة منها المحور والمشلوش والشخشوخة وغيرها)** ، والنطق السليم للهجتهم (فالبلدي القسنطيني له كلمات يتميز بها عن غيره مثلا

*معناه : ان لم اجد سينية محضرة بشكل لائق بوجود الاواني النحاسية ورائحة الورد تعطر المكان لا يمكن أن لأعتبر ذلك عيدا.

**هي جملة أطباق تقليدية عرفت بها العائلة القسنطينية وإلى يومنا هذا فالمحور هو أكلة تقليدية لا زالت ليومنا هذا تحضر في البيوت القسنطينية البلدية على وجه الخصوص حيث ارتبط وجوده بالمناسبات السعيدة خاصة المتعلقة بالزفاف من جهة أهل العريس أما عن تكوينه فهو كسكس ناعم يسقى بمرق أبيض حيث يحضر المرق بلحم من رقبة الظان المعروف بالكرومة مع إضافة السمن والبصل والتوابل كما تحضر كريات لحم مفروم لتقدم مع الطبق .

–أما المشلوش : هو طبق تقليدي يقدم عادة بعد القهوة في إحدى مراحل العرس وهي الجرية, ويتكون من عجين يشكل على شكل دوائر ذات سمك رقيق جدا ويطهى على نار هادئة كي يكتسب اللون الذهبي ثم يقطع على شكل أشراط طويلة ورقيقة ثم يضاف إليه مزيج العسل وماء الورد والزبدة ليزين في الأخير بالمكسرات (الجوز فقط).

قوله البيدون (وهو الدلو)، وين جيتي (وتقال للسؤال عن أحوال الشخص أي كيف حالك)، تفحفح (كناية عن الرائحة الطيبة والزكية التي تفوح).

أما الجانب الموسيقي للبلدية فقد تبنو طابع المالوف وكل ماله علاقة به ظنا منهم أن القسنطيني البلدي هو من يميل إلى هذا النوع من الفن وأن أذنه ذواقة أكثر من غيره، وأن كل من يسير وفق منهجهم و يتطبع بسلوكاتهم وممارساتهم الثقافية ذات الرموز والدلالات لتشكل فيما بعد أسلوب حياتهم وطريقها يكون حينئذ بلدي قسنطيني بالإضافة إلى إقامته بوسط المدينة، وكانت أغنية المالوف المشهورة في قسنطينة " باسم الله نبدا كلامي قسنطينة هيا غرامي " للفنان **"زين الدين بوشعالة"** وهو ابن الأخت التوأم للمرحوم الشيخ **"محمد الطاهر الفرقاني** "عميد أغنية المالوف"، حيث كانت الأغنية وصفا شاملا لكل السمات والممارسات الثقافية لأهل قسنطينة (البلدية)، فكانت نصرا في نظرهم يؤكد تميزهم مرة أخرى على باقي القسنطنيين، فلطالما كان سعيهم ولا زال لحد الساعة لإثبات أن كل ما يتسم بالرقي والتطور والحضارة يعود أصل بلدي قسنطيني أبا عن جد.

–الشخشوخة :المعروف في قسنطينة إن هذا الطبق كان يقدم في الزردة(وهي طقس من الطقوس للتقرب من كل ما هو مقدس بمختلف أشكاله خاصة أولياء الله الصالحين فتقدم الذبائح والقرابين وتترك على مزارات الأولياء اعتقادا منهم أن هذا الولي سيساعدهم في حل مشكلاتهم كالعقم وتسهيل الرزق ونجاح الابناء وغيرها)ثم انتقل الطبق إلى الأعراس والمناسبات السعيدة كالختان والزواج وليلة السابع والعشرون من رمضان وكذا أول محرم والمولد النبوي , فالشخشوخة هي عجينة تحضر مسبقا وتطهى في طاجين الكسرة المعروف في قسنطينة (بطاجين بوحبة كناية عن الثقوب المتواجدة به) ثم تقطع صغيرة وتترك لتجف ثم يحضر مرقها الاحمر بخليط من اللحم والدجاج والزبدة والتوابل والبصل والحمص والطماطم بنوعيها والخضروات (جزر وكوسة) ثم تطبخ الشخشوخة فوق إناء (البرمة والكسكاس) حتى تطهى العجينة وتمرق المرق السابق وتقدم مرفوقة باللحم والحمص والدجاج.

يضيف في هذا الصدد الرحالة " **فندلين شلوصر**" أن "حياة البلدية هي حياة راقية كانت مصدر إعجاب الزوار الأجانب أمثال الرحالة البريطاني" **شو**" ومن مميزات البلدي التكبر على البراني الوافد من الريف.

فالبلدية لا يختلطون بالبرانية في السكن ولا في المعاملة اليومية، باعتباره لا يرقى إلى النمط المعيشي الذي يتميز به البلدي، كما كان عادة لا يصاهره لاعتقاده دون مستواه الحضاري، فلم يكن البلدي يلتقي بالبراني إلا في إطار الدين كالصلاة الجماعية والتهنئة أيام الأعياد الدينية ".[1]

يوضح " **شلوصر**" ميزة التكبر لدى البلدي القسنطيني خاصة على من هم قادمون من الأرياف حيث يبتعد عن مخالطتهم في الفضاء السكني وعدم الزواج منهم ولا يتعامل معهم، إذ يرى نفسه أرقى منه وأن أبناء الريف لا يستطيعون أن يجارون حياته ونمط معيشته، فهذا الريفي البراني يبقى فردا مذموما لا تربطه أدنى صلة بالمدينة وأهلها من البلدية إلا في نادرة البعد الديني، فديننا الإسلامي لا يفرق بين الناس فكلهم سواسية عند الله، فالوازع الديني يتغلب على التطبع الذي يطمس البلدي فيتبادل التهاني والمباركات مع أخيه الريفي البراني في صلاة الجماعة والأعياد الدينية فقط.

وحتى يومنا هذا لا تزال تغلب على البلدي القسنطيني الممارسات الثقافية والاجتماعية التي كانت في أهله سابقا فتراه منطويا لا يختلط كثيرا بالناس له من الأصدقاء القلة فقط لا يترك أي مناسبة إلا ويبرز بلديته فيها (كتقطير الورد وإقامة أعراسهم بالمالوف بحضور أعمدة الفن القسنطيني والأطباق التقليدية بأجود المكونات كالعسل الحر بالنسبة للحلويات (خاصة الجوزية)، فقد اشتهرت بها قسنطينة في الآونة الأخيرة ولغلاء ثمنها أصبحت حكرا على البلدية بصفتهم طبقة مازالت محافظة على ثرائها ومكانتها داخل المجتمع القسنطيني.

[1] فندلين شلوصر. مرجع سابق .ص 86

هذا الحصن المنيع الذي أحاط به البلدي نفسه، جعل من الأخرين يخافون الاقتراب سواء من ناحية التعامل فنظافتهم لا زالت حديث اليوم لقول إحدى المبحوثات " **البلدي تعرفيه من بعيد اما بنتي يشعل وحدو محفف ديما قشو نظيف محدد متلقايش وقشة فيه"*** ، يتضح في حديثها عن البلدية حفاظهم الدائم على الظهور بمظهر لائق، أما من جانب المصاهرة والزواج منهم فهو أمر فيه نظر تقول ذات المبحوثة **"شوفي ابنتي انا مندخلش روحي وخير وحدو بصح او علبالو كيفاه عايشين في وسط الدار ما يجيبليش هاشا وباشا يجيبلي وحدة تعرف سولنا "** فهي تقر بأنها لن تتدخل في اختيار شريكة حياته ولا تمانع في ذلك إطلاقا، غير أنها تنوه إلى ضرورة حسن الانتقاء لهذه الزوجة، وأن تكون على دراية بعاداتنا وأعرافنا **(سولنا)** لا أن يكون اختياره عشوائي **(هاشا وباشا)** ويقصد بهذه الكلمة في قسنطينة هو من(**هب ودب)**، بمعنى أن اختيار الزوجة يكون بتريث وتأني و ليس إحضار أي كان.

أما من الجانب الأخر فالشريك البلدي ليس بالاختيار الصائب بالنسبة للفتيات، حتى وإن كنا من داخل قسنطينة غير البلديات فتواصل ذات المبحوثة " **حنا منقربوهم وهوما ميقربونا حاشاك يقولو علينا موسوسين بنظافة وعجايزهم قباح ويتعقرطو بزاف والله منفوخ على بنتي لكان العبد النظيف يخافو منو ناس ويسمى معقرط معرف وين قراوها هادي "*** ، تؤكد هنا أن بلدية قسنطينة لا يزالوا في حفاظ عن بعدهم عن غير البلديين إلا قليلا، متحججة المبحوثة بأمرين إثنين(النظافة وصعوبة العيش مع الحماة) لكن ما نراه اليوم في قسنطينة لا ينفي ما أقرته المبحوثة لكن لا يتجاهل ما يحدث اليوم في المجتمع القسنطيني والبلدي على وجه الخصوص، إذ أصبحت مصاهرتهم خارج نطاق حيزهم في تزايد مستمر حتى من خارج الولاية.

---

* المعنى : أن البلدي القسنطيني انسان متميز بنظافته عن بقية الفئات التي تعيش في قسنطينة سواء في شكله (محفف أي حالق لذقنه وشعره) أما لباسه فلا يوجد به أي بقعة للأوساخ(وقشة).

* المعنى : يقال مصطلح المعقرط او التعقريط في قسنطينة على من يبالغ في بلديته (البلدي بإفراط

يمكن أن نخلص من كل ما سبق إذ اعتبرنا أن قسنطينة عاصمة للشرق الجزائري جعلها محطة للكثيرين وقبلة لكل من له شغف بالعلم والعمل، فقد اختلطت بها التركيبة السكانية من كل المناطق وارتبط بلديتها بغيرهم، فقد صاهروا وتزوجوا من ولايات عدة كميلة وعنابة، ولم يعد زواجهم يقتصر على منهم من مكانتهم أو يتحلون بنفس عاداتهم وتقاليدهم، فبعد الانفتاح الحاصل في جل المجالات لا سيما منها التكنولوجيا لم يعد الفرد الجزائري عموما والقسنطيني على وجه الخصوص بالمحافظ على عرفه وعاداته ولا متمسكا بها إلا القليل، بل بوجود التطور الرهيب أصبح ذوبانه في غيره من الثقافات خطرا محدقا وجب مجابهته والوقوف في وجهه، من خلال إعادة إحياء كل ما له علاقة بموروثنا الثقافي وهويتنا وخصوصيتنا الثقافية، وإعادة الروح لكل عاداتنا وتقاليدنا وممارستها في كل المناسبات المتعلقة بها من احتفالات ومواسم دينية حت يتسنى لنا أن ننقل ما توارثناه عن أبائنا وأجدادنا حفاظا على ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا.

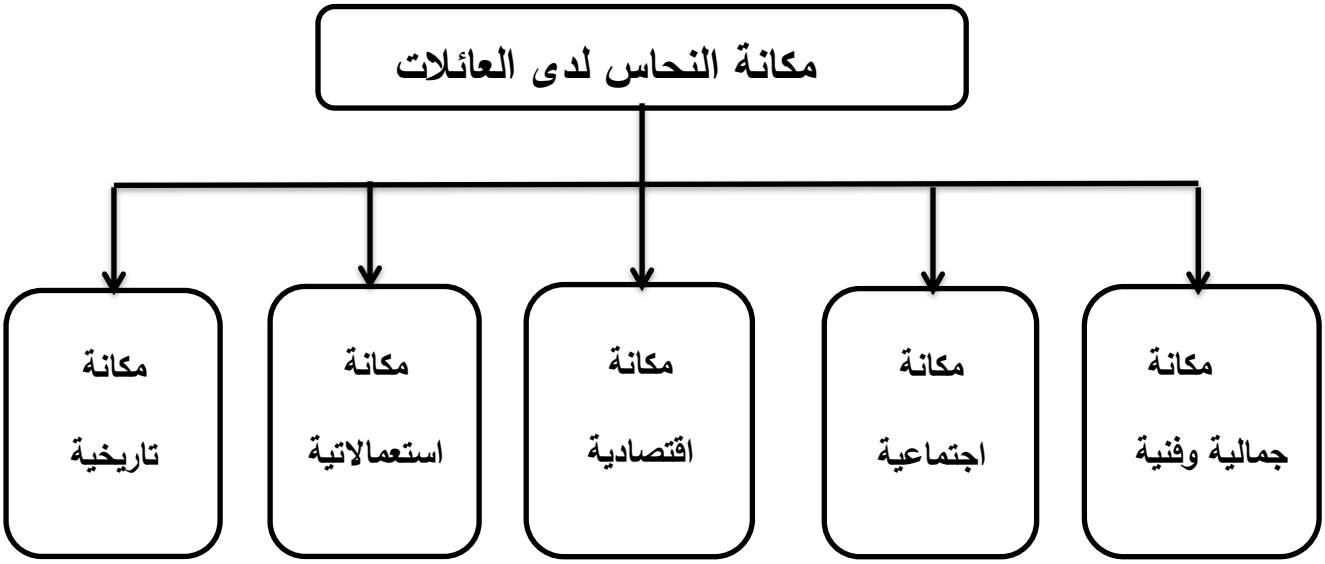
4-4- مكانة النحاس لدى العائلات القسنطينية المعاصرة:

تعتبر صناعة النحاس من أعرق المهن الحرفية التقليدية المتوارثة بين الأجيال والتي اشتهرت بها مدينة الجسور المعلقة فهي حرفة في منتهى الدقة والاتقان، بحيث تجعل من الأدوات النحاسية تحفا فنية قمة فالروعة والإبداع ، فالعائلات القسنطينية لا تتخلى عن هذا العنصر الهام داخل بيوتها هذا ما أكسبه مكانة وقيمة خاصة في قلوبهم إذ أغلبهم يملك أواني نحاسية على اختلاف لونها وشكلها، فهي في نظرهم حرفة الاباء والاجداد وموروث ثقافي حضاري يميز قسنطينة دون غيرها من المناطق فالحفاظ عليه من واجبهم ونقلهم للأجيال أصبح أكثر من ضرورة.

إن هذا المعدن ركيزة أساسية في الحياة اليومية للعائلات القسنطينية وبعدا اقتصاديا وتجاريا للكثير من الحرفيين الذين امتهنوا هذه الحرفة، فمن خلال استعماله تزداد أهميته لدى مستخدمه فالعروس تراه ضروريا في جهازها بغية التفاخر وإبراز مكانته الاجتماعية لها ولعائلتها والسائح يرى فيه هدية تذكارية متميزة، والحرفي يرى فيه إبداعا لأنامله وعشقا حفرته السنين ورزقا لعياله، وهكذا كل حسب حاجته إليه

ولمعرفة مكانة النحاس وقيمته لدى العائلات القسنطينية القديمة والمعاصرة وجب تسليط الضوء على وظيفته من خلال الأدوات والمصنوعات التي تستعملها هذه العائلات.

مخطط رقم02: مخطط يوضح مكانة النحاس لدى العائلات القسنطينية



وبناء على هذا المخطط سنضع قراءة تحليلية له على النحو الأتي :

من خلال هذا المخطط الذي بين أيدينا والمعنون ب" مكانة النحاس لدى العائلات القسنطينية " يتضح لنا جليا أن هذا المعدن متعدد الاستعمالات من قبل العائلات القسنطينية ما زاده مكانة وقيمة كبيرة في أوساطها، فنهم من ترى فيه قيمة فنية من خلال النقوش والزخرفات التي تبدعها أنامل الحرفيين، وأخرى ترى فيه مكانة اجتماعية فهو يعطي العائلة التي تملك المشغولات النحاسية القيمة والنفيسة موضعا متميزا، ومنهم من تجد في النحاس مكانة اقتصادية لا تخرج عن نطاق العرض والطلب والدخل الاقتصادي، بينما ترى فيه عائلات أخرى قيمة استعمالاتية لا مثيل لها فالعديد من القسنطينيات على سبيل المثال يحبذن شرب قهوة المساء والمعروفة في مدينة قسنطينة " بقوة العصر" إلا في صواني نحاسية حتى يستمتعنا بها، أما عائلات أخرى فترى في معدن النحاس وكل التحف المصنوعة منه قيمة و مكانة تاريخية للمدينة.

4-4-1/- مكانة جمالية فنية :

إن الحرف التقليدية الجزائرية والقسنطينية خصوصا تحمل الكثير من المعايير والقيم إجمالية في طياتها فهي غنية بثقافتها وأصالتها، وأينما اتجهت بك الرؤى في أزقة قسنطينة العريقة تجد ورشات الحرفيين كلها فن وإبداع، فبين قندورة القطيفة (الفرقاني) التي تعكس لوحة جمالية ومهنة النحاسة التي تجسد فنا خالصا ورقيا ترسم مدينة الجسور تاريخها وموروثها وتسعى جاهدة للحفاظ عليه.

فالناظر للمشغولات النحاسية القسنطينية يعي جيدا أنها قمة في الإبداع وروعة في الإتقان، فزخرفة القطع والنقش عليها يتطلب الكثير من الأدوات والوسائل المعتمدة بدورها على الخط الزخرفي والرس، فالمتوجب على الحرفيين أن يتقنوا في المقام الأول الخط والرسم مع ضرورة تحليهم بدقة الملاحظة والصبر وتمتعهم بالحس الفني.

فالقيمة الجمالية والفنية للمصنوعات النحاسية تعد السبب الأساسي الذي جعل حرفة النحاس لا تزال إلى اليوم تحافظ على مكانتها رغم مضي السنين، فالإقبال على كل ما هو نحاسي باختلاف ألوانه وأشكاله لم يعرف الركود بعد سوآء من أهل المدينة أو السواح، من خلال قطع نحاسية فنية تعرض كتذكار من البلد الذي قضوا فيه أياما سعيدة .

ولتكتمل الصورة أكثر تضع زنقة النحاسين بقسنطينة أو ما يعرف بحي " باردو" أمهر حرفيها وأتقنهم للمهنة من خلال ما تصنعه أنامله معتمدة على ابتكاراتهم الفنية والإبداعية لمختلف النقوش والزخرفات وما زاد تلك المشغولات النحاسية جمالا هو إصرارهم على تنفيذها بالطرق التقليدية رغم قلتها وكمية التعب المرافق لها، إلا أن في تمسكهم بها ارتباط غريب وعشق غير منتهي، فالرموز التي تنقشها أياديهم ما هي إلا تعبير عن ما بداخلهم وترجمة لكل المشاعر والأحاسيس التي يكنها الحرفيون لهذه المهنة خوفا من اندثارها وزوالها " فقيمة الحرف اليدوية تكمن في الجانب الرمزي والفني لها "[1]، فالحرفي حين يمسك بالقطع النحاسية ويشكلها بإبداعه ومهاراته الفذة يتناسى لبرهة قيمتها الوظيفية وما صنعت لأجله بل يرى فيها محاكاة جمالية

[1] Rees, H. (1997**). Pattern of making: thinking and making in industrial design in the culture of craft**. Manchester University Press.p128

بينها و بينه من خلال رموز ونقوش حطت عليها فصناعته لبرواز يحمل آيات من الذكر الحكيم تجده يرتل تلك الآيات وبصوت عال وهو في بهجة لا توصف وقد لامسنا هذا الشعور في أحد مبحوثينا " **انا كون منقراش الآيات اللي ننقش فيها بصوت عالي منقدرش نكملها خاطر نحس ربي يعطيني قوة تعاوني كنرتلهم** "، فالإحساس والارتباط الوثيق بين القطع وصانعيها لا يختلف فيه إثنين ناهيك عن قوة الإيمان لديهم بأن الله مساعدهم غير أنه يوضح " **ماش كراني ننقش فالآيات برك ربي يعاوني بصح أي واحد يخدم بالحلال وبيدو**" أي أنه لا يردد الآيات بغية أن ينال من الله المساعدة لكن الخالق يبارك في الرزق الحلال والعمل اليدوي ، ويؤكد بهذا الصدد الباحث **"والكر"** أن" الحرف تتجاوز في مفهومها الوظيفة كونها تعتمد بنسبة كبيرة على الجانب الجمالي الفني في إخراج المنتج في علاقة وطيدة بين العمل والشخصية والرمز"[1].

أما مبحوث أخر فيرى في النقوش والزخرفات التي يقوم بها الحرفيون على القطع النحاسية " **رانا نعبر على قسمطينة والتاريخ تاعها في هادو الرسمات**"، حيث يؤكد أن هذه الرسومات لم تكن عبثا فهي هوية المدينة وانتماء أبناءها، كما أنها تعتبر بالنسبة لهم وسيلة من وسائل نقل التاريخ والتأريخ له من خلال تلك النقوش والزخرفات في مختلف المصنوعات النحاسية، ولعل أهم ما اجتمع عليه مبحوثينا أن المميز في الصناعات النحاسية القسنطينية هو نقوشها وزخرفاتها إذ تعكس حسبهم تقاليد وعادات المدينة ومختلف الحضارات والأزمنة التي عايشتها، ومن بين أشهر النقوش التي تداولت لعقود من الزمن هي نقشة " **الزقوقو**"* إذ كانت في الماضي من اطعمة الفقراء غير أنها تحولت غلى دلالة ورمز للرفاهية و الثراء.

كانت ولا تزال الحرف التقليدية من أبرز العناصر الثقافية المصاحبة للإنسان، إذ تعكس مهاراته وقدراته على الخلق والإبداع، كذلك هو الحال مع حرفة النحاس التي تعتبر جزء بارزا في موروث المجتمع القسنطيني وثقافته الجامعة بين الفن والجمال الذي ارتقت إليه أنامل الحرفي، متأثرا بما تعاقب على مدينة

[1] Walker, S. (2012**). The Object of Nightingales: Design Values for a Meaningful Material** Culture. Design and Culture journal, 4(2). Récupéré sur https://doi.org/10.2752/175470812X13281948975459

*–المعنى : الزقوقو هو الثمر الذي تنتجه شجرة الصنوبر

الصخر العتيق من حضارات وثقافات عدة مبرزا ذلك من خلال تحف فنية معبرة عن مكنوناته وحبه للتميز من جرائها، فلم يكتفي الحرفيون بالعشق والتتيم في النقش على المصنوعات النحاسية وإبراز إبداعاتهم وذواتهم من خلالها بل أصبح يرى الكثيرون منهم أن من واجبهم السير قدما و المحافظة على تراث الأجداد التي تبرز هوية القسنطيني من خلالها، فهذا التحدي منهم والمسؤولية الملقاة على عاتقهم تتطلب تظافرا للجهود و تلاحما فيما بينهم حتى تبقى الحرفة عن معزل من الزوال والاندثار.

4-4-2- مكانة اجتماعية (تباهي و تفاخر) :

كانت حرفة النحاس بمدينة قسنطينة ذات إسهام كبير في التعريف بمكانة العديد من العائلات وموقعها التي اشتهرت بممارسة هذه المهنة، ولعل عائلة **"خوجة"** والتي تعتبر من أعرق العائلات في المدينة التي توارث أفرادها هذه الحرفة أبا عن جد، ولا زالت الورشة إلى اليوم تحاكي نضالهم واجتهادهم للحفاظ على قيمة هذا الإرث الثقافي و لحضاري والذي صنع بدوره مكانة اجتماعية لهم لدى العائلات القسنطينية.

فحرص العائلة القسنطينية على اقتناء المنتجات النحاسية يخضع لمبدأين الأول يكمن في الضرورة والثاني يتجسد في التباهي والتفاخر، ففي المبدأ الأول نرى الضرورة ترتبط في شراء أدوات الطبخ ووسائل الاستحمام وكل ما تحتاجه المرأة كمرافق أساسي في البيت، أما الثاني والذي نراه طاغيا بين مبحوثينا إذ يسعى العديد منهم إلى اقتناء القطع النحاسية من طرف أسماء لحرفيين معروفين في قسنطينة على غرار " أمين دريس خوجة أو بودينار" **" انا كنشقى على حاجة نديرها بلساس لاشتا غالية بصح كنقول دارهالي السي دريس ولا بودينار نحسها بقيمتها ".**

حيث أن القيمة الاجتماعية هنا تبرز في الاسم الذي يصنع تلك التحف الفنية، إذ أصبحت المشغولات النحاسية وسيلة واضحة للتمييز بين الأفراد وإبراز مكانتهم الاجتماعية المرموقة، لا سيما بعد العودة الملفتة إلى اللون الأصفر علما أنه بأسعار ليست في المتناول بعض الشيء، إلا أن القسنطينيات لا يقتصرن جهدا في جمع الدراهم لاقتناء سينية أو بلاطو من النحاس الأصفر حتى تحافظ على مكانتها بين

أقرانها وتبدوا دائما مواكبة لأي تطورات حاصلة بالمدينة تقول إحدى مبحوثاتنا **"انا بنتي نافسة هبطت لباردو شريت لبلاطو لكبير تاع النحاس لصفر ما لغري غالي بصح واش ندير اما بنتي جايين حباباتها يباركولها وكاين لجامي دخلت الدار لازم كلش يشعل وميقعدوش يهدوا على بنتي نحي من لحمي وندیرلها".**

الملاحظ أن النحاس يرافق العائلة القسنطينية في أهم المناسبات والأفراح التي تعرفها (ازدياد المولود) إذ أول مكان يتبادر للأذهان هو زنقة النحاسين (باردو) ولا مكان غيره إن كان الهدف متعلق بالمشغولات النحاسية، لأنه مكان يعج بأفخم التحف والقطع النحاسية بأنواعها وبألوانها المختلفة من أباريق وسواني وثريات إلى (بلاطو لكبير) وهو أحد مقتنيات العائلات المعاصرة اليوم خاصة بلونه الأصفر علما أنه يباع بأثمان باهضة نوعا ما ، فمثلا هذا الأخير أقله يعرض بثلاثة ملايين دينار جزائري (30.000دج) فالمبحوثة على دراية بذلك (ما لغري غالي) غير أن صفة التباهي والتفاخر والتي حسبها تجعلها في مكانة ودرجة اجتماعية مرموقة (لازم كلش يشعل وميقعدوش يهدرو على بنتي) توصلها حتى أن تستدين المال لأجل صورة تريد ترسيخها في ذاكرة الحضور (نحي من لحمي وندیرلها).

كما أن الكثيرات ترى في النحاس الأصفر موضة هذه الأيام في قسنطينة وجب إتباعها خاصة في المناسبات والأعياد، إذ لابد أن تتزين مائدة القسنطينية بكل ما هو أصفر لماع من أباريق وصحون وحاملات للملاعق والمناديل وكذا السكرية والمرش **"ياختي ناس كل عادت بنحاس لصفر حتى لمعندهاش عشاها تلقايها شارية"** فمبدأ التقليد هو الذي يسير العائلة القسنطينية المعاصرة بالإضافة إلى التفاخر فالكل يسعى من خلال التمظهر بالمشغولات النحاسية إلى كسب مكانة اجتماعية مرموقة .

بل تعدى الأمر إلى جهاز العروس (الشورة) ، فالعروس القسنطينية التقليدية تصنع من جهازها لوحة فنية رسمها أهلها لتكسب العائلة من خلالها مكانة مرموقة مع أصهارهم، فيتنوع جهازها بين لوازم الاستحمام

(قصعة وكيروانة ومحبس وسطلة) أدوات المطبخ (البرمة والجزوة السني والسينية السكرية والمحبس تاع لقاطو وحامل الملاعق والمناديل والمرش).

غير أن العائلة المعاصرة اليوم لم تفرض رسمها إذ اللوحة كانت من أنامل العروس ذاتها والتي أسقطت الكثير من العادات والتقاليد التي تراها بالية ولا حاجة لها اليوم بوجود الآلات الكهربائية المتنوعة **"ماعندي مندير بيهم كامل سيرتو حوايج تاع لحمام اصلا عدنا تقريبا كل ندوشو فالديار وعندي ماشينا لافي وحتى الحمامات قليل وين نروحوا وحوايج لكوزينة ديت السني والسينية ولاقام تاع القهوة ولباقي بهوة برك لداري"**، إذ تؤكد وبكل أريحية ان لا حاجة لها إطلاقا لكل ما هو نحاسي متعلق بلوازم الاستحمام ، معللة ذلك بعدم الذهاب للحمامات إلا نادرة بوجود حمام في كل المنازل أما عن غسلها للملابس فلا يستحق ذلك جلب القصعة بوجود (ماشينا لافي) ألة الغسيل الكهربائية ثم تنوه إلى ما جلبت معها إلى المطبخ ويتعلق الأمر بالسني والسينية ولوازم القهوة (لاقام تاع لقهوة) غير ذلك فكله لأجل الزينة لا غير.

فالمكانة الاجتماعية التي تصنعها المنتوجات النحاسية في مدينة قسنطينة لا تزيد عن كونها أبواب للتفاخر والتباهي ووسيلة لاكتساب مكانة مرموقة وجلب الأنظار والوسط الاجتماعي الذي تنتمي اليه، خاصة أن التحف النحاسية لازالت باهضة الثمن أي أن اقتناءها وتغييرها في كل مناسبة اجتماعية أو دينية لا يمكن أن يكون إلا في متناول ميسوري الحال .

4-4-3- مكانة اقتصادية :

إن سيطرت العوامل الاقتصادية على الحياة الاجتماعية للأفراد، جعل الكثير من الحرفيين يستغلون مهاراتهم وفنياتهم في إبداع تحف ومشغولات نحاسية جديدة بغية رفع مستوى الدخل المادي لديهم عن طريق كسب زبائن جدد الأمر الذي قد يبعد صبغة المادية عن الحرفة، وأن لا تتخلى عن قيمتها كإرث ثقافي متأصل بداخل المجتمع القسنطيني، حيث رسمت الحرفة خطوات ثابتة نحو بناء اقتصادي يساهم في عجلة التنمية والاقتصاد المحلي والوطني ومنعشا للسير السياحي والتجاري ومجالا خصبا لتوفير مناصب

الشغل والدخل الثابت الذي يحقق الاستقرار المادي الذي يسعى إليه الحرفيين كلهم، كما تبرز جهود الدولة واضحة للنهوض بالحرف والصناعات اليدوية لتحقق من خلالها تنوعا ثقافيا واقتصاديا.

غير أن الملاحظ على حرفة صناعة النحاس في قسنطينة هو صراعها المستميت من أجل الاستمرارية ومواكبة التكنولوجيا والعصرنة التي تهددها من كل جانب، فالمنتوجات البديلة للمشغولات النحاسية تغزو وبشكل ملفت الاسواق الجزائرية، منها ما هو مصنوع من الزجاج وآخر من البلاستيك استطاعت وبأسعار تنافسية يقول احد مبحوثينا**"الشاري كل يحب لقديم وتاع بكري بصح يهرب من لبري ومدام يلقا حاجة تشبهلها فالسوق ورخيسة او ميدورش جيهتك "** في تأكيد منه أن الزبون القسنطيني على دراية بقيمة المنتوج الأصيل والتقليدي، غير أن ما يبعده هو أسعاره المرتفعة بعض الشيء (يهرب من لبري) ضف إلى أن له اختيارات عديدة في اقتناء شبيه المنتوج الأصلي وبأسعار زهيدة (تشبهلها فالسوق) حيث أنها تلبي حاجياته وتجعله لا يفكر في زيارة المحلات مرة أخرى (ميدورش جيهتك).

لكن الناس أذواق وكل حسب مقدرته واستطاعته فإن تعذر على البعض شراء المنتجات النحاسية فان الكثيرين لديهم هوس وعشق لكل ما هو تقليدي وأصيل يضيف مبحوثنا **" ناس كل واحد ودراهمو كاين لمعندوش بصح يخبي ويشري حاجة مليحة وكاين اللي الله يبارك لباس عليه تلقاه يشري ومتبع لجديد تاع النحاس من كلش السينيات الكادرات الفيوزات"**، فرغم غلاء تكلفة اقتناء التحف النحاسية القسنطينية في الآونة الاخيرة إلا أن الكثيرين لا يتوانون عن شراء بعض المشغولات على تنوعها (السينيات والكادرات والفيوزات) ويضيف ان عشق القسنطيني للنحاس يجعله يدخر في بعض الأحيان ليشتري ما في خاطره من قطع نحاسية (يخبي ويشري حاجة مليحة).

فعملية البيع والشراء ورغم ما يكتنفها من عوامل وأسباب قاهرة متعلقة بالمادة الأولية والأسعار المتاحة بين الزبون التاجر، غير أنها تدخل في إحياء القطاع الاقتصادي والمساهمة في تحريك عجلة التنمية

الوطنية والمحلية وتساهم في الدخل العام، كما انها تشارك في تنشيط العمل السياحي، فمكانة حرفة النحاس اقتصاديا كغيرها من الحرف قوة فاعلة وعامل مؤثر على المستوى الوطني والمحلي.

4-4-5/- مكانة استعمالاتية :

أهمية الشيء تعود إلى مكانته ودوره الذي يقوم به ويستفيد الفرد من خلاله، فالمنتوجات النحاسية لها قيمة كبيرة منذ القديم، وقد اكتسبت هذه المكانة من تميز الحرفي في صناعتها بإتقان وروعة لافتة، ولما يحمله هذا المعدن في طياته باعتباره أفضل المعادن للطهو من الناحية الصحية خاصة لونه الأحمر الذي يستعمل في صناعة الدلاء والقدور الكبيرة والأباريق الخاصة بالشاي وجزوات القهوة وأواني التقطير، أما لونه الأصفر الجذاب فعادة ما يخصص لتحف الزينة والديكورات ويمكن تمييز المشغولات النحاسية لدى العائلات القسنطينية من خلال حاجياتها لكل واحدة منها.

أ/- الحاجة إلى الزينة والديكور:

يزداد تعلق العائلات القسنطينية يوما بعد يوم بكل ما هو نحاسي ذو لون أصفر لامع فبعد ركود الحرفة ولسنوات خلت، ها هي تنتعش وتزدهر من جديد والسبب هو إقبال أهل المدينة ومن جاورها على المصنوعات النحاسية والمتعلقة خصوصا بزينة البيوت وديكورات قاعات الإستقبال، وكانت أهم مقتنياتهم عبارة عن ثريات وفازات ومزهريات لزوايا المنازل وساعات حائطية ومبخرات وبراويز للصور مرايا بمختلف الأحجام شمعدان مدافع مختلف الحيوانات الأليفة كالأحصنة والأرانب والعصافير والجمال وكذا هواتف قديمة وسيارات ودراجات وكل ما أمكنه جلب عين الضيف لتلك العائلات التي اختارت أن تضفي طابع العراقة والأصالة على بيوتها فيما فضلت إحدى مبحوثاتنا جعل ركن من منزلها على هيئة متحف فيه من التحف والمصنوعات النحاسية ما يعطيها نفسا طيبا وطاقة ايجابية كلما سكنت إلى تلك الزاوية من بيتها فهي ملاذها الأمن وراحتها النفسية **"تحب نبقى نتفرج وفنيجل القهيوة في يدي دنيا وما فيها"**.

كما أعرب جل الحرفيين بحي النحاسين "باردو" أن الإقبال والحركية ظاهرة على غير العادة إذ نلمس الفرق بين الأمس واليوم خاصة على النحاس الأصفر الذي أصبح موضة في البيوت القسنطينية **" لالا لباس عدنا نحركو وكاينة الحراكة خير من بكري ".**

أما عن ما يقتنيه الزبون فالإضافة لكل ما سبق أصبحت للحرفة زبائن من نوع خاص فمنهم من يقتني مقابض نحاسية خاصة بالأبواب سوآء للمنازل أو للنزل و الفنادق الكبرى، كما يقتني الزبون المآذن والصوامع للمساجد أما أخرون فيقتنون أغلفة نحاسية لأبواب بأكملها، بالإضافة إلى أنية تقطير الورد.

ب/- الحاجة إلى أواني منزلية :

بعد الإسقاطات المتتالية لجل لوازم الحمام تقريبا لم تعد تكترث العروس القسنطينية المعاصرة بمثيلاتها من النسوة التقليديات اللواتي كنا يرفقن جهازهن(الشورة) بمصنوعات نحاسية خاصة بطقس الاستحمام كالطاسة والقصعة والكيروانة حيث تخلت عنها بالكامل، لكن ما يفرض نفسه بجهازها اليوم هو لوازم المطبخ على اختلاف ألوانها ومقدرة كل عروس، إلا أن الاجتهاد واضح لدى الكثيرات منهم في سعي على أن تكتمل صورة أغراضها بالنحاسيات التي تعطي منظرا ومكانة لهم **"انا كيديت شورتي بقاو حالين فمهم بعدا في لميعنات تاع النحاس لبلاطو وبورط كويار وسارفيات وسحونة بغطاواتهم وبكل صفر يبرقو"** في حديث الواثقة عبرت المبحوثة عن اعتزازها بلوازمها النحاسية ذات اللون الأصفر البراق (صفر يبرقو) التي صاحبتها إلى بيت زوجها مع اندهاش وإعجاب شديدين من أهله .

أما عن المصنوعات النحاسية المصاحبة لطقس الحنة فلم يعد الكثير يبالي بأهمية الطبق الذي تحضر فيه الحناء ولا **" الركايز والحسكات"*** ، إلا القليل من العائلات لم ترى في هذه القطعة أهمية

*-المعنى : الركايز: وهي حاملات الشموع قديما والتي تباع مرفقة بأخرى أي (بالزويجة) وهي تباع في شكلها البسيط دون إضافات ما عدى ما لاحظناه في طريقة إصعاد وإنزال الشمع منها أما الحسكات : ويكون برؤوس متعددة ويرتبط بالاستعمالات اليومية والاحتفالات الدينية كالمولد النبوي الشريف وغيرها.

بالنسبة للعائلات لها اليوم، إذ تأكد إحدى مبحوثاتنا بخصوص حاملات الشموع **" بكري كانوا شمعات يتحطوا فالركايز والحسكات ودرك مبقاتش عادت لبناويت هازة شمع في يديها وهي تتقاطر عليهم وليبقاو شوي محافظين عليهم غير لعندو الحسكات عادو يشعلوهم في المولد'.**

غير أن الكثير من العائلات القسنطينية فضلوا اليوم السير على نهج الأولين من الجدات والأمهات فاعتزموا شراء لوازم المطبخ النحاسية المتنوعة " كالبرمة وإبريق الشاي والمهراس محبس للحلويات صحون ذات أغطية لتقديم الحلويات الجزوة السني والسينية ولبلاطو على اختلاف أحجامهم وألوانهم" لإحياء هذه المصنوعات التراثية وإعادتها للواجهة بل ما يتضح اليوم هو عودة العائلات المعاصرة إلى حنين التقاليد والعادات **" عادت فيا طبيعة لازم نطيب قهوتي فلجزوة ** "** أما البعض فأردن تغير أواني منزلهن بأخرى **" اكي علبالك ختي في قسنطينة عادت لاموض تاع النحاس لصفر الحق بهاوة وحطة"**

وغير اتباع الموضة في قسنطينة ها هو ذا طريق أخر لإحياء الموروث الثقافي بها، من خلال إصلاح ما كسر من قطع نحاسية كتلحيم أيادي أباريق الشاي وغيرها أو تلميعها لتصبح على حالتها الأولى(تشبيبها) أو حتى تغيير القطع النحاسية مع إضافة فارق في المبلغ يحدده البائع ، فالنحاسيات بالمدينة ضرورة لابد منها حتى تتسم العائلة بأنها تنتمي إلى قسنطينة وتكسب من خلاله مكانة اجتماعية مرموقة فالمشغولات النحاسية اليوم سوآء في قسنطينة أو خارجها أصبحت واقعا مفروضا في الديكورات العصرية الراقية حتى ترسم لوحة فنية بلمسات جمالية ذات مقام رفيع، يوضح مبحوثنا في قوله :**" خاصة كي يقرب رمضان مزالو لقسنطينية يجيبو لماعن يشببوهم وكاين اللي يخدم لي فاسدلو كيما نقولوها واحد فسدلو يد لبريق ولا السينية نخدموه ويولي جديد حنا ندورو المهم نخدم وهو يدي حويجتو يفرح بيها وكاين اللي طبيعة بقات فيهم من بكري لازم كي يجي رمضان يشببو ماعنهم باه يصومو على نظافة"**

**- المعنى : الجزوة هي إناء تغلى به القهوة على نار هادئة حتى تصبح جاهزة للشرب

وفي كل مرة نكتشف أمور جديدة متعلقة بالحرفة لدى لعائلات القسنطينية المعاصرة، إذ المبحوث يربط تشبيب الأواني إعادة تصليحها بالشهر الفضيل (خاصة كي يقرب رمضان) ، فهذه المناسبة الدينية لها مكانة في قلوب العائلات القسنطينية على إختلافها سواء التقليدية أو المعاصرة، التي تسارع قبيل الشهر الفضيل إلى تنظيف البيوت و تعطيرها و شراء المستلزمات المطبخية من توابل وزبيب مجفف وتحضير الكسكس وغيرها، كما تعهد إلى تشبيب الأواني النحاسية المتواجدة لديها (يجيبو لماعن يشببوهم) أو تصليح ما هو مكسور عندها(نخدموه يولي جديد)، ويؤكد في حديثه أن هذه من عادات وتقاليد العائلات القسنطينية العريقة التي كانت في السابق و قبيل حلول الشهر المبارك في عملية تجارية نفعية لكليهما لقول أحد مبحوثينا **"حنا رانا نسترزقوا بحاجة قليلة بصح نستنفعوا في زوج"**، أي أن الفائدة تعود على كليهما فالحرفي يؤخذ أجرا مقابلة ذلك وإن كان قليلا فهو رزق(نسترزقوا)، أما الزبون فيعود بمصنوعاته جديدة كما كانت وأحسن خاصة إذا استبدلها بأخرى جديدة . بطريقتين الأولى إصلاح ما يمكن إصلاحه فيها، أما الثانية فتكمن في (تشبيب) القطع، يعني أن كل الطرق في قسنطينة اليوم تؤدي إلى مساهمة الجميع في تنمية اقتصاد المدينة وتحريك عجلة التنمية والعمل يدا بيد من خلال الحفاظ على موروث المدينة وصونه من الزوال والاندثار والتغييب عن ذاكرة الأجيال القادمة.

ت/- الأواني النحاسية و الطهي:

أصبح موضوع الغذاء الأمن والسلامة الغذائية من أهم المواضيع المتطرق إليها في السنوات الأخيرة إذ تسعى المجتمعات من خلال تأمين الغذاء لشعوبها أن تضفي عليها طابع السلامة من خلال استعمالاته المختلفة، فبتطور المجتمعات وخروجها من التقليدية التي كانت تحصر وظيفتي الطبخ والأكل في زوايا البيوت أصبح تناول الوجبات اليوم على مرأى الجميع في الشوارع والمحلات والدكاكين وغيرها، هذا التغير الاجتماعي الجديد جاء مصحوبا بمخاطر وعوامل تسبب الكثير من الأمراض والعلل لصحة متناولها خاصة

إذ لم تكن مقرونة بقواعد السلامة المتبعة في توفير الوجبات الصحية لمستعمليها، وفي هذا ارتأى الكثيرون في العودة إلى طرق الطهي التقليدية المتشكلة في الأفران الحجرية القديمة المعتمدة على الحطب ومنهم من اعتمد الأواني النحاسية خاصة بلونها الأحمر وما له من درجة التحمل للحرارة الشديدة وعدم التعرض للتلف والصدأ.

لا ننكر بعين الباحث الموضوعية أن الطلب على الأواني المطبخية النحاسية من قبل عائلات قسنطينة المعاصرة كان مقتصرا على أباريق الشاي والصواني بأنواعها وأحجامها وألوانها المختلفة وكذا جزوات القهوة ، أما ما تعلق بالقدور(البرمة بلهجة اهل المدينة) فلم يتحدث أي من مجتمع بحثنا عنها غير ما أملاه علينا الحرفيين **" لبرمات كانو بكري يجيبوهم يعدلوهم ومسحوهم خاطر يستعملوهم درك كلش المنيوم وجماعتو مابقا حتى واحد يجيب برمة ولي عندو مخليها قارنيتور"** إذ الحاجة قديما للقدر النحاسي كانت تحتم على الفرد القسنطيني أن يهتم لشأنها، أما اليوم فلا حاجة له بها بوجود عناصر أخرى ومواد منافسة للمنتوج النحاسي كالألمنيوم وغيره (جماعتو) وبأقل الأسعار فالمحتفظ بمثل هذه القطع الثمينة تجدها في بيته بمثابة الديكور والزينة (قارنيتور).

فالمصنوعات النحاسية دائمة الحضور وإن اختلف مكانها إلا أن مكانتها تنافسية من خلال الطلب المتزايد عليها في المطاعم العالمية والفنادق الأكثر شهرة، إذ غالبيتهم يستعمله للزينة والديكورات والأنتيكات العصرية ليجلب إليه الزوار والزبائن من خلال ما تضفيه هذه الأخيرة من لوحات جمالية وفنية لناظرها إضافة إلى الراحة النفسية حيث تسافر بالعقول إلى حقب تاريخية وحضارات إسلامية مضت .

أما عن الطهي باستخدام الأواني النحاسية كالكؤوس والقدور وغيرها فلا يتم استخدامهم إلا بإتباع ما أملاه أحد حرفيينا **" نيدرو لكوموند تاع لكيسان ولبرم بصح قليل ليقلك حنطيب فيه حنا كيعود تاع بهوة نديروه نحاس حمر ولا صفر واش حب هو بصح كون يعود تاع طياب ولا يستعملو لحوايج خلاف رانا نمسحوح من داخل بلا ليمنيوم باه يقدر يطيب فيه مهني"** مازال التأكيد متواصل حول قلة استخدام القدور

لدى العائلات القسنطينية (لبرم بصح قليل)، غير أن الحرفيين مرهونون بما يطلبه الزبون منهم، شريطة معرفة الغاية من المصنوعات النحاسية التي هم بصدد العمل عليها، فإذا كانت لغرض الزينة والديكور فلا حرج إن كانت نحاسية خالصة أما إذا كانت بغية الطهي فهذا يحتم عليهم بحكم الخبرة والدراية أن يتجنبوا صنع القطعة من النحاس فقط، لأن ذلك فيه خطر على الصحة البشرية فيقومون بطلي المنتوج بمادة (الألمنيوم) من الداخل حتى لا تحدث أضرار لمستخدمها (يطيب مهني).

تؤكد الكثير من الدراسات أن في استخدام الاواني النحاسية وجب توخي الحذر والتأكد من أن ما يطهى بداخل تلك القدور، وما يقدم في الصحون والأباريق ليس صحي وأمن بما فيه الكفاية، فالمواد النحاسية تتفاعل وبشكل مباشر خاصة مع الحمضيات والأملاح إذ وجب تفادي وضح مثل هذه المواد بداخلها تفاديا للأكسدة الناجمة عن اختلاط المكونات ببعضها يصرح بهذا الصدد الدكتور **"عبد الله بن ابراهيم" "**غير أن النحاس معدن سام، ولدى تطلى الأواني النحاسية بطبقة من **الألمنيوم*** " أو الستانليس، لذلك إذا كنت تستخدم الأواني النحاسية في الطبخ، فيجب أن تتفحص الطبقة المبطنة للأواني بين آونة وأخرى فإذا كانت هذه الطبقة تالفة بحيث تستطيع رؤية النحاس البرتقالي ظاهرًا عبر الطبقة الفضية المبطنة، فعلينا أن نعيد طلاء الإناء أو الاستغناء عنه"[2]

إن الإدراكات المطلقة والبديهيات المتعارف عليها بين الناس مصدرها الأول العرف والتقليد فيما بينهم ، فمجتمع البحث القسنطيني لم يقبل لسنوت عديدة عن استعمال الأواني النحاسية الخاصة بالطبخ ليس

*–المعنى : الألمنيوم هو معدن مقاوم للتأكل اما الستانليس هو المقاوم للصدأ .قاموس المعاني. زرت الموقع. https://www.almaany.com/ar/dict/ar يوم:2023/03/02 الساعة :10:22

[2] عبد الله بن ابراهيم السدحان. **أواني الطبخ تؤثر في القيمة الغذائية للطعام**. جريدة الرياض .العدد 16311. الثلاثاء 9 ربيع الاخر 1434 هـ – 19 فبراير 2013م . زرت الموقع يوم :2023/03/02 https://www.alriyadh.comالساعة : 10:05

بدراية علمية بل بما ساد بينهم منذ عقود **" والله يابنتي انا منحبش نطيب في لبريق دايرتو اخر حاجة كنوجد تاي تاعي نحطوا فيه او على لبها تاعو ونزرب نسربي بعد منخليهش يطول فيه خاطر ما ربي يرحمها تقلنا مطيبوش في ماعون النحاس ديرو فيه الشايح برك".**

إذ لا زالت تلعب الأواني نحاسية الصنع دور الأنتيكة والديكور لديهم لجمالها وإتقان صنعتها(لبها تاعو) كما تراعى في ذلك نصائح الآباء والأجداد في كيفية التعامل مع المشغولات النحاسية وحتى الحفاظ عليها من خلال عدم الإكثار في استخدامها للطهي (مطيبوش فيه) وكذا الأخذ بعين الاعتبار ما يطهى بداخلها (غير الشايح).

ث/- مكانة تاريخية جغرافية:

مما لا جدال فيه أن للمشغولات النحاسية ما يضرب بجدوره عمق التاريخ والحضارات والأزمنة الغابرة فالنحاس عرف كمعدن استخرج من باطن الأرض، لكن ما زاده قيمة ومكانة هي الرمزية والدلالات الثقافية التي اكتسبها من خلال القطع والتحف التي أبدعت الأنامل الحرفية في جعلها مصنوعات قمة في الإتقان والدقة سردت من خلالها قصص لقيام حضارات ولبطولات شعوب ومعاناة أخرى فكانت ناقلا تاريخيا لأحداث شهدتها المجتمعات ورسائل هوية وانتماء وتمسك بكل رابط تقليدي وأصيل .

لقد ارتبطت حرفة صناعة النحاس في قسنطينة بحي النحاسين "باردو" فبدخولك ذلك الحيز الجغرافي ينتابك شعور الانتماء لكل القطع النحاسية المعروضة على هامش الدكاكين والأرصفة، حيث كل تحفة به تحاكي قصص من الماضي العريق وما يسكن داخلها من مشاعر وقيم جعلتها ملهما لصانعها ومقتنيها ومن بين القصص الأكثر شهرة بين الحرفيين هي عن أنية الشاي التي يطلق عليها "البقراج" ومعناه في اللغة "البق" هو الفم أما "راج" هو الاهتزاز بغليان الماء، وحسب ذات المصدر فالدولة العثمانية هي من استعمل البقراج كرمز لقواتها المسلحة وجيشها الانكشاري حيث تنقسم الكلمة إلى "اني" ومعناها جديد " شاري" وهو الجيش والبقراج كان في شكله يرمز لرداء الجندي التركي .

لكن ما لاحظناه على حرفيي زنقة النحاسين بقسنطينة ومن خلال مقابلاتنا معهم أن الكثير منهم لا يعي الحقيقة التاريخية للحرفة بالمدينة سوى ما تتناقله الألسنة فيما بينهم من معلومات سطحية تدق ناقوس الخطر حول توريث الحرفة والحفاظ عليها .

إن المكانة التاريخية للحرفة مرهونة بمدى وعي ومعرفة ناقليها وصناعها وإدراكهم بالقيم والدلالات الثقافية والحضارية التي تحملها كل قطعة بداخلها حتى يتسنى لهم إنقاضها، مما يحوم حولها ويهدد استمراريتها وأصالتها، وهذا لا يكون إلا من خلال إطلاع واسع وعميق لخبايا التاريخ والتراث والتركيز على أدق التفاصيل والأحداث التي من شأنها أن تغير قيمة المنتوجات النحاسية، إذ ارتبط اسمها بحادثة تاريخية فهي قيمة تبادلية بين الحرفي والزبون والذي يتمسك أكثر بها كلما تعلق الأمر بالثقافة المحلية والهوية والانتماء .

وفيما يلي جدول يوضح استعمال النحاسيات القسنطينية لدى النموذج العائلي التقليدي والمعاصر بين الأمس واليوم، من خلال جملة اللقاءات ولمقابلات للعائلات القسنطينية التي رافقها استخدام هذا المعدن

منذ سنوات خلت وفي العديد من الطقوس والمناسبات والتقاليد الاجتماعية منها والدينية، فكانت في كل مناسبة تحتفي بها إلا وتكون الأنية النحاسية والصواني والأباريق أحد أهم ما يزين موائدها وبيوتها، كما لم تستغني عنه العروس القسنطينية حتى وإن أرفقته في جهازها من باب الأنتيكا والزينة، إلا أن النحاس في البيوت القسنطينية لا يكاد يختفي وحاضر على الدوام في أذهانهم وماضيهم فهو هويتهم وانتماؤهم وإرثهم الثقافي والحضاري.

جدول رقم 07 : يوضح استعمال النحاسيات لدى العائلة القسنطينية التقليدية و المعاصرة

القطعة النحاسية	الهدف من الاستعمال	العائلة التقليدية	العائلة المعاصرة
المحبس	الاستحمام	تستخدم كل الآنيات النحاسية في طقس الحمام وتحضرها العروس معها في جهازها ويستخدم المحبس	زالت اليوم كل هذه الآنيات والمشغولات النحاسية سواء في جهاز العروس أو في لوازم

الطاسة الكيروانة والقصعة –الطفال – الوضاية – الطفاية	–غسل الملابس –إناء يوضع به الغسول –للوضوء –لإطفاء السجائر	ذي اللون الأبيض في تخبئة حلويات الأعياد والمناسبات أما الأحمر فيكون مخصص للاستحمام رفقة الطاسة لإحضار الماء من الحمام بالطاسة وملئ المحبس أما القصعة تستعمل لغسل الملابس والكيروانة أيضا تستخدم لذات الغرض كما أنه يستعان بها لمليء الماء في الحمام وهي من جهاز العروس ويحمل فيها كانون البخور حتى يتفادى حامله التعرض للإحتراق أما الطفال هو ما يوضع به الطفل وهو غسول ترابي من لوازم الاستحمام. أما الوضاية تستعمل للوضوء وهو إناء ذو قاعدة كبيرة وفم من الأعلى لإخراج الماء الذي بداخله	الاستحمام فلم يبقى منها إلا اسمها وذكراها في أذهانهم فبوجود ألات الغسيل والحمامات المنزلية لم تعد العائلات المعاصرة في حاجة إليه. هذا بخصوص الأواني الخاصة بالحمام أما المحبس فلو يعد له وجود باستخدام الأواني العصرية التي هي من صنع بلاستيكي وأخرى من الزجاج أما ما تعلق بالطفاية والتي هي تابعة للمدخن فزالت تماما أولا لأن المدخنين يفضلون التدخين من شرفات المنازل أو في المقاهي قبل دخول البيت ثانيا لأن الكثير منهم عوضها بطفايات صغيرة من زجاج أو فخار

قطار الورد	لتقطير الورد	وهو إناء مخصص لتقطير الورد والزهر عرفت به قسنطينة من سنوات خلت وتستعمله في مرش القهوة ويضاف إلى الحلويات لأجل النكهة الطيبة والرائحة الزكية	لا تزال العائلات اليوم تستعمله في الحلويات ورش القهوة لتعطيرها ورغم قلتها غير أنها تجتهد للحفاظ على هذا الإرث و نقله من خلال الممارسات الثقافية إلى الأجيال القادمة
– الثريات –الفازات –الحسك –الركايز	–لحمل المصابيح –حاملة الأزهار –حاملات	بالنسبة للفازات والثريات كانت في منازل القسنطينيين أحد أهم تجهيزات بيوتها ، أما الحسكات والركايز ضرورة للمناسبات الدينية وترافق طقس حنة العروس ،	إعتمد الحرفي القسنطيني اليوم على جلب العائلات المعاصرة من خلال إعادة صنع تحف قديمة بحلة جديدة من النحاس الأصفر اللماع كالثريات والفازات والحسكات

– الكادرات – المهراس -- البرمة "القدر" –بعض الحيوانات والتحف للزينة –صينية الحلويات النحاسية	الشمع –الكادرات لتزين المنازل –المهراس لطحن المكونات –لصنع الحلويات	والكادرات كانت ترسم بها مدينة قسنطينة أو آيات قرآنية وصور قصيرة، آما المهراس يستعمل لطحن الثوم والتوابل كالفلفل الأسود والبرمة لطهي المأكولات خاصة العين، آما عن الحيوانات كانت قسنطينة قديما مشهورة بالفكرون(السلحفاة). –أما صينية الحلويات الحاسية كانت تستخدمها العائلة القسنطينية قديما في صنع الحلويات الخاصة بالعيد والمناسبات الإجتماعية والدينية كالبقلاوة والقطايف لأنهم حلويات تحتاج إلى حرارة كبيرة كي تنضج وأي أنية لا تتحمل ذلك وتحترق إلا الأنيات المصنوعة من النحاس الأحمر .	والركايز والمهارس غير أن السعر ليس متاح للجميع فلا تقتنيها إلا العائلات الميسورة والمقتدرة. أما الحيوانات ووسائل الزينة فعاودت الظهور بقوة وعلى إختلاف أنواعها الأرنب والغزال والحصان كما توجد تحف كدراجات والهواتف والسيارات وغيرها ولكن يبقى أشكال الأسعار الحاجر الصلب بين الحرفي البائع والزبون المنبهر بكل ما تبدعه أنامل حرفيي قسنطينة ، فالعائلات اليوم تقتنى كل هذا بحسب القدرة والمستطاع. –اما ما تعلق بانية طهي الحلويات النحاسية فلم نلحظ ذلك في العائلات القسنطينية اليوم فهي أما تعتمد على الطهي في فرن المنزل أو تبعت بحلوياتها إن كانت بالحجم الكبير .

يوضح الجدول الذي أمامنا وجه المقارنة بين العائلة القسنطينية التقليدية والعائلة القسنطينية المعاصرة في استعمالهم للأواني النحاسية على اختلاف أشكالها وأحجامها، فكان وجه المقارنة بين العائلتين في بدايته حول آنيات استخدمت في الاستحمام خاصة لدى العائلة القسنطينية التقليدية على سبيل المثال " الكيروانة والطاسة " والتي كانت أحد ضرورات العروس سابق لكن العائلة القسنطينية اليوم لا ترى أي ضرورة لاستخدامهم فقد فضلت الاستغناء عنهم .

وما تعلق بالجانب الذكوري فتجسد في التحف النحاسية المسماة " بالطفاية والوضاية " فالأولى يستعملها المدخن ليطفئ سيجارته داخلها، أما الثانية فمخصصة للوضوء كلتا القطعتين كانتا الأكثر استعمالا لدى العائلة القسنطينية التقليدية أما المعاصرة فلم تعد تستعملهم إطلاقا.

أما الرابط المشترك بين العائلتين يكمن في أنية تقطير الورد، فلا جدال حول موروث المدينة ووجهها الثقافي والسياحي حيث لا تزال العائلات القسنطينية اليوم تحافظ على تقطير الورد مستخدمة في ذلك إناءه الخاص به، والمعروف في أوساطها " بالقطار" وتسعى مدينة قسنطينة دائما في إبراز موروثها كلما سنحت لها الفرصة من خلال المعارض والفعاليات التي تشهدها المدينة بين زمن وأخر، وتتواجد ضمن فعاليات شهر التراث الذي يقام سنويا بداية من 18 أفريل إلى 18 ماي ، وتعرض من خلاله منتوجات مختلفة كالحلي والنحاسيات بتنوعها واختلافها كالنحاس والفخار وتقطير الورد وبيع النباتات ...إلخ.

ومن جانب "الثريات والفازات والركائز والشمعدان والكادرات وغيرها" كانت ضمن العائلة القسنطينية التقليدية ، غير أن العائلة القسنطينية اليوم لم تستغني عنها و ذلك بفض مهارة حرفييها واجتهادهم في بعث روح جديدة لهذه التحف كخطوة فعالة للمحافظة على إرث المدينة وواجهتها الثقافية، فعمدوا إلى إعادة تشكيلها بإدخال إضافات وفنيات جديدة وحديثة كالزجاج الملون والنقشات الحديثة .

أما ما تعلق بالمشغولات النحاسية المتعلقة بالزينة والديكورات فكانت قديما مرتبطة بأشكال حيوانية كالسلحفاة المعروف في قسنطينة باسم "الفكرون"، أما اليوم فيوجد العديد منها كالغزال والحصان والسيارات و الدراجات وغيرها، وإن اختلفت أشكالها وألوانها بين العائلتين إلا أن الهدف واحد وهو الحفاظ على إرث المدينة عموما والصناعات النحاسية على وجه الخصوص من الزوال والاندثار .

ومن كل ما سبق نخلص أن حرفة صناعة النحاس بمدينة الجسور المعلقة رغم ما يعتريها من نقائص وعوامل إلا أنها تصارع لأجل الحفاظ على مكانتها وقيمة منتوجاتها النحاسية، من خلال مواكبة كل التطورات الحاصلة دون التخلي عنها في رؤية جديدة من حرفيي قسنطينة وخلق جو تنافسي بينهم لجلب

الزبون، وإن تطلب الأمر إحياء كل ما هو قديم وذو علاقة بالحرفة كتبييض الأنيات أو استبدالها بأخرى جديدة ، فالحرفي مطالب بتحقيق الجانب الجمالي والابداعي مقرونا بالمطلب التجاري النفعي.

خلاصة الفصل :

إن ما عرضناه في فحوى هذا الفصل من مونوغرافية شاملة لمدينة قسنطينة بمعالمها التاريخية وأثارها وعاداتها وتقاليدها، يؤكد على ما تزخر به عاصمة الشرق الجزائري وتمتاز به دون غيرها من المدن، فموروثها التاريخي والثقافي يعكس حقيقة ماضيها العريق الذي جسدته حضارات تعاقبت عليها والذي يشكل حلقة وصل بين ماضي الشعوب وحاضرها، غير أن ما لمسناه في السنوات الأخيرة لا يعكس حقيقة هذا الإرث.

حيث تشهد العديد من المعالم الأثرية والمباني التاريخية تهميشا واضحا باشتراك عوامل عدة منها الطبيعية، أمام ما شهدته قسنطينة سنة 2015 ضمن فعاليات " قسنطينة عاصمة الثقافة العربية " فقد لوحظت مساعي معتبرة اتجاه هذه المواقع والمعالم من ترميم الوجهات والصيانة وإعادة البناء وغيرها، مما يمكنه أن يقدم الصورة الحقيقة والتراثية للمدين، غير أن هذا الأخيرة لم تتعدى هذه التظاهر و بنهايتها حتى توقفت الأشغال بكل المعالم التاريخية والمباني القديمة.

سواء اتضحت أو بقيت مخفية الأسباب والدواعي من قبل السلطات تجاه هذا التهميش الصارخ لمعالم المدينة وماضيها العريق، غير أنه وجب النهوض بهذا الإرث والحفاظ عليها من قبل ذات السلطات التي من شأنها وضع سياسة واستراتيجية ممنهجة بغية الإبقاء على وجه المدينة ومرأتها العاكسة لماضيها العريق الثقافي والحضاري والتاريخي.

هذا عن موروثها التاريخي ومعالمها الأثرية، في حين تزخر المدينة بالعديد من الحرف والصناعات التقليدية على رأسها " حرفة صناعة النحاس " هذه الأخيرة ميزت المدينة منذ سنوات خلت وحتى يومنا هذا باعتبار مصنوعاتها الحرفية النحاسية تحتل مراكز بالغة الأهمية داخل وخارج التراب الوطني .

فما كان منا إلا إجراء دراسة اعتمدنا فيها مقارنة بين العائلات القسنطينية التقليدية والمعاصرة حتى يتسنى لنا التعرف عن كثب عن التحف والقطع التي لا تزال قيد الاستعمال والطلب دون غيرها، متباينة بين الاواني المنزلية والزينة والأنتيكا وغيرها.

وإن اختلفت العائلات القسنطينية بين التقليدية والمعاصرة في بعض المشغولات النحاسية، إلا أن الهدف والغاية واحدة منذ عصور خلت، فعشق كل ما هو نحاسي لم يأتي من فراغ فالمدينة بأسرها تحاكي حقيقة هذا المورث الثقافي المادي وتجسده ضمن أسوار بيوتها أو رفوف دكاكينها أو مآذن مساجدها.

الباب الثاني
الإطار التطبيقي للدارسة

الفصل الخامس
الدراسة الميدانية

تمهيد:

إن أي دراسة وللتحقق من فرضياتها وتساؤلاتها لا تكتمل إلا بشقها الميداني والذي يمثل أحد أهم العناصر الأساسية في البحوث الاجتماعية، حيث كان هدفنا من خلاله هو التقصي عن الظاهرة موضوع الدراسة، إذ استلزم ذلك منا القيام بجملة من الخطوات الأساسية حتى يتسنى لنا الوصول إلى إجابة لتساؤلنا الرئيسي،" فالقيمة الحقيقية للبحوث الاجتماعية تتمثل في اعتمادها على العمل الميداني الذي يمكن للباحث من جمع المعلومات من المجتمع الذي يقوم بدراسته، ومراجعة هذه البيانات مراجعة دقيقة أثناء القيام بالعمل الميداني"[1]، لذا فالمرحلة الميدانية لا غنى عنها إذا أراد الباحث ترك بصمته على الدراسة من خلالها.

[1] سعيد ناصف. **محاضرات في تصميم البحوث الاجتماعية وتنفيذها –نماذج لدراسات وبحوث ميدانية–** مكتبة زهراء الشرق.مصر.1997.ص 159.

5- 1- مجالات الدراسة الميدانية :

حتى نتمكن من الإلمام بالدراسة وجب تحديد أطرها المكانية والزمانية من خلال مجتمع البحث المخصص للقيام بها حتى نتمكن في نهاية البحث إلى مجالات تخدم موضوعنا بكل دقة وموضوعية .

5-1-1- المجال الزمني :

يمثل المجال الزماني الوقت الذي استغرقته الدراسة موضوع البحث، من أجل جمع المعلومات وتحصيل المادة العلمية والمتعلقة به، ويمكن حصرها ابتداء من تاريخ اختبارنا لموضوع الدراسة حتى إتمامنا الدراسة في شكلها النهائي، حيث ممرنا بالمراحل الثلاث الأتية:

ا- الشق النظري :

يعتبر الشق النظري بالغ الأهمية لما يتطلبه من بحث معمق حول الظاهرة موضوع الدراسة، وهذا لا يأتي من فراغ بل هو جهد لسنوات صاحبة فترة البحث من بدايتها وصولا إلى كتابة أخر سطورها، حيث قمنا من خلال هذه الفترة بجمع المادة العلمية من مصادر ومراجع مختلفة علها تفي بالهدف المنشود، خاصة وكما أشرنا إليه سابقا أن موضوع الدراسة يشهد نقصا وشحا في المادة العلمية لا سيما على مستوى مدينة قسنطينة.

ب- المرحلة الاستطلاعية وجمع البيانات :

بعد مرحلة اختيار الموضوع وصقل إشكاليته والإلمام بالشق النظري، انتقلنا إلى مرحلة أخرى من التخطيط لإنجاز البحث بطريقة استطلاعية ميدانية حتى تكون الصورة أكثر إيضاحا، من خلال المعلومات المتحصل عليها من طرف أصحاب المجال والاختصاص، حيث توجهنا إلى غرفة الصناعة التقليدية لولاية قسنطينة التي حضينا معها بكل الاحترام والدعم كما خصصنا زيارات إلى متحف سيرتا وسط المدينة، أما الحصة الأكبر من الدراسة فكانت بميدان الدراسة بزنقة النحاسين" **حي باردو**"، الذي من خلاله انتقينا الحرفيين الذين سنجري معهم قياس المقابلة حيث كان عددهم 10 حرفيين.

ويمكننا حصر الفترة الزمنية التي استغرقتها الدراسة الميدانية بين مقابلات وجمع معطيات بداية من تاريخ 2023/03/20 إلى غاية 2023/11/20.

ت- مرحلة السرد بين الشقين النظري والميداني :

تسلسل زمني بين أطر الدراسة النظرية والميدانية، حيث قمنا بتجميع المادة العلمية النظرية من مكتبات ومقالات وملتقيات وشبكات الأنترنيت، حتى نتمكن من تغطية النقص الملموس في المراجع المتعلقة بموضوع الدراسة، وهذه المرحلة زامنة البحث، ولكن على فترات متفاوتة ومتقطعة، ختاما بتفريغ المقابلات واستخلاص النتائج وتحرير الأطروحة، والكل حصيلة لتكويننا الدكتورالي ومدته ثلاث سنوات كان مزيجا بين القراءات المستوفية لموضوع الدراسة وجمع المادة العلمية، ثم جمع المعطيات والبيانات وتحليلها وتصنيفها من خلال نزولنا لميدان الدراسة.

5-1-2- المجال البشري :

إن من الأهداف المسطرة في بحثنا والتي نسعى من خلالها معرفة حرفة صناعة النحاس في قسنطينة ومكانة هذا الموروث الثقافي من قبل العائلات القسنطينية، خاصة المعاصرة منها إذ يتطلب منا هذا الخوض في الخصائص الاجتماعية والديمغرافية لعينة الدراسة، من حيث الأليات المتعارف عليها كالسن والمستوى الدراسي للحرفيين ونوع النشاطات الممارسة من خلالهم وفي أي مجال جغرافي تتم، وكذا بالنسبة للعائلات يكون بالتعرف على مجالهم الجغرافي السابق والحالي والمهنة والنشاطات الممارسة من قبلهم، وللتعرف أكثر على هذا المجال يمكن تقسيمه إلى:

أ- مجتمع الدراسة :

يقول عالم الاجتماع **'GRAWTZ** **":** أن مجتمع البحث هو مجموعة منتهية أو غير منتهية من العناصر المحددة مسبقا والتي ترتكز عليها الملاحظات، وهو مجموعة عناصر لها خاصية أو عدة خصائص مشتركة تميزها عن غير ها من العناصر الأخرى والتي يجري عليها البحث"[1].

ومن هذا المنطلق كان مجتمع بحثنا يضم فئتين الأولى خصصناها لحرفي صناعة النحاس بمدينة قسنطينة دون غيرهم من الحرفيين والذي تم استغلال إجاباتهم لتحليل و دراسة فرضيات البحث وعددهم 10 حرفيين، أما الفئة الثانية فخصصناها للعائلات القسنطينية المعاصرة التي عايشت هذا الموروث الثقافي الحضاري من خلال حملة التناقل بين الأجيال والتي لا تزال إلى يومنا هذا تصارع لحفظها بأذهان أبنائها وأحفادها خوفا من الزوال والاندثار، والتي استغلت إجاباتهم لإثراء الجانب النظري من الدراسة وعددهم 05.

ب/-عينة الدراسة :

يرى الباحث **" ماجد الخياط"** في عينة الدراسة " أنها جزء من المجتمع الأصلي أو مجموعة فرعية أو جزئية من عناصره، له خصائص مشتركة وبها يمكن دراسة الكل بدراسة الجزء"[2]، حيث كان الاعتماد في بحثنا على إحدى أنواع العينات وهي العينة العمدية، إذ تعتبر هذه العينة الأنسب في البحوث و الدراسات الاستطلاعية والاثنوغرافية .

---

[1] موريس أنجرس. **منهجية البحث العلمي في العلوم الانسانية.** تر صحراوي بوزيد واخرون.ط2.دار القصبة للنشر. الجزائر .2006.ص 298

[2] ماجد محمود الخياط. **أساسيات البحوث الكمية والنوعية في العلوم الاجتماعية.** دار الراية للنشر والتوزيع.الاردن.2009.ص82

- **العينة القصدية " العمدية" :** تسمى بالعينة القصدية وتعتمد على نوع من الاختيار المقصود حيث يعتمد الباحث أن تتكون العينة من وحدات يعتقد أنها تمثل المجتمع الأصلي تمثيلا صحيحا[1]، كان ذلك من خلال ولوجنا ميدان الدراسة وبالضبط إلى زنقة النحاسين "حي باردو"، حيث كان عدد الحرفيين كبير لا سيما أنا الحي هو قبلة لكل من يريد مزاولة حرفة صناعة النحاس منهم، فكان اختيار مثل هذه العينة الأكثر ملائمة مع مجتمع دراستنا، وحجم العينة قدر ب 10 حرفيين.

لكن قبل تحديد عينة الدراسة وجب ضبط مراحل اختيارها كتحديد المجتمع الأصلي للبحث وأفراده وكذا التعرف على خصائصهم على أن نختار في الأخير العينة التي تمثل مجتمع الدراسة بكل صدق، حتى يمكننا ذلك من تعميم ما تحصلنا عليه من نتائج على المجتمع الأصلي.

وكان اعتمادنا على العينة القصدية دون سواها من العينات، لما توفره هذه الأخيرة من معلومات دقيقة عن مجتمع الدراسة، كما أنها تحدد إطار البحث وتحصره في عينة محددة نحصل من خلالها على استجابات أكبر من عينات تستخدم بطريقة عشوائية، كما أن العينة القصدية ساعدتنا في الوصول إلى مجتمع الحرفيين باعتبارهم فئة لا تظهر إلا في حيزها الحرفي.

5-1-3- المجال المكاني :

ويقصد بالمجال المكاني هو ذلك الحيز الجغرافي الذي أقيمت فيه الدراسة، أما عن بحثنا فقد أجري في مدينة قسنطينة وبالضبط في حيها المعروف و المخصص لحرفة صناعة النحاس " زنقة النحاسين –حي باردو–".

- **منوغرافيا حي باردو :**

إنه حي "رحماني عاشور" المعروف بين أهل مدينة قسنطينة " بباردو زنقة النحاسين"، وهو المتواجد بوسط مدينة الجسور المعلقة، حيث يعتبره ساكنيها مركز عز وافتخار سواء للحرفة أو انتمائهم إلى

[1] احمد محسن لطفي، **مقدمة في الإحصاء الاجتماعي**. جامعة الملك سعود، النشر العلمي والمطابع.2011.ص 27.

الحي ما زادهم هذا الانتماء إلا تفاخرا وتباهي، فقد كان ساكنته من الطبقة المثقفة والمتعلمة والعارفة بأصول الدين، وعرف (حي باردو) منذ سنين خلت بعشق القسنطينيين له، لأنه مقرون بالحرفة الأكثر عشقا بالمدينة وهي حرفة النحاس، حيث نشهد في كل ركن من أركانه تاريخ و حضارة مدينة بأكملها جسدتها تحف وقطع فائقة الإبداع والحرفية .

أما عن أصل تسمية "حي باردو" بهذا الاسم فتعود الروايات إلى قصة متداولة بمدينة قسنطينة، حيث يروي أهلها أن أحد سكان الحي من العرب اصطدم بأحد من أصحاب الأقدام السوداء ويقصدون بها المستعمر الفرنسي، فقال هذا الأخير " باردون " أي "عفوا " بالفرنسية ومنذ ذلك الحين والحي يعرف بهذا الاسم إلى غاية يومنا هذا، ورغم أن السلطات أطلقت تسميات جديدة لكل المناطق والولايات وكان اسم **"رحماني عاشور"** من نصيبه إلا أن سكانه لا يعرفونه إلا باسم " باردو".

وتعود تاريخية هذا الحي إلى ما قبل الثورة التحريرية " حيث يعود تاريخ عقد ملكية أقدم منازل الحي إلى سنة 1874م حين كان يعرف وقتها بنهج إنجلترا".[1]

وقبل فترة غير بعيدة كان "حي باردو" تملؤه الأحياء الفوضوية والتجارة غير المنظمة أثر ذلك بشكل ملحوظ سواء على شكل المدينة أو الحي بشكل خاص، خاصة بعد النزوح الريفي الذي شهدته البلاد بعد الاستقلا، إذ كان للحي نصيب كبير من القادمين من مختلف الولايات، ما أثر سلبا وأعطى للحي كذلك سمعة سيئا لحقته لعدة سنوات حيث عرف قاطنيه "بالرجلوات" وهي تعبيرا محلي لأهل قسنطينة كناية عن ما يقدم عليه شباب المنطقة خصوصا من شجارات وعراكات فيما بين الأحياء والمناطق المجاورة بشكل لافت، في حين كان يعرف " باردو" بهدوء وأدب أهله وعقلانية شبابه.

---

[1] هدى طابي، **"باردو" قصة حي تعثر في منتصف الطريق نحو التحديث.** جريدة النصر .2019/3/24. https://www.annasronline.com/index.php/2014-08-17-13-22-10/2014-09-14-21-55-41/118245-2019-03-24-09-52-19 زرت الموقع يوم : 2022/05/19 .الساعة : 14:50

غير أنه شهد في السنوات الأخيرة حركة جديدة من الإعمار والتغيير، شملت ترحيل العديد من العائلات إلى سكنات لائقة نحو المدينة الجديدة على منجلي، خاصة أن "حي باردو" من الأحياء العتيقة بالمدينة و يشهد سلسلة من الانزلاقات بين الحين والآخر، لا سيما عند تساقط الأمطار بشكل كبير، كما عرف "حي باردو" إعادة فتح حديقة التسلية القديمة به.

أما من حيث عدد المحلات بالحي يؤكد السيد **" الحاسن بودينار"** رئيس جمعية حرفي النحاس بقسنطينة " أن "باردو" لا زال يحوي 172 محلا تجاريا وحرفيا نشطا منها 60 محلا مخصص لحرفة النحاس "،لأنه مقصدا لجميع الزبائن على اختلاف طلباتهم، "فحي باردو" الذي تغزوه الصناعة الحرفية النحاسية لا يضم غيرها فقط، بل نجد فيه العديد من بائعي الأثاث المستعمل والأجهزة الكهرومنزلية المستعملة وجملة الخردوات التي يقصدها القسنطنيين وغيرهم من الولايات المجاورة على غرار ميلة شلغوم العيد وغيرهم .

رغم ما طرأ على الحي من تغيرات وتطورات خاصة في مجال التهيئة العمراني، إلا أنه لا زال قبلة الكثيرين من عشاق هذا المعدن النفيس والذي لا يزال أصحابه يقاومون من أجل الإبقاء على الحرفة وتوريثها لكل من يمكنه حفظه ونقله إلى الأجيال القادمة.

5-2- مناهج و تقنيات الدراسة :

5-2-1- منهج الدراسة :

إن في تفسير مصطلح المنهج نجده يرمي إلى الطريق والسبيل الذي يسلكه الباحث في حل مشكلة بحثه باختلاف ظواهرها اجتماعية كانت أو إنسانية أو حتى طبيعية، مستخدما في ذلك جملة من الخطوات تعد جزء هاما من أجزاء والطرائق حتى يصل إلى المبتغى المسطر له أول الدراسة، فكلمة المنهج " هي

وليدة المباحث والميادين المنطقية. إذ يقول العالم الفرنسي "**لالاند**" أن مناهج العلوم أو **Méthodologie** المنطق وميدانا أساسيا من ميادينه " [1].

فمنهج البحث الاجتماعي لا نراه يختلف عن غيره من مناهج البحوث الأخرى خاصة إذا تعلق الأمر "بالغاية المنشودة وهي اكتشاف الحقيقة و الوصول إليها "[2].

ولعل كل ما يحتاجه الباحث هو جملة المعدات والوسائل ذات الصلة بالبحث وأهدافه المسطرة والتي تساعده في اختبار ما لديه من فرضيات فيكون المنهج هو الطريق الأساسي .

عندما يختار الباحث منهج الدراسة فهو لا يخضع إطلاقا لما تمليه عليه الأهواء والميولات الشخصية، بل هو مرتبط بمشكلة البحث وأهدافها ومجالاتها وأبعادها فكان اعتمادنا في دراستنا هذه على المناهج أتية الذكر :

5-2-1-1- المنهج الوصفي :

يعرف المنهج الوصفي على أنه " طريقة يعتمد عليها الباحث في الحصول على معلومات دقيقة تصور الواقع الاجتماعي وتسهم في تحليل ظواهره"[3]. فمن خلال هذا المنهج استطعنا جمع بيانات ميدانية خاصة بموضوع البحث وتحليلها، كما كان الغرض من المنهج هو وصف حرفة صناعة النحاس بصفتها أحد أهم الصناعات التقليدية في الجزائر عموما وقسنطينة على وجه خاص، وموروث ثقافي وحضاري ذو أهمية بالغة للمدينة في ظل تهاوي الحرفة وسيرها نحو الاندثار والزوال، كما أمكننا هذا المنهج من وصف

---

[1] رحاب مختار. **مناهج وتقنيات البحث الانثربولوجي في موضوع اسماء الاعلام**.Lanthroponymie مجلة العلوم الاجتماعية .العدد (19 ديسمبر 2014).ص 93-103.

[2] -رحاب مختار. مرجع نفسه.

[3] - احمد ابو زيد. **البناء الاجتماعي مدخل لدراسة المجتمع والانساق** .ج2.الاسكندرية.دار المعارف الجامعية.2011.ص 15

طبيعة المدينة و ما تعلق بها من ظواهر من خلال الشق الميداني الذي تطلب منا الخروج إلى مكان ممارسة حرفة النحاس في قسنطينة " حي باردو".

5-2-1-2- المنهج التاريخي :

ويقصد بالمنهج التاريخي " أنه الطريقة التاريخية التي تعمل على تحليل وتفسير الظواهر التاريخية كأساس لفهم المشاكل المعاصرة ، والتنبؤ بما سيكون عليه المستقبل "[1]، فالتاريخ كأحد أهم العناصر التي لا يمكن تهميشها في مجال العلوم الإنسانية، لما يقدمه هذا الأخير من تدليلات لفهم الظواهر ذات الطابع التاريخي، ولهذا كان اعتمادنا على هذا المنهج في فهم تاريخ مدينة قسنطينة وهي المعروفة بعديد معالمها التاريخية والأثرية وبتعاقب العديد من الحضارات عليها، من خلال الحديث عن نشأة المدينة وأهم مدنها التاريخية القديمة ومساجدها وجسورها وغيره أي أننا بهذا المنهج نحاول تعقب الظاهرة موضوع الدراسة من جانبها التاريخي وإسقاطها على بحثنا.

5-2-1-3- منهج دراسة حالة :

يعرف منهج دراسة حالة على أنه " الطريقة الوحيدة التي يمكن استخدامها لدراسة الموقف الاجتماعية ومظاهر السلوك الإنساني "[2]، حيث يتميز هذا المنهج في التعمق بالحالة المراد دراستها والعوامل المؤثرة فيها وظروفها المحاطة بها من خلال ما تم جمعه من مصادر ومعلومات عنها، هذا ما كان منا إزاء مبحوثينا عينة الدراسة (حرفي صناعة النحاس)، وما يبرر اعتمادنا أكثر على هذا المنهج والذي يعتبر إحدى الدراسات الوصفية هو النقص الكبير في عدد العارفين بأسرار الحرفة، لأن هذه الأخيرة قد تختفي

[1] حسن عثمان. **منهج البحث التاريخي**. دار المعارف.القاهرة.1980.ص 20

[2] فؤاد سايحي. مختار قاسم. ساعد رقيق .**مناهج استخدام البحث العلمي واستخدامها في المذكرات الجامعية بكلية العلوم الانسانية والاجتماعية** . مجلة افاق.2021..المجلد06.العدد 04.ص 121-131

وتزول جراء ما يعرفه المجتمع الجزائري عموما والقسنطيني على وجه الخصوص من غزو للعولمة والتكنولوجيا مما قد يدخل الحرفة و ممارسيها في حالة استغراب داخل مجتمعها المحلي خاصة.

5-2-2- تقنيات البحث الميداني :

5-2-2-1- المقابلة :

يعتمد البحث العلمي على مجموعة من التقنيات والأدوات العلمية والتي تساعد الباحث في جمع مادته العلمية المتباينة من معلومات وبيانات يمكنها أن تدلل صعاب بحته، حيث تعتبر المقابلة أحد أهم التقنيات التي يعتمدها الباحث وعرفت أنها " أداة إلزامية للمقاربة الإثنوغرافية في الميدان تعتمد في ذلك على التبادل اللفظي بين الباحث والمبحوث."[1]

فالغرض واضح وجلي في استخدام المقابلة كأداة وتقنية ذات أهمية بارزة في مثل هذا النوع من البحوث إذ حصولنا على معطيات وبيانات موضوعية ذات صلة بالبحث، لا يتم إلا عن طريق مقابلتنا للأفراد المعنيين بالدراسة من خلال حواراتنا معهم ومقابلاتنا لهم في إطار محادثات مرتب لها مسبقا وليس بمحض الصدفة.

ولتقنية المقابلة عدة أنواع لكل منها مميزاته وخصائصه وقد اعتمدنا في بحثنا هذا على المقابلة النصف موجهة والتي وجدناها الأنسب لموضوعنا، من خلال طرح أسئلة لمبحوثينا أعددناها سلفا مسطرة وما يتماشى مع أهداف بحثنا، والتي تعطي الحرية للمبحوث للإجابة بأريحية دون مقاطعته وما علينا إلا توجيهه ضمن مسار المقابلة وما تتضمنه من أسئلة تخدم موضوع الدراسة .

حين اعتمادنا على المقابلة (دليل المقابلة) أخذنا بعين النظر نقاطا ذات أهمية نذكرها :

- إن الأريحية التي يجري بها حوار المقابلة مع المبحوثين تجعلهم في حرية تامة للتعبير عن ما يجول بخاطرهم وتذكر كل ما له علاقة بموضوع الدراسة، وما قد يساعدنا ولو بقليل في جمع معلومات ومعطيات

[1] Blanchet. Alain, Gotman .Anne, **l'enquête et ses méthodes : l'entretien**, Editions Nathan, Paris, 1992, p. 19

جديدة، أن إعطاء مكانة للأفراد واحترامهم يجعلهم يحبذون قربنا ولو لفترة قصيرة، ففي كثير من المرات نصادف مبحوثين نجري معهم المقابلة وحين انتهائنا يقوم بإرسالنا إلى أخر كل هذا لم يكن ليحدث لو أن المبحوث لم يشعر بطمأنينة واحترام اتجاهه.

كما أننا في سردنا للأسئلة على مبحوثينا لا نعتمد على القراءة من الورقة لأمرين هامين :

– حتى لا تنحصر المقابلة في شكلها العلمي الأكاديمي وبالتالي تخوف المبحوثين من الإجابة.

– المستوى التعليمي للمبحوثين يختلف من شخص لأخر، فقد لا يتمكن كل المبحوثين من فهم الأسئلة لدى وجب طرحها بشكل مبسط ولغة سهلة واضحة للجميع (اللهجة المحلية).

– لم نطرح الأسئلة بنفس ترتيبها الذي جاء في دليل المقابل، إذ في كثير من الأحيان ينساق المبحوث في زاوية معينة يسرد من خلالها معلومات تصب كلها في محور بأكمله فلا يمكن مقاطعته لدى كان التسجيل هنا مهم للغاية.

– إرتأينا أن نقسم دليل المقابلة إلى عدة محاور كل محور يختص بجملة من الأسئلة والتي تخدم فصول الدراسة، فدليل المقابلة الخاص بالحرفيين قسمناها إلى ثلاث محاور في كل محور 04 أسئلة، أما دليل المقابلة المدعم والذي اعتمدناه في شق الدراسة النظري احتوى محورا واحدا احتوى مجموعة أسئلة وعددها 08 أسئلة .

5-2-2-2- الملاحظة بالمشاركة :

وهي من أبرز التقنيات في البحوث الميدانية الأنثربولوجية إذ " يدخل الباحث كعضو في المجموعة ويمارس دور الملاحظ دون أن يكون جزء من المجموعة أو قد يمارس دون ملاحظة "[1]، أي أن مشاركة الباحث ضرورية فلا يمكن أن يكلف شخصا أخر للقيام بفعل الملاحظة بدلا منه، وتعتبر تقنية ذات أهمية

[1] ليلى الطويل، .**طرائق البحث في العلوم الاجتماعية** ، بترا للنشر والتوزيع ،دمشق. (دت) .ص212

كبيرة بالنسبة للباحث خاصة في الشق الميداني للدراسة، إذ الاعتماد عليها أكيد وذلك يرجع للمصداقية التي تتسم بها المعلومات المستسقاة منها نظرا لكونها مأخوذة من الواقع .

إن الباحث لا يقتصر بحثه على الملاحظة فقط بل ويشارك رفقة مبحوثيه ويندمج معهم ويحتك بهم أكثر فالتفاعل مع عينة البحث والاحتكاك بها يرقى بهذا الأخير إلى نتائج علمية محققة أصلها الواقع المعاش.

ويمكن اعتبار تقنية المقابلة داعما ومساندا قويا لأداة الملاحظة من خلال ما تم الحصول عليه من معطيات أكثر عمقا وتفصيلا لموضوع البحث.

ورغم أننا لم نعتمد الملاحظة بالمشاركة بشكلها الصحيح والمباشر من معايشة للمبحوثين نظرا للعراقيل التي لازمت الدراسة في شقها الميداني كضيق المحلات ووصولنا في أوقات إما باكرة وإما أوقات عمل، ناهيك عن صعوبة التعامل من المبحوثين لأن الحرفة كما سبق و أشرنا لها هي رجالية محضة، إلا أننا لم نغفل على الإحاطة بميدان الدراسة بتسجيل وملاحظة كل شاردة وواردة خاصة ما تعلق بالمصنوعات النحاسية و زبائن المحل و نوعية السياح الزائرين للمحلات.

5-2-2-3- التسجيل الصوتي :

يمكن تعريف التسجيل الصوتي بأنه حفظ الصوت عن طريق استخدام ألة تسمى المسجلة لإعادة الاستماع إليها فيما قبل، ومع التطور التكنولوجي الراهن فقد تعدد تقنيات التسجيل وألياته كاستخدام الهاتف النقال الذي يحوي هذه الميزة ضمن إعداداته، وهي تقنية ضرورة ومساعدة خصوصا في البحوث والدراسات الأنثربولوجية لا سيما لتقنية الملاحظة، فاعتمدنا التسجيل الصوتي في دراستنا بعد استئذان مبحوثينا لما له من إيجابية كاختصار الوقت والجهد كما نضمن من خلاله الحرفية في نقل المعلومة من مصدرها دون زيادة أو نقصان، عن طريق إتاحة المجال أمام المبحوثين للحديث بأريحية مطلقة في سرد الحقائق، ولأن حرفيينا

من فئة الرجال فلم يكن هناك مانع لديهم في تسجيل المقابلات ما جعل هذه الأخيرة تسير في ظروف حسنة تخلو من الشك ورفض البعض لهذه التقنية.

5-2-2-4- التصوير الفوتوغرافي :

عرف التصوير الفوتوغرافي على أنه" نوع من السرد المركز الكفيل بالاستغناء عن الشرح المطول لموضوعها"[1]

كما يعتبر التصوير الفوتوغرافي تقنية مكملا لتقنية الملاحظة، بحيث يساعد الباحث في توثيق الممارسات والأحداث الاجتماعية والثقافية لمجتمع الدراسة، من خلال المادة التي يجمعها والاستفادة منها وبالتالي فالتصوير الفوتوغرافي ذو اهمية بالغة لرصد الحقائق بشكلها المادي الملموس تساعد الباحث في توثيق ما تم ملاحظته.

ولقد تم اعتماد هذه التقنية في بحثنا من خلال تصوير التحف والمشغولات النحاسية على اختلاف ألوانها وأشكالها وأحجامها فقد حرصنا على تصوير ما يمت بصلة لموضوع بحثنا، كما أنها ساعدتنا في توثيق الكثير من الأدوات والوسائل المستخدمة في الممارسات الثقافية بالمنطقة كطقس التقطير (تقطير الورد).

كانت هذه أرضية الجانب الميداني للدراسة، من خلال الخطوات التي يتتبعها أي باحث والمتعلقة بجمع البيانات وتقديمها في إطارها البشري والمكاني والزمني، مستعينين في ذلك بمختلف التقنيات والأدوات العلمية والمناهج والتي تخدم موضوع البحث.

وقبل الانطلاق في عملية تحليل المقابلات التي أجريت مع مبحوثينا، ارتأينا أن نعرض من خلالهم كيفية تحضير تحفة نحاسية من خلال معرفة أهم الوسائل والأدوات المستخدمة في ذلك.

[1] علاء جواد كاظم. **الصورة حكاية انثربولوجية**. دار التنوير .لبنان.2013.ص 43

إن لكل أنية أو قطعة نحاسية قالب وطريقة خاصة لتشكيلها ففي بداية الأمر" يقوم الحرفي النحاسي عند تشكيل الأنية بالنقش، ثم بعد ذلك باستعمال بعض الأدوات منها المطارق والأزاميل الحديدية التي تختلف باختلاف المواضيع الزخرفية المراد تشكيلها وباختلاف الأواني المراد عملها"[1]، فتشترك هذه الوسائل والأدوات مع مهارة وإبداع الحرفي حتى يصنع تحفا نحاسية في غاية الإتقان والروعة ومن أهم هذه الأدوات التي يعتمدها الحرفي في صناعة المشغلات النحاسية :

1- المطارق :

تعد المطارق أحد أهم وأبرز الأدوات المستعملة لدى الحرفي النحاسي إذ هي مصاحبة له خلال معظم المراحل التي ستمر عليها القطعة المراد تشكيلها ، سوآء في صناعتها أو زخرفتها أو تنعيمها فهي بهذا لديها العديد من الأنواع والأشكال والوظائف فهي ذات " رؤوس مصنوعة من مواد مختلفة كالمعدن والخشب كما ان مقابضها الخشبية تنمح راحة اكثر لمستعملها وتوفر عليه بعضا من الجهد"[2].

وحسب مبحوثينا فأنواع المطارق المستخدمة لديهم يمكن حصرها في :

أ/-**مطرقة التسطيح:** هي مطرقة مصنوعة من الخشب ذات رأسين تستخدم لتسطيح النحاس.

ب/- مطرقة التشفير: وهي مخصصة في صناعة كل ما هو مستدير كتسوية حوافي السينيات والأطباق النحاسية.

ج/- مطرقة عادية بسيطة : ولها استخدام بالطرق على الأزميل أو استعمالها لوحدها .

2- الأزاميل :

[1] عبد العزيز مرزوق. **الفنون الزخرفية الاسلامية في العصر العثماني**. مصر. الهيئة المصرية العامة للكتاب.1987.ص 148

[2] Ayachi T, "**L'artisanat du cuivre en Tunisie**", In R. C. A. T. P. institut national d'archéologie et d'art, N°1, Tunis, 1968, p163

يستخدم حرفي النحاس الإزميل في عملية تحديده للزخرفة المراد الحصول عليها في القطعة النحاسية من خلال إتباعه للرسم الذي خطه سابقا لها، إذ يطرق الحرفي على الإزميل بواسطة المطرقة ويتتبع الإزميل الشكل المرسوم على الصفيحة النحاسية وذلك عن طريق الرؤوس المتنوعة التي يمتاز بها الإزميل فمنه الحاد والمذبب، ويوجد له أنواع تتمثل في:

أ/- **الظفرة** : وهو نوع من أنواع الأزاميل يتم من خلاله تشكيل ما يعرف "بالخروز" على شكل ظفرة.

ب/- النقطة : وهو مشتق من إسمه فبإستخدام هذا الإزميل أثناء الطرق يشكل نقاط.

ج/-المقاطع : تستخدم أزاميل المقاطع في عمليات القطع كما به يوجد عدة أنواع كالمقاطع الهرمية التي تستخدم في الأشكال الهرمية والمسطحة الخاصة بالمثلثات والخطوط ذات الشكل المنكسر، وكلهم يستعمل في عملية الزخرفة بالطرق عليه.

د/- الغبرة : وهو أزميل يستخدم في عملية الترميل وسمي كذلك لأنه حين الدق عليه ينتج أثار تشبه حبيبات الرمل.

3- الزبرة : الزبرة عبارة عن عمود مشكل من معدن صلب مرتكز على أساس وقاعدة من الخشب، جعلت لأجل الدق وتسوية الأواني والقطع النحاسية عليها ومنها نوعان هما :

أ/- **زبرة النقش والتفريغ** : وهذه الزبرة مختصة بعملية النقش وهي قطعة من حديد مثبتة على لوح خشبي.

ب/- زبرة الضغط : وهذا النوع من الزبرة يكون عمودي الشكل ذو قاعدة من الحديد، حيث يوضع عليها النموذج المراد العمل عليه وتستخدم للتشكيل والزخرفة .

4- الملاقط : تستعمل الملاقط لشد القطعة النحاسية المراد تسخينها أو امساكها في عملية الحرق .وهما نوعان :

ا/- **ملقاط عادي** : ويستخدم هذا الاخير من اجل حمل الاواني ذات الحجم الكبير اثناء عملية الحرق.

ب/- ملقاط (بوخرصة) : حسب حرفي قسنطينة ويستخدم لحمل الاواني ذات الحجم الصغير اثناء القيام

بعملية الحرق.

- **المقص** : يستخدم المقص من أجل قص الصفيحة النحاسية وقطع الزوائد.

- **المدور**: ويعرف المدور عند حرفيي قسنطينة ب (البركار) ويستخدم المدور للتخطيط ووضع المقاسات الخاصة بالزخرفات.

إن الحرفي وباستخدامه لجملة الادوات والوسائل سابقة الذكر يمكنه الحصول على قطعة نحاسية غاية في الروعة والإتقان، من خلاله تتبعه لمراحل تطويع المادة الأولية بدقة "حيث تسخن الصفائح النحاسية جيدا ثم يقوم بقولبتها وتليها مرحلة التشكيل، ثم التلحيم ختاما بمرحلة النقش عليها باستعمال رسومات خاصة بمدينة قسنطينة أشهرها نقشة الزقوقو" **مقابلة مع الحرفي النحاسي أ/ف يوم 2023/11/5 الساعة 10:00.**

إن ما لوحظ من خلال المقابلات التي أجريناها مع مبحوثينا أن حرفة صناعة النحاس مهنة يصعب القيام بمراحلها كاملة، من خلال حرفي واحد بل وبشهادتهم أنه من النادر جدا أن نجد كل هذه المهارات تجتمع في حرفي نحاسي واحد، إذ لكل حرفي منهم وظيفة محددة يقوم بها كالتخطيط والرسم والنقش وغيرها ، لدا نجد أن صناعة التحف والأواني النحاسية لا ترتكز على ورشة واحدة أو حرفي واحد، بل نراها تتوزع على حرفيين وورشات مختلفة كل منها يختص في نمط معين.

ورغم ما عرفته الحرفة في السنوات الأخيرة من تطور وتقدم تكنولوجي مس طرق وكيفية تصنيع القطعة النحاسية، حاولت الآلات من خلال ذلك تقديم البديل الأسرع في تحضير الأنيات في وقت قياسي عوض انتظار انتهاء مراحلها في وقت أطول، غير أن الحرفي والزبون لمسنا أن كلاهما لا تغريه الألة الحديثة لأن حرفة صناعة النحاس في نظرهم مهنة لا يقدرها إلا من يعرفها، فرغم التعب الكبير والجهد

الأكبر في تحضير المشغولات النحاسية إلا انهم يفضلون العمل بأناملهم والإستمتاع بصوت مطارقهم وهي تدق على الصفائح النحاسية لأن كل قطعة لها خصوصية فنية وجمالية لا تقدر بثمن .

سنقدم فيما يلي عرض دراسة حالة مع مبحوثي الدراسة المنوه إليها سابقا:

5-3- عرض حالات الدراسة :

✶ **الحالة الأولى:**

المحور الأول : البيانات الشخصية

السن : 65 سنة

الحالة الإجتماعية : متزوج

الأصل الجغرافي : قسنطينة

المستوى التعليمي : دون مستوى

طبيعة النشاط : حرفي و بائع

مدة النشاط : 40 سنة

المحور الثاني : حرفة النحاس و الحرفيين

يتعلق هذا المحور بأسئلة المبحوثين حول حرفة النحاس فأجابنا مبحوثنا عن كيفية تعلمه الحرفة بقوله **" تعلمت الصنعة على جدي ربي يرحمو"** وفي إجابته كل الفخر والاعتزاز بهذا التوريث العائلي وبسؤالنا له كيف يرى الحرفة صرح **" حرفة النحاس في قسنطينة هي كلش "** حيث اختصرت هذه الجملة كل عراقة الحرفة وتاريخ المدينة وأما عن إقبال الشباب للحرفة فأقر أن الشباب ما زال فيهم من يريد تعلمها في قوله **" ليجان مازالو كاينن لحابين الحرفة"**، ويواصل المبحوث حبه وتعلقه بالحرفة **"موحال نخليها**

ابنتي كلي قلتيلي روح تروح " وأن لا شيء يغريه لتركها، فهو يرى فيها ماضي عريق ومستقبل زاهر للمدينة وللحرفة خصوصا حسب قوله **"بربي نشاله المستقبل ليها وترجع خير من بكري"** .

المحور الثالث : حرفة النحاس تساهم في النهوض بقطاع الصناعة التقليدية

يرتبط هذا المحور بالحرفة ومدى مساهمتها في النهوض بقطاع الحرف والصناعات التقليدية حيث كان أولى أسئلتنا يتعلق بالمادة الأولية حيث أخبرنا المبحوث أن **" المادة كاينة بصح غالية شوية "** أي أن الندرة ليست موجودة غير أنها ذات أسعار مرتفعة ، كما نفى دعم الدولة له بقوله**" مايدعمنا حتى واحد كلس بصواردنا"** وحتى من جانب تسويق منتوجاته الحرفية يخبرنا **"حنا نبيعو هنا بعد فلمحل تاعنا"** فاعتماده على نفسه من حيث التسويق ودعم الجهات الوصية، ويضيف مبحوثنا والذي يتضح من خلال حديثه أنه صارم و لا يحب المشاحنات مع الدولة في قضية امتلاكه للسجل التجاري **"روجيستر لازم انا منحبش لحسوسات والمشاكل مع الدولة "**، وحين سؤاله عن الحرفة ومدى مساهمتها في تنمية قطاع الصناعات التقليدية أجاب **"تعاون الحرفة هيه كنوليو نخدمو طول العام او المدخول كاين لينا وليهم "** أي أن خاصية التأثير والتأثر تؤخذ القسط الأكبر في بين الحرفة وقطاع الحرف والصناعات التقليدية.

المحور الرابع : الموروث الثقافي ومكانته لدى العائلة القسنطينية المعاصرة

ويتضح في هذا المحور ما يخص الموروث الثقافي للمدينة والعائلة من أسئلة حيث استهلينا سؤال مبحوثنا عن مدى مساهمة حرفة النحاس في الحفاظ على إرث المدينة وماضيها فأجابنا **" النحاس هو وجه قسنطينة من بكري كون منحافظوش عليه راح وجها"**، حيث أكد بلهجته الصارخة بأن النحاس هو مرأة المدينة ووجهها الذي تظهر به فإن غاب النحاس غابت عراقة الحرفة وتاريخها ، أما ما تعلق بحفاظه عن الزخارف والنقوش القديمة أقر أنه لا زال يحب كل ما هو قديم "حنا مازلنا نخدمو لقديم تع بكري والرسمات تاعو"، ويواصل مبحوثنا أن العائلات القسنطينية اليوم لا زالت تعشق الصناعات الحرفية نحاسية الصنع **" بيانسور العايلات مازالو يجيو ماش كبكري بصح يجيو خاطر يحبو النحاس"**، كما يرى مبحوثنا في عودة

تشبيب الأواني النحاسية أو استبدالها بأخرى شيء جميل **"هيه حاجة مليحة للنحاس ولينا تمشي الخدمة "** هذا ما يمكنه أن يعزز مكانته لدى القسنطينيين أكثر فالنحاس حسب مبحوثنا **" بلاصتو كبيرة عند لقسنطينية وحتى على برى يحبوه"**، غير أنه ينوه إلى بعض المشاكل التي من شأنها أن تعيق الحرفة في قوله **"الصعوبات أي باينة الماتيار غالية وتاني نقص التسويق ودولة تاني مقاعداش دعم فينا"** على غرار غلاء المادة الأولية يشير مبحوثنا إلى نقص الدعم و مشاكل على صعيد التسويق، ثم ينهي حديثه حول الحرفة وما يعتريها من مشاكل يمكن أن تعصف بماضيها إلا أنه يؤكد **"النحاس كون منوقفوش عليه يروح لازمنا نخدمو كثر بعدا مع تكنولوجي هادي"** ينوه مبحوثنا الى خطر التكنولوجيا الذي من شأنه أن يساهم في تلاشي الحرفة وزوالها.

تقييم الحالة :

إن ما أقره مبحوثنا خلال مقابلته ينم عن مدى حبه و تعلقه الشديد بالحرفة وما تمثله من فخر واعتزاز بالنسبة له، كما أنه لا يرى في صناعة النحاس مجرد حرفة فقط بل يمثل مدينة بأكملها، فهو لا يفكر إطلاقا في ترك الحرفة، غير أنه نوه إلى العديد من الصعوبات والعراقيل التي تواجه الحرفة والحرفيين في مدينة الجسور المعلقة، كنقص التمويل من طرف السلطات والجهات الوصية وكذا مشكل التسويق الذي بات يؤرق الحرفي، وما قد يزيد الطين بلة هو الغزو التكنولوجي الذي أصبح خطرا محدقا يهدد حرفة النحاس في قسنطينة، لدى وجب تظافر الجهود والعمل أكثر حتى نحمي الحرفة من الاندثار واالزوال.

✶ **الحالة الثانية :**

المحور الأول : البيانات الشخصية :

السن : 50 سنة

الحالة الاجتماعية : متزوج

الاصل الجغرافي : قسنطينة

المستوى التعليمي : أولى متوسط

طبيعة النشاط : حرفي نقاش وبائع

مدة النشاط : 35 سنة

المحور الثاني : حرفة النحاس والحرفيين

ينطلق مبحوثنا من تعلمه الحرفة ومن السبب في ذلك حسبه **" تعلمتها على بابا وجدي ربي يرحمهم"** فهو يرى فيها حرفة تضرب بجذورها أعماق التاريخ حيث صرح بقوله **"حرفة النحاس حرفة قديمة ملي كانو لتراك بكري في قسنطينة ومزالت لليوم"** بتذكير منه على مواصلة الحرفة صمودها إلى حد الساعة غير أنه ليس متفائل كثيرا من شباب اليوم وعلاقتهم بهذا الإرث الثقافي بقوله **" ليجان تع اليوم اكي تعرفي بصح كاين لمزالو شاتيين حرفة النحاس "** فتمنى لو كانوا على قدر حبه وارتباطه بالحرفة حينها قال **"جامي تفرط فيها أي نموت عليها كواحد من ولادي والفت النحاس وضربات لمارطو في وذنيا "** لكن أمله قائم في هذا الشباب لاستعادة بريق الحرفة ومكانتها **" كتركحنا الشبيبة وتخدم من قلبها والله ترجع الحرفة خير من بكري"** .

المحور الثالث : حرفة النحاس تساهم في النهوض بقطاع الصناعة التقليدية

يبقى غلاء المادة الأولية الانشغال الأول للحرفيين في مدينة قسنطينة ويقول مبحوثنا في هذا الصدد **"لالا المادة كاينة عادي بصح غالية "**، ناهيك عن غياب تدعيم الدولة ويواصل في سياق حديثه **" باه دعمك كل واحد يجري بدراهمو"**، وعن تسويق منتوجه الحرفي يقر مبحوثنا **"نبيع في حانوتي تع باردو وعندي حانوت خلاف فدقسي عبد السلام "**، أما ما تعلق بالسجل التجاري فمبحوثنا لا يحبذ الخلافات والصراعات التي قد تنجم عن عدم امتلاكه لهذا الأخير في قوله**" انا بابا خلالي لبلاصة نظيفة نخليها**

نظيفة بكويرطاتها كنروح انا ربي يسهل علولاد" تعبيرا منه عن سلامة وثائقه وسيره الحسن مع السلطات وبعد ذهابه فأولاده أحرار بعد ذلك، ثم أعرج مبحثنا للحديث عن مساهمة حرفة النحاس في تنمية قطاع الصناعات التقليدية **"يعاون النحاس كيفو كيحوايج خلاف وزيد هو لمعروفة بيه قسنطينة كيعطيولو حقو يمد هو ثاني "**، أي أن النحاس يساهم كغيره من الصناعات التقليدية إلا أنه الأكثر شهرة في قسنطينة .

المحور الرابع : الموروث الثقافي ومكانته لدى العائلة القسنطينية المعاصرة

"النحاس من بكري في قسنطينة وليقول قسنطينة يقول النحاس ، حنا نحاولو بلي قدرنا باه ما يموتش نخدمو ونعاودو لقديم اي حاجة تساهم وفرات" كان هذا جواب مبحوثنا حين سؤاله عن مساهمة حرفة النحاس في صون موروث المدينة، ويضيف في هذا الصدد **" نخدمو لقديم وجديد ولكان حب لكليو نخدمولو هيه"** أي أن المبحوث مستعد لأي شيء متعلق بالحرفة وبقاءها، غير أنه قلق بشأن العائلات لا من حيث تعلقها بالنحاس وإنما ترددهم على محلات الحي العتيق "باردو" **" شوفي نصارحك مبقاوش يجيو كبكري بصح عادت بيريود تع اعياد ومناسبات نشوفوهم بزاف بصح كل يشتيو النحاس لاشتا ميجيوش"**، كما يرى في إعادة التشبيب وتبديل القديم بالجديد**" حاجة مليحة منها نعاودو نرجعو نحييو لقديم ومنها نحافظو علحرفة"**، فكل القسنطينيين يتشاركون في حب هذا المعدن حسبه **" جابلي ربي مكانش قسنطيني ميحبوش"** ، غيره أنه يعاني من مشاكل عدة تواجهه يقول مبحوثنا" **المشاكل معروفة ابنتي المادة نجيبوها بلغلا وزيد لمشكل لكبير معندكش وين تبيع خدمتك تقعد معرمة عندك فلمحل "**، ويكمل حديثه ليؤكد على وجود مشكل أخر**" هاد لتكنولوجي صعيبة كون منعرفوش كيفاه نتحايلو معاها والله يروح النحاس لازم نتعاونو مع دولة وتزربنا بالمشروع لقالتنا عليه بربي متروحش الحرفة"** وهو مشكل التطور والتكنولوجيا السريعة في السنوات الأخيرة .

تقييم الحالة :

يقر مبحوثنا أن الحرفة متوارثة أبا عن جد حيث تعلمها عن جده وأبيه ويذكرنا بتاريخية الحرفة منذ التواجد العثماني بمدينة الجسور المعلقة، فهي تصارع منذ ذلك الحين حتى لا تقتلعها رياح الحداثة والعصرنة، وعن نظرته لشباب اليوم فهو ليس متحمسا حول رفعهم للتحدي ومواصلة المسير، غير أن الأمل يحذوه بوجود البعض منهم ممن يعشقون الحرفة، فمبحوثنا يرى في حرفة النحاس مساهما ذو أهمية في قطاع الحرف والصناعات التقليدية رغم المشاكل التي تواجههم كنقص المادة الأولية وعدم دعم السلطات ومشاكل التسويق، ورغم كل الصعاب والعوائق تبقى قسنطينة وعائلاتها حسبه تعشق النحاس وتساهم في إبقاء الحرفة من خلال عودة التشبيب للأواني النحاسية وكذا استبدال القديم منها بالحديث كل هذا يصب في صالح الحرفة والحفاظ على إرث المدينة من الاندثار.

★ **الحالة الثالثة:**

المحور الأول : البيانات الشخصية:

السن : 55 سنة

الحالة الاجتماعية : متزوج

الاصل الجغرافي : قسنطينة

المستوى التعليمي : إبتدائي

طبيعة النشاط : حرفي بائع

مدة النشاط : 31 سنة

المحور الثاني : حرفة النحاس والحرفيين

تعلم المبحوث الحرفة من " **جدودي ربي يرحمهم**" إذ يرى فيها حرفة قديمة جدا ولا زالت قائمة إلى يومنا هذا " **حرفة جدودنا ومالينا ومزالت ماشية**" وأن ارتباطه بها كبير جدا " **وشلي نخليها اني عشت هنا كثر من داري**"، غير أن له في شباب اليوم رأي أخر " **ماكان ماكان الشبيبة تمشي بهواها**"، لكن إذا ما

تعلق الأمر بمستقبل الحرفة بالمدينة يأمل أن ينهض شبابها" **حنا نعولو على زرق الطبة (وهو لفظ محلي يطلق تعبيرا عن الله عز وجل والطبة هي السماء) ونتوكلو عليه ونتعاونو مع الشبيبة تاعنا وبربي ما يكون غير الخير للنحاس** "

المحور الثالث : حرفة النحاس تساهم في النهوض بقطاع الصناعة التقليدية

يبدأ مبحوثنا بالإشارة إلى المادة الأولية " **كاين كلش بصح لغلا**" إنها ليست في المتناول بسبب غلاءها إضافة إلى " **مكانش دعم الدولة انا نجريو بصواردنا**" أي أنهم يتحملون أعباء كل شيء، وحتى في تسويق منتوجه " **نبيع الشي لكتب ربي هنا والحمد لله**"، وعن سيره القانوني يضيف مبحوثنا" **انا عندي لاكارط تع حرفي فارز بيها روحي**"، كما ينوه إلى أن الإقتصاد المحلي أو الوطني ينهض من خلال " **حنا كنوليو نخدمو ديما ومنحبسوش انا ندخلو لفايدة لينا ولدولة**".

المحور الرابع : الموروث الثقافي و مكانته لدى العائلة القسنطينية المعاصرة

في إطار حماية الموروث المادي للمدينة يقول مبحوثنا " **حنا نديرو أي حاجة باه ميروحش النحاس واي حاجة ترضي لكليو تاعنا خاصة العايلات ولعرايس ليساعدهم نديريه باه منكرهوهمش فلحرفة وتقعد ليجايين ورانا**"، أما عن إستخدامه للنقشات القديمة يصرح " **انا نخدم الشي لقديم ونحس بليامات الزينة بصح الطلب عليها قليل نولي نتبع فزبون تاعي ليطلب عليها نديرها**"، كما أن إقبال العائلات حسبه " **يجيو العايلات لقسنطينية بصح ماش كبكري منكدبش عليك المهم مازال يحبو سول لجدود**"، وكحل لاستعادة الحرفة بريقها يرى في إعادة تشبيب الأواني أو إستبدالها بأخرى " **والله علكيف أي حاجة تخلي نحاس مايروحش حنا ام هنا** "، ففي حب الحرفة يشترك الجميع حسبه" **موحال تكون ولد قسنطينة ومتحبش النحاس بلاصتو عزيزة عند ناس قسنطينة**"، ويواصل مبحوثنا عن ما يعتري الحرفة من عوائق "

اول حاجة الماتيار غالية وزيد الدولة وعدتنا ديرنا بلاصة ننشطو فيها مكانش " كما يضيف إلى خطر أخر يهدد الحرفة **" لتكنولوجي هادي بزوج طرق تقدر تهلكنا ويروح النحاس خلاص ولا نقدرو نخدمو بيها كيما حكاية لاباج لدايرينها كيما قلتي نتي (التسويق الالكتروني هذا)".**

تقييم الحالة :

وتبقى الحرفة متوارثة أبا عن جد هذا ما صرح به بحوثنا، وأنها حرفة الأسلاف ولن تزول أبدا في تعبير شديد منه عن تعلقه بالحرفة وارتباطه بها، كما أن أمله كبير في شباب اليوم رغم قلة إقبالهم وعزوفهم عن تعلم الحرفة إلا أنه يرى أن يضعوا جميعا أيديهم معا حتى يسيروا بالحرفة نحو مستقبل أفضل، ثم يعود مبحوثنا ليتحدث عن المشاكل التي تواجه الحرفي القسنطيني بداية بغلاء المادة الأولية وغياب دعم الدولة ومشكل تسويق منتوجاتهم الحرفية، كل هذه العوامل تعرقل من النهوض بقطاع الصناعة التقليدية حسبه لأن استمرارية عمله وتسويق منتوجاته يعود في نظره بالفائدة على الجميع، ويؤكد مبحوثنا أنه لا يدخر جهدا في إعادة الحرفة إلى طريقها الصحيح سواء بإرضاء الزبائن من العائلات القسنطينية أو العرائس من خلال ما يطلبونه سواء من التحف الرسومات التي يحبذونها أو لون القطعة، فمبحوثنا لا يمانع إطلاقا في العمل كما أنه يشجع عودة تشبيب الأواني النحاسية أو استبدالها بأخرى لأنه أمر مساعد على عودة الحرفة إلى الواجهة، وينهي مبحوثنا أن النحاس يملك مكانة وقيمة لدى القسنطينيين لا يفهمها غيرهم.

✶ **الحالة الرابعة:**

المحور الأول : البيانات الشخصية :

السن : 62 سنة

الحالة الإجتماعية : متزوج

الأصل الجغرافي : قسنطينة

المستوى التعليمي : دون المستوى

طبيعة النشاط : حرفي بائع

مدة النشاط : 40 سنة

المحور الثاني : حرفة النحاس والحرفيين

إن انطلاق الحرفة مع مبحوثنا كانت على يد " **عمي ربي يطول في عمرو**" وأن حرفة النحاس في قسنطينة تمثل مدينة بأكملها " **كتقولي قسنطينة قلتي النحاس**" ويواصل حبه للحرفة والمتضح في عباراته الصادقة " **والله منفرط فيها حتى يهزوني فالنعش**" لأنه يرى في حرفة قسنطينة تاريخا عظيما وماض عريق " **النحاس من بكري مشرف قسنطينة لام نتعاونو برك ومنخليوهش يروح** "، غير أنه ينوه لضعف إقبال الشباب على تعلم حرفة الآباء والأجداد " **كاين بصح قليل** ".

المحور الثالث : حرفة النحاس تساهم في النهوض بقطاع الصناعة التقليدية

لا تزال المادة الأولية حديث المبحوثين " **كاينة نورمال بصح غالية شوية**" ناهيك عن عدم دعم الدولة الكافي حسبه " **لعندو دراهم يخدم وليمكانش يرضى بلقليل لعندو**" وحتى من جانب تسويق منتوجاته الحرفية يؤكد " **انا الطفل ولدي مدبر راسو قالي فلميكرو ولا معرف واش يعيط لجماعة يجيو يديو**" كما ينوه مبحوثنا إلى أنه في سير حسن مع السلطات ولا يوجد مشاكل من خلال ما أقره " **انا داير لاكارط تع الحرفي علكيف نقاصة هرج (أي مشاكل) مع الدولة**"، كما أن النحاس حسبه له إسهام كبير في نهوض قطاع الحرف والصناعات التقليدية بقوله " **باينة كيتحرك النحاس ويعود يمشي مليح يتحرك المدخول لينا ولدولة** " .

المحور الرابع : الموروث الثقافي و مكانته لدى العائلة القسنطينية المعاصرة

وعن محافظته للحرفة كموروث للمدينة يقول **"انا نحب النحاس ونعاون باي حاجة باه ميروحش خاطر هو وجه لمدينة "**، أما ما تعلق بحفاظه على النقوش والزخارف القديمة **"شوية ابنتي ماش كبكري انا ربي سبحانو كارمني بزوج محيلات (والمقصود بها تصغير لكلمة محل بلهجة اهل المدينة) صغار واحد لراكي فيه داير فيه الشي لقديم ونشبب فيه ولاخر عاطيه لطفل تاعي داير فيه شي لخارج درك"** .

وأكد حب العائلات القسنطينية للنحاس " **العايلات القسنطينية يموتو عنحاس من بكري وهوما ليشجعونا باه متروحش الحرفة** " كما أنه يؤيد أي شيء يستطيع أن يعيد الحرفة للواجهة من خلال " **انا نشبب ونبدل للناس اولا ناس ظروفي وماش بكل تقدر تشري النحاس خاصة لصفر غالي شوية وثانيا انا نخدم على روحي** "، ويضيف عن تعلق القسنطنيين به " **بلاصتو كبيرة وكاين شي ناس ومتتحطش قهوة العصر في سينية تع نحاس والله لا يشربها** "، لكن تبقى بعض المشاكل تعيق حرفيي النحاس بمدينة قسنطينة " **المادة غالية تتحتم علينا نخدمو بلعقل والتسويق تاني ناقص**" وفي حل يراه مناسب للحفاظ على الحرفة من الزوال والضياع يقول " **حنا نخدمو ونكثرو من الخدمة تاعنا والدولة تشوفنا وين نبيعو خدمتنا**".

تقييم الحالة :

تبقى الحرفة في إطار التوريث إذ تعلمها مبحوثنا هذه المرة من عمه كحرفة يرى فيها مدينة بأكملها بتاريخها وجدورها وأصالتها، ولا يفكر في تركها أبدا لما لها من أمجاد وماض عريق، وتعتبر حسبه مصدر شرف للمدينة بأسرها غير أنه قلق على مستقبلها في أيدي شباب اليوم بعد النقص الملاحظ في إقبالهم، بالإضافة إلى عوامل أخرى تعرقل الحرفة والنهوض بالقطاع ككل كنقص الدعم وتصريف المنتوج النحاسي وغلاء المادة الأولية، غير أن مبحوثنا نوه إلى أمر هام وهو اعتماده من خلال ابنه على التكنولوجيا من جانب تسويق منتوجه من خلال فتح صفحة على المحيط الأزرق " فيس بوك"، وأنه لا يشكك في حب القسنطينيين للنحاس رغم نقص إقبالهم ألا أنه يرجع ذلك إلى غلاء المنتوجات لا سيما ذات اللون الأصفر، كما يشجع عودة التشبيب واستبدال الأواني النحاسية القديمة بالجديدة على أن يكون هذا عامل مساهم في الحفاظ على الحرفة، خاصة إذا ما تظافرت الجهود وقامت الدولة بالدعم خاصة من جانب توفير أماكن لتسويق المنتوج الحرفي النحاسي نكونوا قد ساهمنا في حماية هذا الإرث والحرفة من الاندثار.

✶ **الحالة الخامسة :**

المحور الأول : البيانات الشخصية :

السن : 48 سنة

الحالة الاجتماعية : ارمل

الأصل الجغرافي : قسنطينة

المستوى التعليمي : ثالثة متوسط

مدة النشاط : 18 سنة

طبيعة النشاط : حرفي نقاش وبائع

المحور الثاني : حرفة النحاس و الحرفيين

يصرح المبحوث أنه تعلم الحرفة عن طريق " **عمي وولاد عمي لدخلوني معاهم**"، فالحرفة لا تزال تعمل بمبدأ التوريث جيلا بعد جيل، وأكد مبحوثنا كسابقيه عن ارتباطه بالحرفة بقوله" **النحاس هو لهوا لنتنفسو انا ولقسنطينية بكل** "، لكن اعتراضه كان حول شباب اليوم الذي يرى فيهم " **كاين لحاب يتعلم وكاين لقلوقي مدابيه منهارومعلم وهادي متركبش**" تعبيرا عن ميزاجهم المتقلب، أما عن تركه للحرفة فرد بحرقة "**اوااه كون مجيتيش بنت قسنطينة نقول بلاك ميهمكش او ترات مدينتك وتاريخك**" لأنها بالنسبة إليه ليست مجرد حرفة، ويأمل لها بمستقبل زاهر يحفظ لها مكانتها، لكنه ينوه في هذا السياق ليصرح "

المستقبل ميجيش وحدو علبانا ليجان ماهمش حاطين راسهم كتاع بكري بصح نبقاو بشوية وراهم حتى يدخلو للصنعة ويتعلموها" لأن مستقبل الحرفة حسبه لا يكون إلا بسواعد أبنائها

المحور الثالث : حرفة النحاس تساهم في النهوض بقطاع الصناعة التقليدية

يواصل مبحوثنا حديثه عن المادة الأولية ومدى توفرها في الأسواق الجزائرية " **والله كلش كاين عيبك على دراهمك بصح غالية شوية** "، وعن جانب التسويق يواصل ذات المبحوث " **الدنيا طورت ولازمنا نطورو معاها رانا حالين باجا فلفيس بوك والحمد لله**" أي أنه يعتمد في تسويقه على وسائل التواصل الاجتماعي (فيس بوك)، وعن سجله التجاري أكد أنه يملك أوراقا لمحله لاتشوبها شائبة " **انا عندي روجيستر مهني راسي العبد كبير ابنتي مبقيناش تاع طلوع وهبوط وجريات**"، ويواصل مبحوثنا أن حرفة النحاس يمكنها أن تدر بدخل للمدينة وقطاع الحرف والصناعات التقليدية على حد سواء" **النحاس يقدر يدخل دراهم عجب لقسنطينة ولدولة ونستفادو في زوج حنا نبيعو وتمشي خدمتنا وهي تربح تاني**".

المحور الرابع: الموروث الثقافي ومكانته لدى العائلة القسنطينية المعاصرة

ما يراه مبحوثنا في حرفة النحاس أنها حرفة لن تزول ولن تندثر وأنهم مطالبون بالعمل والتجديد حتى تتمكن من البقاء **" نحاس مايموتش كون منفرطوش فيه حنا، خاطر لازمنا طول نجددو فيه ونبدلو فنقشات والرسمات باه نجيبو لكليو**"، كما أن المبحوث لا زال على ارتباط بالنقوش والزخارف القديمة غير أنه يعترف أنها في طريق الزوال وعن العائلات القسنطينية يرى مبحوثنا أنها تعرف جيدا قيمة ومكانة النحاس " **مازالو يشتيوه ولابروف نحاس لصفر لولى رجع وراهم دايرين بيه حالة** "، وفي تعليق منه حول عودة التشبيب واستبدال الأواني النحاسية "**حاجة مليحة المهم الموروث هذا مايموتش وكل واحد حر يشبب ولا يبدل** "، أما عن مكانته بين العائلات القسنطينية "**عندو مكانة كبيرة روحي دوريها ار دار كون متلقايهمش بكل عندهم حاجة نحاس وارجعي قوليلي**"، غير أن الحرفة تواجه عوائق عدة حسبه " **التسويق ناقص والماتيار غالية**"، وكحل يرى فيه المبحوث بقاء للحرفة وصمودها في وجه كل العوامل والظروف "

حنا علينا بالخدمة والدولة تاني تعاونا سيرتو فلحكاية لقالتنا باه تلمنا في بلاصة سبيسيال لينا حنا لحرفيين ".

تقييم الحالة :

لا تزال الحرفة دائما في نطاق التوريث وهذه المرة تتوارث عن طريق العم وأبناءه ما يأكدها تناقلها جيلا بعد جيل وما لمسناه في مبحوثنا هو أنه مرتبط ارتباطا وثيقا بالحرفة، فاعتبرها الهواء الذي يتنفسه هو وكل أهل مدينة قسنطينة العاشقين لهذا المعدن امثاله، فحرفة لنحاس ليست مجرد حرفة في نظره بل تاريخ امة وحضارة تعود لمئات السنين.

غير أن المبحوث بدا قلقا ومتخوفا بعض الشيء من مستقبل الحرفة خاصة ما تعلق بشباب اليوم فهم حسبه إقبالهم ضعيف مقارنة بالسنوات الماضية، لدى وجب الأخذ بأيديهم خاصة أنهم حسبه ذوي مزاج متقلب سريعي الغضب، إذ ما قارناهم بشباب الأمس حيث كان يتسم هذا الأخير بالصبر ورجاحة العقل رغم صغر سنهم فهذه خاصية حسب مبحوثنا يفتقر إليها شباب اليوم، كما لا ينكر أن الحرفة تعاني العديد من المشاكل والعراقيل التي من شأنها أن تسير بها نحو مالا يحمد عقباه كنقص المادة الأولية وتسويق المنتوج وغلاء المادة الأولية، ما جعل من مبحوثنا يتجه نحو حلول أخرى تخفف من العراقيل سابقة الذكر خاصة ما تعلق بمشكل التسويق ، فاعتمد المبحوث على وسائل التواصل الاجتماعي وبتحديد "الفيس بوك" الذي ارتئ أن يفتح صفحة من خلاله ليروج لمنتوجه عبرها إيجابية المبحوث نحو النهوض بالحرفة واضحة حتى يبقي على بريقها، لأن من شأن هذه الأخيرة أن تعود بالنفع على الحرفي وقطاع الصناعات التقليدية على حد سواء إذ ما تدللت الصعاب التي تواجهها.

كما يراهن المبحوث على عدم زوال الحرفة وموتها من خلال إيجاد حلول أخرى لمواجهة شبح الزوال والاندثار كتشبيب السلع أو استبدالها بأخرى، و حتى في إقبال العائلات القسنطينية وإن كان محتشما إلا أنه يساعد في عدم طمس معالم الحرفة ومحو أثارها لأن عشقهم لهذا المعدن النفيس ليس وليد اليوم بل

يضرب بجدوره أعماق تاريخية هذه الحرفة ، نوه مبحوثنا في نهاية حديثه إلى أمر بالغ الأهمية وهو ما وعدت به السلطات المحلية الحرفيين بإنشاء منطقة حرفية خاصة بهم، إلا أن هذا المشروع لم يرى النور إلى حد كتابة هذه الأسطر.

✶ **الحالة السادسة :**

المحور الأول: البيانات الشخصية :

السن : 43 سنة

الحالة الاجتماعية : متزوج

الاصل الجغرافي : قسنطينة

المستوى التعليمي : أولى ثانوي

طبيعة النشاط : حرفي نقاش و بائع

مدة النشاط : 15 سنة

المحور الثاني : حرفة النحاس والحرفيين

ينطلق مبحوثنا من السبب الذي جعله يلتحق بهذه الحرفة على خلاف عامل التوريث فيقول " **روحت لصاحبي لدارهم قالولي او هبط لباباه للحانوت روحت لقيتو خرج حكمني باباه قالي اقعد نقهويك وبقا يحكيلي عنحاس وقالي اذا حبيت ارواح نعملك مع الطفل(يقصد ابنه) من تم بديت**" فعامل الصدفة لعب دورا كبيرا في دخول المبحوث الحرفة وتعلقه بها، فهو يرى أنه ورغم النقص الذي تشهده الحرفة في اليد العاملة لا سيما من جانب شباب اليوم بقوله" **كاين بصح راسهم خشين مايطاوعوش لكبير ومايسمعولوش بزاف** " ،غير أن هذا لا ينقص من مكانة النحاس شيء حسبه " **لاشتا نحسو بلي الحالة ناقصة شوية**

بصح رانا نمشيو فيه خاطر موحال تكون قسنطينة بلا نحاس" ، ففي تصريحه تأكيد عن عشق الحرفة وعدم تركها فهو لا يفكر في إعتزالها **" والله منفرط فيها كون مدخلتش وخدمتها بلاك بصح ليدخل ويتعلمها موحال يخليها"** هذا الإرتباط بين المهنة والحرفي لا يكون من فراغ بل حسبه هو نتاج سنين من التعلم والعمل ورغم ما يعتري الحرفة من عراقيل إلا أنه يأمل في أن يكون لها مستقبل أفضل مما هي عليه اليوم" **مالغري الحالة وعارت بصح المستقبل في قسنطينة ديما لنحاس مدام مزال كاين الرجالة لتخدم وحابين الخير للمدينة ونحاس".**

المحور الثالث : حرفة النحاس تساهم في النهوض بقطاع الصناعة التقليدية

كغيره من الحرفيين يرى مبحوثنا فيما يخص المادة الأولية وأسعارها" **هي كاينة بصح سومة طالعة حنا قلنا تهبط ورا كورونا سع زادت شوية"** يربط المبحوث هناغلاء المادة بالوباء الذي أصاب العالم بأسره "كوفيد 19" المعروف (بكورونا) و تمنى أن تنزل الأسعار بعده إلا أن ذلك لم يكن بل على العكس من ذلك حسبه ، ثم يضيف بشأن الجهات الوصية **" حنا والفنا وحدنا كلش مالا لعبد يخدم بلي كاين وفرات"** فهو يعمل بقدر إمكاناته و حتى في مجال تسويقه لمنتوجه الحرفي يقول **" منعولوش بزاف على المعارض هادو خاطر ميندارش ديما انا هنا في حانوتي وزايد دايرين باجة فلفيس بوك وحاطين فلاباج تع قسنطينة أي سبيسيال تع الحرفيين "**، وأما عن جانبه القانوني فلم ينكر" **انا ما عندي والو الحق ومادرتش تاني لكارطة"**، ثم أنهى حديثه عن مساهمة الحرفة في تنمية قطاع الحرف والصناعات التقليدية بقوله **" النحاس حرفة تساهم كيفها كي حرفة خلاف من شي لنبيعوه وزيد ديرنا دولة لبليصة(تصغيرة لكلمة بلاصة ومعناها المكان) لنبيعو فيها انا نسناو لدرك مكان والو".**

المحور الرابع : الموروث الثقافي ومكانته لدى العائلة القسنطينية المعاصرة

ما زال مبحوثنا يراهن على حرفة النحاس وما يمكن أن تساهم به في الحفاظ على إرث المدينة وماضيها في قوله" **النحاس يبقى يمد واش عندو لاخر دقيقة خاطر كون تحبس الحرفة راح السول وراحت**

لمدينة على بعضاها" ويواصله حديثه عن محافظته على النقوش والزخارف القديمة " **انا نتبع واش يقلي لكليو ورايي نخليه عندي خاطر قادر تنصحو يقلك او باه يبيعلي لقديم مالا حاجتو راح حر"** فمبحوثنا يعطي كامل الحرية للزبون في الإختيار ، كما ينوه ذات المصدر عن العلاقة القائمة بين العائلات القسنطينية وهذا الموروث **" العائلات القسنطينية تعشق النحاس بكل وزادت لعوام لخرا هادي رجعت لنحاس لصفر مالغري غالي "** ، كما يرى في عودة التشبيب واستبدال الأواني النحاسية **" حاجة مليحة ليهم ولينا وحنا نخدمو سول تاع قسنطينة باه مايروحش هذا هو المفيد"**، ما يؤكد ارتباط المدينة الوثيق بهذا المعدن وما مدى مكانته عند أهلها **" قسنطينة كل تحب النحاس دار دار أي فلحوانت ولقهاوي وبلايص خلاف تلقايهم مزينين بحاجة نحاس**"، لكن يرى المبحوث مشاكل عديدة تواجه الحرفة من شأنها أن تعيقها بقوله **" الماتيار غالية وحتى كتجيب وتخدم تحصل وين تبيع "**، واعرب في الاخير عن التغير الحاصل والتطور الذي قد يشمل ماضي الحرفة وتاريخها لدى وجب حسبه **" الوقت تبدل والحرفة تاني أي تتبدل وعدنا نخدمو واش يساعد الزبون غير باه متروحش الحرفة ونعاونو بلي نقدرو خاطر النحاس ما حرفة برك او تاريخ قسنطينة بكل وتاريخ جدودنا "** .

تقييم الحالة :

يختلف في هذه الحالة عامل توريث الحرفة ويخرج عن نطاق التناقل الداخلي للعائلات إلى تناقل خارجي عن طريق أب صديق المبحوث، ما يؤكد أن الحرفة لا تنحصر بين زوايا العائلة والأهل وأن نطاق تناقلها بين الأجيال متواصل وإن اختلفت الطريقة فالهدف واحد، أما عن نظرة مبحوثنا لشباب اليوم لا تختلف عن سابقيه خاصة من جانب طباعهم وسلوكاتهم ونرى هذا قد يؤثر على الحرفة وتناقلها بين الأجيال القادمة، أما عن حبه للحرفة فقد أصبح الأمر بديهي بين الحرفيين فعشقهم للحرفة متفق عليه كما أنا تفريطه بها أمر لا جدل فيه، ومبحوثنا لا ينكر صعوبة الحفاظ على الموروث في ظل المستجدات والتطورات الراهنة إلا أنه يعتمد على سواعد الرجال والحرفيين الأحرار ممن عشق هذه الحرفة والمدينة على السواء، فلا تزال

العراقيل تواجه حرفة النحاس كالمادة الأولية وغلاءها فقد أشار المبحوث هنا إلى أمر ضروري وهو الوباء الذي أصاب العالم كله بأزمة مست جميع مناحي الحياة لا سيما جانبها الاقتصادي، فقد كان الأمل يحذوا الحرفيين في عودة الأسعار إلى الانخفاض غير أن ما حدث كان على عكس التوقعات، وما زاد من معاناته هو غياب الجهات الوصية وعدم وجود الدعم الكافي منهم فهو يعتمد على إمكانياته المادية الخاصة و إن قلت لأنه لا يرى في تلك المعارض المقامة من السلطات حلا لتسويق منتوجاته النحاسية، لأن هذه الاخيرة لا تعمل باستمرار وعلى فترات متباعدة تجعل من منتوجه يتكدس كل هذا جعل من المبحوث ناقم على الوضع بعض الشيء، ولا يريد أن يسوي وضعيته القانونية إذ أقر أنه لا يملك لا سجل تجاري ولا حتى بطاقة حرفي هذا ما يجعله غير محمي من الجانب القانوني وعرضة لمسائلة السلطات في أي لحظة، ولا يمكن أن تنظر إلى مشاكله وانشغالاته، والمبحوث يعقد أمالا كبيرة على الوعود التي قدمتها في إنشاء المنطقة الحرفية التي وعدتهم بها ولكن لا جديد إلى غاية يومنا هذا يبقى هذا المشروع حبيس الرفوف والوعود .

ورغم كل هذه العوائق و الصعاب يؤكد المبحوث استماتته في مواصلة الحرفة وأنها تشمل عادات وتقاليد مدينة عريقة كتبت تاريخها حضارات تعاقبت عليها وليست وليدة اليوم، وأن العائلات القسنطينية رغم قلة إقبالها إلا أننا نراها تحاول استعادت بريق الحرفة خاصة في الآونة الأخيرة، فلا تجد بيتا إلا ويستحوذ قطعة من النحاس لا سيما النحاس الأصفر الذي أصبح موضة البيوت القسنطينية اليوم، فالمدينة لا نقاش فيها عن مكانة وقيمة النحاس بين أهلها رغم غلاء القطع النحاسية خاصة ما تعلق بالنحاسيات ذات اللون الأصفر، إلا أنهم توجهوا إلى استبدال أو تشبيب الأواني النحاسية حتى تسترجع الحرفة مكانتها وتعود إلى الواجهة فهي مرأة المدينة وتاريخها وماضيها ومستقبلها.

✶ **الحالة السابعة :**

المحور الأول : البيانات الشخصية :

السن : 66 سنة

الحالة الاجتماعية : أرمل

الأصل الجغرافي : قسنطينة

المستوى التعليمي : ابتدائي

طبيعة النشاط : حرفي بائع

مدة النشاط : 39 سنة

المحور الثاني : حرفة النحاس والحرفيين

تعلم مبحوثنا الحرفة وأصولها هذه المرة عن طريق " **خوالي اكي تعرفي ماقريتش بعتتني ما عندهم"**، فتعلم حرفة النحاس عند مبحوثنا اقترن مباشرة بعد تسريحه من الدراسة ليتوجه إلى أخواله بطلب من أمه حتى لا يبقى بلا عمل، وهذه الحرفة شكلت لدى مبحوثنا حبا وارتباطا بها فيرى أنها **"ترات لمدينة"** ولا يمكن أن يتركها أو يتخلى عنها ويقول " **انا نبقى نخدم فنحاس حتى تحبس الركبة ويشيب الراس هك كان خالي يقولنا ربي يرحمو"**، ولأن المدينة عرفت بالنحاس حسبه " **قسنطينة من بكري عايشة بنحاس هو لماضي تاعها وبربي مايروحش"**، فهو لا يراها حرفة زائلة رغم الصعاب التي تعتريها كعزوف شباب المدينة عن تعلمها، فمبحوثنا مستاء كثيرا من تفكير شباب اليوم ونظرتهم للمستقبل فهو يقر بوجود أقلية منهم ولكن "

كاين بصح يجي يخدم شوية ومبعد يهربلك مدابيه من نهارو معلم ويسلك مليح" غير أن هذا التفكير لا يساعد في تناقل الحرفة و تبقى حبيسة الأولين أمثاله.

المحور الثالث : حرفة النحاس تساهم في النهوض بقطاع الصناعة التقليدية

وبشان المادة الأولية وأسعارها يصرح مبحوثنا " **كانت ناقصة شوية من ضربة تع كورونا بصح وراها رجعت المادة كاينة بصح غالية "**، وعن تسويق منتوجه النحاسي يقول مبحوثنا " **كنت كاري حانوت خلاف مع هذا لعندي فنوفال (يقصد المدينة الجديدة علي منجلي) سع زادني مولاه فلكرا وليت رجعت نبيع غير في هذا** " وعن سؤالنا له اذ ما يستعمل التكنولوجيا في تسويق منتوجاته قال **" والله ابنتي انا شي هذا خاطيني وعندي غير لبنات كون جا عندي طفل او معايا فلحانوت لبنات مزوجين ربي يهني عليهم"**، أما رأيه في دعم الجهات الوصية والسلطات يصرح مبحوثنا وكله ثقة **"والله لا دولة لا والو اخدم بدراهمك"** فمن خلال حديثه نرى أنه لا أثر لوجود السلطات كما أنه قرر أن يعتمد على مداخيله الخاصة في سير عمله، هذا ما جعله يتماطل في تسوية وضعيته القانونية " **ماعنديش روجيستر خاطر لحانوت كان تع خوالي كعطاو لما قسمتها بقاو لكوارط عليهم كل يوم نقول ليوم نروح نعدل لكويغطات(معناها الوثائق) مزال مسهلش ربي"**، وللحرفة حسب مبحوثنا مساهمة في تنمية قطاع الحرف والصناعات التقليدية **"شكون ما يحبش الخير لروحو ولبلادو انا مدابيا نخدم طول العام والدولة تربح معانا وهك يطلع القطاع ".**

المحور الرابع : الموروث الثقافي ومكانته لدى العائلة القسنطينية المعاصرة

تساهم حرفة صناعة النحاس بقسنطينة في الحفاظ على إرث المدينة حسب مبحوثنا عن طريق **"تخدمو ونطورو فنحاس ونربطو لقديم بجديد ومنخليوهش يموت راهو ريحت لجدود منقدروش نستخايلو قسنطينة بلا بيه "**، غير أنه يفضل كل ما هو قديم خاصة ما تعلق بالزخارف والنقشات **"لقديم عندو ناسو**

بصح جيل تع درك يتبع لاموض تع نحاس لصفر"، أما بشأن العائلات القسنطينية وشغفها بهذا الإرث يقول **" العايلات لقسنطينية حاجة باينة تحب النحاس لاشتا لجيان تاعها ناقصة على بكري بصح ملوموهمش الشي غالي بصح يجيو فلمناسبات لعراس ورمضان والعيد الصغير تتحرك لحالة"**، وقد أعرب مبحوثنا عن سعادته بعودة عملية استبدال القطع النحاسية أو تشبيبها "التشباب من بكري كاين ودرك رجع كعاد النحاس لصفر غالي شوية عادو ناس لمعندهاش حق لصفر يبدلو بشي لعندهم فديار"، لكن الظروف المحيطة بالحرفة تخيف المبحوث والمتمثلة في **" دعم الدولة مكانش تقريبا ميتة الحالة والماتيار غالية "**، وفي غمار التطورات التكنولوجيا الراهنة أصبح الوضع يحتم وضع خطة لمجابهة خطر الزوال والاندثار **" حنا نديرو لعلينا والدولة تاني لازمنا نتعاونو بكل ويربي مايروحش النحاس".**

تقييم الحالة :

تبقى الحرفة متوارثة كعادتها فأخوال المبحوث هم من تكفلوا بتعليمه أصول الحرفة، غير أنه أشار إلى أمر هام هو أن الحرفة لا تتطلب مستوى تعليمي معين، إذ يمكن لأي شخص لم يواصل تعليمه أن يلتحق بها ويتعلم قواعدها مباشرة غير أن هذا الالتحاق من منظورنا إذ كان عن طريق الأهل والعائلة يعطي للفرد أكثر أمان وانسجام مع باقي الجماعة الذين تربطه بهم علاقة قرابة وصلة الدم .

وما لا شك فيه أن النحاس عشق الجميع في قسنطينة، فالمبحوث يرى أنه إرث المدينة وتاريخها، وأنه لن يبرح ورشته حتى أخر رمق منه، فهذا الارتباط الكبير بين الحرفي وصنعته يخلق انسجاما وتناسقا لا يعرفه غيره شبيه بارتباط الحرفة بتاريخها وماضيها، غير أن هذا الأخير لا يراه المبحوث في شباب اليوم الذي يرى بأنه خالي من المسؤولية تجاه موروث مدينته وهويتها، وهذا من شأنه أن يبقي الحرفة حبيسة أنامل السابقين من الحرفيين ، هذا من جهة ومن أخرى يرى المبحوث أن الجانب الاقتصادي العالمي أثر بعض الشيء على الحرفة منوها إلى أزمة كورونا " كوفيد 19" الذي ضرب العالم في شتى القطاعات ما جعل الأسعار في تزايد، إضافة إلى إشكالية تسويق المنتوج الحرفي والتي أصبحت هاجس الكثير من الحرفيين

وبالرغم من أن المبحوث قام بإيجاد حل عله يساعده في فك عقدة تسويقه لمنتوجه عن طريق كراء محل بالمدينة الجديدة " علي منجلي "، إضافة إلى محله الاصلي، إلا أن صاحب المحل رفع من أجرته جعل من المبحوث يعود أدراجه نحو دكانه الأصلي، وقد أشار المبحوث إلى أمر جديد دون غيره من المبحوثين أنه استغل منطقة أخرى ووسع نطاق تسويق غير منطقة " باردو" فما تعرف به المدينة الجديدة هو تطورها وكثافتها العمرانية على خلاف غيرها من المناطق بقسنطينة، هذا ما يساعد في نقل الحرفة إلى مناطق أخرى وعدم حصرها في "باردو" فقط

أقر المبحوث بعدم معرفته بعالم التكنولوجيا وخباياه معللا ذلك بأمرين اثنين أولهم أنه كبير في السن ولا قدرة له على مجارات المستجدات لا سيما ما تعلق بوسائل التواصل الاجتماعي، ثانيا عدم إنجابه للذكور فيه إيحاء أخر أن الحرفة ذكورية مئة بالمئة ولا وجود للمرأة في هذا المجال .

أما عن تقاعس المبحوث في تسوية وضعيته القانونية فعلل ذلك بأن ملكية المحل تعود لأخواله منذ سنين خلت، غير أن هذا التأخير من شأنه أن يأثر في مداخيل القطاع والنهوض به، ورغم هذا فإن المبحوث نراه يأمل في مساعدة الدولة لكن فاقد الشيء لا يعطيه.

نلمس في هذه الحالة كغيرها من الحالات السابقة عشق المبحوث والعائلات القسنطينية للحرفة على حد سواء، فرغم غلاء ثمن القطع النحاسية لا سيما ذات اللون الأصفر إلا أن العائلات تحاول أن تتواجد في المناسبات الدينية والاجتماعية لتربط حبل الوصال بينها وبين إرث المدينة، فالكل يسعى بقدر إمكاناته وجهده أن تستعيد الحرفة مكانتها وقيمتها بين أبنائها وتحفظ تاريخها ومجدها.

✶ **الحالة الثامنة :**

المحور الأول : البيانات الشخصية :

السن : 58 سنة

الحالة الاجتماعية : أرمل

الأصل الجغرافي : قسنطينة

المستوى التعليمي : ابتدائي

طبيعة النشاط : حرفي نقاش و بائع

مدة النشاط : 30 سنة

المحور الثاني : حرفة النحاس و الحرفيين

تخرج الحرفة هذه المرة عن منطق التوارث لتنتقل إلى " **جارنا عمي العربي ربي يرحمو علمهالي مكانوش عندو لولاد والله دارني كي ولدو مننساش خيرو**" فالحرفة تستمر وإن اختلف الملقن، ويكمل مبحوثنا حين سؤاله حول نظرته للحرفة بقسنطينة قال " **النحاس قسنطينة وقسنطينة هيا النحاس راهم لاسقين بسكوتش**" في تعبير منهم عن مدى الترابط الوثيق بين الحرفة والمدينة، غير أن إقبال الشباب عليها حسبه يعتبر " **ناقص شوية خاطر ليجان تع درك مدابيه ميتعبش وديما دراهم في جيبو** " وهذه المعادلة أشبه بالمستحيل حسبه، أما هو فيرى نفسه حين ممارسته للحرفة ولا يفكر في تركها إطلاقا لقوله" **كنخليوها حنا شكون بيها** "، فالمبحوث يسعى لأن تستعيد الحرفة مكانتها وقيمتها كسابق عهدها **" بربي نشاله**

الحرفة تاع النحاس متروحش بينا ولا بعباد خلاف خاطر مزال كاين ليحبوها من القلب وهي مستقبل قسنطينة" .

المحور الثالث : حرفة النحاس تساهم في النهوض بقطاع الصناعة التقليدية

تبقى الأجوبة متطابقة بين ما سبق من الحرفيين ومبحوثنا هذا حول توفر المادة الأولية وأسعارها ويصرح مبحوثنا في هذا الصدد " **الماتيار كاينة بصح غالية واش حنديرو لازمنا نخدمو**" فرغم الغلاء إلا أنه يصر على مواصلة عمله و مزاولة حرفته، أما ما تعلق بتسويق منتوجه أقر مبحوثنا أنه مع التكنولوجيا والتقدم الحاصل" **حالين باجا فلفيس بوك وعندنا حانوت خلاف فلخروب**" إضافة إلى المواقع وضعيته القانونية فهي سوية فبالإضافة إلى السجل التجاري يضيف"**عندي لاكارط تع الحرفي تاني** " وينهي حديثه عن مساهمة حرفة النحاس في تنمية القطاع والنهوض به **"النحاس زيو زي حرفة خلاف عندها ناسها ليخدموها وتعاون فلمدخول سوا تع قسنطينة ولا القطاع بكل بصح تعاونا دولة تكترنا من لبلايص لنعرضو فيهم خدمتنا طول العام ماش شهر برك"**، ويقصد المبحوث هنا شهر التراث الثقافي الذي يقام في مدينة قسنطينة سنويا ابتداء من 04/18 الى غاية 05/18.

المحور الرابع : الموروث الثقافي ومكانته لدى العائلة القسنطينية المعاصرة

يرى المبحوث أن حرفة النحاس هي " **حاجة كبيرة في قسنطينة وباه يروح بين ليلة ونهار موحال رانا نخدمو باه ميروحش خاطر هو ترات لمدينة ولماضي تاعها** " ويواصل حديثه عن العمل وهذه المرة يحدثنا عن الزخارف والنقوش" **انا نخدم لقديم وجديد بصح فتاخير لخر هذا (أي مؤخرا) لجديد مطلوب كثر"**، وهو مطالب دائما بالعودة إلى طلب الزبون، أما رؤيته لإقبال العائلات يقول " **لاشتا اقبالهم قليل شوية بصح راهم يجتاهدو باه ميروحش وكون تروحي درك تشوفي ديار كل فيهم النحاس لصفر خاطر**

رجع لاموض هاد لعوام" ، وما تعلق بالتشبيب واستبدال الأواني النحاسية فيقول مبحوثنا" **انا عندي حوينتة صغيرة دايرها سبيسيال لتبدال وتشباب أي هنا فدخلة تع باردو المهمة صنعة تمشي"**، أما عن مكانة الحرفة و قيمتها عند القسنطينيين " **شوفي سوى دايرين نحاس للبهوى(الزينة) ولا دايرينو لاموض المهم راهو في قلوبهم من داخل "**، غير أنه لا يخفي عديد المشاكل المتعلقة بالحرفة على غرار **"المادة ناقصة والشباب لحاب يتعلم ناقص"**، ولكي تواجه الحرفة التطور والغزو التكنولوجي الراهن يقول مبحوثنا " **حنا طامعين فدولة تزربنا بالمشروع لقالتنا عليه نوليو نلقاو وين نبيعو خدمتنا في بلاصة باينة"تقييم الحالة :**

هذه المرة نقف على تناقل الحرفة من جانب أخر " الجار " هذا الأخير نلمس فيه حبا منقطع النظير للحرفة ترجمه في نقلها والمساهمة في توريثها جيلا بعد جيل، رغم أنه عقيم إلا أن إخلاق الحرفي أسمى على أن يجعل الحرفة تزول وتنطفأ بموته، أما عن عامل نقص إقبال الشباب يبقى إشكال لدى جل المبحوثين كأحد أهم العوامل التي تؤثر في الحرفة وتساهم في تراجعها، وما يحاول تبيانه المبحوث دائما هو إرتباطه بحرفة النحاس وأنها دائما في المقام الأول سواء بالنسبة له أو للعائلات القسنطينية ككل، لكن يبقى مشكل غلاء المادة الأولية هاجس كل المبحوثين، وكحل منه نوه المبحوث إلى إيجاد منحى أخر لتسويق منتوجه غير صفحات التواصل الاجتماعي هو تغيير الوجهة نحو محل أخر متواجد بمدينة الخروب، وهذا التغيير نحو أماكن جديدة يفتح للحرفة أفاقا واسعة لانتشارها في كل مكان وليس انغلاقها في زنقة النحاسين فقط، ثم يشر المبحوث إلى نقص المعارض التي من شأنها التعريف بالمنتوج الحرفي وتساهم في تسويقه غير أن قسنطينة تعتمد بنسبة كبيرة على شهر التراث الذي يقام سنويا بالولاية ابتداء من 04/18 إلى غاية 05/18 ، إضافة إلى المنطقة الحرفية وما يمكن أن تقدمه للحرفين في هذا الشأن غير أن هذا المشروع لا زال حبرا على ورق إلى غاية اليوم.

✶ **الحالة التاسعة :**

المحور الاول : البيانات الشخصية :

السن : 53 سنة

الحالة الاجتماعية :متزوج

الاصل الجغرافي : قسنطينة

المستوى التعليمي : ابتدائي

طبيعة النشاط : حرفي بائع

مدة النشاط : 27 سنة

المحور الثاني : حرفة النحاس و الحرفيين

"تعلمتها من بابا ربي يباركلو في صحتو" هكذا استهل المبحوث مقابلته إذا الحرفة لا تزال تعمل بمبدأ التوريث المعتاد في المهن والحرف ذات الطابع التقليدي، ويرى المبحوث أن الحرفة في مدينة قسنطينة **" مابقاتش كبكري"** ما يبرز ظهور تغير في الحرفة بين الأمس واليوم، ليضيف حول ما تعلق بإقبال الشباب لامتهان حرفة النحاس في قسنطينة **"ناقصين بصح مازال كاين لحاب يتعلم انا عندي طفيل ربي يرضا عليه حاط راسو واش نقلو يقول انعم"** هذا ما يعطي نظرة مغايرة مقارنة مع غيره من المبحوثين، فالمبحوث لا يفكر في ترك الحرفة ويؤكد **" انا منخليهاش نلقا فيها روحي وراحتي"**، أما عن مستقبل هذه الأخيرة يرى

فيها كل الخير ويأمل لها بغد أفضل **"حنا نخدمو لعلينا ولعند ربي ماشافها حد المهم النحاس حاجة قديمة بزاف في قسنطينة ومايروحش"**.

المحور الثالث : حرفة النحاس تساهم في النهوض بقطاع الصناعة التقليدية

يبقى غلاء المادة الأولية هاجس الحرفيين إذ يقول المبحوث بهذا الشأن **" لالا حمد لله كاينة بصح غالية"** هذا الغلاء يشكل الكثير من العوائق منها نقص القطع النحاسية وأن وجدت فسيصطدم الحرفي بمشكل تسويق منتوجه **"حنا مادابينا تعاونا دولة بصح ما كان والو"** ، فإشكال التسويق مرهون بمساعدات الدولة والجهات الوصية حسبه، كما يضيف في نفس السياق **"انا مع التطور نبيع خدمتي فلفيس بوك وستنى الرزق"** عن وضعيته القانونية لم يخفي المبحوث أنه مخطا بشأن تسوية أموره مع الجهات المسؤولة **" ماتولي لكوارط والله معاودتهم ونستنى فلكارط تع الحرفي موجدتليش بصح في هادي لغلطة تاعي صح"**، أما مساهمة الحرفة في تنمية قطاع الحرف والصناعات التقليدية يؤكد المبحوث أن **" حرفة النحاس تعاون بزاف القطاع كتعود الدولة دير لماليها وين ينشطو ويبيعو خدمتهم هيا تربح ولحرفي يربح"** .

المحور الرابع : الموروث الثقافي ومكانته لدى العائلة القسنطينية المعاصرة

إن حرفة النحاس هي إرث المدينة وتاريخها حيث عبر المبحوث عن ذلك بقوله **"ليوم وغدوة النحاس في قسنطينة راهو سول ماليها كون نفرطو فيه راحت لمدينة كل "**، ويكمل ذات المصدر بشان الزخارف والنقوش التي يستخدمها **انا نحب لجديد خاطر نقشات فلقديم صعاب ونا منيش نقاش مليح بصح لجديد ساهل وكاين لنديروهم بلمشينة"** وعن رأيه في مدى شغف العائلات القسنطينية بحرفة النحاس كموروث رقم واحد في المدينة **" شوفي عايلات بكري ودرك ماش كيفكيف لفرق درك النحاس غلا شوية سما وكنخدمو القطعة تجي سومتها زايدة ويا حليل ناس ظروف بصح في زوج يحبو نحاس ومكانش لمعندوش حاجة نحاس"**، وصرح ذات المبحوث عملية الاستبدال والتشبيب التي تطال الأواني النحاسية في الآونة الأخيرة " هذا يبين بلي ناس أي تبع فلموروث وحاكمة فيه ورجعت تشبب وتبدل لعندها فالدار المهم

كاين نحاس في ديارهم يشوفوه يومي قدامهم" هذا ما يثبت قيمة النحاس ومكانته عند العائلات القسنطينية ثم يضيف المبحوث" **النحاس قدرو عالي من بكري ولي معندهاش خلاص تلقايها مخبيا سوينية صغيرة ولا محبس تقلك ريحة ما ولا جداتي ومخبيتها في بلاصة عزيزة"**، وما تعلق بالصعوبات والعراقيل يربطها ذات المصدر بعزوف الشباب عن تعلم الحرفة ونقص التسويق بقوله **"لوليدات لحابين يتعلمو يتعلمو ناقصين بزاف وزيد مكانش وين تبيع خدمتك"**، وينهي حديثه بالإشارة إلى ما قد ينتج عن الغزو الثقافي والتطور التكنولوجي الراهن والذي يهدد الحرفة وماضيها ويعترف **"الحرفة رجعت لورا شوية وليجان اكي تشوفي والله لعلابالهم اعطيه المصروف والبورطابلات وفرات ".**

تقييم الحالة :

لا يزال مبدا توريث الحرفة قائم بين المبحوثين ما يمكنها من الثبات أكثر والانتقال بين حرفييها جيلا بعد جيل، والحرفة من منظور المبحوث لم تبقى كسابق عهدها إلا أنه لا ينوي تركها لأنه يرى فيها ذاته وراحته، غير أن نظرته حول إقبال الشباب جاءت مغايرة لسابقيه من الحرفيين فهو يؤكد على وجود من هو شغوف منهم بهذه الحرفة ومتمسكا بها ويريد تعلم أصولها وتقنياتها، لأنه يرى فيهم مستقبل الحرفة والمدينة كلها، وإصرار المبحوث حول عدم زوال الحرفة كان واضحا منذ بداية المقابلة إلى نهايتها حتى مع غلاء المادة الأولية اعتمد المبحوث على مواقع التواصل الاجتماعي (فيس بوك) لتسويق منتوجه مراهنا على أن الحرفة ستغير وتعطي وجها أخر للمدينة، إذ ما وفت الدولة بوعودها وقدمت للحرفيين كل المساعدات اللازمة لتسويق المنتوج الحرفي النحاسي لتكون الفائدة مشتركة بين القطاع والحرفي.

يقر المبحوث أن حرفة النحاس هي إرث المدينة وعاداتها وتقاليدها منذ مئات السنين ولن تزول ويراهن على عشق العائلات القسنطينية المعاصرة لها، و أن قل توافدهم إلا أن شغفهم وحبهم للحرفة لن يموت في بيوتهم وأروقة منازلهم، لأن مكانة النحاس و قيمته عند العائلات القسنطينية تترجمها سينية قهوة أو إبريق شاي أو محبس وغيرها من المشغولات النحاسية التي تحفظ ذكريات لا يفهمها غيرهم.

أما عن النقشات والرسوم أثار المبحوث نقطة مهمة مفادها اعتماد الحرفيين على تقنية جديدة بإمكانها اختصار الوقت والجهد، وهي اعتماد " ألة للنقش" تقوم هذه الأخيرة بنقش الزخارف والرسومات المراد وضعها على القطعة النحاسية، كما تساعد في إنجاز الكثير من التحف في وقت قياسي، غير أن ما يعاب هنا على اعتماد المبحوث لهذه الألة أنها ستخرج الحرفة من دائرة الصناعات اليدوية التقليدية وتصبح حبيسة هذه الأخيرة، كما أن القطع المصنوعة من خلالها لا تكون بنفس القدر من الجودة والإتقان التي تعمل عليها أنامل الحرفي، كما نوه المبحوث إلى نقص التسويق الذي قد يهدد الحرفة ومستقبلها ويجعلها في تراجع.

✶ **الحالة العاشرة :**

المحور الأول : البيانات الشخصية :

السن : 45 سنة

الحالة الاجتماعية : متزوج

الأصل الجغرافي : شلغوم العيد ميلة

المستوى التعليمي : ابتدائي

طبيعة النشاط : حرفي بائع

مدة النشاط : 10 سنة

المحور الثاني : حرفة النحاس و الحرفيين

يصرح مبحوثنا في بداية المقابلة أنه تعلم الحرفة **"كيجيت هنا تعلمتها في باردو عند واحد يقولولو عمي الهادي"** هنا تتجه الحرفة في منحى أخر وهو التعلم خارج إطار التوريث المعتاد بين الحرفيين، ويواصل حديثه حول نظرته للحرفة في مدينة قسنطينة أنها **"مابقاتش كبكري كون مايقفوش عليها تروح"**، نلمس من المبحوث أن الحرفة تغيرت على ما كانت عليه في سابق عهدها، وما زاد الأمر صعوبة هو

ضعف الإقبال عليها من قبل شباب المدينة على حد قوله" **ما كان حتى اقبال والدرية طايشة معلبالها حتى بصنعة**"، فنظرته هذه حول الحرفة والإقبال عليها جعلت من ارتباطه بها ارتباطا آنيا ولغايات معينة " **انا كون نلقى ماخير نروح مافيهاش مدخول**" فعدم التمسك بالحرفة حسبه يعود إلى أنها لا تكفيه لسد حاجياته ومتطلباته، أما عن مستقبل الحرفة يؤكد في هذا السياق أن لا مستقبل لها وذلك راجع حسبه لتخلي أهلها والقائمين عليها " **ما عندها حتى مستقبل خاطر ماهمش واقفين عليها ولادها**".

المحور الثالث : حرفة النحاس تساهم في النهوض بقطاع الصناعة التقليدية

" **كاينة وغالية** " هكذا استهل المبحوث حديثه حين سألناه عن المادة الأولية، هو لا ينكر وجودها غير أنه يرى في أسعارها غلاء بعض الشيء جعل من هذا الأخير حسبه لا يزيد من وتيرة عمله في صنع القطع النحاسية " **انا نبيع لكتب ربي وسع كنشوف روحي محتاج نجيب سلعة خلاف او لحانوت تاني صغير**"، ومن جانب المساعدات المقدمة للحرفة و الحرفي من قبل الجهات المعنية أكد مبحوثنا " **وينهي الدولة او يوعدوك ويروحو**" وهذا ما أثر في المبحوث وجعله يقرر التخلي عن الحرفة " **انا نكمل لكونطرا تاعي فلحانوت ونروح مخرجتش فيها** "، هذا التخلي من قبل المبحوث يرجع حسبه إلى السلطات المعنية بقوله" **الحرفة تعاون كي يعاونوها هوما ما يدعمونا بوالو ويحوسو عليها تطلع وتعاون القطاع مكانش منها هادي**".

المحور الرابع : الموروث الثقافي ومكانته لدى العائلة القسنطينية المعاصرة

يرى المبحوث ان حرف النحاس هي وجه المدينة وارثها "**النحاس معروف في قسنطينة من بكري وكون يرجعو يتهلاو فيه يبقى خاطر هو لمدينة بكل**"، ثم يكمل في سياق الحديث عن النقوش والزخارف صرح أنه لا يحبذ القديم منها بل يساير المجريات الراهنة ويعتمد الجديد منها "**انا نخدم لجديد برك**"، لأن في رايه العائلات القسنطينية اليوم لا تستهويها التحف النحاسية القديمة كثيرا " **بكل يحوسو عنحاس لصفر خاطر رجع لاموض في قسنطينة**"، وعن عملية التشبيب واستبدال القطع النحاسية يرى المبحوث انها قد

تكون حلا للحرفة " **ممكن هيه تتحرك الحالة شوية**"، ويواصل المبحوث ان اهل المدينة لا يتخلون عن حب الحرفة " **لقسنطينية يحب النحاس منكدبش عليك بصح منشوفهمش دايرين جهدهم باه ميروحش والله وعلم**"، غير أن حبهم غير كافي حسبه لأنهم لم يضاعفوا من جهودهم تجاه الحرفة حتى تحافظ المدينة على ارثها وتاريخها وماضيها، ويضيف المبحوث أن مشاكل عدة تعيق سير الحرفة " **وين تبيع مكانش لغلا تاع الماتيار وحتى تحب تحل في بلاصة خلاف لكرا غالي** "، وينهي حديثه عن التكنولوجيا وما قد ينجم عنها تجاه الحرفة " **اواه تكنولوجي هادي والله قاوية وربي يستر لا تروح الحرفة خلاص لازم الخدمة طول العام ماش مرة تخدمو وعشرة حابسين**".

تقييم الحالة :

كسابقيه من الحرفيين تعلم المبحوث الحرفة بعد قدومه لمدينة قسنطينة عن طريق أحد الحرفيين المتواجد في" حي باردو" العتيق، فهو ليس ابن المدينة ولا يعرف عنها ولا عن الحرفة إلا ما تعلمه في " زنقة النحاسين"، وعن الحرفة ونظرته إليها يرى أنها لم تعد كسابق عهدها وأنها تندثر وتتلاشى يوما بعد يوم.

هذا المبحوث في حديثه عن الحرفة و كأنه لا يعرفها فمقابلته كانت جلها بضمير الغائب "هم" وأنه يستثني نفسه دائما ولا يحبذ ارتباطه حتى على سبيل الإجابة، هذا ما ينوه إلى أمر ضروري أن توريث الحرفة وارتباط أبنائها بها وتناقلها بينهم يبني أواصر متينة و خيوطا وثيقة حتى لا تندثر الحرفة وتزول، وهذا كان واضحا جدا في إجابات المبحوثين الذين هم من أبناء المدينة، و حتى بالحديث حول إقبال الشباب لم يتوانى في الرد السريع و نفيه المطلق لأي إقبال لهم وأنهم شباب طائش لا علاقة له بالحرفة، وهذا حكم صارخ منه لأن الشباب حسب سابقيه من المبحوثين يوجد منهم من يريد التعلم وإن قل عددهم غير أن السعي والاجتهاد من هذه الفئة لا يزال موجود، ويواصل المبحوث أن لا مستقبل للحرفة طالما أن أبنائها والعاملين في هذا المجال لا يعيروها أي اهتمام غير أن العكس ما شهدناه من غيره من المبحوثين، فهم يسعون بقدر جهدهم وإمكاناتهم في تسويق سلعهم في غير محلاتهم الأصلية واعتماد الكثير منهم على صفحات التواصل

الاجتماعي، ثم يعترف أن الحرفة لا تكسبه دخلا ماديا يكفيه لدى هو مستعد لتركها نحو وجهة أفضل هنا يتضح جليا أنه لا يوجد ارتباط إطلاقا بين المبحوث والحرفة.

أما بخصوص المادة الأولية فيقول أنها متواجدة لكنها باهضة الثمن وهذا ما لمسناه عند جميع المبحوثين، غير أنه أضاف عاملا جديدا لعدم إقدامه لصنع قطع نحاسية جديدة كون محله ضيق جعله يفكر في عدم مواصلة العمل فيه والخروج مباشرة بعد انتهاء عقده.

ورغم أن المبحوث ليس إبن المدينة لكنه لا ينكر عشق أهلها لهذه الحرفة منذ سنين خلت، وأنهم مرتبطون بها لا سيما العائلات القسنطينية اليوم التي عادت لترتبط بكل ما هو نحاسي أصفر اللون والذي أصبح موضة قسنطينة في السنوات الأخيرة، و كغيره من المبحوثين يرى في عودة التشبيب واستبدال القطع النحاسية بأنها يمكن أن تكون حلا دافعا بالحرفة نحو المواصلة والصمود، ولا يخفي قلقه حول ما يعتري الحرفة من مشاكل وعوائق خاصة الغزو والعولمة التي يرى قدرتها على العصف بالحرفة إذ لم تجتمع السواعد حولها وتجتهد حتى تقاوم رياح الحداثة و التطور.

5-4- تحليل حالات الدراسة :

وسنتطرق فيما يلي لعرض شامل لحالات الدراسة ويتضمن الآتي :

5-4-1- السن :

يعتبر عامل السن مهم لأي حرفة ذات الطابع التقليدي لما تتطلبه هذه الأخيرة من جهد مبذول طوال مدة امتهانها، والملاحظ هنا من خلال أعمار المبحوثين هو التمازج بين الكهولة والشيخوخة، إذ مرحلة الكهولة تنطبق على الحالات الأتية: 2 و3 و 5 و 6 و 8 و 9 و 10 تتراوح أعمارهم بين (43 سنة الى 55 سنة)، وفي هذه الفترة العمرية من زمن الفرد يكون قد فارق مرحلة مهمة من حياتها إنها مرحلة الشباب والتي كلها طاقة وحيوية ونشاط ليتوجه نحو مرحلة جديدة وجب العمل فيها بكل حيطة وحذر حتى يتفادى الكثير من المشاكل والصعوبات لا سيما على المستوى الصحي له .

أما المرحلة الثانية و تتعلق بالحالات 1 و 4 و 7 و تعتبر هذه حالات شيخوخة خاصة أن المجتمع الجزائري معروف بطاقاته الشبابية الهائلة، لدى فاحتساب الشيخوخة عندنا لا يتطابق مع غيره من الدول والمجتمعات خاصة الغربية منها والتي تمتاز بارتفاع نسبة الشيخوخة وانخفاض للعنصر الشبابي بها، وفي هذه الحالات يكون الفرد غير قادر على العطاء وبذل الكثير من الجهد والطاقة بل يكتفي بالتوجيه والإرشاد فقط.

غير أن التمازج بين الفئتين العمرين (الكهولة و الشيخوخة) هذا إن دل إنما يدل على ثبوت عامل الخبرة داخل مجتمع البحث والتفاعل القائم بينهم فصاحب الخبرة ينقلها لمن هو أقل منه عمرا ومعرفة واكتسابا حفاظا منه على بقاء الحرفة واستمراريتها.

5-4-2- الاصل الجغرافي :

يعود أصل جل المبحوثين الى مدينة قسنطينة من الحالة 1 الى الحالة 9، إلا الحالة رقم 10 فهي تعود إلى شلغوم العيد ولاية ميلة حيث اكد المبحوث أنه أتى لقسنطينة بداعي السكن فلم يجد إلا حي باردو ولم يكن لديه عمل فاراد امتهان أي شيء فتعلم حرفة صناعة النحاس بذات الحي.

إن الارتباط الوثيق بين الحرفي والحرفة نشأ أساسا من ارتباطه بأرضه ومدينته، ما يبرز أن الحرفة قسنطينية مئة بالمئة ولم تخرج خارج أسوار ابنائها ومدينتها ،هذا ما يزيد من عامل التعلق بها والحفاظ عليها وجعل منتوجاتها الحرفية النحاسية فريدة من نوعها بين بقية مشغولات الولايات الأخرى المعروفة بنفس الحرفة كالعاصمة وتلمسان وغيرهم، والملاحظ هو سيطرة اهل المدينة الاصليين على الحرفة نظرا للتعلق الشديد من قبل ابنائها وعملا منهم على بذل كل ما بوسعهم لتوريثها ونقلها للأجيال القادمة.

5-4-3- الحالة الاجتماعية :

تعتبر الحالة الاجتماعية عاملا مهما في استقرار الفرد أداءه لوظيفته داخل نسقه الاجتماعي، حيث نلاحظ من حالات الدراسة أن بها 07 حالات (متزوج) ويعلق الأمر بالحالات 1 و 2 و 3 و 4 و 6 و 9 و10، و 03 حالات (ارمل) هم الحالة 5 و 7 و 8 .

إن الاستقرار الاجتماعي والنفسي للحرفي أمر ضروري لأي فرد حتى يتمكن من الإبداع والخلق وتفجير ما بداخله من الطاقات الإيجابية يمكن أن تنتج تحفا ومشغولات غاية في الروعة والجمال، أما عن الأرامل من المبحوثين فذاك لحكمة الله سبحانه وتعالى، غير أن الفرد مطالب بالصبر والسير قدما وعدم النظر إلى الخلف فالحياة مستمرة ولن تتوقف على من نفقدهم بل على العكس من ذلك قد يكون من فقدناهم عنصرا دافعا وإيجابيا للإبداع والإتقان .

5-4-4- المستوى التعليمي :

أما عن المستوى التعليمي فنجدها تنقسم بين دون المستوى والمرحلة الابتدائية والمرحلة المتوسطة والثانوية حيث جاءت الحالة رقم (1) دون المستوى، والحالات رقم (3 و4و 7 و 8 و 9 و 10) ذات مستوى ابتدائي، أما الحالات (2 و 5) فهي ذات مستوى متوسط في حين تنفرد الحالة (6) بالمستوى الثانوي.

إن ما نلاحظه هو ارتفاع المستوى التعليمي الخاص بالمستوى الابتدائي ثم يليها المستوى المتوسط فيتضح لنا أن الحرفي ليس ذلك الفرد الأمي الذي لا يعرف القراءة والكتابة، بل على العكس من ذلك فقد وجدنا بالحرفة كل المستويات التعليمية بجميع أطوارها الثلاث لاسيما طورها الابتدائي، هذا ما يؤكد أن الحرفة بسيطة ولا تتطلب كما من المعارف والعلوم حتى يستطيع الفرد تعلمها، لكن يبقى من لديهم مستويات أعلى لا يحبذون الانتماء لعالم الحرف والصناعات التقليدية، وهذا الملاحظ مع المستوى الثانوي والذي يعتبر النسبة الأقل من بينهم فصاحب الشهادة الجامعية لا تروقه ربما مثل هذه المهن فهو يرقى لمكان أفضل يتطابق و ما درسه داخل أسوار الجامعة.

5-4-5- طبيعة النشاط :

وتباين النشاط بين حرفي نقاش وحرفي بائع إذ عرفت الحالات (1 و 3 و 4 و 7 و 9 و 10) ممارستها لنشاط حرفي بائع، أما الحالات (2 و 5 و 6 و 8) فيمارسون نشاط الحرفي النقاش.

نرى أن المبحوثين يحبذون أكثر كونهم حرفيين بائعين على أن يكونوا حرفيين نقاشين وذلك نظرا لما في النقش من صعوبات تتوجب الإتقان والإبداع أكثر من الحرفي، وما لمسناه خلال مقابلاتنا الميدانية أن الحرفي هو نفسه من يزاول نشاطات أخرى سواء كان حرفي وصاحب ورشة أو حرفي بائع، فالمعرفة بالشيء مطلوبة في هذا المجال فالذي يكون داخل المحل وجب عليه معرفة معطيات ومعلومات متعلقة نوعا ما بكل ما هو موجود به، سواء نوع المعدن المصنوعة منه القطعة أو السعر أو غيرها.

5-4-6- مدة النشاط :

تراوحت مدة مزاولة الحرفيين لحرفة النحاس في مدينة قسنطينة من 15 عشرة سنة الى 40 سنة، حيث جاءت مدة الحالة 1 و 4 (40 سنة)، ومن (30 الى 39 سنة) لكل من الحالات 2 و 3 و 7 و 8، في حين اتسمت الحالة 9 بمدة وقدرها (27 سنة) اما الحالة 6 فمدتها (15 سنة) والحالة رقم 10 فمدة مزاولتها هي 10 سنوات.

تعتبر مدة النشاط نقطة مهمة للغاية لما لها من ابعاد وخصائص مختلفة من كل الجوانب فاستقرار الحرفي كل هذا الزمن ينعش الجانب المادي والاقتصادي ويكون الكسب سوآءا له او للبلاد، وعلى الصعيد الحضاري والثقافي، فهذه المدة القيمة تبعث على التفاؤل والامل بان الحرفة مازالت في ايدي امينة وغيورة على موروثات الوطن وتسعى بتظافر كل الجهود بإيصال هذا الإرث إلى بر الأمان و للأجيال التي تحفظه وتصونه .

كما أن أصحاب هذه المدة لهم من الخبرة والمهارة والإبداع ما ليس لغيرهم، فقد تعلموا كل فنون الحرفة وجمالياتها، وحتى من لم تكن لهم خبرة وهم في بداية طريقهم للتشبع من الحرفة وخبرة سابقيهم، فمدة

نشاطهم تعطي أفاقا ورؤى مستقبلية للصنعة أنها لازالت تكافح للوجود والبقاء وإزالة شبح الزوال والاندثار الذي يطاردها.

5-4-7- اللغة :

تعتبر لغة المبحوثين لغة واحدة وتشترك في العديد من الألفاظ والكلمات المتداولة فيما بينهم سواء على مستوى الحرفة أو بين أوساط أهل مدينة قسنطينة .

غير أن الملاحظ أثناء القيام بالمقابلات الميدانية رفقة مبحوثي الدراسة طغيان اللغة الفرنسية بشكل ملفت في حواراتهم، حيث لا تخلوا مقابلة إلا وتلفظ المبحوث من خلالها بلفظين أو ثلاثة على الأقل، وكانت أكثر الألفاظ تداولا بين حالات الدراسة هي: ليجان، روجيستر، الماتيار، لاكارط، باجا، لاموض، ويعود هذا التأثر الشديد باللغة الفرنسية إلى التواجد الفرنسي بالمدينة والوطن أجمع، حيث دام استعمار فرنسا للجزائر حوالي 132 سنة، هذه المدة كفيلة بأن تمحو أجيالا وحضارات برمتها، فهذا التأثر لم يكن وليد اليوم فهو يعود لسنوات خلت من الانغماس بثقافات الغير وممارساتهم الثقافية .

كما كان للتواجد العثماني بقسنطينة أثرا على اللهجة الخاصة بأهلها ، حيث تأثر القسنطينيين كثيرا بالأتراك خاصة ما تعلق بأسماء الوظائف والقطع النحاسية والتي لا تزال تعرف بنفس التسميات إلى غاية اليوم، كلفظ القهواجي وتطلق على العامل بالمقهى ولا زالت تعرف في قسنطينة حتى الأن، أما عن الأدوات والمشغولات النحاسية كالطابونة مثلا وهي موقد يستخدم لطهي المأكولات لازال القسنطينيون يستخدمون هذا اللفظ.

والملاحظ أيضا التأثر الكبير بالأندلسيين الذين تواجدوا بقسنطينة سابقا، حيث أكد لنا مبحوثي الدراسة أن الأندلسيين هم من كانوا يعمدون إلى تصغير الألفاظ ولمسنا هذا في بعض حالات الدراسة، كلفظ كويغطات تصغير للفظ كوارط وهي الوثائق للحالة 2 و 7، و لفظ محيلات تصغير للفظ محل في الحالة رقم 4، ولفظ طفيل تصغير للفظ طفل وكذا لفظ سوينية تصغير للفظ سينية في الحالة رقم 9.

أما الحالة 3 و 8 فقد استخدموا بعض المصطلحات التي تعرف بها فئة البلدية أي أبناء قسنطينة كلفظ علكيف – السول– زرق الطبة تخير لخر على التوالي.

5-4-8- الدين :

يعتبر الدين عامل مهم لأنه يترجم أخلاق الحرفي وما ينتهجه من مذهب، من خلال ممارساته وسلوكاته وتعامله سواء مع زملاء مهنته أو مع زبائنه أو حتى بين أهله وأفراد عائلته، وحتى يكسب الفرد محبة الناس وثناء الأخرين وجب أن يتحلى بأخلاق حميدة لأنه مسلم أولا ولأنه مطالب كحرفي أن يكون فردا ذا سمعة طيبة حتى يجلب الزبائن إليه ويرغبهم في التعامل معه.

ومن خلال المقابلات التي أجريناها وفق مبحوثينا لامسنا أخلاقا رفيعة وأسلوبا راقية وألفاظ طيبة لا تنبثق إلا من الفرد المسلم، كما أنا هذا ينطبق حتى على ممارساتهم مع غيرهم فوجود العديد من الكلمات والمفردات المستعملة من قبلهم خير دليل على ذلك ونجد هذا في الحالة 1 (بربي نشاله) والحالة 2(بربي) والحالة رقم 3 (نعولو على زرق الطبة، الحمد لله)، الحالة 4 (ربي سبحانو)، الحالة 7(بربي، مازال مسهلش ربي) الحالة رقم 8(بربي نشاله) الحالة 9(ربي يرضا عليه، لالا حمد لله)، الحالة رقم 10(لكتب ربي، ربي يستر).

تجتمع كل مفردات المبحوثين في اعتمادهم واتكالهم المطلق على الله سبحانو وتعالى مستمدين ذلك من الشريعة الإسلامية ومتبعين في ذلك كتاب الله وسنة نبيه، وقد تترجم ذلك حتى من خلال إجراء المقابلات معهم، وبصفتي امرأة فديننا الحنين يحرم الخلوة أيا كان نوعها فكان حرص المبحوثين واضحا في ذلك، والحرص الأكبر كان مني لأني متزوجة وابنة المنطقة، فقد أجريت تسعة مقابلات أمام مدخل المحل والحالات هي (2-3-4-5-6-7-8-9-10) إلا الحالة الأولى فقد أجريت المقابلة جالسة في كرسي صغير خشبي الصنع، ضف إلى الوازع الديني فقد كانت الدكاكين والورشات صغيرة وضيقة ليس لها القدرة على احتواء اكثر من شخصين أو ثلاثة، أما الحالة الاولى كان محله متسع بعض الشيء.

5-4-9- حالة المكان و المحلات :

وكما صرحنا أنفا عن حالة المحلات و الورشات التي أجريت فيها المقابلات رفقة مبحوثي الدراسة، أنها دكاكين صغيرة وضيقة من حيث المساحة وقديمة قدم الحرفة وتاريخها وماضيها، غير أن هذا ما يزيد من روعة المكان وجماليته، فرؤيتك للمحلات على تلك الشاكلة وأنت تنتقل من محل إلى أخر يتبادر إلى دهنك كيف قضى الحرفيون سنوات شبابهم وأيامهم بين جدرانها، وهي التي تحكي من خلالهم قصة كفاح واجتهاد ترجمتها تحف ومشغولات حرفية عمرها يفوق القرن، فالسائر في أزقة "باردو" هذا الحي العتيق لا تشغل فكره إلا تلك السنفونية الموسيقية التي تعزفها أنامل الحرفيين وهي تدق على صفحات نحاسية لتسمعك تاريخا وحضارة عمرها بعمر المدينة بأسرها يجعل من المكان روضة غناء.

وحين تجوالك "بزنقة النحاسين" تشاهد الحرفة بتاريخها و ماضيها ومستقبلها في تحف تمازجت بين القديم والجديد والأصفر والأبيض والأحمر، ومحلات خصصت للأنتيكا وأخرى لعملية التشبيب والاستبدال، ولم يساعفنا الحظ أن نحاور **"عمي إبراهيم"** بسبب حالته الصحية، وهو المعروف في "حي باردو" أنه الحرفي الأقدم بين كل الموجودين والذي زاول الحرفة حسبهم سنة 1953 .

يعتبر الحي قبلة لكل من أراد زيارة قسنطينة، فلا بد أن يحط الرحال به حتى يرى عظمة هذه الحرفة و مدى صمودها بسواعد حرفييها وأبناء مدينتها، ويشهد "باردو" زيارة الوافدين سواء من قسنطينة أو من ولايات أخرى بل حتى على الصعيد الدولي، و أكد لنا السيد " **الحاسن بودينار**" رئيس جمعية نحاس قسنطينة " أن "حي النحاسين" يزوره الأجانب من كل مكان بغية التقاط الصور واقتناء التحف النحاسية والاستمتاع بمشهد الحرفيين وهم يعانقون القطع النحاسية بين أيديهم ومن بين الدول التي زارت الحي نجد فرنسا، هولندا، أمريكا، إسبانيا أستراليا، وكذا الصين.

ورغم قلة الإقبال على التحف قديمة الصنع والزخرفة، إلا أن "باردو" لا زال يحافظ على هذه التحف بين بعض محلاته كالوضاية والطاسة والمحبس والقصعة والطنجرة وسطل الحمام.

كما بقيت عائلة " **خنوف**" بحي "باردو العتيق" هي الأسرة الوحيدة المختصة في صنع القطار والذي يستعمل لتقطير الورد في قسنطينة، ولصعوبة صنعه تخلى عنه الكثير من الحرفيين في قسنطينة، فهو حسبهم يتطلب تركيب 14 عشرة قطعة نحاسية حتى يتشكل في شكله الأخير.

5-4-10- خصوصية الحرفة :

إن حرفة النحاس هي مصدر افتخار بمدينة قسنطينة خصوصا والجزائر عموما خاصة أنها تمثل 60 بالمائة من إنتاج النحاس الوطني حسب **"الحاسن بودينار"** رئيس جمعية نحاس قسنطينة".

فالحرفة كما يعلم الجميع هي ذكورية مائة بالمئة ولا وجود للعنصر النسوي بها، لما فيها من مخاطر وجهد أثناء الصنع والتقطيع والتلحيم وغيرها كلها تتطلب كلها تتطلب جهد وقوة لا تتحقق في المرأة .

كما تعمل الحرفة في مدينة الصخر العتيق بمبدأ التوريث الذي اعتدناه في هذا النوع من الحرف والصناعات التقليدية، غير اننا لامسنا العديد من مظاهر التغير التي طرأت على حرفة النحاس بزنقة النحاسين، والتي أفقدت بعض الشيء الحرفة خصوصيتها التقليدية كالمنتوجات أجنبية الصنع ذات الثمن البخس التي تنافس المنتوج التقليدي، هذا من جانب ومن أخر سيطر على الحرفيين بعض الأفكار ذات التيار الرأسمالي الدخيل على مثل هذا النوع من الحرف كالربح السريع، من خلال شراء ألات لنقش ورسم الزخارف بأقل جهد وتكلفة هذا ما وجدناه في الحالة رقم (09)، مما يجعل الحرفيين يستغنون على الأدوات والوسائل تقليدية الصنع.

إن ما عرفت به حرفة النحاس هو ثوابتها التاريخية والثقافية والحضارية المتناقلة بين الأجيال، غير أن هذا التغير الاجتماعي الذي طال المجتمعات ومس كل جوانبها لا سيما الثقافي منها، فموجة الغزو

والتكنولوجيا المتطورة عصفت بكل بناءات المجتمع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، هذا ما جعل الحرفيون يبررون توجههم في استخدام مواقع التواصل الاجتماعي (الفيس بوك) في تسويق منتوجهم الحرفي.

ما طرأ على الحرفة أيضا من خلال حالات الدراسة هو عدم وجود لفظ " المعلم" التي كانت تسود كل صنعة ذات الطابع اليدوي، فلم يتردد هذا اللفظ في كل المقابلات التي أجريناها مع مبحوثي الدراسة من بدايتها وحتى النهاية.

جل المبحوثين يشتكون أخلاق شباب اليوم ووصفهم بعدم الصبر والقدرة على التعلم وسماع نصائح من هم أكبر منهم عملا وعمرا، وأنهم في نرفزة وقلق معظم الأوقات هذا ما يؤثر على تناقل الحرفة بين الأجيال.

التغير الذي نشهده كذلك من خلال مبحثي الدراسة هو توجههم نحو الإنتاج النحاسي الحديث وذلك تبريرا منهم أن الذوق التقليدي للزبون في اختفاء وزوال يوما بعد يوم.

الحالة رقم (10) أكد المبحوث من خلالها أن هدفه الرئيسي هو تحقيق الربح المادي ضاربا بذلك تاريخ الحرفة وماضيها عرض الحائط.

إن المشروع الذي ينتظره حرفييو النحاس بمدينة قسنطينة والذي وعدت به السلطات المعنية منذ سنوات خلت يمكن أن نلمس فيه الكثير من الإيجابية:

- أن الحرفيين سوف يجتمعون في مكان مخصص بهم.
- توفر المكان على محلات وورشات ذات الطابع العصري.
- المحلات الجديدة ستكون واسعة إذ ما قارناها بتلك الضيقة المتواجدة على مستوى حي " باردو" وبالتالي ستكون أكثر أمانا من تلك المهترئة والتي تهدد حياة الحرفيين في كل مرة.

أما عن سلبياته:

– فالحرفة ارتبطت بعقود من الزمن بحي" باردو العتيق" وباتجاه الحرفيين نحو أماكن أخرى يفقدها طابعها التقليدي الذي التصق بهذا الحي.

– استخدام التقنيات والوسائل الحديثة لا يعطي للقطع النحاسية مكانتها وقيمتها لدى الزبون لما تتركه التحف المصنوعة يدويا وبطابعها التقليدي أثرا يدوم لسنوات بداخله كلما رأى تلك القطعة.

لا ننكر أثر التطور التكنولوجي الراهن والغزو الثقافي الذي بات مسيطرا على كل بنى المجتمعات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية، فالحرفة مطالبة بالتوفيق بين ما هو تقليدي متأصل بها وبين ما يمكن الأخذ به من الثقافات الأخرى حتى لا تعصف رياح الحداثة بتاريخ الحرفة وماضيها.

5-5- نتائج الفرضيات والاستنتاج العام:

إن ما سبق عرضه من مقابلات و نتائج تحصلنا عليها واستخلصناها عن طريق العمل الميداني الذي قمنا به رفقة مبحوثينا، والذي حاولنا أن نتعرف من خلاله على حرفة صناعة النحاس كموروث ثقافي ومدى مساهمتها في دفع عجلة التنمية المحلية وكذا النهوض بقطاع الحرف والصناعات التقليدية، كما كان للعائلة القسنطينية المعاصرة دورا في الحفاظ على الموروث الثقافي والحضاري للمدينة، حيث تشكل الحرفة بمدينة قسنطينة الهوية والانتماء لأبنائها والمكانة والقيمة التي اكتسبتها الولاية من خلالها، كما روجت الحرفة لعادات وتقاليد المدينة منذ مئات السنين، ورغم ما عرفته الحرفة في السنوات الأخيرة من تراجع بعض الشيء إلا أنها لا تزال صامدة في وجه التغيرات والتطورات الحاصلة سعيا منها دائما في نقل هذا الموروث الثقافي والحضاري لمدينة الصخر العتيق للأجيال القادمة.

والعمل عرض ثلاث فرضيات نحاول من خلال كل فرضية على حدى التطرق إلى أهم النتائج المتحصل عليها فالفرضية الأولى كانت حول مساهمة الحرفي القسنطيني وسعيه في نقل الحرفة والحفاظ عليها حيث جاءت نتائجها كما يلي :

– أن أغلب المبحوثين اكتسبوا الحرفة عن طريق العائلة لتوريث (أبا عن جد / عم /خال).

– أغلب المبحوثين إلتحقوا بالحرفة في سن مبكرة ما أمكنهم من إكتساب خبرة تزيد عن 10 سنوات.

– إقبال الشباب على الحرفة كان ضعيفا نوعا ما.

– معظم المبحوثين يرو في الحرفة مستقبل مدينة قسنطينة عدى الحالة رقم 10.

–كل المبحوثين أصروا على التمسك بالحرفة والمساهمة في توريثها ونقلها إلى الأجيال القادمة عدى المبحوث رقم 10.

أما الفرضية الثانية فنتائجها انحصرت حول حرفة صناعة النحاس ومساهمتها في النهوض بقطاع الصناعة التقليدية والدفع بعجلة التنمية فكانت كما يلي :

– أجمع المبحوثين جميعهم على توفر المادة الأولية مع غلاء سعرها.

– أكد كل المبحوثين أن بيع منتوجهم الحرفي يكون عبر محلاتها الأصلية أو محلات أخرى متواجدة بمناطق مختلفة من قسنطينة، كالخروب والدقسي عبد السلام وغيرها أو الاتجاه إلى عالم التطور والتكنولوجيا الحالية عن طريق المحيط الأزرق (الفيس بوك) من خلال فتح صفحات تسويقية عبره.

– اتفق كل المبحوثين على غياب الدعم التام من الدولة والجهات الوصية.

– يملك معظم مبحوثي الدراسة سجل تجاري أو بطاقة حرفي إلا الحالة رقم (6–7–9) لا تملك أيا منها.

– كل المبحوثين أجمعوا أن الحرفة تساهم في النهوض بقطاع الحرف والصناعات التقليدية إذا أعطيت هذه الاخيرة مكانتها وقيمتها ووفرت لها الجهات المعنية ما يساعدها في ذلك .

– يعتمد كل المبحوثين على مالهم الخاص.

– يؤكد المبحوثين على تمسكهم بالحرفة و عدم تغييرها بأي مهنة عدى الحالة رقم 10.

أما الفرضية الثالثة فجاءت بالنتائج التالية :

– كل مبحوثي الدراسة يرون في حرفة صناعة النحاس بقسنطينة أنها تاريخ المدينة وإرثها.

– أجمع المحوثين أنهم يقومون بصناعة القطع النحاسية الجديدة والقديمة غير أن الجديدة منها أكثر تماشيا.

– الزبون كان الفيصل في الكثير من الأمور المتعلقة بالقطع النحاسية من حيث اختياره للونها ونقشتها.

– إقبال العائلات القسنطينية المعاصرة على المنتوج النحاسي كان متوسطا عند معظم المبحوثين.

– إعادة تشبيب الأواني النحاسية واستبدال القديمة بأخرى جديدة أعادت إقبال العائلات القسنطينية للواجهة لا سيما ذات الدخل الضعيف والمتوسط والتي تذهب إلى اقتناء القطع النحاسية ذات اللون الأصفر التي بدورها تعتبر موضة قسنطينة في الآونة الاخيرة رغم غلاء ثمنها.

– كل المبحوثين يؤكدون مكانة وقيمة المنتوج النحاسي لدى العائلات القسنطينية المعاصرة وسيعهم في الحفاظ على الحرفة.

– أكد المبحوثين أن أغلب العراقيل و الصعوبات التي تواجههم هي مشاكل مالية و غلاء المادة الأولية وقلة إقبال الشباب على الحرفة و كذا تسويق منتوجهم الحرفي.

– أجمع كل المبحوثين على جملة الحلول المقترحة للنهوض بالحرفة والمتمثلة في توفير المادة الأولية وتعليم الحرفة للشباب ثم تحقيق حلم المدينة الحرفية الذي طال أمده.

5-6- التوصيات :

من خلال ما تم عرضه في تحليل حلات الدراسة والتطرق لخصوصيات الحرفة وبالإضافة إلى المقترحات المقدمة مسبقا في الفصل الثاني حول ما تعلق بحرفة صناعة النحاس، يمكن أن نقدم بعض التوصيات بخصوص الحرفة وقطاع الحرف والصناعات التقليدية على وجه عام، وعليه وجب على الجهات المعنية الأخذ بعين الاعتبار التوصيات التالية :

1- العمل على تحسين ظروف الحرفيين لا سيما الجانب الاقتصادي والاجتماعي.

2- ضمان تكوين للحرفيين عن طريق تربصات قصيرة المدى هدفها التبادل الفكري والثقافي حتى يتم ربط الحرفة بكل مستجدات التطور والعصرنة، ويكون بذلك خير سفير للحرفة والدولة.

3- تشجيع المستثمرين داخل و خارج الوطن على الاستثمار بقطاع الحرف والصناعات التقليدية.

4- ضمان السير الحسن لتسويق المنتوج الحرفي محليا وحتى خارج الوطن.

5- السهر على التعريف بالحرف والصناعات التقليدية الجزائرية من خلال وسائل الإعلام بكل أنواعها سمعية كانت أو بصرية، والاعتماد كذلك على منصات التواصل الاجتماعي بجميع محطاتها، والترويج المستمر عن طريق المعارض والمهرجانات.

6- على الجهات الوصية التعريف بالمناطق والمعالم الأثرية والتاريخية والحرف والصناعات التقليدية من خلال دليل سياحي لكل منطقة.

خـــاتمة

الخـــاتمة

من خلال ما تطرقنا إليه في دراستنا بشقيها النظري والميداني، تبين لنا يقينا أن الحرف والصناعات التقليدية تلعب دورا هاما كعامل حفظ لتاريخ الأمة وماضيها في وصف تراث المناطق التاريخي والثقافي والحضاري، فقسنطينة تميزت كغيرها من مناطق الوطن بتنوعها الثقافي وإرثها الحضاري، حيث كانت حرفة صناعة النحاس بها قبلة لكل من أراد زيارة مدينة العلم والعلماء ومدينة الهواء والهوى، غير أن رحالهم لا بد أن تحط دائما بزنقة النحاسين " حي باردو العتيق "، فهو رئة المدينة ووجهتها السياحية على غرار جسورها المعلقة وصخورها المترامية ومعالمها الأثرية التاريخية والحضارية الضاربة بجدورها أعماق التاريخ.

هذه الحرفة التي يعول عليها الكثير من أبناء المدينة خلاف حرفييها على أمل أن تعاود النهوض والسير قدما مواجهة بذلك خطر الزوال والاندثار الذي بات شبحا يحيط بها من كل زاوية، فلا أحد بقسنطينة كلها يريد أن يسمع صوتا غير صوت المطارق بين أنامل حرفييها وهي تعزف نغمات موسيقية مترجمة في قطع ومشغولات نحاسية غاية في الروعة والإتقان.

إن هذا الموروث هو فخر المدينة منذ سنوات خلت، فالنسبة لها هو ماضي الأمة وتاريخها فهو سمة قسنطينة الثقافية والتاريخية والجمالية وهمزة الوصل بين ماضيها وحاضرها ومستقبلها، فقد حاولنا في هذه الدراسة الإلمام والاحاطة قدر الإمكان بالحرف والصناعات التقليدية في الجزائر ومعرفة أهميتها، كما نوهنا إلى ما يعتريها من مشاكل وعوائق قد تكون سببا في عدم الإسهام بالقدر الكافي في تنمية ودعم قطاع الحرف والصناعات التقليدية، وكان تركيزنا منصبا حول حرفة صناعة النحاس بمدينة قسنطينة وتحديدا بموطن الحرفة " حي باردو العتيق" كأحد أنواع الحرف والصناعات التقليدية المتواجدة في البلاد.

وكخلاصة لما سبق تبين لنا أن موروث المدينة " حرفة صناعة النحاس" من جملة ما تزخر به الجزائر من موروثات مادية وأخرى غير مادية وجب الحفاظ عليها مخافة الاندثار والزوال، خاصة وفق المجريات الراهنة والتغيرات الاجتماعية التي تعرفها المجتمعات.

وفي الأخير ننوه إلى أن بحثنا وإن اشتمل على معلومات ومعطيات تبقى أبواب البحث مفتوحة دائما لنا ولغيرنا خدمة للعلم والمعرفة.

قائمة المراجع

أولا- القرآن الكريم

ثانيا- المعاجم والقواميس

1. ابن منظور، **لسان العرب**، المجلد الأول، دار الصادر، بيروت,م8.ط3. 1414-1994.

2. جان فرانسوا دورتيه ,**معجم العلوم الانسانية** ,مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع,2009.

3. **معجم المعاني عربي عربي.**

ثالثا- الكتب العربية

4. ابراهيم الحيدري، **اثنولوجيا الفنون التقليدية**، دار الحوار، اللاذقية ، سوريا،1984.

5. ابراهيم انيس. **في اللهجات العربية**. مكتبة الانجلو مصرية . 2003.

6. أبو القاسم سعد الله. **تاريخ الجزائر الثقافي** ،ط1، ج1، دار الغرب الاسلامي ،بيروت ،1998 م.

7. ابوالقاسم سعد الله. **تاريخ الجزائر الثقافي من القران العاشر الى الرابع عشر هجري**. المؤسسة الوطنية للكتاب.ج1.ط2. 1985.

8. أبي منصور محمد بن احمد الازهري ,**تهذيب اللغة**, الدار المصرية للتأليف والترجمة ,الجزء5,282هـ-370م.

9. أحمد ابو زيد. **البناء الاجتماعي مدخل لدراسة المجتمع والانساق** .ج2.الاسكندرية.دار المعارف الجامعية.2011.

10. أحمد أبو يزيد، **محاضرات في الأنثروبولوجيا الثقافية**، دار النهضة العربية، بيروت.1978.

11. أحمد الشريف الزهار. مذكرات الزهار الحاج احمد الشريف نقيب اشراف الجزائر دخائر المغرب العربي 1168هـ-1246م/1754هـ-1830م.تح احمد توفيق المدني. ش و ن ت .الجزائر.ط2. 1980.

12. احمد الطايش.**الفنون الزخرفية الاسلامية المبكرة.** مكتبة زهراء الشرق. القاهرة.2000.ص 50.

13. أحمد بن المبارك بن العطار. **تاريخ بلد قسنطينة (1790-1870)**.تح تق تع عبد الله حمادي. دار الفائز للطباعة والنشر والتوزيع. طبعة جديدة .قسنطينة 2011.

14. أحمد بن مبارك بن العطار(1790-1870),تح تع تق عبد الله حمادي، دار الفائز للطباعة والنشر والتوزيع, قسنطينة، 2011.

15. أحمد توفيق المدني ،**كتاب الجزائر**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ،1984.

16. أحمد فؤاد باشا، **التراث العلمي للحضارة الإسلامية ومكانته في تاريخ العلم والحضارة**، دار المعارف، ط2.القاهرة.1984.

17. أحمد محسن لطفي، **مقدمة في الإحصاء الاجتماعي**. جامعة الملك سعود، النشر العلمي والمطابع.2011.

18. أحمد مختار بمساعدة فريق عمل, **معجم اللغة العربية المعاصرة** ,عالم الكتب ,المجلد الاول ,ط1'القاهرة ,2008.

19. أحمد مريوش واخرون. **الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني** .منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة اول نوفمبر 1954م.الجزائر.2007م.

20. أحمد يسري عبد الرحمان، **تنمية الصناعات الصغيرة و مشكلات تمويلها**، الدار الجامعية للطباعة و النشر والتوزيع.الاسكندرية.1996.

21. إسعاد فايزة زرهوني. **مفهوم التراث الشعبي و إشكاليته في عالم متغير**. مخبر حوار الحضارات والتنوع الثقافي وفلسفة السلم. جامعة مستغانم الجزائر.2014.ص 8-18" كتاب جماعي الموروث الشعبي والهوية الوطنية"

22. اعتماد علام، **الحرف والصناعات التقليدية بين الثبات والتغير**. ،مكتبة الأنجلو، القاهرة،1991 ,ّ

23. أنابي لموني. بيتسي ايفانر. **العولمة والمفاهيم الأساسية**. تر اسيا شوقي. الشبكة العربية للأبحاث والنشر. بيروت.2009 .

24. أنتوني غدنز. **علم الاجتماع**. ت فايز الصياغ .مجد المؤسسات الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع-بيروت.لبنان.ط4,.2005.

25. بوتفنوشت مصطفى. تر دمري احمد. العائلة الجزائرية التطور والخصائص الحديثة. ديوان المطبوعات الجامعية .الجزائر. 1984.

26. توفيق بن داود ،**قسنطينة بلاد الهواء والهوى**، دار النشر اطوشة،الجزائر،2016.

27. ثروت عكاشة. **الفن العراقي القديم سومر بابل و اشور**. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت.

28. جليلة حسن حسنين، **دراسات في التنمية الاقتصادية**، الدار الجامعية للنشر، الإسكندرية، 2006 .

29. جيروم ستولونيتز .**النقد الفني دراسة جمالية وفلسفية** ، ترجمة فؤاد زكريا ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

30. حسن حسني عبد الوهاب. **ورقات عن الحضارة العربية بإفريقيا التونسية**.ج3. منشورات مكتبة المنار.ط2 . تونس. 1981.

31. حسين عبد الحميد أحمد رشوان، **المجتمع دراسة في علم الاجتماع** ، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية،2005 .

32. حليم بركات. **المجتمع العربي المعاصر**. بحث استطلاعي اجتماعي.. مركز الدراسات الوحدة العربية. ط6.بيروت.1998.

33. حمد الصالح بن العنتري .**تاريخ قسنطينة**. دار هومة. الجزائر . 2007 .

34. حمودة العوري. **التراث الشعبي وعلاقته بالتنمية في البلاد النامية .دراسة تطبيقية عن المجتمع اليمني** . عالم الكتاب للنشر. الطبعة 2.

35. حميدة عميراوي. **جوانب من السياسة الفرنسية وردود الفعل الوطنية في قطاع الشرق الجزائري(بداية الاحتلال)**.دار البعث للطباعة والنشر.قسنطينة.الجزائر.1984.

36. خوجة حمدان بن عثمان. **المرأة**. تق. تعل. تح. محمد العربي الزبيري . المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية. سلسلة التراث. رغاية . الجزائر.2006.

37. خولة نواري، **الحرف والصناعات التقليدية في الجزائر**, ,معهد الاثار, جامعة الجزائر 2, ط1, 2019.

38. دينكن ميشل. **معجم علم الاجتماع**. تر الحسن احسان محمد. معجم علم الاجتماع. دار الطليعة للطباعة والنشر. بيروت 1984.

39. ديورانت.**قصة الحضارة** .ترجمة محمد بدران.منشورات الادارة الثقافية في جامعة الدول العربية.القاهرة. المجلد 2 .

40. ربيع حامد خليفة. **الفنون الاسلامية في العصر العثماني**. مكتبة زهراء الشرق. القاهرة .2001.

41. الرزقي صادق .**الأغاني التّونسيّة**، الدار التونسية للنشر، ط2 .

42. رينهارت دوزي، **المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب**، الدار العربية للموسوعات، ط1 ،بيروت، لبنان،2012.

43. زكي محمد حسن. **الفنون الزخرفية والتصاوير الاسلامية**. دار الرائد العربي.بيروت.1981.

44. زهير خطب. **تطور الاسرة العربية والجذور التاريخية والاجتماعية لقضايا المعاصرة** .ط. 1. معهد الإنماء العربي. بيروت. 1976.

45. سامية حسن الساعاتي. **الثقافة والشخصية**. ط2. دار النهضة العربية .بيروت. لبنان .1983.

46. سعد الله فوزي، الشتات الأندلسي في الجزائر والعالم، ج2. دار قرطبة، 2016م.

47. سعيد ناصف. **محاضرات في تصميم البحوث الاجتماعية وتنفيذها -نماذج لدراسات وبحوث ميدانية**- مكتبة زهراء الشرق.مصر.1997.

48. سناء الخولي . **التغير الاجتماعي والتحديث** . دار المعرفة الجامعية . الاسكندرية . 2006.

49. شارلوت سيمور سميت، **موسوعة علم الانسان المفاهيم والمصطلحات الانثربولوجية**، ت مجموعة من اساتذة علم الاجتماع بإشراف محمد جوهري، المجلس الاعلى للثقافة،1998.

50. شالر وليام. **مذكرات وليام شالر. قنصل امريكا في الجزائر(1816-1824)**.تع. تعل. تق. اسماعيل العربي .ش. و. ن. ت الجزائر.1982.

51. شريف كنعانة. **دراسات في الثقافة والتراث والهوية**. مواطن المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديموقراطية. رام الله.فلسطين.2011.

52. شكري بن زعرور ، **تطور الصناعة التقليدية في الجزائر 1962**-2009.الطبعة الثانية , الغرفة الوطنية للصناعة التقليدية والحرف , الجزائر .2009.

53. شكري بن عزوز. **تطور قطاع الصناعة التقليدية والحرف في الجزائر 1962-2009**.ط2.الغرفة الوطنية للصناعة التقليدية .الجزائر. 2009.

54. شكري بن عزوز، **تجربة الجزائر في تنمية قطاع الصناعة التقليدية والحرف 1992-2002**.

55. صباح اسطيفان كجه جي.**الصناعة في تاريخ وادي الرافدين**.ط 1.مطبعة الاديب. بغداد.2002.

56. عائشة التايب، **النوع وعلم اجتماع العمل والمؤسسة**، ط1.منظمة المراة العربية. القاهرة.مصر.2011.

57. عائشة حنفي، **خواص مادة النحاس وطرق علاجها**، معهد الاثار، جامعة الجزائر 2.

58. عبد الحميد بورايو،**في الثقافة الشعبية الجزائرية التاريخ والقضايا والتجليات**، دار اسامة للطبع ون وت , منشورات رابطة الادب الشعبي لاتحاد الكتاب الجزائريين ، دون ت.

59. عبد الرحمن ابن خلدون . **المقدمة**. دار إحياء التراث العربي. ط 4 . د ت .

60. عبد الرحمن بن خلدون: **مقدمة العلامة ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، الدار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2007 .

61. عبد الرزاق ابن حمادوش. **رحلة ابن حمادوش الجزائري المسماة لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال**. تق تح تع ابو القاسم سعد الله. دط .مؤسسة الوطنية للفنون المطبعية.الجزائر1983.

62. عبد السلام هارون، **التراث العربي**، دار المعارف، د ط، القاهرة، دت، ص 5.

63. عبد العزيز بن ابراهيم العمري، **الحرف والصناعات في الحجاز في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم**، ب ت ن، ط1، 1985.

64. عبد العزيز صلاح سالم، **الفنون الاسلامية في العصر الأيوبي**، القاهرة ،1999.

65. عبد العزيز فيلالي ومحمد الهادي لعروق، **مدينة قسنطينة دراسة التطور التاريخي والبيئة الطبيعية** ، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة ،1984.

66. عبد العزيز مرزوق. **الفنون الزخرفية الاسلامية في العصر العثماني**. مصر. الهيئة المصرية العامة للكتاب.1987.

67. عبد الغني عماد، **سوسيولوجيا الثقافة –مفاهيم والاشكالية من الحداثة الى العولمة** –دار النشر بيروت، ط 1،سنة 2006.

68. عبد القادر دحدوح. **قسنطينة محطات تاريخية ومعالم اثرية. دراسة تاريخية اثرية.** ط1.نوميديا للطباعة والنشر.2015.

69. عبد الله الخريجي، **التغير الاجتماعي والثقافي**، مؤسسة زامتان للتوزيع ،جدة، 1983.

70. عبد الله رشدان. **علم اجتماع التربية** . دار الشروق للنشر والتوزيع . الاردن . 2004.

71. عبير غريب عبد الله ابراهيم، **علاج وصيانة المعادن "صياغة تشكيل ومعالجة** "،كلية الفنون الجميلة ،قسم ترميم الاثار ،جامعة المنيا،2020/2019.

72. العثمان وسام، **المدخل الى الانثروبولوجيا** ،ط1، الاهالي للطبع والنشر ، سوريا ، 2002 .

73. عز الدين الخطابي. **دينامية العلاقة بين التقليد والحداثة.** تطور الحياة الاجتماعية بمدينة عتيقة .ط1.افريقيا الشرق.المغرب.2015.

74. عزيز ابراهيم مجدي. **أسس تصميم منهج تربوي في ظل التنوع الثقا**في .القاهرة .مكتبة الانجلو مصرية.2001.

75. علاء جواد كاظم. **الصورة حكاية انثربولوجية.** دار التنوير .لبنان.2013.

76. عنايات المهدي ، **فن اشغال المعادن والصياغة** ،القاهرة ،1993.

77. عويسيان التميمي البصري,**موسوعة المفاهيم الاسلامية العامة** ,المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية ,ج1,مصر.

78. عيسى عبده، احمد اسماعيل، **العمل في الاسلام** ، دار المعارف، القاهرة، 1983.

79. فاروق أحمد مصطفى، **الأنثروبولوجيا ودراسة التراث الشعبي**، دراسة ميدانية، دار المعرفة الجامعية، الهيئة المصرية للكتاب، الإسكندرية–القاهرة 2008.

80. فاروق أحمد مصطفى، مرفت العشماوي عثمان، **دراسات في التراث الشعبي**، ط1، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 2008.

81. فاطمة الزهراء قشي. **قسنطينة في عهد صالح باي البايات**.ط2.دار مداد يونيفارسيتي براس.قسنطينة.2013.

82. فركوس صالح. أحمد باي قسنطينة 1826-1850.ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر .2008.

83. فضيل دليو، علي غربي، **أسس المنهجية في العلوم الاجتماعية**، دار البحث قسنطينة، الجزائر، 1999.

84. فندلين شلوصر. **قسنطينة ايام احمد باي 1832-1837**.تر ابو العيد دودو. وزارة الثقافة.الجزائر.2007.

85. فوزي العنتيل: الفولكلور، **ما هو؟ دراسة في التراث الشعبي**، دار المعارف، مصر،1965.

86. فوزي مجمج .عبد المجيد بوالصلب. **الصناعة التقليدية للنحاس بقسنطينة**. المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ علم الانسان والتاريخ.2020

87. فيلب رفلة، **جمهورية الجزائر سياسيا واقتصاديا وطبيعيا**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1956.

88. قاسيليف(م). **المعادن والانسان**. تر انور محمود عبد الواحد. الهيئة المصرية العامة للكتاب.القاهرة.1970.

89. قسيمة كباشي. **التجربة السودانية في إدارة التراث الثقافي**. الطابعون. المروة للطباعة والنشر. الخرطوم.2008.

90. قشي فاطمة الزهراء: **قسنطينة مدينة وموروثات**، مر. عياش سلمان، ميديا بلوس، قسنطينة، 2009 .

91. قناة الهداف .قناة رياضية جزائرية. تصريحات رئيس الاتحاد الافريقي لكرة القدم.

92. قيس حازم توفيق.**العلوم والمعارف في حضارة وادي الرافدين ووادي النيل في العصور القديمة**.ط1. اشور بانيبال للثقافة.2018.

93. كاميليا ابراهيم عبد الفتاح.. **سيكولوجية المرأة العاملة**. بيروت. دار النهضة العربية.1984.

94. كمال الزيات، **علم الاجتماع المهني**،مكتبة النهضة ،القاهرة،1997.

95. ليلى الطويل، .**طرائق البحث في العلوم الاجتماعية** ، بترا للنشر والتوزيع ،دمشق. (دت) .

96. ماجد محمود الخياط. **أساسيات البحوث الكمية والنوعية في العلوم الاجتماعية**. دار الراية للنشر والتوزيع.الاردن.2009.

97. مجدي وهبة, كامل المهندس. **معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب** .مكتبة لبنان- بيروت.ط2. 1944-1984.

98. مجموعة من الكتاب. **نظرية الثقافة**. عالم المعرفة. تر د علي سيد الصاوي . المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب .الكويت .1997.

99. محمد احمد زهران ،**فنون اشغال المعادن والتحف** ،مكتبة الانجلو المصرية،القاهرة،1965.

100. محمد اسماعيل قباري. **علم الاجتماع الحضري ومشكلا التجهيز والتغيير والتنمية** . نشأة المعارف. الاسكندرية.1985.

101. محمد الجوهري ,**المفاهيم الاساسية في الانثربولوجيا (مدخل لعلم الانسان)** ,2008.

102. محمد الجوهري ,المفاهيم الاساسية في الانثربولوجيا (مدخل لعلم الانسان) ,2008.

103. محمد الجوهري ، **علم القلكلور(دراسة في الانثربولوجيا الثقافية)**، دار المعارف، مصر، ج1،سلسلة علم الاجتماع المعاصر، الكتاب 17، ط6 ،2004.

104. محمد الجوهري. **علم الفلكلور. الأسس النظرية والمنهجية**.ج1.ط1.دار المعارف.القاهرة1981.

105. محمد الجوهري، **الأنثروبولوجيا أسس نظرية وتطبيقات عملية**، دار المعارف الجامعة، الإسكندرية، 1996.

106. محمد الجوهري، حسن الخولي، فاتن أحمد علي وآخرون، **التراث الشعبي في عالم متغير**، دراسات في إعادة إنتاج التراث أعين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، القاهرة، ط1، 2007.

107. محمد السويدي. **مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري** . ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر .1990.

108. محمد الصالح العنتري، **فريدة منسية في دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة**، مر وتق وتع يحي بوعزيز، الجزائر. ديوان المطبوعات الجامعية،1991.

109. محمد الصالح بن العنتري. **فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستلائهم على اوطانها او تاريخ قسنطينة** .عالم المعرفة للنشر والتوزيع.الجزائر .2009.

110. محمد زهير البابا. **التعدين على اساس علم الكيمياء. إسهام الشعوب العربية في تقدم علم التعدين**. التراث العربي.

111. محمد عثمان. **قسنطينة ملكة الشرق الجزائري ومدينة الجسور المعلقة**.ط1.الدار المصرية للكتاب. القاهرة . 2013.

112. محمد مرتضى الزبيدي الحافظ. **تاج العروس من جواهر القاموس** .دار الهداية.الكويت.ط2. 1424.

113. محمد منير حجاب. **المعجم الاعلامي**.دارالفجر .مصر .2004.

114. محمد هيكل، **مهارات إدارة المشروعات الصغيرة**، الطبعة الأولى ، مجموعة النيل العربية ،القاهرة، 2003 .

115. محمود صبح، **العمال وتمويل المشروعات الصغيرة**، البيان للطباعة والنشر، القاهرة، ط2 ,1999

116. مصطفى الخشاب ،**النظرية الاجتماعية ودراسة الآسرة** ، الدار الدولية . مصر، ط1 ، 2008.

117. مصطفى بن بادة، **اجتماع الجمعية الأولى للاتحاد العربي للصناعات التقليدية والحرف بالجزائر**، وزارة المؤسسات. الصغيرة والمتوسطة والصناعة التقليدية، الجزائر،2007.

118. مصطفى خلف عبد الجواد. **نظرية علم الاجتماع المعاصر**. دار المسيرة للنشر. عمان . ط1، 2009.

119. منظمة الامم المتحدة للتربية والعلم والثقافة. **التراث الثقافي غير المادي.**

120. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ,**الخطة القومية للنهوض بالصناعات التقليدية في الوطن العربي** . تونس 1995.

121. منى كامل العسوى. **المشغولات المعدنية**، ط 1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية و الاجتماعية.

122. موريس انجرس. **منهجية البحث العلمي في العلوم الانسانية** .تر بوزيد صحراوي واخرون. دار القصبة. الجزائر .2004.

123. موريس أنجرس. **منهجية البحث العلمي في العلوم الانسانية**. تر صحراوي بوزيد واخرون.ط2.دار القصبة للنشر. الجزائر .2006.

124. الميلود طواهري. **المقدس الشعبي . تمثلات ومرجعيات وممارسات** . دار الروافد الثقافية للنشر.ط1. 2006

125. ناصر الدين ،سعيدوني .**النظام المالي بالجزائر في العهد العثماني.1800-1830**. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر 1979.

126. ناصر الدين سعيدوني . والشيخ المهدي بوعبدلي. **الجزائر في التاريخ.ج4.العهد العثماني.** المؤسسة الوطنية للكتاب.

127. ناصر الدين سعيدوني ، **دراسات أندلسية مظاهر التأثير الايبيري والوجود الأندلسي بالجزائر**، ط1 ،دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003م.

128. ناصر الدين سعيدوني. **الشيخ المهدي البو عبدلي. الجزائر في تاريخ العهد العثماني** .م.و.ك. الجزائر.1984.

129. ناصر الدين سعيدوني. **دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر** . و. ك . الجزائر، 1984 .

130. ناصر قاسمي . **سوسيولوجيا العائلة والتغير الاجتماعي** .ط1.دار الكتاب الحديث. القاهرة، 2013.

131. ناصر قاسيمي،" **دليل مصطلحات علم اجتماع العمل والتنظيم**"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2011.

132. نبيل أحمد بلاسي. **الاتجاه العربي والإسلامي ودوره في تحرير الجزائر**. الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، مصر، 1990.

133. الهيئة العامة للسياحة والتراث الوطني, **الحرف والصناعات اليدوية** , الرياض ,2015 .

134. الوحيشي احمد بيري. الاسرة والزواج 'مقدمة في علم الاجتماع العائلي'. .الجامعة المفتوحة .طرابلس.1998.

135. وردة، ن، **"النشرة" تروي صراع صالح باي مع شيوخ الزوايا. الولي الذي تحول الى غراب وسكن اعالي قسنطينة**. جريدة الخبر.

136. وزارة السياحة والصناعة التقليدية. **تقرير حول النشاطات التقليدية لصناعة النحاس في الجزائر**. الجزائر.2018.

137. وزارة المؤسسات الصغيرة والمتوسطة والصناعة التقليدية(2003) ، **مخطط عمل من أجل تنمية مستدامة للصناعة التقليدية آفاق 2010** . شركة اتصالات وإشارات. الجزائر.

138. وزارة المؤسسات الصغيرة والمتوسطة والصناعة التقليدية. الغرفة الوطنية للصناعة التقليدية – **تطور قطاع الصناعة التقليدية والحرف في الجزائر 1962–2009**– الطبعة 2–2009.

139. وزارة المؤسسات الصغيرة والمتوسطة والصناعة التقليدية، **مخطط عمل من أجل تنمية مستديمة للصناعة التقليدية آفاق 2010**. (2003).

140. الوزان الفاسي. الحسن بن محمد.(ليون الافريقي).**وصف افريقيا**. تر محمد حجي. محمد الاخضر.ط2.دار الغرب الاسلامي .بيروت. لبنان.1983.

141. وليد الجادر . **صناعة التعدين** . حضارة العراق . ج 1985.2. ص 240–241.

رابعا– المجلات والملتقيات

142. إبراهيم حمروش واخرون .**معجم الفاظ القران الكريم**. مجمع اللغة العربية. الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر.ط2.المجلد 2.1390هـ–1970م.

143. ابراهيم راشد حسين وماهر صبري درويش, **الصناعات الحرفية ,انتاجها وتسويقها وافاقها في الاقتصاد العراقي** ,مجلة كلية بغداد للعلوم الاقتصادية الجامعة ,العدد28.

144. أحلام بن عادل. **الحايك العجار. والملاية ألبسة تراثية سردت العديد من الأحداث**. مجلة احلامي.

145. أحلام عماري، سهام وناسي، **الحرف والصناعات التقليدية في الجزائر**، مجلة الانثربولوجيا،مجلد8،العدد1، 2022.

146. أحمد تريكي. **نظرة تاريخية للتعليم والوضع الاجتماعي والاقتصادي للجزائر قبل وأثناء الاحتلال الفرنسي**. مجلة القرطاس.

147. أحمد سعيد. الدمرداش، **النحاس وملوناته قديما وحديثا**. مجلة الجمعية المصرية لتاريخ العلوم. دار مصر للطباعة. القاهرة .ما بين الاعداد 2–8.عدد خاص 1953–1973.

148. أحمد فتال، **بنية الثقافة الجزائرية وأسسها، عرض عام**، مجلة الثقافة، عدد 19.افريل 2009.وزارة الثقافة. الجزائر.

149. أسامة بأحمد. **قراءة سوسيولوجية للموروث الثقافي بين ثنائية التغير الاجتماعي والتغير الثقافي ودوره في الحفاظ على الهوية الثقافية** .مجلة التنمية وادارة الموارد البشرية –بحوث دراسات– المجلد 8. العدد 2. 2020.

150. أسامة صاحب منعم. **الاوضاع الاقتصادية العامة للجزائر في ظل الادارة الفرنسية 1830–1962 ومحاولة البحث عن النفط قبل الاستقلال** .مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية .المجلد4.العدد3.

151. أسماء مجدوب. سليمان دحماني. **قيم الحرف اليدوية في المجتمع الجزائري "قيم النحاسين بقسنطينة انموذجا"**.مجلة انثربولوجيا.مجلد08.العدد 02.السنة 2022.

152. آسيا ليفة. ابراهيم بن لخلف. **مدينة قسنطينة القديمة، تراث عمراني مهدد بالزوال**. مجلة آفاق للعلوم. العدد العاشر/ جانفي 2018.

153. إيمان هنشيري. **الموروث الثقافي الجزائري الواقع والافاق**. مجلة حوليات التراث. جامعة مستغانم. العدد17.سبتمبر2017.

154. إيمان هنشيري: **الموروث الثقافي الجزائري الواقع والآفاق**، مجلة حوليات التراث جامعة مستغانم، العدد السابع عشر، سبتمبر 2017 .

155. بن الشيخ الحسين. **إعادة الاعتبار للتراث العمراني في إطار تظاهرة قسنطينة عاصمة الثقافة العربية 2015 وأثره على التنمية السياحية بمدينة قسنطينة**. مجلة التراث. العدد 04. 2014/09/15.

156. بن الشيخ وليد. **إعادة الاعتبار للتراث العمراني في إطار تظاهرة قسنطينة عاصمة الثقافة العربية 2015 وأثره على التنمية السياحية بمدينة قسنطينة** .مجلة التراث .المجلد4. العدد6. 2014.

157. جمال جعيل واسماعيل زحوط .**الحرف والصناعات التقليدية كفرص لترقية السياحة الداخلية في الجزائر** ,مداخلة ضمن فعالية الملتقي الوطني : فرص ومخاطر السياحة الداخلية في الجزائر ,كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير ,جامعة باتنة.

158. حسام خليفي , عمر لعلاوي, **واقع استراتيجية ترويج منتجات الصناعات التقليدية و الحرف في الجزائر** , مجلة معهد العلوم الاقتصادية , المجلد 24, العدد 01, 2021.

159. حنان مالكي. **الخصائص السوسيولوجية للأسرة الجزائرية–التقليدية والحديثة**–مجلة العلوم الانسانية. جامعة محمد خيضر .بسكرة.العدد22.جوان 2011.

160. رابح بحشاشي. **ملتقى وطني حول فرص ومخاطر السياحة الداخلية** .مداخلة بعنوان" مقومات تنمية السياحة الداخلية –دراسة حالة ولاية قسنطينة". يومي 19–2012/11/20.جامعة حاج لخضر. باتنة.

161. راوية عبد المنعم محمد خليل، **مبهرة من النحاس ترجع الى النص الثاني من القرن الثالث عشر هجري–النصف الثاني للقرن التاسع عشر الميلادي**، مجلة العمارة والفنون والعلوم الانسانية، المجلد السادس،العدد26،مترس 2021.

162. رحاب مختار. **مناهج وتقنيات البحث الانثربولوجي في موضوع اسماء الاعلام.** Lanthroponymie مجلة العلوم الاجتماعية .العدد (19 ديسمبر 2014).

163. رضا بن تامي، نوال قادة بن عبد الله، **نظريات في خدمة العلوم الاجتماعية قراءة في دور نظرية التفاعلية الرمزية**، مجلة منيرفا، مجلد (04)–العدد(01)–ديسمبر 2017.

164. رفيق شلابي. **التأثير الاقتصادي الاندلسي في مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني** .مجلة مدرات للعلوم الاجتماعية والإنسانية تصدر عن المركز الجامعي- غليزان- الجزائر. العدد04.ماي 2021.

165. سالم عطية الحاج، **الصناعة التقليدية بين الموروث الثقافي والفاعلية الاقتصادية**، مجلة الحرفي، الجزائر، عدد خاص، 2001.

166. سالم عطية الحاج، **الصناعة التقليدية والحرف : قطاع يبحث عن إستراتيجية**، مجلة الحرفي، الجزائر ،العدد .02 .2003.

167. ستا فروس فوتيراس، **إيديولوجية وقيم الاتجاه الكلاسيكي والرومانسي للعمل** ،المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية ،اليونيسكو، العدد 114، يوليو 1981.

168. سعاد حميدة .**عناصر التراث الثقافي المادي واللامادي الجزائري ومنهجية صونه**. مجلة الآداب .جامعة ميلة. المجلد19.العدد01.ديسمبر 2019.

169. سفيان بودراع. **سيرتا من خلال النقيشات اللاتينية المحفوذة بالمتحف الوطني سيرتا قسنطينة.** مجلة الدراسات الاثرية.المجلد12.العدد01. 2014

170. سليم حاج سعد، التجاني مياطه، **التراث المادي واللامادي لقلعة بني راشد وسبل الحافظة عليه**، مجلة قبس للدراسات الانسانية والاجتماعية، المجلد 07، عدد خاص 2023.

171. سمير بوطيش. **الصناعات النحاسية الجزائرية في العهد العثماني** .معهد علم الاثار. جامعة الجزائر2 .مجلة القرطاس .العدد04.جانفي .2017.

172. سهام بن عمار ، أحمد بن داودية , **واقع قطاع الصناعات التقليدية والحرف في الجزائر** , مجلة مينا للدراسات الاقتصادية , المجلد 02 , العدد 03 , 2019 .

173. السيد علي شتا. **نظرية علم الاجتماع**. مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، مصر، 1993.

174. شكري بن زعرور، **إشكالية تصدير المنتوج التقليدي نظرة كلية** ، مجلة الحرفي ،الجزائر، العدد 3. 2004.

175. شلابي رفيق. التأثير الاندلسي المعماري خلال العهد العثماني. قسنطينة أنموذجا. مجلة الراصد العلمي.العدد01.جويلية 2022.

176. علي بن عبد القادر بن محمد يماني,**التربية المهنية في السنة النبوية وتفعيلها في المدرسة الثانوية** ,بحث مكمل لنيل درجة الماجستير في التربية الاسلامية والمقارنة ,جامعة ام القرى ,2008.

177. طلال معلا: **التراث الثقافي غير المادي ، تراث الشعوب الحي**، سلسلة أوراق دمشق، العدد 4.

178. الطيب العماري. **الزوايا والطرق الصوفية بالجزائر التحول من الديني الى الدنيوي ومن القدسي الى السياسي دراسة انثربولوجية**، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية.بسكرة.العدد15.جوان 2014.

179. عائشة حنفي، **خواص مادة النحاس وطرق علاجها**، مجلة "الدراسات الأثرية"، معهد الآثار، جامعة الجزائر2,المجلد15,العدد01 ,2016,

180. عبد القادر بوباية. **مدينة قسنطينة من خلال كتابات الجغرافيين والرحالة العرب(ق 5-10هـ)**.مجلة عصور الحديدة.العدد5. 2012.

181. عبد القادر حليمي. **أصول النشأة لمدينة الجزائر**. مجلة الاصالة. الجزائر .دون تاريخ. ص 8.

182. عبد القادر دحدوح. **المعالم الاسلامية الاثرية بمدينة قسنطينة خلال الفترة العثمانية**. مجلة الثقافة الاسلامية. المجلد11. العدد01. 2015

183. عبد الهادي أحمد، **الصناعة التقليدية و الحرف في الجزائر**، ورشة عمل حول الصناعات التقليدية في الوطن العربي ، المغرب 17-19 سبتمبر 2005.

184. العربي بوحسون,**الحرف والصناعات التقليدية في مدينة تلمسان ,مقاربة تاريخية وانثربولوجية واقتصادية ,دورية كان التاريخية** ,السنة العاشرة , العدد 35 , مارس 2017,

185. عزيز ساجد، **عصر المعادن في بلاد المغرب "حالة المعادن"**، معهد الاثار، جامعة الجزائر2، مجلة الدراسات الاثرية، العدد9،الرقم1، ص 08-21،سنة 2011.

186. الدولي الثاني : النص والمنهج. المركز الجامعي .البويرة . الجزائر. ع 4.افريل 2008.

187. علي الهمذاني. **الحكاية اليمنية في اطارها الانساني.** معارف . القسم الاول. عدد خاص ببحوث الملتقى.

188. علياء الحسين محمد كامل. **دور الموروثات الثقافية في التهميش الاجتماعي للمرأة المصرية .دراسة أنثربولوجية.** مجلة كلية الآداب جامعة الفيوم. (الانسانيات والعلوم الاجتماعية).مجلد13.العدد 2. 2021.

189. عواج سامية. **التراث المادي واللامادي ودور الإعلام في الحفاظ عليه وتثمينه.** مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية مجلة دورية دولية محكمة .العدد 22.

190. فاطمة الزهراء دميم –حمزة الشريف علي. **التغيّر الثقافي وعلاقته بتكيفّ كبار السن في الأسرة الجزائرية.** مجلة دراسات إنسانية واجتماعية. جامعة وهران 02 . المجلد 09 .العدد03. 2020.

191. فاطمة الزهراء قاسي, **صناعة النحاس التقليدي , حرفة بين تحديات البقاء والمساهمة في التنمية**, مجلة دراسات الاقتصاد والتجارة والمالية –الجزائر 3 ,الجلد6,العدد03,سنة 2017.

192. فاطمة سويتم، **الصناعة التقليدية كمصدر لترقية السياحة والاستثمار السياحي منطقة اهقار نموذجا** , مجلة الاجتهاد للدراسات القانونية والاقتصادية , مجلد 7, العدد 5, 2018 .

193. فؤاد سايحي. مختار قاسم. ساعد رقيق .**مناهج استخدام البحث العلمي واستخدامها في المذكرات الجامعية بكلية العلوم الانسانية والاجتماعية** . مجلة افاق.2021..المجلد06.العدد 04.

194. فيصل طحرور . **دور منظمة اليونسكو في حماية الممتلكات الثقافية زمن النزاعات المسلحة.** مجلة الحقوق والعلوم السياسية جامعة باتنة .2016. العدد 6.

195. مارتن ليفي، "**النحاس والبرونز في بلاد وادي الرافدين** "، مجلة النفط والتنمية، العددين 7 – 8 ،نيسان–مايس 1981.

196. محمد سليماني .**حدود استعمال الرواية الشفوية في الكتابة التاريخية.** مجلة مدارات تاريخية.المجلد3.العدد4.جانفي 2022.

197. محمد غربي، إبراهيم قلواز، **النظرية البنائية الوظيفية نحو رؤية جديدة لتفسير الظاهرة الاجتماعية.** مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الشهيد حمة لخضر .الوادي.العدد2016/10/18.

198. مريم زروالي. **أساليب وادوات زخرفة النحاسيات في العهد العثماني.** "**ورشة ادريس امين خوجة انموذجا**"".مجلة المعيار .مجلد24.العدد50.سنة 2020.

199. مصطفى موالدي .**العلوم والتكنولوجية في الحضارة الصينية القديمة.** مجلة التقدم العلمي . مؤسسة الكويت للتقدم العلمي .الكويت . العدد 86. 2014.

200. ناصر سعيدوني. **مذكرة حول اقليم قسنطينة.** مجلة الاصالة . العدد 70–71.

201. ندير بوحنيكة ، وداد دريوش ، **أهمية الصناعة التقليدية والحرف في تنمية الاقتصاد الوطني الجزائري رؤية تحليلية** , مجلة التنمية وادارة الموارد البشرية –بحوث ودراسات –المجلد 08,العدد 01, 2021, ص.ص ,283 –297.

202. نهى نبيل فهمي .**تطوير حرفة النحاس في القاهرة** .المؤتمر العلمي الدولي الاول للقصور المتخصصة. الموروث الفني والحرفي لغة تواصل بين الشعوب. مجلة التصميم الدولية.

203. هدى جباس. **مقاربة اثنوغرافية لبعض طوبونيمات قسنطينة.** مجلة انسانيات .العدد97. جويلية –سبتمبر2022.

204. وسيلة سبتي وصحراوي محمد تاج الدين، 2018، **مساهمة الصناعات التقليدية والحرف في ترقية قطاع السياحة دراسة مقارنة بين الجزائر وتونس آفاق 2020** ، مجلة اقتصاديات الاعمال والتجارة ,العدد,2018,05 ,

205. ياسر هاشم عماد الهياجي. **دور المنظمات الدولية والإقليمية في حماية التراث الثقافي إدارته وتعزيزه** .مجلة ادوماتو. المملكة العربية السعودية. 2016.العدد 34.

خامسا- المذكرات والرسائل الجامعية

206. أحلام صابرينة طرشي: **صناعة النحاس بقسنطينة دراسة فنية** - رسالة ماجستير كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية - جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان. 2011.

207. أمال باشي: **البناء الاجتماعي للمهن في الجزائر**, دراسة سوسيو- انثربولوجية لحرفة الطرز التقليدي بتقرت ,رسالة دكتوراه, كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ,جامعة قاصدي مرباح ورقلة, 2020.

208. امينة بن المجات. **التنمية السياحية في ولاية قسنطينة "بين المؤهلات والعوائق'**. مذكرة لنيل شهادة ماجستير في التهيئة الإقليمية والتنمية المحلية. كلية علوم الارض والجغرافيا والتهيئة العمرانية، قسم التهيئة العمرانية. فرع التهيئة الاقليمية .جامعة منتوري قسنطينة. 2004-2005.

209. جليلة بن العمودي، **استراتيجية تنمية قطاع الصناعة التقليدية والحرف بالجزائر في الفترة 2003-2010** دراسة حالة spl تطوير نظام إنتاج محلي بحرفة النسيج التقليدي بمنطقة تقّرت مذكرة ماجستير .كلية العلوم الاقتصادية والتجارية جامعة قاصدي. مرباح .ورقلة .2012/2011.

210. جميل نسيمة، **السياحة الثقافية وتثمين التراث من خلال البرامج التلفزيونية في الجزائر**، كلية العلوم الاجتماعية، تخصص علوم الإعلام والاتصال، مذكرة لنيل شهادة ماجستير جامعة وهران، 2009-2010 .

211. حورية طبعه. **السياسة الاقتصادية الاستعمارية الفرنسية في عمالة قسنطينة.1870-1954م.** اطروحة لنيل الدكتوراه. كلية العلوم الانسانية والاجتماعية والاسلامية. قسم العلوم الانسانية. جامعة ادرار.2020.

212. زينب شنوف ,**تشكيل الهوية الجماعية عند المقاولين الشباب** , دراسة ميدانية لعينة من المقاولين الشباب أصحاب مؤسسات الصناعة التقليدية الحرفية بورقلة , اطروحة لنيل شهادة الدكتوراه , كلية العلوم الانسانية والاجتماعية , جامعة محمد خيضر ,بسكرة , 2017.

213. زينب شنوف. **تشكيل الهوية الجماعية عند المقاولين الشباب.** دراسة ميدانية لعينة من المقاولين الشباب أصحاب مؤسسات الصناعة التقليدية الحرفية بورقلة .اطروحة لنيل شهادة الدكتوراه ,كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ,جامعة محمد خيضر ,بسكرة 2017.

214. زينب قماس. **المجمعات السكنية الحضرية في مدينة قسنطينة. واقعها ومتطلبات تخطيطها.** رسالة ماجستير في علم الاجتماع الحضري .جامعة منتوري قسنطينة.2005-2006.

215. شيبان آسيا. دور المؤسسات الصغيرة والمتوسطة في التنمية الاقتصادية ,حالة الصناعات التقليدية والحرف في الجزائر. كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير قسم العلوم الاقتصادية: جامعة الجزائر.(2009).

216. عاطف وصفي، **الأنثروبولوجيا الثقافية،** دراسة ميدانية للجالية اللبنانية الإسلامية بمدينة ديربورن الأمريكية، دار النهضة العربية، د ت.

217. عبد الرحيم شنيني, **دور التسويق السياحي في انعاش الصناعة التقليدية الحرفية** –دراسة ميدانية: حالة مدينة غرداية ,مذكرة ماجيستير, كلية العلوم الاقتصادية والتسيير والعلوم التجارية ,جامعة ابي بكر بلقايد, تلمسان ,2010, ص 115.

218. عبد القادر بن جدو، محي الدين الجيلالي , **الصناعة التقليدية للمرأة والتحولات السوسيوأنثروبولوجية**, رسالة دكتوراه, كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية, جامعة البليدة2019،2.

219. علي لطرش. **الخطاب النقدي والاجتماعي وموقفه من التراث الادبي العربي.** شهادة دكتوراه دولة في النقد الادبي الحديث. كلية الادب واللغات. قسم اللغة العربية و آدابها. جامعة الجزائر.2007-200-.

220. فاطمة الزهراء قشي. **قسنطينة المدينة والمجتمع.** رسالة دكتوراه في التاريخ غير منشورة. جامعة قسنطينة.1997-1998.

221. فايزة أسعد. **العادات الاجتماعية والتقاليد في الوسط الحضري بين التقليد والحداثة.** مقاربة سوسيو- انثربولوجية لعادات الزواج والختان مدينتي وهران وندرومة نمودجا. رسالة لنيل شهادة دكتوراه علوم في علم الاجتماع. كلية العلوم الاجتماعية .جامعة وهران.2012/2011.

222. محمد حمداوي. **البنيات الاسرية ومتطلباتها الاسرية الوظيفية في منطقة بني سنوس في النصف الاول من القرن العشرين. قرى العزايل نموذجا** .دكتوراه دولة في علم الاجتماع. جامعة السانية .وهران.2005.

223. نادية عيشور. بنية الروابط الاجتماعية في الاسرة الحداثية. مقاربة غربية-اسلامية. جامعة سطيف. ورقة بحثية ضمن فعاليات الملتقى الوطني الرابع لقسم علم الاجتماع. كلية العلوم الانسانية والاجتماعية .جامعة الجزائر.6-7 نوفمبر 2006.

224. نادية فرحات. **الأسرة الجزائرية بين القيم التقليدية وقيم الحداثة.** كلية العلوم الانسانية والاجتماعية. قسم علم الاجتماع. جامعة الجزائر2. 2010/2009.

225. نسرين مرعشلي. **النحاس (ماهيته. خواصه. طرق استخداماته). حتى نهاية القرن السادس الهجري الى الثاني عشر الميلادي.** رسالة ماجيستير. معهد التراث العلمي العربي. جامعة حلب.2017.

226. نوال بن صديق, **التكوين في الحرف والصناعات التقليدية ,بين المحافظة على التراث ومطلب التجديد**, دراسة أنثروبولوجية بمنطقة تلمسان, رسالة ماجستير, كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ,جامعة ابي بكر بلقايد ,تلمسان 2013/2012.

227. يسمينة شرابي، **الموروث الثقافي في أدب الرحلة الجزائري-(نماذج من رحلات القرن العشرين).** مذكرة مقدمة لنيل الماجستير في اللغة والأدب. جامعة البويرة 2013/2012.

228. يمينة سعودي، **الحياة الادبية في قسنطينة.** بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في الأدب الجزائري القديم. كلية الآداب واللغات. قسم اللغة العربية وآدابها. جامعة الإخوة منتوري – قسنطينة.2005-2006.

229. يونس سناء حسون .**المعادن والتعدين في مصر القديمة.** مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية .المجلد 17.العدد8. 2010.

سادسا-الجريدة الرسمية والقوانين والأوامر

230. الأمانة العامة للحكومة. المرسوم الرئاسي رقم 92-307. المؤرخ في 19 يوليو 1992 . الجريدة الرسمية.

231. الجريدة الرسمية رقم 14 المؤرخة في 14 جوان 1964 م.

232. الجريدة الرسمية رقم 35 المؤرخة في28أوت 1982 م.

233. الجريدة الرسمية رقم 42 المؤرخة في 18 ماي 1965 م.

234. الجريدة الرسمية رقم 5 المؤرخة في 23 نوفمبر 1962 م.

235. الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، قانون رقم 98-04 المتعلق بحماية التراث الثقافي، العدد 44،المؤرخ في 20 صفر 1419هـ الموافق 15 جوان 1998م

236. المرسوم رقم 63-79 .بالجريدة الرسمية رقم 13.الؤرخة في 15 مارس 1963.

237. وزارة المؤسسات الصغيرة والمتوسطة، **مدونة النصوص القانونية والتنظيمية الخاصة بقطاع الصناعة التقليدية والحرف لسنة 2005**، الأمر رقم 96-01 المؤرخ في 19 شعبان 1416 هـ الموافق ل 10 يناير 1996، المحددة للقواعد التي تحكم الصناعة التقليدية والحرف.

سابعا- المراجع الأجنبية

238.**agricole en Alger**, , O.P.U. TOM 1 , Alger, 1987 , P 205Algérie

239. AUVOLAT.M, **les artisans en milieu rural, une force entravée**, économie rural, vol.238, 1999.

240.Ayachi T, "**L'artisanat du cuivre en Tunisie**", In R. C. A. T. P. institut national d'archéologie et d'art, N°1, Tunis, 1968.

241.Benjamin Stora, **le Jérusalem du Maghreb**; Conférence donnée au musée d'art et d'histoire du Judaïsme à Paris.

242. Blanchet. Alain, Gotman .Anne, **l'enquête et ses méthodes : l'entretien**, Editions Nathan, Paris, 1992, .

243. Bourdieu Prérre , **Sociologie de l'Algérie , coll. que sais-je** ? n 802 , Paris , P.U.E , 1974 .

244. Claude, Dubar. **La Socialisation Construction des Identités Sociales et Professionnelle**. 3ème ed. Paris : Armand Colin, 2000.

245. Claudine Chaulet , **La terre et les frères et l'argent – stratégie familiales et production Collection** ,Faber and Faber ,London ,1976 .

246. A.Debruge : **« La Grotte Des Ours » Receuil des notices et mémoire de la société archéologique**, 11éme volume, Librérie africaine et coloniale, Paris, 1909, .

247. Dictionnaire de sociologie, **le Robert** ,France, éditions le seuil,1999

248. Ecotechnics, **Etude sur la production et l'emploi dans le secteur de l'artisanat et des metiers**, ministère de la PMEA, Alger, 2010.

249. Eudel P, **L'orfèvrerie algérienne et tunisienne**, Jourdan, Alger, 1902

250. Geneviève Bernoux . **Emaux Sur Cuivre,** Édition Eyrolles .Paris. 2002.

251. Geza Fehervari , **Islamic Metal work of the Eighth to the Fifteenth Century in the Keir**

252.Leonardo Benevolo, **histoire de la ville**, tra : Catherine Peyre, éd Parenthèses, 1983.

253.Lipe . W. **Value and Meaning in Cultural.Resource**, Cambridge University Press, London. . 1984.

254. Louis Bertrand .Africa 1933 .

255. Marc Côte, **Constantine: Cité antique et ville nouvelle**, Édition Média plus, Constantine, 2006.

256. Monique Lebrun, "**Les Représentations Sociales des Méthodes de Recherches aux Problèmes de Société"**, Les éditions logiques, Québec, 2001.

257. Mouloud Gaid, **chronique des beys de constantine**,o.p.u.alger,

258. **Organisation International De Travail**, Classification International Type De Professions :Grand Groupe 7 :Artisans Et Ouvriers Des Métiers De Type Artisanal ,28/09/2009.

259. Perrier M, **Le livre de dandiner**, dessin et tolra, Paris, 1979.

260. Pmeart, **Renforcement De L'agence Nationale De L'artisanat Traditionnel Et Des Institutions Publiques Et Professionnelles** . Chargees De Promouvoir L'artisanat Tradionnel.

261. Rabah Abtou. **Artisanat ,traditionnel, Le Génie d'un peuple**, Editions SHFAR

262.Rees, H. (1997**). Pattern of making: thinking and making in industrial design in the culture of craft**. Manchester University Press.

263.Robert Descloîtres, LaïdDebzi: **Système de parenté et structure familiales en Algérie**, in Annuaire d'Afrique du nord, Paris, CNRS, 1963.

264.Unido, **Creative industries and micro and smale scale enterprise development a contribition to poverty** , Vienna Austria, 2005.

265.Vachon M., **Les industries d'art indigène en Algérie**, Alger, 1902.

266.Walker, S. (2012**). The Object of Nightingales: Design Values for a Meaningful Material**.

ثامنا- المواقع الالكترونية

267. https://www.almaany.com/ar/dict/ar

268. Culture. Design and Culture journal, 4(2). Récupéré sur https://doi.org/10.2752/175470812X13281948975459

269. http://www.ConstantinehierAujourd'hui.fr/images/divers/conférence_b_stora.Pdf.

270. https://constantine.mta.gov

271. https://www.almaany.com**,**

272. https://www.almaany.com/ar/dict/ar.

273. https://www.aranthropos.com .

274. https://www.el-massa.com/dz/

275. https://www.ahlami-revue.dz

276. https://www.echoroukonline.com

277. https://kenanaonline.com/users/hasan/posts/68442

278. https://alkhaleejonline.net

279. https://www.el-massa.com/dz

280. https://www.dcwconstantine.gov.dz

281. https://www.kuna.net.kw/Article

282. https://www.aljazeera.net

283. https://www.annasronline.com

284. https://www.annasronline.com/index.php52-19

285. https://www.alriyadh.com

الملاحـــق

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبة

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة لونيسي علي- البليدة 2

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم علم الاجتماع

تخصص أنثروبولوجيا عامة

إعداد الطالبة **إشراف أ/د: شيخي رشيد**

هاشم فتيحة

دليل المقابلة خاصة بالتحضير لأطروحة الدكتوراه تخصص أنثروبولوجيا عامة نظام :**(L.M.D)**

حرفة صناعة النحاس كموروث ثقافي ومكانته لدى العائلة القسنطينية المعاصرة

- دراسة أنثربولوجية بزنقة النحاسين " حي باردو" قسنطينة -

بيانات هذه المقابلة سرية خصصت لأغراض علمية والبحث العلمي

المحور الأول : بيانات شخصية

السن :.....

الحالة الاجتماعية :.....

الأصل الجغرافي:.....

المستوى التعليم:.....

طبيعة النشاط :.....

المحور الثاني : حرفة النحاس والحرفيين

س1: كيف تعلمت حرفة النحاس ؟

س2 : كيف ترى حرفة النحاس في قسنطينة ؟

س3 : ما مدى إقبال الشباب على الحرفة؟

س4 : لماذا لم تتركوا الحرفة ؟

س5 : أي مستقبل تراه للحرفة من وجهة نظرك؟

المحور الثالث : حرفة النحاس تساهم في النهوض بقطاع الصناعة التقليدية

س6: هل المادة الأولية متوفرة وبأسعار عادية؟

س 7: كيف يتم تسويق منتوجاتكم؟

س 8: هل الجهات الوصية تقوم بدعمكم؟

س 9 : كيف تحمون أنفسكم قانونيا باعتماد السجل أم بطاقة الحرفي؟

س10 : كيف تساهم الحرفة في تنمية قطاع الحرف و الصناعات التقليدية ؟

المحور الثالث : الموروث الثقافي و مكانته لدى العائلة القسنطينية المعاصرة

س 11: كيف تساهم الحرفة في الحفاظ على إرث المدينة وماضيها ؟

س 12: هل لا زلتم تحافظون على الزخارف والنقوش القديمة أم للزبون رأي اخر؟

س 13 : هل لا تزال العائلة القسنطينية شغوفة بهذا الموروث الثقافي المادي ؟

س 14: هل ترى في عودة تشبيب الأواني النحاسية أو استبدالها بأخرى وسيلة للحفاظ على الحرفة؟

س 15: كيف ترى مكانة النحاس لدى القسنطينيين كموروث وهوية المدينة ؟

س16: ما هي أهم الصعوبات والعراقيل التي تواجه الحرفة؟

س 17: في ظل الغزو والعولمة ما هي خطتكم للإبقاء على الحرفة وحمايتها من الزوال والاندثار؟

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبة

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة لونيسي علي– البليدة 2

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم علم الاجتماع

تخصص أنثروبولوجيا عامة

إعداد الطالبة **إشراف ا /د: شيخي رشيد**

هاشم فتيحة

دليل المقابلة مكملة خاصة بالتحضير لأطروحة الدكتوراه تخصص أنثروبولوجيا عامة نظام **(L.M.D):**

حرفة صناعة النحاس كموروث ثقافي ومكانته لدى العائلة القسنطينية المعاصرة

– دراسة أنثروبولوجية بزنقة النحاسين " حي باردو" قسنطينة –

بيانات هذه المقابلة سرية خصصت لأغراض علمية و البحث العلمي

المحور الأول : بيانات شخصية

السن :.....

الحالة الاجتماعية :.....

الأصل الجغرافي : .....

الفصل الثالث : الموروث الثقافي والهوية التراثية للعائلة القسنطينية

س1: كيف ترين قسنطينة بين الأمس واليوم؟

س2 : ماذا تغير فيها بالضبط؟

س3 : هل مازال أهلها يحافظون على عاداتهم وموروثاتهم ؟

س4 : ماهي الممارسات الثقافية التي اختفت من مدينة قسنطينة ؟

س5 : ماذا تعرفين عن المعتقدات التي كانت تسود قسنطينة قديما؟

س6: أعراس قسنطينة بين اليوم والأمس ماذا تغير؟

س 7: المناسبات الاجتماعية والأعياد الدينية بالمدينة ماذا حل بها؟

س 8: هل ما زال البلدية في قسنطينة يحافظون على ممارساتهم الثقافية؟

س 9 : ماذا يعني النحاس للعائلة القسنطينية؟

س10 : هل قسنطينة لا زالت تقدس تقطير الورد؟

س11: ما قيمة الموروث الثقافي القسنطيني ومكانته عندك وماذا تقترحين للحفاظ عليه،

الملحق رقم (02) : صور خاصة بالفصل الثالث

كل الصور من تصوير الباحثة



الصورة رقم (01) : حمام ثلاثة



الصورة رقم (02) : حمام دقوج بمعدات الترميم منذ فترة إلى غاية اليوم



الصورة رقم (03) : حمام بن معطي بالسويقة



الصورة رقم (04): حاملة الشموع (الركايز) بالنحاس الأصفر على شكل أحصنة وسمكة



الصورة رقم (05): حاملة الشموع (الركايز بالنحاس الأبيض



الصورة رقم (06) : محبس خاص لتخزين الحلويات من النحاس الأصفر





الصورة رقم (07) : غلاية القهوة "الجزوة" ومقبض خشبي



الصورة رقم (08) : مزهرية نحاسية من النحاس الأصفر



الصورة رقم (09) : مهراس من النحاس الأصفر



الصورة رقم (10) : محبس من النحاس الأبيض



الصورة رقم (11) : سينية قهوة من النحاس الأصفر مرفوقة بالصحون النحاسية وحاملات الملاعق والمناديل والسكرية والمرش

الصورة رقم (12) : سينية شاي من النحاس الاصفر مرفوقة بسكرية وابريق وحاملة مناديل وسحون في شكل ريشة



الصورة رقم (13) : سينية قهوة من النحاس الابيض مع مرش وسكرية وحامل مناديل وملاعق.

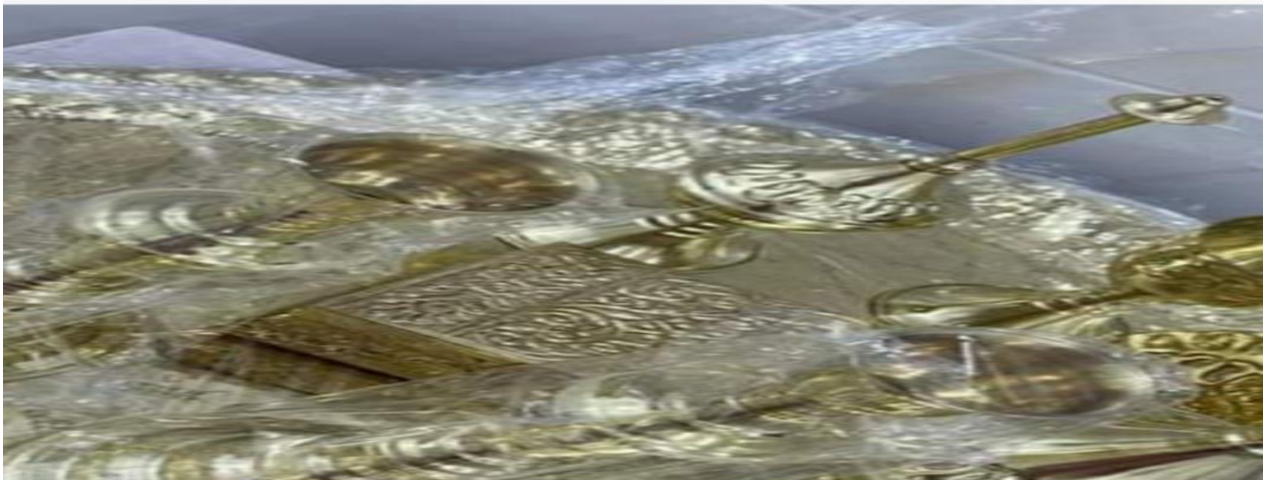




الصورة رقم (14) : لوازم الاستحمام في قسنطينة قديما على اليمين الطاس والطاسة والطفال وعلى اليسار الكيروانة كلها بالنحاس الأبيض



الصورة (15) : سطلة الاستحمام بالنحاس الأبيض



الصورة رقم (16) : سينية الحنة بكل لوازمها من النحاس الاصفر "طبق الحنة مرش وسكرية وحاملات الشمع وعلبة لوضع المصوغات التي ستوضع في حنة العروس



الصورة رقم (17): قطار الورد رأسه من النحاس الأبيض وقاعدته من النحاس الأحمر



الصورة رقم (18) : برواز لمدينة قسنطينة بخيوط من النحاس الأصفر



الصورة رقم (19) : قصعة من النحاس الأحمر لغسل الثياب والصوف

ر



الصورة رقم (20) : ساعة للزينة من النحاس الأصفر



الصورة رقم (21) : خمسة للزينة من النحاس الأصفر



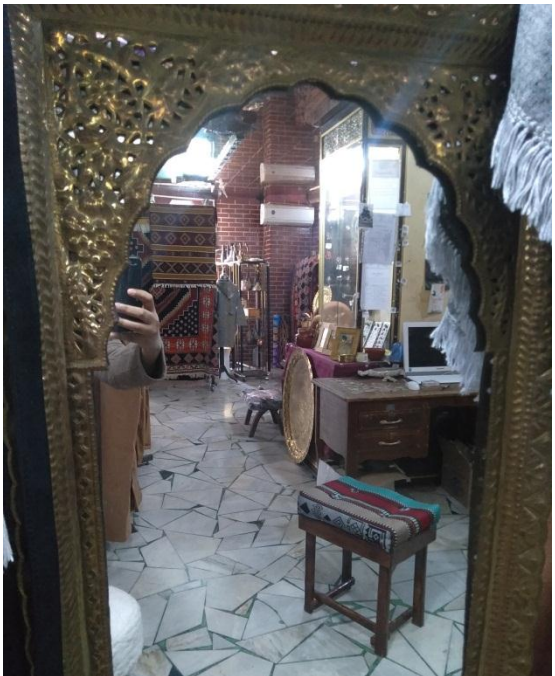


الصورة رقم (22) : على اليمين بطة وعلى اليسار غزالة من النحاس الأصفر مخصصة للزينة



الصورة رقم (23) : تمثل الوضاية النحاسية باللونين الأصفر والأبيض





الصورة رقم (24) : بلاطو مستطيل الشكل من النحاس الأصفر

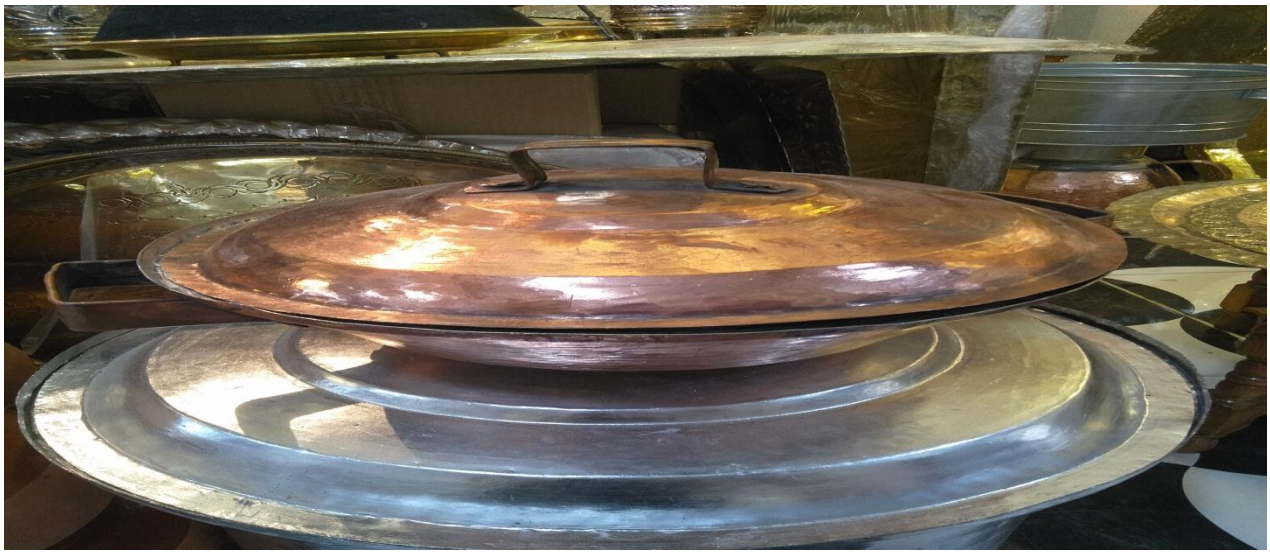
الصورة رقم (25) : مرأة ذات إطار



الصورة رقم (26) : تمثل تحفة نحاسية من النحاس الأبيض مجسدة لمسجد الأمير عبد القادر



الصورة رقم (27) : مدخل لأحد المحلات بوسط مدينة قسنطينة لبيع الأنتيكا والزينة النحاسية وهو باب مصنوع من النحاس الأحمر

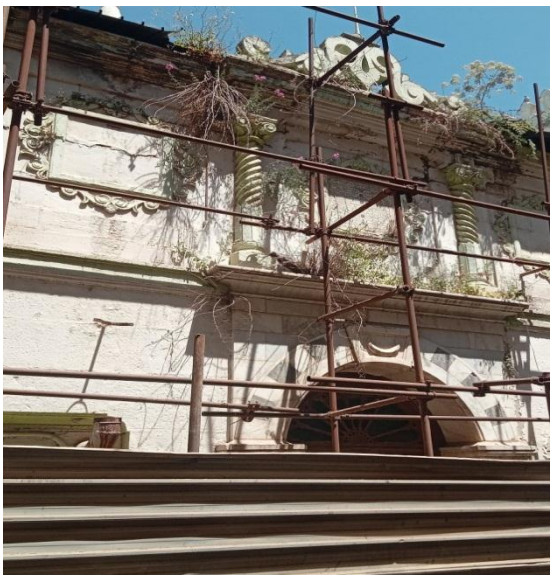


الصورة رقم (28) : تمثل إناء لطهي الطعام من النحاس الأحمر

الملحق رقم (03) : صور خاصة بالفصل الرابع

كل الصور من تصوير الباحثة





لصورة رقم (29) : تمثل مسجد سيدي الكتاني على اليمين من واجهته الأمامية والذي يقع في سوق العصر وعلى اليسار ومن واجتهه الخلفية أعمدة للترميم وعدم السقوط غير أنه على هذه الشاكلة منذ سنوات



الصورة رقم (30) : تمثل مسجد سيدي لخضر



الصورة رقم (31) : تمثل الزاوية الحنصالية والتي أصبحت مسجدا الان



الصورة رقم (32) : الزاوية الطيبية وهي مغلقة تماما نظرا لحالتها العمرانية المهترئة



الصورة رقم (33) : وهي للمسجد الكبير



الصورة رقم (34) : هي لمسجد عبد المؤمن والذي كان زاوية في السابق وهو متواجد بالسويقة



الصورة رقم (35) : زاوية سيدي ميمون والتي أصبحت مسجدا



الصورة رقم (36) : تمثل قبة لأحد المساجد من النحاس الأصفر



الصورة رقم (37) : تمثل جسر سيدي راشد وأسفله زاوية سيدي راشد



الصورة رقم (38) : تمثل جسر صالح باي " الملقب بالجسر العملاق'



الصورة رقم (39) : تمثل جسر سيدي مسيد" جسر السبيطار"



الصورة رقم (40) : تمثل جسر ملاح سليمان " السانسور "

الملحق رقم (05) : صور خاصة بالفصل الخامس

كل الصور من تصوير الباحثة



الصورة رقم (41) : خاصة بحي النحاسين " باردو العتيق " من الجهة العلوية



الصورة رقم (42) : لمحل بذات الحي مختص في بيع النحاس



الصورة رقم (43) : لأقدم ورشة نحاس في مدينة قسنطينة لأمين خوجة بحي السويقة العريق



الصورة رقم (44): المحل في مدينة الخروب مختص في بيع وشراء وتجديد النحاس



الصورة رقم (45) : حرفي نقاش في حي باردو العتيق اثناء عملية نقشه لسينية قهوة من الحجم الكبير ذات اللون الأصفر



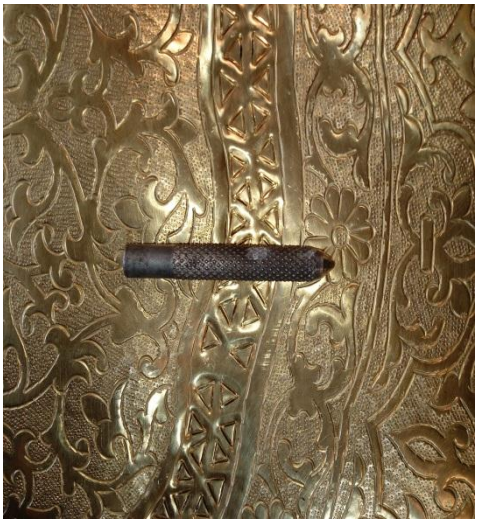
الصورة رقم (46) : تمثل قارورة لمنتج يستخدمه الحرفييون في تلميع الاواني النحاسية بعد الانتهاء منها يسمى " ميرور "



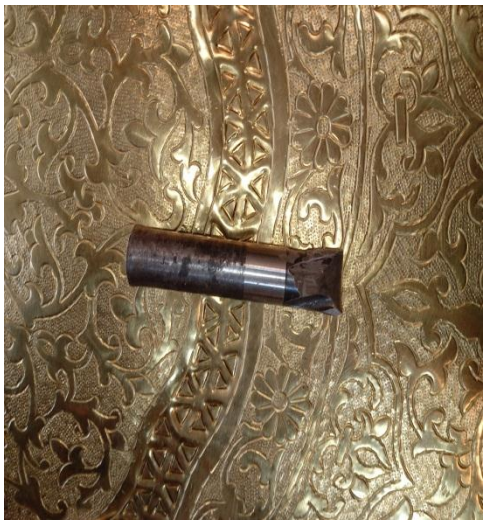
الصورة رقم (47) : تمثل مطرقة التسطيح التي يستخدمها الحرفي في تسطيح الصفيحة



الصورة رقم (48) : تمثل مطرقة التشفير على اليمين والمطرقة العادية يسار الصورة



الصورة رقم (49) : إزميل النقطة



الصورة رقم (50) : إزميل المقاطع



الصورة رقم (51) : لإزميل الشمس



الصورة رقم (52) : لإزميل المقاطع